الحياة السياسية ومظاهر الحضارة
في العراق والمشرق الإسلامي
من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة

دكتور
بدر عبد الرحمن محمد
أستاذ التاريخ الإسلامي
بكلية آداب بنها

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير الكتـــاب

يسرنى أن أقدم مؤلفا جديدا ، يتناول الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الاسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة . وقد قسم الباحث هذا الموضوع الى خمسة أبواب . أفرد الباب الأول لدراسة الموقف السياسى فى العراق فى العهد البويهى ، فتحدث عن ظهور بنى بويه والأحوال السياسية فى العراق التى مهدت لدخولهم بغداد ، واستئثارهم بالسلطة فى حاضرة الخلافة ، ثم تتبع سياسة أمراء بنى بويه مع الخلفاء العباسيين وأمراء الدول الاسلامية المجاورة ، كما وضح حركات الطوائف الاسلامية فى ذلك العهـــد .

وعنى الباحث فى الباب الثانى ، بدراسة الأوضاع السياسية فى الدول الفارسية التى قامت فى شرق الدولة الاسلامية ، فتحدث عن سياسة البويهيين فى بلاد الفرس ، ثم تناول السامانيين فى خراسان وما وراء النهر ، وشرح الموقف السياسى الداخلى فى دولتهم ، وعلاقتهم مع الخلفاء العباسيين ، وسياستهم تجاه البويهيين والأتراك الشرقيين .

وركز المؤلف اهتمامه فى الباب الثالث على دراسة الغزنويين فى بلاد المشرق الاسلامى ، فعرض لامتداد نفوذهم الى الولايات الشرقية الاسلامية ، وتحدث عن علاقتهم مع كل من الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية ، كما تتبع موقفهم من الامارات الاسلامية المجاورة لهم . ثم وضح عوامل ضعف الغزنويين وزوال سلطانهم .

وبحث فى الباب الرابع ، الحالة الاقتصادية ، فعرض للجهود التى بذلت لانماء الزراعة ، وأشهر الحاصلات الزراعية ، وتحدث عن ازدهار كثير من الصناعات ، وبخاصة المنسوجات على اختلاف أنواعها ، كما

وضح مظاهر نشـــاط حركة التجارة الداخلية والخارجية ، ثم شرح وسائل المعاملات التجارية والمالية •

ومما يذكر للمؤلف ما بذله فى الباب الخامس من جهد فى دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية ، ففيما يتعلق بالحالة الاجتماعية ، ركز حديثه على عناصر السكان وطوائف المجتمع ، فضلا عن المجالس الاجتماعية • وتناول فى بحثه الحياة الثقافية ، مراكز الثقافة الاسلامية ، وما حفلت به من معاهد ومكتبات ، ومجالس للعلماء ، كما تحدث عن أشهر العلماء والأدباء وأثرهم فى الحركة الفكرية ، وأبرز الى جانب ذلك أهم مصنفاتهم فى مختلف العلوم •

ولا شك أن المؤلف ، قام بهذه الدراسة الجادة فى منهج علمى سليم ، واستطاع باستقصائه الحقائق التاريخية من المصادر الأصلية أن يلقى أضواء على أهم نواحى الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الاسلامى خلال الفترة التى تناول بحثها • وأرجو أن ينال هذا البحث ، التقدير الذى يتفق مع ما تجلى فى اعداده من جهد وكفاية علمية •

كما أود أن يكون ذلك العمل العلمى القيم ، بداية لبحوث أخرى بعدها المؤلف فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، ، ،

د• محمد جمال الدين سرور
أستاذ بقسم التاريخ • كلية الآداب
جامعـــة القاهرة

المقـــــــدمة

تعتبر الفترة الواقعة من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة من الفترات الحافلة بالتيارات السياسية والحضارية ، ففى الوقت الذى كانت الخلافة العباسية تعانى فيه من استبداد الاتراك ، لاح لهم الأمل فى التخلص منهم على يد البويهيين الديالمة ، الـذين استطاعوا تكوين قوة سياسية لهم فى بلاد فارس ، وتمكنوا من دخول بغداد سنة ٣٣٤ هـ • وامتد نفوذهم على بلاد العراق •

غير أن أمراء البويهيين لم يكونوا أقل اسـتبدادا من أسلافهم الاتراك ، فنكلوا بالخلفاء العباسيين ، وصاروا يعاملونهم معاملة سيئة ، وكان من أعظم الأسباب فى ذلك أن بنى بويه كانوا يتشيعون ويغالون فى التشيع ، مما حدا بخلفاء بنى العباس الى البحث لهم عن نصير سنى ، وتحقق لهم ذك عندما تمكن الغزنويون من القضاء على دولة السامانيين فى بلاد ما وراء النهر ، وأقاموا الدولة الغزنويه •

اعتمدت الخلافة العباسية على الغزنويين السنيين فى نشر نفوذها فى البـلاد التى فتحها الغزنويون باسم العباسـيين ، غير أن دولة الغزنويين لم يقدر لها الصمود فى مواجهة السلاجقة الذين استطاعوا الزحف على ممتلكاتهم ، وتمكنوا من هزيمة السلطان الغزنوى مسعود فى موقعه داندانقان سنة ٤٣١ هـ • وكان ذلك بداية عصر جديد بالنسبة للسلاجقة الذين امتد نفوذهم فى شرق الدولة الاسلامية ، وتمكنوا من دخول بغداد سنة ٤٤٧ هـ •

قسمت بحثى الى خمســة أبواب يتناول الباب الأول : الموقف السياسى فى العراق فى العهد البويهى ، تحدثت فيه عن ظهور بنى بويه فى بلاد فارس وتكوين امارات لهم • ثم تناولت الأوضاع السياسنية فى بلاد العراق التى أدت الى دخـول بنى بويه بغـداد سـنة ٣٣٤ هـ واستئثارهم بالسلطة ، كما بينت سياسة أمراء بنى بويه فى العراق مع

الخلفاء العباسيين والحمدانيين والعقيليين والقرامطة ، ثم ختمت الباب بالحديث عن حركات الطوائف الاسلامية ٠

وبحثت فى الباب الثانى : الأوضاع السياسية فى الدول الفارسية التى قامت فى شرق الدولة الاسلامية ، تحدثت فيه عن سياسة بنى بويه فى بلاد الفرس ، وموقفهم من الزياريين ، كما تحدثت عن السامانيين فى خراسان وما وراء النهر ، وعرضت لسياستهم الداخلية ، ثم علاقتهم بالخلافة العباسية ، وسياستهم تجاه البويهيين والاتراك الشرقيين (القره خانيين) ٠

أما الباب الثالث : فتناولت فيه دراسة الغزنويين فى بلاد المشرق الاسلامى فتحدثت عن امتداد نفوذ الغزنويين الى الولايات الشرقية الاسلامية ، وشرحت العلاقات بين الغزنويين والدول والامارات المجاورة لهم ، ثم ختمت هذا الباب بالحديث عن ضعف نفوذ الغزنويين وزوال سلطانهم ، فبينت كيف ظهر السلاجقة منذ عهد السلطان محمود الغزنوى ، ونوهت بازدياد قوتهم فى عهد السلطان مسعود وهزيمتهم له فى موقعة ندانقان سنة ٤٣١ هـ ٠

وفى الباب الرابع ركزت اهتمامى على دراسة الحالة الاقتصادية ، فتحدثت عن الانتاج الزراعى والصناعى ، وعرضت للنشاط التجارى ، فأشرت الى المراكز التجارية وما حفلت بها من أسواق ، كما تحدثت عن طرق التجارة الداخلية والخارجية وارتباطها بنشاط حركة التجارة ، وتناولت العلاقات التجارية بين بلاد العراق والمشرق وبين دول العالم المعاصرة ، فأشرت الى أهم الصادرات والواردات ، ثم عرضت لأنواع المعاملات المالية والتجارية ٠

وتناولت فى الباب الخامس : مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية ٠ فعرضت لعناصر السكان ، والطوائف الدينية ، كما تحدثت عن طوائف المجتمع ، وبينت مدى الاهتمام بالموسيقى والغناء والمجالس الاجتماعية ، ثم عرضت للحياة العلمية والأدبية ، فتحدثت عن مراكز الثقافة

الاسلامية ، وما حفلت به من مجالس العلماء التى عقدت فى المساجد والمدارس والمكتبات ودور العلم . ثم تناولت أشهر العلماء والأدباء وأثرهم فى الحركة الفكرية ، وعنيت بابراز أهم ما صنفوه من كتب .

والله أسأل أن يوفقنى الى القاء مزيد الضوء على التاريخ والحضارة الاسلامية .

دكتور
بدر عبد الرحمن محمد
كلية آداب بنها

بحث فى أهم المصـــادر

تتميز المراجع التى رجعت اليها فى هذا البحث بأن بعض مؤلفيها عاصروا تلك الفترة ، وكانوا على صـــلة وثيقة برجال الحكم ، فيعد أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (المتوفى سنة ٣٣٥ هـ) من المؤرخين المعاصرين ، وخاصة للفترة التى سبقت دخول بنى بويه بغداد ، وقد تتلمذ على الصولى الراضى ابن المقتدر قبل أن يلى الخلافة(١) ، وكتابه « الأوراق » مجموعة نفيسة فى الأدب والتاريخ ، يتناول تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ هـ الى سنة ٣٣٣ هـ .

ويعتبر كتـــاب « التاجى فى أخبـــار الدولة الديلمية » لهلال بن المحسن الصابى (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) من المصادر المعاصرة . وهو مخطوط مصور على فيلم رقم ٢٣٥ بدار الكتب ، وهـــو أقدم وثيقة تاريخية تحدثت عن تاريخ الأسرة البويهية باسهاب ، كما تناول نسب البويهيين والديلم والجيـــل ، وعاداتهم وظروف معيشـــتهم ، وبداية علاقاتهم بالخلافة العباسية ، ودخولهم الاسلام على يد الحسن بن الاطروش ، وقد اعتمد عليه كل من البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية عن القرون الخالية » وخاصة فيما يتعلق بنســـب بنى بويه ، وكذلك النويرى الذى اعتمد على هذا الكتاب فيما ذكره فى كتابه « نهاية الأرب فى فنون الادب » عن المعركة التى دارت بين الحسن بن الاطروش والقائد السامانى أبى العباس محمد بن على (صعلوك) والتى انتصر فيها على الاطروش .

وأمدنا الصابى فى كتابه « رسائل الصابى » بمعلومات قيمة عن عهود التولية والمراســـلات بين بعض الخلفاء العباســـيين والامراء البويهيين ، وقد تناول كتابه « تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء » أخبار

---

(١) الصولى : اخبار الراضى بالله والمتقى بالله ص ٥ — ٦ ، ص ٢٦

الوزراء فى عهد الدولة العباسية ، وأسباب الخلاف الذى حدث بين من تولوا منصب الوزارة وبين الاتراك ، كما عرض لبداية دولة بنى عقيل فى الموصل ، وأشار الى النزاع الذى نشب بين أفـراد البيت العقيلى ، وعلاقة العقيليين مع البويهيين ، ولم يغفل الحديث عن علاقة العباسية بالسامانيين والغزنويين ، وأوضح بصفة خاصة ميل الغزنويين الى المذهب السنى وتبعيتهم المطلقة للخلافة العباسية رغم اتسـاع دولتهـم •

ويعد كتاب « رسوم دار الخلافة » للصابى أيضا من الكتـب الهامة وبخاصة فى دراسة النظم فى الدولة العباسية ورسومها ، فأوضح ما طرأ على هذه الرسوم فى عهد بنى بويه من تغيير ، وبين كيف تعدى كثير من أمرائهم على حقوق الخلفاء العباسيين فى التلقب بالألقاب ، وضرب أسمائهم على الدنانير والدراهم مع أسـماء الخلفاء وضرب الطبول على أبواب دورهم فى أوقات الصلاة •

أما تاريخ مسكويه « تجارب الأمم وتعاقب الهمم »(١) فيعتبر من أهم المصادر • ذلك أن مسكوية نحا فى كتابه منحى جديدا ، فلم يكتف فى تاريخه بذكر الحوادث ــ السياسية بل عنى الى جانب ذلك بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، فتحدث عن الآثار السياسية والاجتماعية التى ترتبت على حكم الاتراك لبلاد العـراق ، كما تحدث عن حـالة الأراضى الزراعية فى ريف العراق ، وبين مدى الاهمال الذى تعرضت له ، والاضطهاد الذى لاقاه الفلاحون من الاقطاعيين والملتزمين ، وحلل هذه الأوضاع وذكر أسباب وجودها ، كما اهتم بابراز الحياة العامة فى مدن العراق ، وعنى بذكر الاصلاحات العمرانية والمـالية فى ذلك العصر ، كما أمدنا بمعلومات عن بنى بويه منذ ظهورهم فى بلاد فارس حتى دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، ثم تناول علاقة الامراء البويهيين مع الخلفاء العباسيين ، وعرض للنزاع الذى قام بين البويهيين على

---

(١)رضا زاده شفق : تاريخ ادبيات ايران ص ٢٠١

السلطة ، وبخاصة ما حدث بين عضـــد الدولة وابن عمه عز الدولة بختيــار .

نقل مسكويه أخبار الاحداث التاريخية رواية عمن تولوا الزعامة فى هذه الأحداث من أمثال الوزير المهلبى (المتوفى سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م) وأمين خزانته أبى الفضل بن العميد (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) فى الرى ، وكان لمسكويه ضلع فى كثير من الأحداث الهامة بحكم المناصـــب التى تقلدها ، كما كان فى استطاعته الوقوف على أسرار الدولة من غير أن تكون له بها علاقة شخصية ، وقد ذيل ظهير الدين محمد بن الحسين المعروف بأبى شجاع تاريخ مسكويه بتاريخه الذى تناول فيه الكلام على المدة بين سنتى ٣٦٩ — ٣٨٩ هـ . فأعطانا صورة عن نظام الوزارة والخلافة فى العهد البويهى ، كما أوضح عوامل ضعف بنى حمدان فى الموصل والظروف التى ساعدت بنى عقيل على التجمع فى المنطقة الكائنة بين الموصل وحلب حيث أصبحوا من رعايا بنى حمدان ، وقيام الدولة العقيلية فى الموصل سنة ٣٨٠ هـ والصعوبات التى واجهت المقلد العقيلى حتى تمكن من توطيد سلطة الدولة العقيلية .

أما كتابى « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » و « الفرج بعد الشدة » للمحسن بن على بن أبى الفهم التنوخى (توفى سنة ٣٨٤ هـ) فتأتى أهميتها من أن التنوخى كان قاضيا ومتوليا لدار الضرب فى فترة من فترات العهد البويهى فى بغداد . وقد أمدنا التنوخى بمعلومات هامة عن الحياة الاجتماعية والأدبية ، وعن المجالس الاجتماعية التى كانت تعقد فى بغداد ، فضلا عما أورده فى الناحية الاقتصادية وبخاصة فى وسائل المعاملات المالية والتجارية التى كانت مستخدمة فى العراق والمشرق .

ويعد كتاب « الامتاع والمؤانسة » من خير ما كتـــب أبو حيان التوحيدى فى الأدب والتاريخ ، فقد ألقى مزيدا من الضوء على الحياة الاجتماعية ، وتناول المجالس الاجتماعية التى كانت تعقد فى بغداد فى بيت أبى سلمان المنطقى ، وكشف لنا فى كتابه الغموض الذى أحاط

بجماعة اخوان الصفا ، فتحدث عن تنظيمهم ومؤلفاتهم • فضلا عن ذكره أشهر علماء وأدباء بغداد فى العهد البويهى •

ويعد كتاب « تاريخ اليمينى » لأبى النصر محمد بن عبد الجبار العتبى (توفى سنة ٤٢٨ هـ) من أهم الكتب التى تناولت تاريخ الدولة الغزنوية فى عهد سبكتكين وابنه محمود الغزنوى ، فقد كان العتبى كاتب السلطان محمود وسفيره ، وقد عرض بتفصيل وأمانة لتاريخ الغزنويين ، وتحدث عن فتوح السلطان محمود فى الهند وغيرها من البلاد ، كما تناول الحديث عما جرى من أحداث فى بلاط السامانيين فى أواخر عهدهم ، ودور الايلكخانات الاتراك فى القضاء على آخر أمراء الدولة السامانية بمساعدة الغزنويين •

ويعتبر كتابى « لطائف المعارف » و « ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب » لأبى منصور الثعالبى (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ) من الكتب الهامة فى الادب والتاريخ والاقتصاد ، ففى الناحية الاقتصادية أمدنا كل من هذين الكتابين بمادة وافرة وخاصـــة فى مجال الثروة الزراعية والصناعية ، وأهم السلع المتبادلة بين بلاد العراق وغيرها من البلاد •

أما كتاب « يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر » للثعالبى فهو من الكتب الهامة فى الناحية الادبية ، فتناول أدباء فارس والعراق ، وأهم انتاجهم العلمى والأدبى وهو من الكتب الموسوعية ، ولو أنه اهتم بذكر سنوات وفاة المترجم لهم لكانت الفائدة من هذا الكتاب أعم وأشمل ، وهو ما تلافاه ابن خلكان فى وفياته •

ويعد كتاب « الفهرست » لمحمد بن اسحق النديم (المتوفى سنة ٣٨٣ هـ) من كتب الادب والتاريخ ، فقد أحصى مؤلفه جميع الكتب العربية المنقولة من الامم المختلفة ، والمؤلفة فى جميع أنواع العلوم ، وتحدث عن مصنفيها ، وذكر طرفا من تاريخ حياتهم ، فكان الكتاب على هذا النمط أجمع كتاب لاحصاء ما ألفه الكتاب الى قرب نهـــاية القرن الرابع الهجرى ، وأشمل وثيقة تبين ما وصل اليه المسلمون فى حياتهم العقلية فى ذلك العصر ، وفضلا عن ذلك أفادنا فى دراسة تاريخ

السامانيين ، وألقى لنا الضوء على علاقتهم مع الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب فى عهد السعيد نصر الثانى بن أحمد السامانى (٣٠١ — ٣٣١ هـ) حينما تمكن محمد بن اسماعيل النسفى (توفى سنة ٣٣١ هـ) داعى الفاطميين فى خراسان من ادخال الامير نصر فى الدعوة الفاطمية .

كذلك يعد كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادى (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ) من الكتب الهامة التى تناولت تاريخ بغداد ، اذ أن مؤلفه عاصر كثيرا من أحداث هذه الفترة من تاريخ العراق ، ودون ما شاهده بنفسه وما سمعه . فقد تناول تاريخ بغداد من حيث موقعها وأسواقها وخططها والطرق التجارية التى تربط العراق بأنحاء الدولة الاسلامية ، كما ترجم لأشهر رجالها . ومما يذكر أن الخطيب البغدادى دعا الله أثناء حجه أن يكتب فى تاريخ بغداد كتابا لم يكتب أحدا مثله ، فجاء كتابه آية فريدة وموسوعة فى الادب والتاريخ ، وقد نقل عن الخطيب البغدادى كثير من المؤرخين منهم ابن الجوزى وابن الأثير وغيرهم .

ويضاف الى هذه المصادر كتاب « المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك » لأبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) وقد رتبه فى عشر مجلدات ، تناول فيه تاريخ العالم منذ بدايته ، وشمل كثيرا من دقائق السياسة فى العراق ، وبخاصة حاضرة الخلافة بغداد ، وتحدث عن الأحوال الاقتصادية للعراق ، ففى كل سنة يذكر أسعار المحاصيل الغذائية ، ويربط بينها وبين الاحداث السياسية ، كما تناول العلاقة التى كانت بين الغزنويين والخلافة العباسية وخاصة فى عهد السلطان محمود الغزنوى ، الذى دان بالمذهب السنى ، وعمل على القضاء على مناوئى المذهب وبصفة خاصة حينما فتح مدينة الرى سنة ٤٠٨ هـ ، كما تناول موقف الخليفة القادر من انتشار الدعوى الفاطمية فى بلاد العراق ، واصدار محاضر الطعن فى نسب الفاطميين .

ويعد كتاب « الكامل فى التاريخ » لعلى بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ) من أحسن ما وصل الينا من كتب التاريخ

العام التى وضعت باللغة العربية : فقد اشتمل على تاريخ العالم منذ مبدئه كما تصوره المسلمون حتى سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م أى قبل وفاته بعـــامين •

وتتجلى أبرز خصائص هذا الكتـــاب فى محاولة صاحبه عرض حقائق التاريخ عرضا مبسطا ومترابطا ، وذلك بانتهاجه منهج الموضوع الواحد فى اطار حولى ، فقـــد أمدنا بمعلومات وافية عن الحمدانيين بالموصل فى فترة تسلط الاتراك ، وأوضح الصراع الذى حدث بين هاتين القوتين فى مراحله المختلفة ، كما أورد لنا معلومات قيمة عن النزاع الذى حدث فى عصر امرة الامراء بين القوى المتعددة فى العراق وعلى الأخص البريديين والحمدانيين وقواد الترك ، ولم يغفل الحديث عن بنى بويه كطرف فى هذا الصراع الذى انتهى بدخولهم بغـــداد سنة ٣٣٤ هـ • وتحدث عن القرامطة وعلاقتهم مع البويهيين ، والسامانيين وعلاقتهم مع البويهيين والايلكخانيين ، كما أورد أخبار بنى عقيل منذ قيام دولتهم حتى زوالها ، وتناول الغزنويين منذ ظهور دولتهم حتى زوالها ، وتناول الغزنويين منذ ظهور دولتهم حتى نهايتها سنة ٥٨٢ هـ ، ونشأة السلاجقة وصراعهم مع الغزنويين والبويهيين حتى دخـــولهم بغداد سنة ٤٤٧ هـ ، هذا فضـــلا عما أورده من معلومات عن الزراعة والتجارة وطرقها ، وقد عرف ابن الاثير بدقة معلوماته وشمولها •

ومن الكتب الهامة فى دراسة أوجه نشاط الحركة الفكرية فى العراق والمشرق كتاب « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لأبى العباس شـــمس الدين أحمـــد بن محمـــد بن أبى بكر بن خلكان المولود فى سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م والمتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١١٨٢ م ، ويعد هذا الكتاب من أهم كتب التراجم ، وقد بدأ فى تصنيفه سنة ٦٥٤ هـ وانتهى منه سنة ٦٧٣ هـ • ويتلخص منهجه فى التزام مبدأ الاسناد التزاما دقيقا ، والعناية بتحديد الزمن وخاصة تاريخ الميلاد والوفاة ، مع موجز للاحداث الرئيسية فى حياة المترجم له ، بما فى ذلك ثقافته ومؤلفاته ان كانت له مؤلفات ، ولذا فهو يتميز عن كتاب الثعالبى « يتمية الدهر » بتحديد سنة وفاة المترجم له•

ومن الكتب المفيدة فى دراسة النظم الاقتصادية فى العراق وبلاد المشرق الاسلامى « معجم البلدان » لأبى عبد الله شهاب الدين ياقوت ابن عبد الله الرومى الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ويعد هذا الكتاب فريدا فى بابه ليس له نظير فى سـائر اللغات »(١) وقد اعتمدت عليه فى تحقيق أسماء كثير من البلدان ، فضلا عما ورد فيه من المعلومات الادبية والتاريخية ، فعند ذكره لبلد من البلدان لا ينسى أن يشير الى من اشتهر من رجالها وانتسب اليها .

كذلك يعد كتاب « معجم الأدباء » لياقوت الحموى الذى يعرف بـ « ارشاد الأريب الى معرفة الأديب » من الكتب الهامة فى دراسة تراجم الادباء ، وقد سار فيه على نفس منهج ابن خلكان فى وفيات الاعيان ، لكنـه توسـع فى بعض التراجم ، فذكر كثيرا من الاحداث السياسية الهامة ، ويعد هذا الكتاب من أوسع المعاجم الادبية اذ أخرجه ياقوت فى عشرين مجلدا .

ويشارك سفر معجم البلدان فى خصـائصه كتاب « آثار البلاد وأخبار العباد » لزكريا بن محمد بن محمود القزوينى (المتوفى فى القرن السابع الهجرى) وقد وصف فيه مؤلفه البلاد والمدن الاسلامية وصفا علميا ، وتكلم عن زراعتها وأساليبها ، وصناعتها ومدى جودتها ، وتجارتها وطرقها ، وتنوع سلعها ، وانتهج فى كتابه نهج ياقوت الحموى فرتب كتابه على حروف المعجم وقسمه تبعا للاقاليم السبعة .

أما كتاب « مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » لسبط ابن الجوزى (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، وقد أمدنا الجزء الحادى عشر منه بمعلومات وفيرة عن موقـف بنى بويه من الخلفاء العباسيين ، وعن النزاع الذى قام بين الامراء البويهيين على السلطة فى بغداد ، ومما يذكر أن المؤلف نقل كثيرا عن جده أبى الفرج ابن الجوزى ، كما نقل عن مصادر أخرى ، ويذكر ابن خلكان أن كتاب

---

(١) قدرى حافظ طوقان : نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ص ٦٥

سبط ابن الجوزى يقع فى أربعين مجلدا ، ونقل عن سبط بن الجوزى كثير من المؤرخين .

ويعد كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » لاحمد بن عبد الوهاب النويرى (٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) من الكتب الهامة فى التاريخ والادب ، تناول فى الجزئين الثالث والعشرين والرابع والعشرين وهما مخطوطان فى دار الكتب المصرية ، تاريخ الديلم وعلاقتهم مع السامانيين ، وتحدث عن الصراع بين السامانيين والحسن بن الاطروش العلوى معتمدا فى ذلك على ما جاء بكتاب « التاجى فى أخبار الدولة الديلمية » لهلال بن المحسن الصابى .

ومن كتب المقريزى (توفى سنة ٨٤٥ هـ) التى اعتمدت عليها فى هذا البحث كتاب « اتعاظ الحنفا » ويتناول فى هذا الكتاب أحوال الخلافة العباسية فى عهد بنى بويه وانتشار النفوذ الفاطمى فى بلاد العراق فى عهد الخليفة القادر بالله العباسى ، واصدار هذا الخليفة محاضر الطعن فى نسب الفاطميين ، ورفض الشريف الرضى العلوى التوقيع على هذه المحاضر ، ونظمه قصيدة مدح فيها الخليفة الفاطمى القائم بالأمر فى مصر ، وقد قام بتحقيقه فى طبعتين كل من الدكتور جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد حلمى محمد أحمد .

أما كتاب « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » لمؤلفه بدر الدين محمود العينى (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، يتنـــاول كثيرا من المعلومات عن موقف الامراء البويهيين من الخلافة العباسية ، وعن التنافس الذى قام بين الامراء البويهيين على السلطة فى بغداد ، كما أمدنى بمعلومات عن نظام الخلافة والوزارة ، والكتاب يتألف من سبعة عشر مجلدا ، نقل مؤلفه الكثير من معلوماته التى لم يعاصرها ممن سبقه من المؤرخين الموثوق بهم وبخاصة ابن الجوزى وابن كثير وابن الأثير والنويرى ، وقد رتب العينى الحوادث التى ذكرها على السنين .

ومن كتب الجغرافيين والرحالة رجعت الى كتاب « المسالك والممالك » ، لأبى القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه (توفى حوالى سنة ٣٠٠ هـ) وهو عبارة عن دليل يستعين به المسافرون فى الاهتداء الى الطريق البحرى الذى يبدأ من مصب نهر دجلة عند الأبله ويصل الى الهند والصين ، وقد أفادنا أيضا فى دراسة العلاقات التجارية بين العراق والمشرق الاسلامى .

ويعد كتاب « المسالك والممالك » لأبى اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخرى (توفى فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى) من المصادر الهامة فى النواحى الجغرافية ، فقد أمدنا بكثير من المعلومات عن اقليم العراق وأهم المدن فى كل من العراق والمشرق ، وبين لنا أهم مراكز صناعة النسيج فى العراق ، وأهم واردات العراق من البلدان المجاورة ، فضلا عن صادراته الداخلية ، وقد اعتمد ابن حوقل (توفى أواخر القرن الرابع الهجرى) على كتاب الاصطخرى فى معلوماته التى تناولها فى كتابه « المسالك والممالك » وزاد عليها الفترة التى عاصرها .

أما كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » لشمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعى المقدس المعروف بالبشارى (توفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) فيعد من الكتب الهامة فى التاريخ والجغرافيا ، تناول فيه الحديث عن العراق والمشرق ، فقد جاب المنطقة ودرس أحوالها ، فجاءت كتابته ذخيرة من المعلومات ، فيتحدث عند ذكرة مدن الاقاليم الذى يصفه عن أهم أنهارها ، وثروتها الزراعية والمعدنية وانتاجها الصناعى ، ولا يغفل عن ذكر المعاملات من دنانير ودراهم ، وأنواع المكوس والضرائب التى تجبى فيه ، وتأتى أهمية هذا الكتاب من معاصرته السامانيين والبويهيين .

أما كتاب ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر) « الاعلاق النفيسة » فقد اعتمدت عليه فى دراسة طرق المواصلات النهرية فى العراق فى العهد البويهى ، كما أفادنى فى التعرف على الملاحة النهرية فى نهرى دجلة

والفرات ، وتحدث عن المآصر (السلاسل) التى كانت توضع بعرض نهر دجلة لمنع مرور السفن ليلا حتى تقوم بدفع رسوم المرور •

والى جانب ما تقدم من الكتب العربية ، فقد تناولت المصادر والكتب الفارسية أحداث تلك الفترة ومنها كتاب « تاريخ بخارى » لأبى بكر محمد بن جعفر النرشخى • وهو من المصادر الهامة لتاريخ السامانيين ، فقد عاش فى زمن الدولة السامانية واتصل بامرائهم مما جعل لمؤلفه أهمية خاصة ، فقد تناول الحياة السياسية للدولة السامانية حتى نهاية عصر الأمير نصر الثانى بن أحمد السامانى (٣٠١ — ٣٣١ هـ) وقد قام على ترجمة هذا الكتاب من اللغة الفارسية الى اللغة العربية الاستاذان : أمين عبد المجيد ونصر الله مبشر الطرازى •

ويعد كتاب « تاريخ البيهقى » لأبى الفضل محمد بن الحسين البيهقى (توفى سنة ٤٥٨ هـ) مكملا لتاريخ العتبى ، فقد تناول عصر السلطان مسعود الغزنوى ، وهى من الفترات الهامة فى تاريخ الدولة الغزنوية ، وتحدث عن الحروب التى قامت بين السلاجقة وجيوش السلطان مسعود والتى انتهت بواقعة داندانقان سنة ٤٣١ هـ ، كما لم يغفل الحديث عن العلاقات السياسية بين الغزنويين وخانات التركستان ، وعلاقة الغزنويين مع الخلافة العباسية ، وقدم لنا صورة وافية للحياة الاجتماعية خلال عصره ومنها مجالس للسلطان مسعود نفسه ، وجاء كتابه مدعما بالوثائق التى كانت فى متناول البيهقى اذ كان نائبا لرئيس ديوان الرسائل فى عهد السلطان مسعود • وقد قام على ترجمة الكتاب من الفارسية الى العربية • صادق نشأت ويحيى الخشاب •

أما كتاب « زين الاخبار » لأبى سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكرديزى ، فهو من المصادر الهامة فى تاريخ الغزنويين ، فقد أرخ الكرديزى الحوادث منذ بدء الخليقة حتى نهاية عصر مودود بن مسعود (٤٣٢ — ٤٤٠ هـ) ، وهو مكمل لبعض ما لم يذكره البيهقى بالنسبة للاحداث التاريخية ، وخاصة فى العلاقات بين الغزنويين

والسلاجقة ، وعلاقة الغزنويين بخانات التركستان ، والكتاب مؤلف باللغة الفارسية ، وهو من منشورات ايران وقام على تحقيقه عبد الحى حبيبى ، وقد قمت بترجمة العصر السامانى والغزنوى ، وراجع الترجمة وصححها الدكتور ابراهيم الدسوقى شتا أستاذ الأدب الفارسى المساعد بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب / جامعة القاهرة .

ومن المصادر الفارسية كتاب « سفر نامه » أو « كتاب الرحلة » لناصر خسرو (المتوفى سنة ٤٨١ هـ) ويعد مؤلفه من المعاصرين لفترة البحث ، فقد تجول فى المنطقة العربية من مشرقها الى مغربها ، وزار مصر مرتين وهو فى طريقه للحج ، وقد أفدت مما كتبه عن أســـواق العراق والمشرق ، وأنواع المعاملات التجارية والمالية التى كانت سائدة فى عصره ، وقد قام على ترجمة هذا الكتاب الى العربية الدكتور / يحيى الخشاب .

ويعد كتاب « سياست نامه » للوزير نظام الملك أبو على حسن بن على الطوسى من الكتب الهامة ، اذ أنه يحتوى على ثروة من المعلومات ، فقد ألفه سنة ٤٨٥ هـ بناء على طلب السلطان السلجوقى ملكشاه ، وقد أمدنى بصورة واضحة عن السامانيين وصلتهم بالخلافة الفاطمية ، وكيف واجه نوح بن نصر تورط أبيه نصر الثانى بن أحمد السامانى (٣٠١ — ٣٣١ هـ) عندما استماله النسفى وأدخله فى الدعوة الفاطمية ، كذلك تحدث نظام المـــلك عن الغزنويين وعلاقتهم بخانات الترك والخلافة العباسية ، وقد قام على ترجمة هذا الكتاب الى العربية الدكتور / السيد محمد العزاوى .

ويعد كتاب « راحة الصدور وآية السرور » لمحمد بن على بن سليمان الراوندى (توفى سنة ٦٠٣ هـ) من أهم الكتب الفارسية التى تناولت تاريخ السلاجقة منذ بداية أمرهم حتى انقراضهم ، وقد حفل هذا الكتاب بكثير من المعلومات ، فتناول أصل السلاجقة وموطنهم الاول وسبب هجرتهم من بلاد التركستان الى ما وراء النهر ، وظهورهم فى عهد السلطان محمود الغزنوى الذى سمح لهم بالمرور عبر أراضى

دولته الى شرق الدولة الاسلامية ، ونوه بتعاظم قوتهم فى عهد السلطان مسعود ، واستهانتهم به حينما تعدوا على أطراف دولته ، وتمكنوا من هزيمته فى واقعة داندانقان سنة ٤٣١ هـ • وقد قام على ترجمة هذا الكتاب الاساتذة / ابراهيم الشواربى وعبد النعيم حسنين وفؤاد عبد المعطى الصياد •

وهناك مصادر أخرى فارسية منها كتاب « تاريخ كزيده » لحمد الله المستوفى القزوينى ، وطبقات ناصرى لمنهاج سراج الجوزجانى ، وترجع أهميتها الى أنها سجلت تاريخ الغزنويين ، وقد رجعت الى طبقات ناصرى بلغته الفارسية ، وتاريخ كزيدة الذى قام على نشره بالفارسية المستشرق براون ، ويتميز هذا الكتاب بأن صاحبه اعتمد على مؤلفات من سبقه وخاصة « تاريخ بخارى » للنرشخى • الذى ألحقت به الترجمة العربية للفصل الثانى من الباب الرابع ، أما ترجمة الباب الرابع فقام بها السيد / محمود محروس قشطة فى رسالته لدرجة الماجستير التى تقدم بها الى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب / جامعة عين شمس •

الباب الأول

الموقف السياسى فى العراق فى العهد البويهى

١ ــ دخول بنى بويه بغداد واستئثارهم بالسلطة

٢ ــ سياسة أمراء بنى بويه فى العــراق

(أ) مع الخلفاء العباســيين

(ب) مع أمراء الدول الاسلامية المجاورة

١ ــ مع الحمــدانيين

٢ ــ مع العقيليين

٣ ــ مع القرامطــة

٣ ــ حركات الطوائف الاســلامية

الباب الأول

الموقف السياسى فى العراق فى العهد البويهى

١ — دخول بنى بويه بغداد واستئثارهم بالسلطة :

(أ) ظهور بنى بويه :

كان من أثر استفحال نفوذ الأتراك أن ضعفت الخلافة العباسية بحيث لم يعد للخليفة العباسى منذ بداية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) سلطان الا على بغداد وضواحيها(١) ، مما أدى الى استقلال بعض الولاة بولاياتهم ، وعدم استقرار الأمور فى ولايات الدولة العباسية ، فقامت فى طبرستان(٢) سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ — ٩١٤ م) ثورة بقيادة الحسن بن على الزيدى(٣) الملقب بالأطروش(٤) ، الذى

---

(١) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٤٩ .

(٢) كانت منطقة الجبال العالية الممتدة فى حذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين مما فى شرق قومس وشمالها تعرف بطبرستان ، و« طبر » فى لغة أهل تلك البلاد معناها « الجبل » و« ستان » بمعنى ناحية ، فطبرستان تعنى ناحية الجبل أو بلاد الجبل . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٠٩ ، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس .

(٣) هو الحسن بن على بن محمد بن على بن أبى طالب . المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ، ص ٢٩٤ وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى ص ٣٠٩ مادة الأطروش : أن اسمه : ابو محمد الحسن بن على بن الحسن على بن عمر بن زين العابدين . ولد بالمدينة حوالى سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) وتوفى عام ٣٠٤ بمدينة آمل وهو عامل على طبرستان ، وكان يلقبه الزيدية واهل الدين بالامام الناصر الكبير .

(٤) كانت طبرستان هى مركز الأطروش ومنها كان يقوم بجولاته فى الاقاليم المجاورة ، وقد حدث ان ذهب الى خراسان ودخلها سرا يدعو الناس اليه فسجنه محمد بن عبد الله الخجستانى ونالته مكاره كثيرة ثقل فيها سمعه ومن ثم لقب بالأطروش .

دعا أهالى طبرستان وبلاد الديلم الى الاسلام(٥) ، فأسلم على يده عدد كبير على المذهب الزيدى(٦) ، واستطاع أن يستميلهم الى جانبه ، وظلوا مخلصين له طوال حياته(٧) كذلك نجح الحسن بن على الزيدى فى القضاء على النظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى بلاد الديلم . وظلت طبرستان بيد أسرته حتى سنة ٣١٤ هـ (٩٢٧ م) (٨) حين فتح مرداويج بن زيار(٩) الديلمى هذا الاقليم وأسس الدولة الزيارية التى امتد نفوذها من غربى ايران حتى الأهواز(١٠) .

هلال بن الصابى : المنتزع من التاجى ورقة (٥) فيلم بدار الكتب رقم ٢٣٥ ، النويـــرى : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٣ ، ص ٩٩ ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ معارف عامة .

(٥) كان بعض أهالى طبرستان يعبد الأوثان ويدين بالمجوسية ، وقد اقام الحسن بن على الزيدى ثلاث عشرة سنة بينهم .

انظر : انولد : (سيرتوماس) : الدعوة الى الاسلام ص ١٨٢ ترجمه الى العربية حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوى مكتبة النهضة العربية .

(٦) محمد حسين الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ٢٩ .

(٧) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ، ص ٧٢ — ٧٣ ، بغداد ١٩٤٥ .

(٨) يذكر حمزة الاصفهانى ان وفاة الأطروش كانت فى شعبان سـنة ٣٠٤ هـ (يناير ٩١٧ م) ، تاريخ سنى ملوك الارض ، ص ١٧٥ ، مطبعة الحياة ، بيروت .

Ibn Isfandiyar : History of Tabaristan. p. 204 (London 1905).

(٩) مرداويج بن زيار : احد قواد اسفار (الأصفر) بن شيرويه أمير قزوين ، دفعته أطماعه الى الثورة على أميره واستولى بمعونة شيعته من الديلم الجبليين على قزوين واستولى على الرى واصفهان من يوسف بن ابى الســاج (والى العباسيين) ، كما استولى على طبرستان وجرجان وهمذان .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : جـ ٨ ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، المطبعة الكبرى ١٢٩٠ هـ ،

حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ، ص ٦٩ .

(١٠) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٦٩ .

عبد العزيز الدورى : نفس المرجع ، ص ٧٣ ، ٢٤٣ .

لم يقنع مرداويج بن زيار بتأسيس تلك الدولة التى اتسعت رقعتها ، بل أراد أن يستولى على بغداد ويبطل دولة العرب(١١) حتى أن الخليفة المقتدر العباسى (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) (٩٠٨ — ٩٣٢ م) لم يجد بدا من الاعتراف بسلطانه ، شأنه فى ذلك شأن المتغلبين على بعض ولايات الدولة الاسلامية ، وأقره على ما بيده من بلاد ، بعد أن تعهد مرداويج بدفع جزية سنوية(١٢) .

كان بنو بويه من بلاد الديلم أو من بلاد جيلان التى تقع فى الجنوب الغربى من بحر قزوين(١٣) وكان جد هذه الأسرة بويه بن فناخسرو الملقب بأبى شجاع صيادا فقيرا ويروى بعض المؤرخين أنهم ينتسبون الى كسرى فارس « بهرام جور بن يزدجرد »(١٤) بينما يذكر البعض الآخر بأنهم من ولد يزدجرد بن شهريار(١٥) ، وهناك من ينسبهم الى العرب فيزعم أن جدهم الأعلى هو « بهرام بن الضحاك بن الابيض

---

(١١) ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص ٢٥٣ ، مطبعة الموسوعات ١٣١٧ هـ .

كان مرداويج فارسى الاصل متعصبا للفرس ، وقد جعل عسكره صنفين منهم جيلى وديلم وهم خواصه وأهل بلده الذين فتح بهم الرى ونواحيها ، وصنف اتراك وأهل خراسان .

ابو بكر الصولى : اخبار الراضى بالله والمتقى لله ، ص ٦٢ ، نشر ج . هيورث . دن ، مطبعة الصاوى ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .

(١٢) ابن الاثير : نفس المصدر والصفحات ، حسن أحمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ، ص ٧٠ .

(١٣) محمد حسين الزبيدي : العراق فى العصر البويهى ، ص ٢٩ .

(١٤) هلال بن الصابى : المنتزع من التاجى ورقة (١) ، وقد ايد هذا الرأى ابن الاثير جـ ٨ ص ٩١ ، بينما تورد دائرة المعارف الاسلامية : مادة بويه . أنهم لا ينتسبون الى الملك الساسانى « بهرام جور » بل الى كبير وزرائه « مهرنوس » .

(١٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر جـ ٤ ص ٤٢٦ بولاق ١٢٨٤ هـ .

ابن معـــاويه بن الديلم بن باســـل بن ضبة ابن أد »(١٦) • الا أن القلقشندى يضعف هذه النسبه(١٧) ؛ وينفى حمزة الأصفهانى (المتوفى سنة ٣٧١ هـ) نســبتهم الى ملوك الساسانيين والعرب وينسبهم الى الديلم(١٨) •

انضم بويه الى الأطروش ، ووجد فى معـــاركه متنفسا لمواهبه الحربية ، فاكتسب بذلك مكانة خاصة لديه • ويبدو أن اســـلام بويه واعتناقه مذهب الزيدية كان ســـابقا على قدوم الأطروش الى بلاد الديلم • يتضح هذا من أسماء ولديه على والحسن وكل منهما ولد قبل وجود الأطروش ببلاد الديلم(١٩) •

ذكر ابن الجوزى(٢٠) والذهبى(٢١) أن بويه خرج بأولاده الى خراسان مغاضبا « لما كان ابن كاكى » بعد أن ظلت العلاقات بينهما وطيدة حتى أواخر سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٥ م ، ثم ساءت بسبب الحرب التى شنها أبو الحسن بن كاكى ضد على بن بويه(٢٢) ، فاعتزل بويه خدمة « ما كان » وذهب بأولاده الى خراسان •

استطاع أولاد بويه على والحســـن وأحمـــد — وكانوا جنودا

---

(١٦) أبو الريحان البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخاليـــة ص ٣٨ • نشر ادوارد سخاو ليبزج ١٨٧٦ م واعادت طبعه مطبعة المثنى ببغداد سنة ١٩٢٣ م •

(١٧) صبح الأعشى فى صناعة الانشا جـ ١ ص ٢٦٧ •

(١٨) نسبهم الى قبيلة اسمها « شيرذيل آوندان »
تاريخ سنى ملوك الأرض ص ١٧٥
، عبد العزيز الدورى ، دراسات فى العصور العباسية ص ٢٤٤

(١٩) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الادب جـ ٢٤ ، ص ٢٦٨ مخطوط بدار الكتب رقم ٦٩٩ •

(٢٠) المنتظم فى أخبـــار الملوك والامم جـ ٦ ص ٢٠٨ حيـــدر أباد الدكن ١٣٥٧ هـ •

(٢١) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام جـ ١٨ ص ١٤٠ مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ

(٢٢) Ibn Isfandiyar : History of Tabaristan. p. 210.

مغامرين — أن يصلوا الى مراكز متقدمة فى جيش « ما كان بن كاكى » الديلمى لحنكتهم العسكرية ، غير أن « ما كان » لم يلبث أن حلت به الهزيمة على يد مرداويج بن زيار ، فلما رأى على بن بويه وأخـوه الحسن ما حل « بما كان » من الهزائم أمام مرداويج(٢٣) ، استأذناه فى ترك خدمته قائلين « نحن فى جماعة وقد صرنا ثقلا عليك وعيالا وأنت مضيق ، والأصلح لك مفارقتنا اياك لنخفف عنك مؤنتنا ويقع كلنا على غيرك ، فاذا تمكنت عاودناك »(٢٤) .

فارق على بن بويه وأخوه الحسن ومعهما بعض القواد « ما كان ابن كاكى » وانضـموا الى مرداويج بن زيار بطبرستان ، فأكرمهم وأحسن اليهم(٢٥) ، وأراد أن يكافئهم على انضمامهم اليه وأن يستفيد من جهودهم ، فأسند اليهم بعض الأعمال ، وكان من نصيب على بن بويه ولاية الكرج(٢٦) ، ولما كان من المحتم أن يمر على بن بويه ومن معه من القواد على الرى أولا ، حيث كان وشمكير بن زيار (أخى مرداويج) ومعـه عبد اللـه الحسـين بن محمـد الملقب بالعميـد(٢٧) وزيره ومستشاره ، فقد اتبع على بن بويه سـياسة حكيمة قبل توليه أمور

---

(٢٣) التحق أبناء بويه بجيش « ماكان » فى وقت تحسن العلاقات بين « ماكان » ومرداويج بن زيار منذ ان اتفقا على قصد أسفار بن شيرويه ، ثم ساءت العلاقات بين « ماكان » ومرداويج بعد ان قتل أسـفار وسار مرداويج الى « ماكان » بجيوشه فهزمه .

مسكويه ، تجارب الامم جـ ٥ ص ٢٧٥ ، ابن الاثير جـ ٨ ص ٩٢

(٢٤) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٧ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢

(٢٥) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٧ .

(٢٦) الكرج : بفتح أوله وثانيه تقبين همـذان وأصفهان وهى الى همذان أقرب وبين الكرج وهمذان نحو ثلاثين فرسخا ، وهى التى نسميها « جورجيا » الآن .

ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٧ ص ٢٣٠ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقة ص ٢١٦ .

(٢٧) وهو والد الوزير والكاتب أبى الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه فى فارس .

ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢ .

الكرج ، فأحسن الى أبى عبد الله الحسين (العميد) ، ونجح فى اقامة صداقة متينة معه(٢٨) ، وكان لذلك أثره فى نفس مرداويج الذى ساورته الشكوك من ناحية هؤلاء القواد وخشى عدم ولاءهم له(٢٩) ، وأرسل الى أخيه وشمكير يأمره بمنع هـؤلاء القواد من الخـروج من الرى وردهم اليه(٣٠) ، غير أن على بن بويه تمكن بمساعدة (العميد) له من الوصول الى ولايته والفوز بها(٣١) .

لما أحس مرداويج بالخطر الذى يتهدده من ناحية على بن بويه ، بعث جماعة من القواد لمحاربته ، فاستمالهم على بن بويه اليه ، الأمر الذى أثار مرداويج ، فكتب اليه يستدعيه ، فماطله الى أن جبى ضرائب البلاد التى يتولى حكمها(٣٢) ، ثم فارقها الى أصـبهان فاسـتولى عليها(٣٣) ، ثم لم يلبث أن رحل عنها بعد أن جبى أموالها شهرا(٣٤) وتوجه الى أرجان(٣٥) واستولى عليها سنة ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) من غير

---

(٢٨) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢

(٢٩) وذلك لقرب عهدهم بصحبة عدوه « ماكان بن كاكى » .
النويرى : نهاية الارب جـ ٢٤ ص ٢٧٨ (مخطوط)

(٣٠) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢ .
وكانت الكتب التى تصل الى وشمكير تعرض أولا على العميد ، فيقف عليها ، ثم يعرض على وشمكير جملها ، فلما علم العميد بكتاب مرداويج الى أخيه ، تقدم سرا الى على بن بويه ليبادر بالاسراع الى ولايته ، وفى اليوم التالى عرض الرسالة على وشمكير ، فأمر برد على بن بويه الذى كان على مرحلة بعيدة من الرى .
ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢ .

(٣١) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢ .

(٣٢) مقدار ما جباه منها خمسمائة الف درهم .

(٣٣) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٧ — ص ٢٧٩ .
ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٣ .

(٣٤) يذكر النويرى : نهاية الارب جـ ٢٤ ص ٢٧٠ أن على بن بويه مكث بأصبهان شهرا ويذكر ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٣ . أنه جباها شهرين .

(٣٥) ارجان : مدينة كبرى تقع على بعد ستين فرسخا من شيراز والأهواز . ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ١٨٠

حرب(٣٦) ، وجبى خراجها فبلغ جملة ما حصله منها مليونى درهم(٣٧) ، ولما خشى أن يجتمع عليه مرداويج وأخوه وشمكير اللذان اتفقا على محاربته ، استقر رأيه على الرحيل عن النوبندجان(٣٨) الى اصطخر(٣٩) ومنها الى البيضا(٤٠) ، ثم دخل شيراز سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م (٤١) ، وبذلك دانت له بلاد فارس بالولاء والطاعة(٤٢) ، كما تمكن أخوه أحمد ابن بويه من الاستيلاء على كرمان(٤٣) .

لما نجح على بن بويه فى بسط سلطته على اقليم فارس ، أراد أن يضفى على تلك السلطة الصبغة الشرعية ، فكتب الى الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ — ٩٤٠ م) ووزيره أبى على بن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة ، ويطلب أن يقطع ما بيده من البلاد مقابل

---

(٣٦) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٣ ، وقد ذكر ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر جـ ٢ ص ٨٣ أن ذلك سنة ٣٢٠ هـ وهو خطأ واضح .

(٣٧) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٨٠ ، ابن الأثير : جـ ٨ ص ٩٣
ويذكر ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٢٧٠ انه استخرج منها مائتى الف دينار .

(٣٨) النوبندجان : مدينة بناحية انبوران فى اقليم فارس ويقال لها ايضا النوبنجان على بعد فرسخين من بداية شعب بوان الذى يعده العرب احدى جنات الدنيا الأربع لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣٠٠ .

(٣٩) كان ابو طالب النوبندجانى قد ارسل الى على بن بويه الرسائل يطلب منه الذهاب الى شيراز ، موضحا له ان النفوس نافرة من ياقوت وأن الناس قد استثقلوا وطاته لتهوره فى جباية الاموال . مسكويه : جـ ٥ ص ٢٨٠ .

(٤٠) البيضاء : على مسافة ثمانية فراسخ من شيراز ، وسميت البيضاء لبياض قلعتها ، وينطقها الفرس (بيزا) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣١٦ .

(٤١) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٦ ، ص ٢٩٨ ، ابن الاثير جـ ٨ ص ٩٥

(٤٢) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٩ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٥

(٤٣) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٦
دائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع مادة بويه .

ألف ألف درهم(٤٤) •

لم يسع الخليفة الراضى الا أن يجيب طلب على بن بويه ، وأنفذ الوزير اليه اللواء والخلع(٤٥) فى شوال سنة ٣٢٢ هـ (سبتمبر ٩٣٤ م) وأمر الرسول وهو أبو عيسى يحيى بن ابراهيم المالكى(٤٦) ألا يسلم اللواء والخلع الا بعد أن يتسلم المال المتفق عليه فلما قرب الرسول من شيراز ، خرج اليه على بن بويه قبل أن يدخل شيراز ، وطالب الرسول أن يسلم اليه الخلع واللواء ، فسلمها اياه ولم يأخذ منه المال الذى وعد بأدائه(٤٧) •

اتسع نفوذ على بن بويه حتى غدا فى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م مسيطرا على مدينة شيراز ، كما بسط نفوذه شمالا حيث مدينة أرجان ، وأصبح على مقربة من مناطق نفوذ مرداويج ابن زيار (المقيم بأصبهان) وله بمدينة الأهواز — شمال أرجان — جيش كبير(٤٨) •

على أن مرداويج بن زيار ما لبث أن أغتيل سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) (٤٩) ، على يد غلمانه الأتراك الذين كان يسىء معاملتهم

---

(٤٤) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٥ ، العينى : عقد الجمان جـ ١٨ ص ٢٤٦ مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ وقد ذكر مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٩ ، وابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٢٧١ أن المبلغ المقاطع عليه ثمانية آلاف الف درهم .

(٤٥) ابن الجوزى : جـ ٦ ص ٢٧١

(٤٦) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٠

(٤٧) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٠

ومما يذكر أن على بن بويه أخذ يماطل المالكى ويضرب له المواعيد حتى اعتل المالكى ومات سنة ٣٢٣ هـ ولم يدفع له على بن بويه من المال شيئا .

تجارب الامم جـ ٥ ص ٣٠٠ .

(٤٨) مسكويه : جـ ٥ ص ٣١٦

(٤٩) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٥٣ ، الكرديزى ، زين الاخبار ص ١٥٣ ، ابن الأثير ، جـ ٨ ص ٩٩ .

ويفضل الديلم عليهم(٥٠) ، وكان من نتيجة قتل مرداويج أن أضطر جيشه بالأهواز الى الانسحاب(٥١) ، وتراجعت حامياته بعسكر مكرم(٥٢) وتستر(٥٣) وجند يسابور(٥٤) والسوس(٥٥) ، وأصبحت مدينة أصبهان خالية ليس هناك من يحميها أو يدافع عنها(٥٦) •

انتهز ياقوت فرصة مقتل مرداويج وأراد الاستيلاء على الأهواز ، واتجه الى محاربة على بن بويه ، وفى نفس الوقت أرسل على بن بويه أحد قادته من(٥٧) أرجان الى رامهرمز(٥٨) يريد الأهواز ، غير أنه ما لبث أن انسحب الى أرجان(٥٩) •

بقى ياقوت بقواته فى عسكر مكرم حتى أتاه أبو عبد الله

---

(٥٠) ذكر الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٠ ، ٢١ أن رئيس الغلمان الاتراك كان يعرف « ببجكم » وأن قتل مرداويج كان من تدبير ابن ياقوت .

(٥١) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٢

(٥٢) عسكر مكرم : مدينة من مدن الأهواز فى اقليم الجبال •
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٧٢ .

(٥٣) تستر : وتبعد ستين ميلا شمال الأهواز •
لسترنج : ص ٢٦٩

(٥٤) جند يسابور : وتقع على ثمانية فراسخ شمال غربى تستر
لسترنج : ص ٢٧٣

(٥٥) السوس : فى اقليم الجبال وهى سوسة القديمة قرب نهر كرخه
لسترنج : ص ٢٧٤

(٥٦) مسكويه : جـ ٥ ص ٣١٦

(٥٧) مسكويه : جـ . ص ٣٠٣

(٥٨) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان على مسيرة ثلاثة أيام من شرق الأهواز . ياقوت : جـ ٤ ص ٢١٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٧٨

(٥٩) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٣

البريدى(٦٠) ، ثم زحفا نحو أرجان ، وأتى على بن بويه(٦١) بنفسه لمباشرة الحرب ، حيث تم له النصر ، وخيف على الأهواز منه ، فراسله أبو عبد الله البريدى فى طلب الصفح فاستجاب له ، وكاتب الوزير أبا على بن مقله فيما قرره من أمر الصلح فأمضاه ، وعاد على بن بويه الى شيراز ، وغدا بذلك الحاكم الفعلى لتلك النواحى ، حيث أرسل اليه اللواء والعهد(٦٢) .

امتد نفوذ بنى بويه على كثير من أرجاء فارس ، فسار الحسن بن بويه الى أصبهان ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وأزال عنها وعن بعض بلاد الجبل نواب وشمكير(٦٣) ، أما الأخ الثالث أحمد بن بويه ، فقد اتجه الى كرمان(٦٤) ، وكان المتغلب عليها محمد بن الياس بن اليسع الصفدى ، الذى اضطر الى الرحيل الى سجستان(٦٥) ، وبذلك خلت كرمان لأحمد بن بويه(٦٦) .

(ب) دخــول بنى بويه بغــداد :

ساءت الأوضاع السياسية فى العراق فى الفترة الواقعة من سنة ٣٢٤ هـ حتى دخول بنى بويه بغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، فقد عجز

---

(٦٠) قلد الخليفة الراضى ياقوت وابنه المظفر أعمال الحرب والمعاون بالأهواز وتولى كتابته أبوعبد الله محمد البريدى مضافة الى ما اليه من أعمال الخراج والضياع بالأهواز ، مسكويه : ج ٥ ص ٣٠٦ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ٩٩ .

(٦١) مسكويه : ج ٥ ص ٣٠٣

(٦٢) مسكويه : ج ٥ ص ٣٠٣
، ابن الاثير : ج ٨ ص ٩٩ .

(٦٣) ابن الاثير : ج ٨ ص ١٠٨ .

(٦٤) كرمان : ولاية مشــهورة بين فــارس ومكران وسجستان وخراسـان ، تقع مكران شرقيها وفارس غربيها وخراسان شماليها وبحر فارس جنوبها . ياقوت : ج ٧ ص ٢٤١ .

(٦٥) ابن الاثير : ج ٨ ص ١١٣
، النويرى : نهاية الارب ج ٢٤ ص ٢٧٥ (مخطوط) .

(٦٦) مسكويه : ج ٥ ص ٣٥٣ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١١٣

الوزراء فى عهد الخليفة الراضى (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ — ٩٤٠ م) عن ادارة شئون البلاد ، لازدياد نفوذ كبار القواد وتدخلهم فى أمور الدولة ، مما دعا الخليفة الراضى الى استمالة محمد بن رائق — وكان يلى واسط والبصرة — وقلده الامارة ورياسة الجيش ، وجعله أمير الأمراء(٦٧) ، ورد اليه أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحى ، وفوض اليه تدبير المملكة ، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر فى الممالك وأنفذ اليه اللواء والخلع(٦٨) .

كان لهذا العمل الذى قام به الخليفة الراضى أثره على الوزارة ، فبطل أمرها منذ يومئذ ، فلم يكن الوزير ينظر فى شىء من أمر النواحى ولا الدواوين ، ولا الأعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط ، وبطلت الدواوين ، فكان ابن رائق وكاتبه ينظران فى الامور جميعها ، وكذلك كل من تولى امرة الأمراء بعده ، وصارت الاموال تحمل الى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ، وبطلت بيوت المـال ، وتغلب أصحاب الأطراف ، وزالت عنهم الطاعة(٦٩) .

وليس أدل على ضعف شأن الوزير فى عهد الراضى ، أن أمير الامراء أصبح يتدخل فى تعيين الوزراء وعزلهم . فقد أشار ابن رائق أثر تقلده هذا المنصب على الخليفة الراضى بأن يولى الفضل بن جعفر ابن الفرات الوزارة ، حتى يصبح مطلق التصرف فى أموال الدولة(٧٠) .

على أن نفوذ ابن رائق لم يلبث أن ضعف فى سنة ٣٢٦ هـ من جراء منافسة الامراء له ، فقد حاربه أبو عبد الله البريدى صاحب الأهواز ، كما خرج عليه أحد قواده واسمه (بجكم) ودخل بغداد سنة ٣٢٧ هـ

---

(٦٧) يبدو أن محمد بن رائق لم يكن أول من تلقب بأمير الامراء فقد ذكر مسكويه : ج ٥ ص ١٨٨ أنه لما ظهرت الوحشة بين الخليفة المقتدر ومؤنس الخادم تلد هرون بن غريب امرة الامراء سنة ٣١٦ هـ .

(٦٨) مسكويه : ج ٥ ص ٣٥١ .

(٦٩) مسكويه : ج ٥ ص ٣٥٢ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ١١٢

(٧٠) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٦ .

وآلت اليه أمرة الامراء واستولى بذلك على جميع شئون الدولة زهاء سنتين (٣٢٧ — ٣٢٩ هـ) وقد وصف الصولى حالة بغداد فى الوقت الذى تقلد فيه « بجكم » امرة الأمراء فقال : ان العامة عاثوا فى الارض فسادا ، وانقضوا على الحمامات العامة وأخذوا ثياب من فيها ، وكثرت المصادرات ، وتفاقم شر اللصوص ، فهاجموا البيوت بالأسلحة ، وشكا الناس بلا جدوى الى « بجكم » ما أحله بهم أصحابه من بلاء وانتشرت الفوضى والمنازعات وساءت حالة العراق ، بحيث لم تنته هذه المصائب الا بوفاة « بجكم »(٧١) .

أدى موت « بجكم » الى اضطراب عسكره وضعفهم ، والى تقوية البريديين ، بانضمام الديالمة الذين كانوا فى صفوف « بجكم » ، وتمكن أبو الحسين البريدى من دخول بغداد فى جيش كثيف من الاتراك والديلم ، واستولى على دار الخلافة ، وصرف ابن ميمون عن الوزارة وأعمل السلب والنهب فى دار الخلافة(٧٣) ، غير أن البريديين لم يستمروا طويلا فى بغداد فقد عاد الخليفة المتقى (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ — ٩٤٤ م) بعد ثلاثة أشهر وعشرين يوما من الموصل الى حاضرة خلافته فى شوال سنة ٣٣٠ هـ (يونيه ٩٤٢ م) بصحبة ناصر الدولة بن حمدان أمير الأمراء الجديد وأخوه سيف الدولة بن حمدان(٧٤) ولم تتمتع بغداد فى ظل الحمدانيين (٣٣٠ — ٣٣١ هـ) بالأمن والاستقرار ، فقد كثر بها اللصوص ، وهاجموا دور الاغنياء ، فضلا عما فرضه ناصر الدولة من الضرائب ، وارتفاع الأسعار(٧٥) ، كما أن ناصر الدولة

---

(٧١) اخبار الراضى بالله والمتقى لله ص ١٣٣ — ١٣٥ .

(٧٢) مسكويه : ج ٦ ص ٩ — ١١

(٧٣) الصولى : أخبار الراضى والمتقى ص ٢٠١ — ٢٠٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٨ . مطبة الحلبى ١٣٠٥ هـ .

(٧٤) مسكويه : ج ٦ ص ٢٨ .

خرج الخليفة من بغداد الى الموصل بصحبة ابن رائق وهناك قتله ناصر الدولة ابن حمدان . ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٥ .

(٧٥) مسكويه : ج ٦ ص ٣٨ .

استأثر بالسلطة دون الخليفة وأساء معاملاته ، وضيق عليه فى نفقاته(٧٦) ، ولم يحتفظ ابن حمدان بمنصبه طويلا ، فرحل الى الموصل ، وأتاح بذلك الفرصة للخليفة المتقى للاستنجاد بتوزون التركى(٧٧) .

دخل توزون(٧٨) — أحد قواد الأتراك — بغداد فى رمضان سنة ٣٣١ هـ (مايو ٩٤٣ م) بعد أن مهد له الخليفة المتقى ذلك ، ولقبه أمير الأمراء خلفا لناصر الدولة(٧٩) وكانت سياسة توزون ترمى الى مصالحة البريديين فى واسط والتفرغ لمحاربة الحمدانيين ولكن الخليفة لم يقره على هذه السياسة(٨٠) .

على أن البريديين سرعان ما استولوا على واسط ، فطردهم توزون منها ، ثم استولى على تكريت(٨١) ، واتخذ ابن شيرزاد — الذى هرب من البريديين — كاتبا له ، ثم سار ابن شيرزاد الى بغداد ودخلها فى المحرم سنة ٣٣٢ هـ (٨٢) ، فعزم الخليفـة على الخروج من حاضرة خلافته(٨٣) . يقول ابن الأثير فى سبب الخلاف بين الخليفـة المتقى وتوزون أمير الأمراء أن جماعة من حاشية المتقى كتبوا الى ابن حمدان لينفذ اليه عسكرا يسير بصحبة المتقى اليه ، وقالوا للمتقى : قد رأيت ما فعل بك البريدى بالأمس ، أخذ منك خمسمائة ألف دينار ، وأخرجت على الأجناد مثلها ، وقد ضمنك البريدى من توزون بخمسمائة ألف دينار

(٧٦) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٣٥ — ٢٣٦

(٧٧) Muir : The caliphate, its rise, Decline, and fall p. 513 (London 1915).

(٧٨) وكان البريدى قد ولاه شرطة الجانب الشرقى من بغداد . مسكويه : جـ ٦ ص ٢٥ — ٢٧ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٣٤ .

(٧٩) مسكويه : جـ ٦ ص ٤١ .

(٨٠) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٤٧ .

(٨١) تكريت : مدينة على بعد ثلاثين ميلا من شمال سمراء ، على ضفة دجلة الغربية ، وكانت تعد آخر مدينة فى حد العراق . لسترنج : ص ٨١ .

(٨٢) الصولى : ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .

(٨٣) نفس المصدر : ص ٢٤٧ .

أخرى زعم أنها فى يدك من تركة « بجكم » وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلعك ويسلمك الى البريدى ، فانزعج لذلك (المتقى) وعزم على الذهاب الى ابن حمدان(٨٤) يقول السيوطى : « فسار المتقى بأهله الى تكريت وخرج ناصر الدولة بجيش كبير من الأعراب والأكراد لقتال توزون فالتقيا بعكبرا(٨٥) ، فانهـزم ابن حمـدان والخليفـة الى نصيبين(٨٦) .

ولما اتصل بتوزون خبر هروب الخليفة من بغداد وتغيره عليه وعمله على التخلص منه ، صالح البريدى ، ثم قصد بغـداد ، وسار سيف الدولة الحمدانى الى تكريت حيث يقيم الخليفة ، ولحق به أخوه ناصر الدولة بن حمدان ، وعلى مقربة من تكريت وقعت الحرب بين الحمدانيين وتوزون التى انتهت بانتصاره عليهم ، ثم سار الحمدانيون بصحبة الخليفة الى الموصل(٨٧) .

كان من أثر انتصار توزون على الحمدانيين فى تكريت أن تشجع للمسير الى الموصل لاستخلاصها منهم ، وكتب الى الخليفة يستميله ، فلم يصغ اليه الخليفة لأنه لم يكن يثق به ، وسار الحمدانيون بصحبة المتقى الى نصيبين ، ثم سار الخليفة الى الرقه ، ولحق به سيف الدولة ، وأرسل المتقى الى توزون ، يذكر أنه استوحش منه لاتصاله بالبريدى ، وانهما صارا يدا واحدة ، فان آثر رضاه يصالح سيف الدولة وناصر الدولة ليعود الى بغداد ... فتم الصـلح وعقد الضمان على ناصر الدولة لما بيده من البلاد ثلاث سنين على أن يدفع فى كل سنة ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف دراهم(٨٨) .

---

(٨٤) الكامل : جـ ٨ ص ١٤٢

(٨٥) تاريخ الخلفاء ص ٢٦٢

(٨٦) عكبرا : بضم العين وتسكين الكاف وفتح الباء : بليدة من نواحى دجيل بينها وبين بغداد شمالا عشرة فراسخ .
ياقوت الحموى : معجم البلدان / جـ ٦ ص ٢٠٣

(٨٧) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٥٢ — ٢٥٥
، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٤ .

(٨٨) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٤ .

لم تكن أحداث العراق خافية عن أحمد بن بويه ، فسار بجيشه الى واسط واستولى عليها ، ولما علم بذلك توزون صالح ناصر الدولة ، وعاد مسرعا الى بغداد(٨٩) لمواجهة أحمد بن بويه ، الذى كان يعد العدة للزحف على بغـداد فى ذى القعدة سنة ٣٣٢ هـ (يونيـه / يوليه ٩٤٤ م) (٩٠) ، وعلى الرغم من أنه بلغ مشارف بغداد ، وكاد أن يستولى عليها بعد عدة معارك ، الا أنه اضـطر الى الانسحاب الى الأهواز(٩١) .

ويبدو أن أحمد بن بويه انما قصد بغـداد بناء على دعوة من الخليفة المتقى الذى راسله حين كان فى واسـط(٩٢) ، وقد كشـف الصولى عن مكاتبات دارت بينهما ، فذكر أنه لما وصلت جيوش أحمد ابن بويه الى بغداد سنة ٣٣٢ هـ ، كانت رسائل المتقى اليه تتلى على الناس ، وفيها يحث الخليفـة المتقى الأمير البويهى على السـير الى بغـداد(٩٣) .

لم تلبث الأمور أن تطورت لصالح بنى بويه ، بعد أن خلت بغداد ممن يستطيعون الوقوف فى وجههم ، فقد قتل « بجكم » سنة ٣٢٩ هـ ، ولحق به ابن رائق فى السنة التالية ، وفى سنة ٣٣٢ هـ توفى أبو عبد الله البريدى(٩٤) ، وقد اختلفت الكلمة بعده على الرياسة بين أخيه أبى الحسين وولده أبى القاسم ، ثم انعقدت الرياسة لأخيه ، الا أنه لم يلبث أن خلعه الجنود ، ونصبوا مكانه ابن أخيه أبى القاسم ، فاستجار بالقرامطة ، الذين قدموا معه الى البصرة ، ولما لم يستطيعوا هزيمة أبى القاسم ، عقدوا بينه وبين عمه صلحا(٩٥) .

---

(٨٩) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ١٩ ص ٧٨ (مخطوط) .
(٩٠) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٦١ .
(٩١) الصولى : نفس المصدر ص ٢٦١ ، ص ٢٦٤ .
، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١١٩ — ١٢٠ .
(٩٢) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٦٣ — ٢٦٣ .
(٩٣) نفس المصدر : ص ٢٥٨ — ٢٥٩
(٩٤) مسكويه : جـ ٦ ص ٥٨ .
(٩٥) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٥ .

أما فيما يتعلق بالخليفة المتقى . فانه لما أحس بضجر بنى حمدان من اقامته بالموصل أرسل الى توزون فى طلب الصلح ، كما كاتب ابن طغج الاخشيد (والى مصر) شاكيا حاله ، واستقدمه ، فأتى اليه والتقيا فى الرقه(٩٦) ، وعرض الاخشيد على الخليفة أن يأتى معه الى مصر ، لكن الخليفة مال الى مصالحة توزون ، بعد أن تعهد بحمايته ، وعاد المتقى الى بغداد ، ورجع الاخشيد الى مصر فى منتصف المحرم سنة ٣٣٣ هـ (سبتمبر ٩٤٤ م) (٩٧) غير أن توزون لم يلبث أن قبض على الخليفـــة وسلمه وأحضر أبا القاســـم عبد اللـــه بن المكتفى ولقبه المستكفى بالله(٩٨) .

ظل توزون مستأثرا بالسلطة دون الخليفة العباسى الى أن توفى ببغداد فى المحرم سنة ٣٣٣ هـ ، وخلفه فى امرة الأمراء كاتبه أبو جعفر ابن شيرزاد(٩٩) ، الذى لم يستطع أن يدير الامور لفساد الأحوال فى بغداد ، فزاد فى أرزاق الجند زيادة كثيرة ضاقت بها موارده ، وأخذ فى المصادرات ، وفرض على الكتاب والعمال والتجار وسائر طبقات الناس مالا لأرزاق الجنـــد ، كما أثقـــل كاهل التجار بالضرائب ، حتى اضطروا الى الهرب من بغداد(١٠٠) .

شجعت الأحداث التى كانت تجرى فى بغداد أحمد بن بويه على معاودة الكرة لدخول بغداد ، فكتب « ينال كوشه »(١٠١) الذى كان

---

(٩٦) الرقة : تقع فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشـــمال الى الفرات ، قال عنها المقدسى انها قصبة ديار مضر . أحسن التقاسيم ص ١٤١ ، لسترنج : ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٩٧) مسكويه : جـ ٦ ص ٦٧ — ٦٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٩٨) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٩٩) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٢ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٠ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩ .

(١٠٠) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٣ — ٨٤ .

(١٠١) ينال كوشه : أحد الغلمان الاتراك ، وكان ابن شيرزاد قد عينه حاكما على واسط . مسكويه : جـ ٦ ص ٨٤ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٠ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٤٢٠ .

يتولى أعمال واسط — والقواد فى بغداد الى أحمد بن بويه يطلبون اليه المسير للاستيلاء على الأمور فى بغداد ، بعد أن ضاقوا بتنافس الامراء وتدهور الاوضاع السياسية والاقتصادية فى العراق ، فسار أحمد بن بويه من الأهواز الى بغـداد ، فاضطرب الأتراك وعبروا دجلة الى الجانب الشرقى ، وساروا الى الموصل وبقى الديلم فى بغداد(١٠٢) .

نزل أحمـد بن بويه بباب الشماسية — فى الجانب الشرقى من بغداد — يوم السـبت الحادى عشر من جمادى الاولى سنة ٣٣٤ هـ (يناير ٩٤٦ م) (١٠٣) ، فبعث اليه الخليفة الامدادات والتحف(١٠٤) ، وأرسل أحد رجاله وهو أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى ، فاجتمع بابن شيرازد وفاوضه ، ثم قصد دار الخلافة ، وقابل المستكفى بالله ، فأظهر المستكفى سرورا بقدوم أحمد بن بويه(١٠٥) .

قابل أحمد بن بويه الخليفة المستكفى فى اليوم التالى ، وأخذت عليه البيعة له ، واستحلفه بأغلظ الأيمان ، ثم لبس أحمد خلع الخليفة ، وعقد له لواء أمرة الأمراء ولقبه « معز الدولة » ولقـب أخاه عليا « عماد الدولة » ولقب الحسن « ركن الدولة » وأمر أن تنقش ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم(١٠٦) .

---

(١٠٢) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ١٩ ص ٩١ (مخطوط) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٣٤٠ .

(١٠٣) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الاول القسم الاول ص ٢٧ تحقيق زيادة طبعة ١٩٥٦ ، العينى : عقد الجمان : جـ ١٩ ص ٢٧ (مخطوط) .

(١٠٤) الذهبى : جـ ١٩ ص ٩١ ، العينى : جـ ١٩ ص ٢٧

(١٠٥) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٥ .

(١٠٦) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٥ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦١ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ١٩ ص ٩١ (مخطوط) ، العينى : عقد الجمان جـ ١٩ ص ٢٧ (مخطوط) .

٢ — سياسة أمراء بنى بويه فى العراق

(أ) مع الخلفاء العباسيين :

كان لدخول بنى بويه بغداد أثر بالغ فى اضعاف نفـوذ الخلافة العباسية ، ذلك أنهم عمدوا الى الاستئثار بالسـلطة(١) ، فنظر معز الدولة فى حال الأمراء قبله فوجد أن مبعث متاعبهم هو الصراع الخفى بينهم وبين الخلفاء على السلطة ، وكثيرا ما استعان الخليفة ضد الأمير بمنافسين آخرين ، اذا ما شعر بأنه غلب على أمره ، ومن الطبيعى أن ينتصر جانب الخليفة نظرا لمركزه الأدبى ونفوذه الروحى ولما كان ينشد الاستقرار للأوضاع السياسية بالعراق بصفة عامة ، ولنفسه بصفة خاصة ، لذلك وجد من الاسباب ما يبرر تخلصه من الخليفة المستكفى ، فقد اتهم الخليفة المستكفى بالله بالتعاون مع الحمدانيين وبعض قواد الجند لاخراجه من بغداد ، ويبدو أن المستكفى بالله كان على صلة وثيقة بناصر الـدولة بن حمدان ، الـذى ساءه استئثار معز الدولة بالسلطة(٢) .

كذلك خشى معز الدولة استعانة الخليفة المستكفى بقواد الجند الأتراك ضده ، وقد حدث أن أقامت « علم القهرمانه » — التى كانت تأمر وتنهى فى دار الخلافة — وليمة عظيمة حضرها « خورشيد الديلمى » مقدم الديلم وجماعة من القواد الأتراك الموجودين فى بغداد ، فأدرك معز الدولة أن ذلك تدبير يراد منه ضم هـؤلاء الى صف الخليفـة والاستعانة بهم ضده(٣) .

سنحت الفرصة لمعز الدولة لتحقيق غرضه بالتخلص من الخليفة المستكفى ، حين قبض الخليفة المستكفى على الشافعى (رئيس الشيعة)

---

(١) احمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٥١ الطبعة الثالثة .
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٣ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥١ .
(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ج ١٩ ص ٩٢ — ٩٣ (مخطوط) .

فشفع فيه أصفهدوست (قائد جيش معز الدولة) فلم يقبل شفاعته ، فأحفظه ذلك على الخليفة ؛ ويقال أن أصفهدوست ذهب الى معز الدولة وأخبره أن الخليفة راسله فى أن يلقاه متنكرا(٤) ، الأمر الذى اعتبره معز الدولة مبررا للتخلص منه(٥) .

لم تمض سوى أيام قليلة على دخول بنى بويه بغداد حتى كان معز الدولة قد تخلص من الخليفة المستكفى ، فيقول مسكويه(٦) : « فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة (٢٢ ينـاير ٩٤٦ م) انحدر معز الدولة الى دار السلطان (الخليفة) ، وانحدر الناس على رسمهم . فلما جلس المستكفى بالله على سريره ، ووقف الناس على مراتبهم ، ودخل الامير البويهى ، فقبل الارض على رسمه ، ثم قبل يد المستكفى ووقف بين يديه يحدثه ثم جلس على كرسى ، وتقدم اثنان من الديلم فمدا أيديهما الى الخليفة فظن أنهما يريدان تقبيل يده ، فمدها اليهما فجذباه وطرحاه الى الارض ، ووضعوا عمامته فى عنقه ، وساقاه ماشيا الى دار معز الدولة حيث اعتقـل فيها ، ونهبت دار السلطان حتى لم يبق بها شىء ، وأحضر معز الدولة الفضل بن المقتدر بالله وبايعه بالخلافة ولقب المطيع لله »(٧) وبعد ذلك أحضر المستكفى فشهد على نفسه بالخلع(٨) ، وسملت عيناه ، وظل المستكفى معتقلا حتى توفى سنة ٣٣٨ هـ (٩٤٩ — ٩٥٠ م) (٩) .

عاد الخليفة المطيع لله الى دار الخلافة بعد أن جدد العهد معه

---

(٤) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٦ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦١ .
(٥) الذهبى نفس المصدر والصفحات .
(٦) تجارب الأمم : جـ ٦ ص ٨٧ .
(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٣٤٢ — ٣٤٣ ، العينى : عقد الجمان جـ ١٩ ص ٣٠ (مخطوط) .
(٨) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ١٩ ص ٩٣ (مخطوط) ويذكر المؤرخون أن معز الدولة أهان الخليفة المستكفى وقبض عليه ولما جاءوا اليه ليخلصوه رضى أن يخلع نفسه ، ولكنه اشترط الا يقطعوا شيئا من أعضائه .
الكامل جـ ٨ ص ١٦٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠ .
(٩) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٥٨ .

وحلف له معز الدولة أنه لا يتغيب عنه ولا يبغيه سوءا ، ولا يمالىء عليه عدوا(١٠) غير أن معز الدولة لم يلبث أن استأثر بالسلطة دون الخليفة(١١) ، الذى لم يبق له من الأمر شىء ســوى ذكر اسمه فى الخطبة ونقشه على السكة ، وحددت له اقطاعات يسيرة يعيش منها(١٢) أما عمال معز الدولة فقد تسلموا العراق ولاية واقطاعا(١٣) •

كانت سياسة أمراء بنى بويه مع الخلفاء العباسيين تنطوى على اضعاف نفوذهم والاستئثار بالحكم • وقد تجلى ذلك فى كتاب الخليفة المطيع الى عز الدولة بختيار (٣٥٦ — ٣٦٧ ﻫ / ٩٦٧ — ٩٧٨ م) الذى خلف أباه معز الدولة(١٤) ، حين طلب الأمير البويهى سنة ٣٦١ ﻫ من الخليفة المطيع مالا للجهاد ضد الروم الذين اعتدوا على أراضى الدولة الاسلامية(١٥) ، مدعيا أن ذلك من واجــب الامام ، فأجاب المطيع بقوله : « ان الغزو يلزمنى اذا كانت الدنيا فى يدى ، والى تدبير الاموال والرجال ، وأما الآن وليس منها الا القوت القاصر على كفائى وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف ، فما يلزمنى غزو ولا حج ، ولا شىء مما تنظر الأئمة فيه ، وانما لكم من هذا الاسم الذى تخطبون

---

(١٠) مسكويه : ج ٦ ص ١٠٥ — ١٠٦ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ج ١٩ ص ٩٨ ، المنتظم ج ٦ ص ٣٤٣ •

(١١) يذكر احمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٥١ ان معز الدولة كان يخرج للقتال ومعه المطيع كالاسير ، ولما ماتت اخت معز الدولة نزل المطيع الى داره يعزيه •

(١٢) Arnold : (Sir Thomas) : The caliphat. p. 62.

كان للخليفة ضياع سلطانية ، وهى أراضى زراعية ، كانت وارداتها تحمل الى بيت المال الخاص ، فلما استبد البويهيون بالسلطة فى بغداد ، صادروا اغلب هذه الاملاك واقطعوها الى قوادهم • مســـكويه : ج ٦ ص ٣٣٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٦ ص ٣٥٧ •

(١٣) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٤٣٥ •

(١٤) توفى معز الدولة ٢٧ ربيع الاول سنة ٣٥٦ ﻫ (١٤ فبراير ٩٦٧ م) • محمد مختار : التوفيقات الالهامية ص ١٧٨ بولاق ١٣١١ ﻫ •

(١٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ج ١١ ورقة ٢٣ مخطــوط بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٤ ص ٦٥ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٥ •

به على منابركم ، تسكنون به رعاياكم ، فان أحببتم أن أعتزل هذا المقدار أيضا تركتكم والأمر كله »(١٦) .

لم يلق قول الخليفة المطيع قبولا عند عز الدولة بختيار الذى أخذ يضيق عليه . ولما لم يكن المال متوافرا لدى المطيع ، لذلك اضطر الى بيع قماشه وأثاثه ومجوهراته وأخذ منها أربعمائة ألف درهم(١٧) ، ولم ينفق عز الدولة المال على الجهاد كما أدعى ، بل أنفقه على مصالحه ، وأشيع فى بغداد أن الخليفة قد صودر(١٨) .

لم يمض على ذلك الحادث عام واحد حتى أصيب المطيع بمرض ، فنزل عن الخلافة للطائع لله(١٩) ، وكتب بذلك عهدا جاء فيه : « هذا ما أشهد على متضمنه أمير المؤمنين المطيع لله بن المقتدر بالله ، حين نظر لدينه ورعيته ، وشغل بالعلة الدائمة عما يراعيه من الامور الدينية اللازمة ، وانقطع افصاحه عما يوجب عليه الله فى ذلك ، فرأى اعتزال ما كان عليه من الامر وتسليمه الى ناهض به ، قائم بحقه فمن يرى له الرأى عقده له وأشهد بذلك طوعا »(٢٠) .

لم يكن الخليفة الطائع لله (٣٦٣ — ٣٨١ هـ / ٩٧٤ — ٩٩١ م) أحسن حالا من أبيه المطيع فقد أساء اليه الامير البويهى بهاء الدولة اساءة بالغة ، فلم يكتف حين قلت لديه الأموال سنة ٣٨١ هـ بمصادرة بعض كبار رجال الدولة(٢١) ، ومنهم الوزير سابور بن أردشير ، بل طمع فى أموال الخليفة(٢٢) ، وكان أبو الحسن بن المعلم قد غلب على

---

(١٦) مسكويه : جـ ٦ ص ٣٠٧ .
(١٧) مسكويه : جـ ٦ ص ٣٠٨ ، العينى : عقد الجمان جـ ١٩ ص ٢٥٤ (مخطوط) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٢٢ .
(١٨) العينى : عقد الجمان جـ ١٩ ص ٢٥٤ .
(١٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٦٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠٥ .
(٢٠) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٦٦ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٣١
(٢١) هلال بن الصابى : كتاب التاريخ جـ ٨ ص ٤٢٨ نشر امدروز . بيروت ١٩٠٤ م .
(٢٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٣٢ .

بهاء الدولة ، فحسن له القبض على الطائع وأطمعه فى أمواله وذخائره وهون عليه ذلك(٢٣) ، فكتب بهاء الدولة الى الخليفة يطلب مقابلته لتجديد البيعة(٢٤) ؛ وفى التاسع من رمضان سنة ٣٨١ هـ (٣٠ نوفمبر ٩٩١ م) دخل بهاء الدولة دار الخلافة ، وجلس الطائع لله فى صدر الرواق متقلدا سيفه ، فلما اقترب منه الامير البويهى قبل الارض بين يديه ، وطرح له كرسى ، فتقدم أصحاب بهاء الدولة ، فجذبوا الطائع عن سريره(٢٥) والخليفة يقول : « انا لله وانا اليه راجعون » وهو يستغيث ولا يلتفت اليه(٢٦) ، وتكاثر عليه الديلم ، وحملوه الى دار بهاء الدولة ، كما قبضوا على كاتبه أبى الحسن على بن حاجب النعمان ، وعم الاضطراب بغداد ، ونهبت الناس بعضهم بعضا ، وأخذت ثياب من حضر من الأشراف والشهود ، كما نهبت دار الخلافة عن آخرها(٢٧) ، ثم أرغم بهاء الدولة الخليفة على أن يكتب رسالة تتضمن خلع نفسه(٢٨) ، وتسليم الأمر من بعده الى القادر بالله ، وشهد عليه كبار رجال الدولة(٢٩) .

بويع للقادر بالله فى شوال سنة ٣٨١ هـ (يناير ٩٩٢ م) وحضر

---

(٢٣) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٢٩ .

(٢٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٥٦ — ١٥٧ ، القرامنى : اخبار الدول وآثار الاول ص ١٧٠ — ١٧١ بغداد ١٣٥١ هـ .

(٢٥) ابن الجوزى : نفس المصدر والصفحات ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(٢٦) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٢٩ .

(٢٧) ابن الجوزى : نفس المصدر والصفحة ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٠٨ — ٣٠٩ القاهرة ١٩٢٣ م .

(٢٨) يذكر الازرقى الفارقى فى كتابه : تاريخ ميافارقين ص ٦٢ أن من جملة اسباب خلع الطائع هو عدم مواساة الخليفة لبهاء الدولة فى وفاة ولد له كان يحبه كثيرا ، أما السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٢ فيذكر أن من اسباب خلع الطائع هو اعتقال الخليفة لأحد خواص بهاء الدولة .

(٢٩) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٢ ، ابن الاثير : جـ ٩ ص ٢٩ عاش الطائع بعد خلعه من الخلافة فى دار القادر بالله مكرما الى أن توفى سنة ٣٩٣ هـ . انظر القرمانى : آثار الدول ص ١٧٠ — ١٧١

الأشراف والقضاة والشهود ، وحلف بهاء الدولة للخليفة على الطاعة والقيام بشروط البيعـــة ، كما حلف القـــادر للامير البويهى بالوفاء والاخلاص ، وقلده ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة(٣٠) .

بلغ سوء معاملة بنى بويه للخلفاء العباسيين أنهم استولوا على اقطاعاتهم التى تعرف بالضياع السلطانية ، والتى كان الخلفاء ينفقون من ايراداتها فى سد احتياجات دار الخلافة ولشراء الهدايا والخلع التى تقـــدم للأمراء والملوك فى المناســبات المختلفة(٣١) . وحددوا لهم رواتب(٣٢) . فلما جاء عضد الدولة (٣٦٧ — ٣٧٢ هـ / ٩٧٧ — ٩٨٢ م) أعاد الخليفة هذه الضياع(٣٣) .

لم يكتف البويهيين بالقضاء على نفوذ الخلفاء العباسيين ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك فشاركوهم فى مظاهر ســـيادتهم الدينيـــة والسياسية . فصارت أسماؤهم تذكر مع اسم الخليفة فى الخطبة(٣٤) منذ عهد عضد الدولة(٣٥) ، وكانت الولايات التى تحت سيطرة البويهيين لا يذكر فيها اسم الامير البويهى وحده فى الخطبة بعد اسم الخليفة ، بل

---

(٣٠) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٦٠ ، ابن الاثير : جـ ٩ ص ٣٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٢ .

(٣١) مسكويه : جـ ٦ ص ٩٦ .

(٣٢) جعل معز الدولة للخليفة المستكفى راتبا شهريا مقداره خمسة آلاف درهم فى اليوم ثم خفضه الى الفى درهم فى اليوم فى خلافة المطيع . مسكويه : جـ ٦ ص ٨٧ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٧٦ ، السيوطى : ص٢٧٢ .

(٣٣) مسكويه جـ ٦ ص ٣٤٤ .

(٣٤) من الجدير بالذكر أن الامير محمد بن ياقوت حاول التعدى على بعض رسوم الخلافة فى عهد الراضى بالله (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ) فقد أمر هذا الامير خطباء المساجد فى بغداد ان يذكروه بعد الدعاء للراضى بالله ، ففعلوا ذلك فى يوم جمعه ، فلما علم بذلك الراضى أنكر عليه ذلك وأمر بصرف الخطباء وأقام غيرهم . انظر هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة ص ١٣٣ تحقيق ميخائيل عواد . بغداد ١٩٦٤ .

(٣٥) ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٣٦ — ٢٣٧ جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٦ .

يذكر أحيانا أسماء بعض أمراء بنى بويه(٣٦) .

شارك البويهيون الخليفة العباس فى نقش اسـمه على السكه ، التى تعتبر الرمز الثانى لسيادة الخليفة ، فمنذ دخولهم بغداد سـنة ٣٣٤ هـ . صارت أسماؤهم وألقابهم تنقش على السكة الى جانب اسم الخليفة العباسى(٣٧) ، وكان « أول من نقش اسمه من الملوك على الدنانير والدراهم مع الخلفاء معز الدولة بن بويه ، واخوته من الديلم القائمين على الخلفاء العباسيين(٣٨) .

لم يقنع بنو بويه بنقش أسمائهم وألقابهم على السكة ، بل تجرأوا على بعض مظاهر سيادة الخليفة الدينية ، فحذفوا لقب أمير المؤمنين من السكة ، واكتفى بذكر اسمه مجردا من اللقب بينما حرصوا على ذكر أسماؤهم وألقابهم وكناهم(٣٩) .

وكان من مظاهر سيادة الخلفاء الدينية أن يضرب على باب دار الخليفة بالطبول فى أوقات الصلوات الخمس ، فلما ولى معز الدولة

---

(٣٦) كما حدث سنة ٣٣٧ هـ فى الصلح الذى تم بين ناصر الدولة الحمدانى ومعز الدولة اذ شرط على ناصر الدولة أن يقيم الخطبة لعماد الدولة ومعز الدولة وبختيار بن معز الدولة . مسكويه : ج ٦ ص ١١٥ .

(٣٧) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٥٨ ، ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٣٨) جمال بيرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٧

ومن الجدير بالذكر ان أمير الامراء « بجكم » سبق بنى بويه الى هذا التقليد حينما نقش اسمه وصورته على الدينار والدرهم ، فلما علم الراضى بذلك اغتم كثيرا ، ثم الغيت تلك النقود بعد مقتل « بجكم » وقد نقش فى احد جانبى الدينار صورته وهو شاك سلاحه وحوله مكتوب :

انما العز فاعلم للامير المعظم سيد الناس بجكم

ومن الجانب الآخر صورته وهو فى مجلسه كالمفكر المطرق .

انظر المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٢٩ .

(٣٩) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص ٢٥٣ .

الحكم فى العراق تشوقت نفسه الى الضرب على بابه ببغـداد(٤٠) وسأل المطيع فى ذلك فلم يجبه ، ثم أذن له بعد بناء داره بباب الشماسيه بالضرب ثلاث مرات على ألا يجاوز الباب البارز فى الصحراء(٤١) ولما ولى الأمير عضد الدولة أمور العراق سنة ٣٦٧ هـ طلب من الخليفة الطائع لله أن يأذن له بضرب الطبول على باب داره ، فأجاز له الخليفة ذلك ثلاث مرات يوميا فى وقت الصبح والمغرب والعشاء(٤٢) وصار ذلك رسميا جاريا لامراء بنى بويه ، فلما ولى شئون الحكم فى العراق كل من سلطان الدولة وأبى كاليجار وجلال الدولة ، شارك هـؤلاء الخليفة العباسى فى ضرب الطبول أمام دورهم فى أوقات الصلوات الخمس رغم احتجاج الخليفة(٤٣) .

ليس أدل على ضعف الخلفاء العباسيين من حرصهم على استمالة أمراء البويهيين بمنحهم الالقاب(٤٤) والخلع ، ففى سنة ٣٣٤ هـ لقب المستكفى بالله أحمد بن بويه بلقب « معز الدولة » كما لقـب أخاه عليا « عماد الدولة » والحسن بن بويه « ركن الدولة »(٤٥) ولقب المطيع لله الامير بختيار بن معز الدولة « عز الدولة »(٤٦) ولما ولى

---

(٤٠) وكان نازلا فى دار مؤنس الخادم المجاورة لدار الخلافة .
هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٤١) رسوم دار الخلافة . ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٤٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٩٢ ، هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة ص ١٣٦ — ١٣٧ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠ .

(٤٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٣٠ ، ١١٩ ، ابن الاثير : جـ ٩ ص ١٢٥ .

(٤٤) كان الامراء وكبار اصـحاب المناصـب يتهالكون جميعا على الالقاب تهالكا شديدا . آدم متز : الحضارة الاسـلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ١ ص ٢٣١ .

(٤٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٣٤٠ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٧٦ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٤٢٠ .

(٤٦) كان معز الدولة قد اقترح على الخليفة المستكفى أن يلقبه بلقب « عز الدولة » فمنعه الخليفة منه ، فلما ملك ابو منصور بختيار بن معز الدولة لقبه المطيع « عز الدولة » . هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة =

عضد الدولة الحكم ببغداد سنة ٣٦٧ هـ (٤٧) تغير رسـم التلقيب والتقليد ، ففى حفل عام أقيم فى التاسع من جمادى الاولى سنة ٣٦٧ هـ (الأحد ٢٣ ديسمبر ٩٧٧ م) جلس الطائع لعضد الدولة حتى اذا ما قدم الامير البويهى خلع عليه الخليفة الخلع السلطانية وتوجه بتاج مرصع بالجواهر وطوقه وسوره وقلده سيفا ، وعقد له لوائين بيده ، أحدهما مفضض على رسم الأمراء والآخر مذهب على رسم ولاة العهود(٤٨) • ولم يعقد هذا اللواء الثانى لغيره من الامراء من قبل ولقبه « تاج الملة »(٤٩) مضافا الى لقب « عضد الدولة »(٥٠) • فكان اول من تلقب بلقبين من الامراء ، وكتب الطائع أيضا لعضد الدولة « عهدا » قرىء بحضرته ، ولم تجر العادة بذلك ، وانما كانت العهود تدفع الى الولاة بحضرة السلطان (الخليفة) ، فاذا أخذه قال له الخليفة : « هذا عهدى اليك فأعمل به »(٥١) •

ص ١٣١ • غير أن زامباور يرى أن معز الدولة تلقب بعز الدولة ويظهر ذلك على دينار ضرب بمدينة السلام (بغداد) سنة ٣٥١ هـ •

Zambaur (E. von) : Numismatische Zeitschrift p. 134.

(٤٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٢٨ — ١٢٩

(٤٨) ذكر هلال بن الصـابى : ان احد اللوائين كان على المشرق والثانى كان على المغرب ، فاما اللواء فيكون من حرير ابيض ويكتب على احد جانبيه بالحبر « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ليس كمثله شىء وهو خالق كل شىء ، وهو اللطيف الخبير » ويبيض موضع العقد فى الوسط وفى الجانب الآخر « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين ولو كره المشركون » • ثم يكتب اسم الخليفة •
انظر رسوم دار الخلافة ص ٩٤ — ٩٥ •

(٤٩) ذكر هلال بن الصـابى أن عضد الدولة كان يود أن يلقب بتاج الدولة عندما استقر الراى على تلقيبه فلم يجبه الى طلبه • رسوم دار الخلافة ص ١٣١ — ١٣٢ •

(٥٠) عضد الدولة : كان يسمى ابا شجاع فناخسرو • حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٩٦ •

(٥١) رسوم دار الخلافة : ص ٩٤ — ٩٥ ، وفيات الاعيان جـ ١ ص ٤١٦ ، المنتظم جـ ٧ ص ٨٦ — ٨٧ •

أما صمصام الدولة(٥٢) بن عضد الدولة ، فقد لقبه الخليفة الطائع بلقب « شمس الملة »(٥٣) الى لقبه الاول ، وخلع عليه الخلع السبع والعمامة السوداء ، وتوجه وعقد له اللوائين ، وقوى عهده بحضرته(٥٤) ، وفعل مثل هذا أيضا مع شرف الدولة بن عضد الدولة ، الذى تقلد السلطة ببغداد ، بعد أن خلع أخاه صمصام الدولة ولقبه بلقب « شاهنشاه »(٥٥) .

وفى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩٢ م لقب القادر بالله الامير البويهى بهاء الدولة(٥٦) بلقب « غياث الأمة »(٥٧) اضافة الى لقبيه السابقين « بهاء الدولة » و « ضياء الملة »(٥٨) ثم زيدت ألقابه سنة ٣٩٢ هـ فصارت بهاء الدولة وضياء الملة وغياث الأمة ، قوام الدين صفى أمير المؤمنين(٥٩) .

كذلك طلب جلال الدولة من الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٢٩ هـ

---

(٥٢) صمصام الدولة : هو ابو كاليجار المرزبان . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٩٦ .

(٥٣) ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٤١ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٨ . ذكر العينى : عقد الجمان ج ١٩ ص ٣٧١ أن لقبه « شمس الدولة » .

(٥٤) نفس المصادر السابقة والصفحات .

(٥٥) انظر ابن الاثير : ج ٩ ص ٢٠ ، العينى : عقد الجمان ج ١٩ ص ٣٩١ (مخطوط) .

ذكر فيليب حتى أن عضد الدولة كان أول حاكم اسلامى لقب بشاهنشاه ومعناه فى الفارسية ملك الملوك اتباعا للقب الملكى الايرانى القديم . أما « ملك الملوك » فى العربية فلعل بهاء الدولة كان اول من اتخذه لقبا . انظر : تاريخ العرب « مطول » ج ٢ ص ٥٦٦ الطبعة الثانية ١٩٥٣ م .

(٥٦) بهاء الدولة : هو فيروز ابو نصر بن عضد الدولة حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٩٦ .

(٥٧) هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة ص ١٣٢

(٥٨) ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ١٦٣ .

(٥٩) رسوم دار الخلافة ص ١٣٢ ، العينى : عقد الجمان ج ١٩ ص ٤١٠ (مخطوط) .

(١٠٣٧ — ١٠٣٨ م) أن يخطب له بلقب « ملك الملوك »(٦٠) فامتنع الخليفة فى أول الأمر ، فلما استفتى الفقهاء فى ذلك أجازه أربعة منهم(٦١) ، واعترض عليه قاضى القضاة أبو الحسن الماوردى ، وبذلك خطب له بملك الملوك ، وكان الماوردى من أخص الناس بجلال الدولة ، وكان يتردد الى داره ، فلما أفتى بهذه الفتيا انقطع عنه ولزم بيته ثلاثة أشهر ، ثم استدعاه جلال الدولة وطمأنه وأكرمه لأنه اتبع سبيل الحق فى مخالفته أمر السلطان وأعاده الى سابق مكانته(٦٢) •

كذلك لقب الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ — ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ — ١٠٧٥ م) الأمير أبا منصور بن جلال الدولة بلقب « الملك العزيز » وكان ذلك سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م (٦٣) ، وحينما بعث الامير أبو نصر خسرو فيروز الذى ولى الحكم بعد وفاة أبيه أبى كاليجار سنة ٤٤٠ هـ الى الخليفة القائم يطالب منه بتلقيبه « بالملك الرحيم » امتنع الخليفة فى أول الامر وقال : « لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله » ثم وافق على تلقيبه رغم ارادته(٦٤) •

حاول بعض الامراء البويهيين الاعتداء على حق الخليفة فى تعيين القضاة وأمراء الحج والمظالم ، فقلد الامير بهاء الدولة النقيب أبا أحمد الموسوى والد الشريف الرضى نقابة العلويين بالعراق سنة ٣٩٤ هـ

(٦٠) ابن الاثير : جـ ٩ ص ١٧١ •

(٦١) وهم القاضى أبو الطيب الطبرى ، والقاضى أبو عبد الله الصيمرى ، والقاضى ابن البيضاوى والقاضى أبو القاسم الكرخى • ابن الاثير : جـ ٩ ص ١٧١ •

ويذكر ابن الجوزى ان العامة ثاروا ورموا الخطباء بالآجر ، وأفتى الفقهاء ان هذه الاسماء انما يعتبر فيها القصد والنية ، وان ملك الملوك معناه ملك ملوك الأرض ، وليس فيه مماثلة بين الخالق والمخلوق • المنتظم جـ ٨ ص ٩٧ •

(٦٢) ابن الاثير : نفس المصدر والصفحة ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ص ٤٨٣ •

(٦٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٩٩ •

(٦٤) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٢٠٤ •

(١٠٠٣ م)(٦٥) وكذلك قضاء القضاة والحج والمظالم وكتب عهده بذلك من شيراز • غير أن الخليفة القادر أنكر عليه تدخله فى سلطته الدينية ولم يأذن له الا بتقلد امارة الحج ونقابة الطالبيين وديوان المظالم ، مع أن هذه الامور أيضا من اختصاص الخليفة(٦٦) •

وفى سنة ٤٣٤ هـ (١٠٦٢ م) منع جلال الدولة أصحاب الخليفة من جمع مال الجزية وعهد الى أعوانه بجمعها له • فلما بلغ الخليفة القائم ما أقدم عليه هذا الأمير شق عليه ذلك وعزم على الرحيل من بغداد ، وكتب الى وجوه الاطراف والقضاة والفقهاء والشهود أن مال الجزية من أموال الامام ولا يجوز لأحد أخذها(٦٧) •

زادت سلطة الامراء البويهيين ، بينما ضعف شأن الخلفاء العباسيين • ويعتبر آدم متز سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م وهى سنة دخول بنى بويه بغداد وتوليهم السلطة فيها أهم سنة فى تاريخ الوزارة ، وذلك لبطلان الوزارة فى هذا التاريخ ، وقيام كاتب الأمير البويهى مقام الوزير ، واستشهد لذلك بما فعله الصابى فى كتابه « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » حيث قسم وزراء القرن الرابع الى قسمين : وزراء الدولة العباسية ، وكتاب الدولة الديلمية(٦٨) •

تغير وضع الوزارة تبعا لازدياد سلطة الأمراء البويهيين ، فصار للخليفة كاتب عوضا عن الوزير ، تنحصر مهامه فى ادارة اقطاعه واخراجاته(٦٩) • أما الامير البويهى فله وزير يتمتع باختصاصات الوزراء

---

(٦٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ، ابن الاثير : جـ ٩ ص ٩٨ •

(٦٦) Mafizullah Kabir : Administration of Justic during Buwayhid period. p. 14. (Isiamic culture, Vol, No, 34. 1960).

(٦٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ١١٣ •

(٦٨) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ١ ص ١٥١

(٦٩) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٢ •

فى ذلك الحين ، ويقول ابن الأثير(٧٠) : « وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد » .

كذلك عمد بعض أمراء البويهيين الى اتخاذ وزيرين ، حتى لا تنحصر السلطة فى يد وزير واحد ، فاتخذ عضد الدولة وزيرين ، أحدهما بفارس(٧١) ، والثانى ببغداد(٧٢) وحذا حذوه بهاء الدولة فاتخذ وزيرين(٧٣) سنة ٣٨٢ هـ(٧٤) ، وكانا يتناوبان فى تقديم اسم أحدهما على الآخر فى المكاتبات(٧٥) .

على الرغم من حرص أمراء بنى بويه على الاستبداد بالسلطة ، ومشاركتهم الخلفاء العباسيين فى شارات الخلافة(٧٦) ، احتفظ الخلفاء ببعض السلطات ، فاستمروا فى تمتعهم بحق تفويض أمراء الاقاليم حكم البلاد ، وكان لهذا التفويض أهمية كبيرة فى شرعية ولايتهم ، فقلد الخليفة المطيع لله سنة ٣٣٤ هـ ناصر الدولة الحمدانى ولاية الموصل

---

(٧٠) نفس المصدر والصفحة .
ومن وزراء معز الدولة : أبو جعفر محمد بن احمد الصيمرى ، وابو محمد الحسن بن محمد المهلبى ، الذى كان وزيرا فى نفس الوقت للمطيع لله .
ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ج ١ ص ٢٥٧ ، زامباور / معجم الانساب والاسرات الحاكمة ص ٣٢٤ .

(٧١) وهو أبو منصور نصر بن هارون (وهو نصرانى) .
ابن الاثير : ج ٨ ص ٢٥٤ .

(٧٢) وهو : ابا الريان احمد بن محمد نفس المصدر ج ٨ ص ٢٥٤ .

(٧٣) هما أبو نصر سابور ، وابى منصور بن صالحان . ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ١٦٩ ، ابن الاثير : ج ٩ ص ٣٥ .

(٧٤) فقد استدعى بهاء الدولة ابا نصر سابور من البطيحة (وكان مقيما عند مهذب الدولة بعد ان صرفه بهاء الدولة عن الوزارة) سنة اثنتين وثمانين وجمع بينه فى الوزارة وبين ابى منصور بن صالحان وخلع عليهما فى يوم الاحد التاسع من شعبان : ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ١٦٩

(٧٥) ابن الجوزى : ج ٧ ص ١٦٩ ، ابن الاثير : ج ٩ ص ٣٥ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٦١ .

(٧٦) جمال سرور : نفس المرجع ص ٥٩ .

والجزيرة(٧٧) ، كما أسند القادر بالله (٣٨١ — ٤٢٢ هـ / ٩٩١ — ١٠٣١ م) الى المقلد بن المسيب العقيلى ولاية الموصل ولقبه « حسام الدولة »(٧٨) وعهد الى قرواش بن المقلد المنيع بهذه الولاية ولقبه « معتمد الدولة »(٧٩) ، وقلد الامير أبا نصر أحمد بن مروان سنة ٤٠٣ هـ حكم بلاد ميافارقين وآمد ولقبه « ناصر الدولة وعمادها »(٨٠) .

كذلك احتفظ الخلفاء العباسيون بحقهم فى تولية العهد أبناءهم ، وصاروا يهتمون بذلك اهتماما كبيرا ، فقد ذكر هلال بن الصابى : أنه أقيم احتفال فى أيام الخليفة القادر بالله حضره الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء ، قرىء فيه كتاب بتقليده أبا الفضل ولده العهد بعده ، وتلقيبه الغالب بالله تعالى ، وكان له من السن فى ذلك الوقت ثمان سنين وأربعة أشهر وأيام ، وكتب الى البلاد بأن يخطب له بعده على نسخة قرئت بحضرته وكانت بعد الدعاء له : « اللهم وبلغه الأمل فى ولده أبى الفضل الغالب بالله تعالى ، ولى عهده فى المسلمين ، اللهم وال من والاه من العباد ، وعاد من عاداه فى الاقطار والبلاد وأنصر من نصره بالحق والسداد ، وأخذل من خذله بالغى والعناد ، اللهم ثبت دولته وشعاره وأنبذ الى من نابذ الحق وأنصاره »(٨١) .

(ب) سياسة أمراء بنى بويه مع أمراء الدول الاسلامية المجاورة :

١ — مع الحمدانيين : ظهر الحمدانيون فى منطقة الجزيرة(٨٢)

(٧٧) اسحاق الصابى : رسائل الصابى جـ ١ ص ١٢١ ، الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ٤٣ .
(٧٨) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٩٣ .
(٧٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٣٠ .
(٨٠) الأزرقى الفارقى : تاريخ ميافارقين ص ١٠٨ .
(٨١) هلال بن الصابى : كتاب التاريخ جـ ٨ ص ٤٢٠ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٩ .
(٨٢) كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لان أعالى دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها ، وكان هذا الاقليم ينقسم الى ديار ثلاث هى : ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر نسبة الى القبائل التى نزلت هذا الاقليم قبل الاسلام . لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٢٤ .

سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م حينما استولى حمدان بن حمدون(٨٣) على ماردين ، غير أن الخليفة المعتضد ما لبث أن أخرجه منها(٨٤) ٠ ورغم ذلك واصل الحمدانيون جهودهم لتوسيع نفوذهم فى الجزيرة ، مما حمل الخلافة العباسية على الاستعانة بهم فى حكم هذه المنطقة ، فعين المكتفى أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان حاكما على الموصل ونواحيها سنة ٢٩٣ هـ كما استعان الخليفة بابنه الحسن بن عبد الله بن حمدان فى القضاء على ثورات القرامطة فى منطقـة الجـزيرة وبلاد الشام ونجح فى ذلـك(٨٥) ٠

لم يحاول الخليفة المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ — ٩٣٢ م) صرف الحمدانيين عن ولاية اقليم الموصل بعد مقتل أبيهم(٨٦) ، ولما ولى المتقى لله الخلافة (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ — ٩٤٤ م) سطع نجم بنى حمدان فى أفق الدولة العباسية ، فقد خلع الخليفة على الحسن بن عبد الله الحمدانى ولقبه « ناصر الدولة »(٨٧) ، كما خلع على أخيه

---

(٨٣) لم يظهر اسم حمدان بن حمدون على مسرح السياسة للدولة العباسية الا سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م حينما قام مساور بن عبد الحميد الشارى وهو من الخوارج بالاستيلاء على الموصل فتصدى له الحسن بن ايوب التغلبى يشد من ازره حمدان بن حمدون مع هارون الشارى ودخلا الموصل فاتحين غير ان حالة الموصل تقلق الخلافة العباسية ، ويزداد خطره فيخرج اليه الخليفة المعتضد سنة ٢٨١ هـ فيسترد منه الموصل ويحتل قلعة ماردين ، ويضيق عليه السبل حتى يسلم نفسه اليه فيوضع فى السجن ٠

ابن الاثير : جـ ٧ ص ٦٦ ، ١٥١ ، الطبرى : حوادث سنة ٢٨١ هـ ، ٢٨٢ هـ ٠

(٨٤) الطبرى : الأمم والملوك جـ ١٣ ص ٢١٤١ ، بيروت ١٩٦٥ ٠

(٨٥) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ص ٦ — ٨

(٨٦) قتل أبى الهيجاء بعد اشتراكه فى المؤامرة التى هدفت الى خلع المقتدر وتنصيب القاهر سنة ٣١٧ هـ ٠ عريب بن سعد : نفس المصدر ص ٧٤ ٠

(٨٧) دخل البريديون بغداد سنة ٣٣٠ هـ وفر الخليفة الى الموصل مع أمير الامراء محمد بن رائق ، وتمكن الحسن بن حمدان من اعادة الخليفة الى بغداد بعد فرار البريدين منها ٠ ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٣٥ — ١٣٦ ٠

أبى الحسين ولقبه « سيف الدولة »(٨٨) .

ولى ناصر الدولة أمرة الامراء فى بغداد سنة ٣٣٠ هـ/٩٤١ م (٨٩) ، ولكنه لم يستطع أن يقر النظام بها ، فرحل عن بغداد الى الموصل فى السنة التالية(٩٠) ، وبذلك مهد السبيل لدخول توزون بغداد(٩١) بعد انتصاره على البريد بين فى واسط والبصرة(٩٢) .

ولما رحل ناصر الدولة الى الموصل ، اتفق مع توزون على أن تكون الأعمال فى مدينة الموصل الى أعالى الشام خاضعة له ، وأن تكون أعمال السن(٩٣) الى البصرة لتوزون وما يفتحه من وراء ذلك ، وألا يعرض أحد منهما لعمل الآخر(٩٤) ، لكنهما ما لبثا أن فوجئا بعد هذا الاتفاق بتقدم جيوش الديلم من الشرق ودخول بنى بويه بغداد(٩٥) .

لما استقرت الأمور لمعز الدولة بن بويه فى بغداد ، رأى أن دولة الحمدانيين فى الموصل تشكل خطرا عليه ، ومن ثم قامت الحرب بين معز الدولة بن بويه (ومعه الخليفة المطيع لله)(٩٦) وناصر الدولة بن

---

(٨٨) ابن الاثير : نفس المصدر والصفحة ، المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٧٦ .

(٨٩) يذكر ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٤٣ ان ناصر الدولة تمكن هو وأخوه سيف الدولة من الانتصار على البريديين فى عدة مواقع .

(٩٠) أبو بكر الصولى : أخبار الراضى والمتقى ص ٢٤٠ ، ٢٤٢ .

فقد ثارت الوحشة بين الخليفة المتقى وناصر الدولة بسبب تضييق ناصر على الخليفة فى نفقاته وانتزاعه ضياعه ، وعزم ناصر الدولة على الرحيل الى الموصل ورفض طلب الخليفة بالانتظار ريثما يستعد للرحيل معه .

(٩١) الصولى : نفس المصدر والصفحات .

(٩٢) Muir : The caliphate. p. 583.

ويبرر ميورترك الحمدانيين بغداد بعدم استطاعتهم فرض نفوذهم على الاتراك فى بغداد التى اصبحت مرعى خصبا للفوضى ومصادرة الاهالى .

(٩٣) السن : بلدة على ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة .

لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٢٠ .

(٩٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ١ ص ١٠٤ (تحقيق د. سامى الدهان دمشق ١٩٠١ م) .

(٩٥) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٥ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦١

(٩٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٢٦٥

حمدان عند عكبرا(٩٧) فى سنة ٣٣٤ هـ ، وفوجىء معز الدولة بانصراف ابن شيرزاد عنه راجعا الى بغداد مع أبى العطف جبير بن عبد الله بن حمدان ابن أخى ناصر الدولة ، فتحرج موقف معز الدولة الذى لم ييأس وسار الى تكريت فنهبها(٩٨) ، ثم عبر مع قواته الى الجانب الغربى من دجلة وتقدموا الى بغداد وبازائهم على الشاطىء الشرقى ناصر الدولة بن حمدان وجنوده الاتراك(٩٩) .

استطاع معز الدولة أن يخدع ناصر الدولة وجيشـــه بانضمام جماعة من جنده مستأمنين الى ناصر الدولة ، لكنهم ما لبثوا أن انقلبوا على جيش ناصر الدولة وأوقعوا به الهزيمة(١٠٠) فعمد ناصر الدولة الى فرض الحصار على معز الدولة وجيشه لارغامه على الاستسلام ، فمنع عنه الميرة والعلف ، حتى ندرت الأقوات بالجانب الغربى واشتد الغلاء ، بينما نعم أهل الجانب الشرقى برخص الاسعار(١٠١) .

لجأ معز الدولة الى خديعة ناصر الدولة مرة ثانية عنـــدما قام بتقسيم جيشه للعبور الى الجانب الشرقى(١٠٢) ، فعهد الى وزيره أبى جعفر الصيمرى والى خاله أصفهدوست الديلمى بالعبور من موضع يقال له «الثمانين» وأظهر أنه يريد العبور من جهة « قطربل » — فى الشمال الغربى من بغداد — ولما علم بعبور أصحابه عاد الى مكانه الاول ، ونقل بقية جيشه الى الجانب الشرقى ، بعد أن أوقع الأضطراب والفوضى فى جيش ناصر الدولة وألجأه الى الفرار(١٠٣) الى عكبرا ، فلما استقر بها راسل معز الدولة يلتمس الصلح فى المحرم سنة ٣٣٥ هـ (سبتمبر ٩٤٦ م) ، ولما علم الاتراك بما فعله ناصر الدولة ثاروا عليه ،

(٩٧) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٩ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٢
(٩٨) لانها كانت لناصر الدولة . مسكويه : جـ ٦ ص ٨٩ — ٩٠
(٩٩) نفس المصدر جـ ٦ ص ٩٠
(١٠٠) نفس المصدر والصفحة .
(١٠١) مسكويه : جـ ٦ ص ٩١ — ٩٣ ، ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٦٢
(١٠٢) مسكويه : جـ ٦ ص ٩٢ — ٩٣
(١٠٣) نفس المصدر ص ٩٣ — ٩٤ .

وحاولوا الفتك به ، فهرب منهم الى الموصل ، ثم استقر الصلح بينه وبين معز الدولة سنة ٣٣٥ هـ(١٠٤) على أن يكون لناصر الدولة من حد تكريت الى الشمال ، على ألا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئا مما كان يحمله من المال ، وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به(١٠٥) .

على أن معز الدولة ما لبث فى سنة ٣٣٧هـ أن سار قاصدا الموصل لمحاربة الحمدانيين ، فلما علم بذلك ناصر الدولة رحل عن الموصل الى نصيبين(١٠٦) فملكها معز الدولة وأخذ أموال أهلها(١٠٧) ، وأراد معز الدولة أن يستولى على جميع بلاد ناصر الدولة لكنه شغل بمد أخيه ركن الدولة بالعساكر ، واضطر الى مصالحة ناصر الدولة ، واستقر الصلح بينهم على أن يؤدى ناصر الدولة عن الموصل وديار مضر والرحبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم ، ويقيم الخطبة فى بلاده لعماد الدولة ومعز الدولة وبختيار بن معز الدولة(١٠٨) . وضمانا لتنفيذ شروط الصلح أخذ معز الدولة معه الفضل والحسين ابنا ناصر الدولة رهينة ، وعاد الى بغداد فى ذى الحجة سنة ٣٣٧هـ (يونيه ٩٤٩م) (١٠٩) .

وفى سنة ٣٤٥هـ انتهز ناصر الدولة فرصة تمرد روزبهان الديلمى — أحد قواد معز الدولة فأرسل ابنه أبا المرجى جابر ومعه أحد اخوته الى بغداد ، فلما علم الخليفة المطيع بتقدم الحمدانيين خرج من بغداد ولحق بمعز الدولة فى واسط ، فأرسل معز الدولة الحاجب سبكتكين

---

(١٠٤) مسكويه : جـ ٦ ص ٩٤ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٣ .
(١٠٥) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠٨ .
(١٠٦) نصيبين : من أعظم مدن الجزيرة ، تقوم فى أعالى نهر الهرماس لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٢٤ .
(١٠٧) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٧١ — ١٧٢ وكان ذلك فى رمضان سنة ٣٣٧ هـ (مارس ٩٤٩ م) .
(١٠٨) مسكويه : جـ ٦ ص ١١٥ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٧٢
(١٠٩) نفس المصادر السابقة .

من واسط الى بغداد لحفظها ومنع الحمدانيين من دخولها ؛ وبعد أن هزم معز الدولة روزبهان وأسره ، عاد الى بغداد وعهد الى سبكتكين بمطاردة أبى المرجى الذى رحل الى الموصل ، وفى العام التالى (٣٤٦هـ) سار معز الدولة الى الموصل ، فأرسل اليه ناصر الدولة يطلب الصلح على ألف ألف درهم فى السنة ، فرضى معز الدولة بذلك(١١٠) ، غير أن ناصر الدولة فسر رضاء معز الدولة بالصلح بعدم مقدرته على محاربته فامتنع عن أداء المال المطلوب منه(١١١) ، ورأى معز الدلة فى سنة ٣٤٧هـ أن يتجهز للسير الى الموصل ، فأرسل اليه ناصر الدولة يترضاه، فرد عليه معز الدولة بكتاب توعده فيه وهدده بالمسير الى بلاده(١١٢)، فكان من نتيجة ذلك أن اتفق ناصر الدولة مع معز الدولة على أن يعجل له بدفع ألفي ألف درهم ،ويتعهد بدفع مثلها كل سنة ، غير أن ناصر الدولة عاد الى العصيان ، واتبع أسلوبا جديدا فى محاربة ناصر الدولة ، بأن أخلى له مدينة الموصل من الأموال والمواد الغذائية ، ومنع دخول الطعام والعلف اليها ، ومنع من يخرج منها لطلب ذلك(١١٣) ، كذلك لجأ الى الخديعة ليجبر معز الدولة على الرحيل عن ممتلكاته ، فأمر بتسريح جيشه وصرفه ، وانسحب هو الى أخيه سيف الدولة بحلب ، بعد أن انضم جيشه الى معز الدولة ، فكان من نتيجة ذلك أن الأمور لم تستقر لمعز الدولة ، بسبب مضايقة أبناء ناصر الدولة ، واغارات الأعراب ، فضلا عن حاجته الى المال لينفقه فى جيشه(١١٤) .

أراد معز الدولة الخروج من ضائقته المالية ، فأرسل الى كافور الاخشيدى فى مصر يطلب ارسال مال اليه ، فرد كافور رسوله

---

(١١٠) انظر ابن الاثير : ج ٨ ص ١٨٥ — ١٨٦ .
(١١١) انظر ابن الاثير : ج ٨ ص ١٨٧ .
(١١٢) مسكويه : ج ٦ ص ١٦٩ .
(١١٣) نفس المصدر ص ١٧١ .
(١١٤) نفس المصدر ص ١٧٥ .

خائبا(١١٥) ، ووجد ناصر الدولة الفرصة مواتية للصلح وتوسط فى ذلك أخوه سيف الدولة الحمدانى ، وعرض على معز الدولة أن يقوم بضمان البلاد نيابة عن أخيه ، فتم الصلح فى محرم سنة ٣٤٨هـ (مارس ٩٥٩م) ، وعقد الضمان على سيف الدولة على الموصل وديار ربيعة بألفى ألف درهم وتسعمائة ألف درهم فى السنة(١١٦) .

استمر السلام بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة بعد عقد هذا الصلح خمس سنوات ، فلما تأخر ناصر الدولة فى أداء ما عليه من الأموال حتى سنة ٣٥٣هـ أرسل الى معز الدولة يطلب تعديل شروط الصلح ، على أن يؤدى ما عليه عن سنتى ٣٥٣ ، ٣٥٤هـ ألفى ألف درهم يعجل منها مائتى ألف درهم والباقى يقسط على ثلاث سنوات فرضى معز الدولة بذلك ، وعرض ناصر الدولة أن يزيد فى مال الضمان عشرة آلاف دينار مقابل أن يشترك معه ابنه أبو تغلب فضل الله الغضنفر فى الضمان وأن يحلفهما معز الدولة على ذلك(١١٧) ، فأبى معز الدولة قبول هذا الشرط خشية أن يكون ذلك بمثابة اعتراف منه بشرعية اشتراك أبى تغلب مع أبيه فى الحكم ، وممهدا لولايته الحكم بعده(١١٨) .

---

(١١٥) كان كافور يرغب فى احراج مركز معز الدولة فاخر رسوله مدة وبث جواسيسه ليتعرف أخبار معز الدولة حتى إذا ما جاءته الاخبار بأنه تخلص من ورطته سارع الى امداده بالمال مجاملة له واستبقاء لصداقته ، أما اذا جاءته الاخبار باستمرار حالة الضيق ضن عليه بالمال اجهازا عليه . مسكويه : جـ ٦ ص ١٧٢ .

(١١٦) مسكويه : جـ ٦ ص ١٧٤ — ١٧٥ ، الذهبى : تاريخ الاسلام حوادث سنة ٣٤٧ هـ (مخطوط) ويعلل ابن الأثير اجابة معز الدولة ناصر الدولة الى الصلح بعد تمكنه من البلاد ان الاموال ضاقت عليه ، وتقاعد الناس فى حمل الخراج بحجة عدم تمكنهم من الوصول الى غلاتهم وطلبهم الحماية من الاعراب أصحاب ناصر الدولة ، فانف معز الدولة من ذلك .

الكامل : جـ ٨ ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(١١٧) مسكويه جـ ٦ ص ٢٠٤ .

(١١٨) عبد الحميد على عثمان عبيدو : الحمدانيون فى الموصل وحلب ص ٦٥ رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة .

لم يكد معز الدولة يعلن رفض هذا الاقتراح حتى وصل اليه المبلغ الذى اتفق على تعجيله فى جمادى الآخرة سنة ٣٥٣ هـ (يونيه ٩٦٤ م) ويبدو أن ناصر الدولة لم يصل الى علمه وقت ارسال الأموال بفشل « الباهلى » رسوله فى مفاوضات زيادة الضمان مقابل اشتراك أبى تغلب معه فى الحكم ، وتأهب معز الدولة للمسير الى الموصل للقضاء على ناصر الدولة اذ أدرك من محاولاته أنه يرمى الى توسيع سلطانه ، وجعل الحكم وراثيا فى أبنائه ، غير أن ناصر الدولة رحل الى نصيبين ، ودخل معز الدولة الموصل فى شعبان سنة ٣٥٣ هـ (أغسطس ٩٦٤ م) ، ثم بارحها الى « بلد » ثم توجه الى الموصل خوفا من أن يكون ناصر الدولة قد عزم على الرجوع اليها(١١٩) .

كان أبو تغلب واخوته أبناء ناصر الدولة قد دخلوا الموصل فى غياب معز الدولة عنها ، ووقع بينهم وبين أصحابه قتال شديد ، لكنهم هزموا ولم يتمكنوا من الاستيلاء على هذه المدينة ، فانصرفوا عنها ، بعد أن أحرقوا السفن التى كانت لمعز الدولة وأصحابه فى دجلة ، كما أحرقوا السفن التى كانت لهم فى « بلد » ، وسر معز الدولة لهزيمة أبناء ناصر الدولة وأقام ببرقعيد(١٢٠) يتلمس أخبار ناصر الدولة ، ولما بلغه أنه نزل بجزيرة ابن عمر سار اليها ، وفى الطريق لحق به حمدان ابن ناصر الدولة مستأمنا اليه(١٢١) كما قدم عليه فى « بلد » أبو الهيجاء حرب بن أبى حمدان طالبا الأمان وساروا جميعا الى نصيبين ، وفيها جاء أبو جعفر العلوى النصيبينى برسالة من ناصر الدولة يلتمس فيها الصلح ، فلم يجبه الى طلبه وفى هذا الوقت كان أبو تغب قد وصل الى الموصل غير أنه اضطر الى تركها بعد أن أبلغه قدوم معز الدولة اليها وتصميمه على

---

(١١٩) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، عقد الجمان : حوادث سنة ٣٥٣ هـ ص ١٧١ .

(١٢٠) برقعيد : بلدة كبيرة على طريق نصيبين مما يلى باعيناثا ، ويضرب المثل بأهل برقعيد فى اللصوصية . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٠ .

(١٢١) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٠٥

عدم مغادرتها الا بعد اخضاعهم وتوقيع صلح يحقق رغباته ، فكان ذلك مما حمل أبا تغلب على أن يرسل اليه يلتمس منه الصلح ، واستقر الرأى بعد تبادل المراسلات بينهما على أن يتولى أبو تغلب الموصل وديار ربيعة والرحبة والبلاد التى كان والده يدير شئونها مقابل أدائه ستة آلاف ألف ومائتى ألف درهم فى السنة ابتداء من سنة ٣٥٤ هـ الى سنة ٣٥٧ هـ وأن يدفع أبو تغلب عن بقايا سنة ٣٥٣ هـ ستمائة ألف درهم معجلة وأن يطلق سراح الأسرى الذين وقعوا فى أيديهم ويرسلوهم الى الحديثة(١٢٢) عند وصول معز الدولة اليها(١٢٣) .

دب الخلاف بين أفراد البيت الحمدانى ، حينما رأى بعضهم مهاجمة البويهيين فى العراق بعد وفاة معز الدولة سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م)(١٢٤) ، وتولية ابنه عز الدولة بختيار بسبب ما بلغهم من سوء سياسته(١٢٥) ، لكن والدهم ناصر الدولة نصحهم بالتريث وقال لهم : « لا تعجلوا ، فان معز الدولة قد خلف لابنه شيئا من المال سيفرقه على جنده ولستم بمستظهرين عليه ، ولا متمكنين من دولته الا بعد أن تفنى حيله ، وتخلوا يده من المال ، فاذا كان ذلك فسيروا اليه ، وكاثروه بالمال ، وأفسدوا عليه قلوب الرجال ،فانكم تملكونه لا محالة »(١٢٦) ، غير أن هذا القول لم يلق قبولا من أبناء ناصر الدولة ، واختلفت كلمتهم ، وأدى هذا الخلاف بينهم الى القبض على ناصر الدولة وسجنه سنة ٣٥٦ هـ (١٢٧) .

---

(١٢٢) الحديثه : على فرسخ فوق ملتقى الزاب الأعلى وتسمى حديثة الموصل تمييزا لها عن حديثة الفرات . لسترنج : بلدان الخلافة ص ١١٩

(١٢٣) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٠٦ .

(١٢٤) توفى معز الدولة ٢٧ ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ (١٤ فبراير ٩٦٧ م) .

(١٢٥) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٠٨

(١٢٦) راجع تجارب الأمم جـ ٦ ص ٢٣٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٠٨

(١٢٧) سجن ناصر الدولة فى قلعة أردمشت فى ٢٤ جمادى الاولى سنة ٣٥٦ هـ (٩ مايو ٩٦٧ م) ثم لم يلبث أن نقل الى قلعة كواشى حينما

عمد أبو تغلب الى مداراة عز الدولة بختيار وتجديد عقد الضمان معه والتماس العهد والخلع ، ليستظهر بذلك على اخوته المخالفين ، فأرسل لذلك كاتبه أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون الى بغداد لتجديد عقد الضمان مقابل ألف ألف ومائتى ألف درهم(١٢٨) أما حمدان بن ناصر الدولة ، فسار بعد وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة ، واستولى عليها ، ثم خرج منها الى نصيبين وضمها الى حوزته ، ولما علم بالقبض على والده عظم ذلك عليه ، وغضب لما وقع من اخوته ، فجمع من أطاعه من أهله واخوته ، وطالب أبا تغلب واخوته بالافراج عن أبيهم ، واشتبك الاخوان فى قتال لم ترجح فيه كفة أحدهما على الآخر ، ثم اصطلحا ، وعاد كل منهما الى بلاده ، غير أن أبا تغلب أساء معاملة أخيه حمدان ،وصادر ضياعه ، ثم أرسل اليه أخاه أبا البركات لمحاربته ، فلما اقترب منه طلب معظم أصحاب حمدان الأمان ، مما اضطر حمدان الى الخروج من بلاده منهزما والمسير بأولاده ونساءه مستأمنا الى عز الدولة بختيار فى شهر رمضان سنة ٣٥٨ هـ (يوليه ٩٦٨ م) فأكرم وفادته وتوسط فى الصلح بينه وبين أخيه ، وأرسل النقيب أحمد الموسوى والد الشريف الرضى سفيرا فى الصلح بين ولدى ناصر الدولة ، حيث تم الصلح بين الأخوين وعاد حمدان الى الرحبه(١٢٩) ، ثم تجدد النزاع فى عنف وشدة بين أبى تغلب وحمدان واضطر حمدان الى السير الى بغداد لاجئا من جـديد الى عز الدولة بختيـار(١٣٠) .

= حاول ناصر الدولة الخروج من الأسر بعد ان وقع الكتاب الذى ارسله الى ابنه حمدان فى يد اخوته .

مسكويه : جـ ٦ ص ٢٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية / جـ ١١ ص ٢٦٧ .

(١٢٨) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٠٨ .

(١٢٩) الرحبة : تقع بين الرقة وبغداد على قرب نهر يقال له سعيد كان يخرج من يمين الفرات جنوبى قرقيسياء .

لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٣٧ .

(١٣٠) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢١٣ — ٢١٤ .

كان أبو تغلب ينقم على البويهيين لازدياد نفوذهم ، ويرجو ازالة سلطانهم فى العراق ، فلما قصد بختيار بلاد الموصل لمعاونة حمدان عليه ، انتهز فرصة ابتعاد بختيار عن بغداد وخلوها من جنده وقصدها وكاد أن يستولى عليها ، غير أن الحرب بينهما انتهت باقرار الصلح سنة ٣٦٣ هـ على أن يضمن أبو تغلب البلاد على ما كانت معه وأن يطلق لبختيار ثلاثة آلاف « كر » غلة عوضا عن مؤنة سفره ، وأن يرد على أخيه حمدان أملاكه واقطاعه(١٣١) ، ولما ولى عضد الدولة أمور العراق ، واستولى على الموصل وديار ربيعة وديار مضر سنة ٣٦٨ هـ ساءت العلاقة بينه وبين أبى تغلب(١٣٢) الذى عول على قصد دمشق ، بعد أن فقد بلاده فامتنعت عليه ، وتصدى له « دغفل بن مفرج الطائى » (أمير الرملة) والفضل بن صالح قائد جيش العزيز بالله الفاطمى بدمشق وأحلا به الهزيمة فى صفر سنة ٣٦٩ هـ (أغسطس ٩٧٩ م)(١٣٣).

على أن الحمدانيين ما لبثوا أن استعادوا الموصل وما يليها من البلاد فى سنة ٣٧٩ هـ على يد أبى طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة وأخيه أبى عبد الله الحسين(١٣٤) ، لكنهم لم يبقوا فيها أكثر من سنة ، فقد طمع الأكراد فى ازالة دولتهم ، وعلى الرغم من قتل « باذ الكردى » أحد زعمائهم فان ابن أخته أبا على بن مروان تمكن من الانتصار على أبى عبد الله الحسين أخى أبى تغلب بن ناصر الدولة(١٣٥) ، وفى سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) قتل أبو الدرداء محمد بن المسيب أمير بنى عقيل(١٣٦) ،

---

(١٣١) نفس المصدر : ص ٢٢٦ — ٢٢٨ .

(١٣٢) فقد رفض عضد الدولة اجابة طلبه فى ضمان بلاده .
ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٥٠ — ٢٥٣ .

(١٣٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٤١ .

(١٣٤) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٧٤ — ١٧٥ .

(١٣٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٢٠٩

(١٣٦) كان بنو عقيل من رعايا الحمدانيين ، يؤدون اليهم الاتاوة ويخرجون معهم فى الحروب ولكن سرعان ما تطلعوا الى السيطرة على الموصل ، بعد أن تطرق الضعف الى دولة بنى حمدان خاشع المعاضيدى : دولة بنى عقيل فى الموصل ص ٥٠ — ٥١ .

أبا طاهر بن ناصر الدولة واستولى على الموصل ، فأقره بهاء الدولة البويهى عليها • وبذلك زال سلطان الحمدانيين نهائيا من الموصل وحلت محلها دولة العقيليين(١٣٧) التى ظلت قائمة حتى سنة ٤٨٩ هـ •

٢ — **مع العقيليين** : حاول أمراء بنى عقيل كسب ود البويهيين بغية تثبيت نفوذهم فى اقليم الموصل ، الذى اتخذوه مقرا لدولتهم ، فبعث أبو الدرداء محمد بن المسيب أمير بنى عقيل سنة ٣٨٠ هـ الى بهاء الدولة البويهى يسأله أن ينفذ اليه من يقيم عنده من أصحابه ليتولى أمور البلاد الى جانبه ، فسير اليه بهاء الدولة نائبا عنه ، كما كان للامير العقيلى نائب فى بغداد ولما اختلف هذا النائب مع أصحاب بهاء الدولة ، استنجد بالمقلد أمير بنى عقيل الذى قدم الى بغداد من الموصل فأوقع بأصحاب بهاء الدولة(١٣٨) ثم بعث الامير المقلد العقيلى بعد ذلك الى الامير بهاء الدولة يعتذر عما حدث ، ويطلب منه ارسال من يعقد عليه ضمان مدينة القصر(١٣٩) وأعمالها بمبلغ من المال ، فعمد بهاء الدولة الى اتباع سياسة المداراة والمصالحة مع الامير المقلد العقيلى ، فأنفذ اليه أبا الحسن على بن طاهر للتفاوض معه ، فاتفقا على أن يتولى ابن طاهر الامارة على تلك الأعمال التى أخذها المقلد العقيلى ، لكن الأمير العقيلى عاد فاستولى عليها بعد أن انصرف عنها أبو الحسن عائدا الى بهاء الدولة البويهى(١٤٠) •

(١٣٧) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم ص ١٧٨ — ١٧٩ ، استولى ابو الدرداء من الحمدانيين سنة ٣٧٩ هـ على مدينتى نصيبين وبلد وضم اليهما الموصل سنة ٣٨٠ هـ ولكنه طرد منها على يد بنى بويه سنة ٣٨١ هـ الى ان استولى اخوه المقلد بن المسيب على الموصل سنة ٣٨٦ هـ واقره بهاء الدولة على هذه البلاد وما يليها •
Lane poole : Muhammadan Dynasties pp. 116-117.

(١٣٨) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم ص ٢٨٣ — ٢٨٤ •

(١٣٩) القصر : مدينة كبيرة تقع بين بغداد والكوفة ، وتعرف بقصر ابن هبيرة ، وهى قرية قريبة من مجرى نهر الفرات ، وتوصف بانها من اعمر نواحى السواد : ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢١٨ •

(١٤٠) ابو شجاع / ص ٢٨٣ — ٢٨٤ • ابن الاثير / ج ٩ ص ٢٨

لما ساءت العلاقة بين الامير المقلد العقيلى ونائب بهاء الدولة البويهى نتيجة لفساد الحال بينهما ، أمر بهاء الدولة أصحابه بمصالحة المقلد العقيلى ، والقبض على نائبه ببغداد ، وأرسل قائده أبا جعفر الحجاج بن هرمز الى بغداد لهذا الغرض فلما قدم الى هذه المدينة راسله المقلد العقيلى فى الصلح فأصطلحا على أن يؤدى المقلد العقيلى لبهاء الدولة عشرة آلاف دينار ، وأن لا يأخذ من البلاد الا رسم الجباية (الحماية) وأن يخطب لبهاء الدولة البويهى وقائده أبى جعفر بن هرمز بعده على أن يخلع على المقلد العقيلى الخلع السلطانية وأن يلقب « حسام الدولة » وأن يقطع الموصل والكوفة والقصر والجامعين(١٤١) وأقر الخليفة العباسى ذلك الاتفاق ، لكن المقلد العقيلى ما لبث أن نقضه واستولى على بعض البلاد(١٤٢) .

لم تلبث العلاقات أن تحسنت بين الامير المقلد العقيلى والامير بهاء الدولة البويهى نتيجة للمراسلات الكثيرة التى تبودلت بينهما ، كما تحسنت فيما بعد بين الامير قرواش العقيلى الذى خلف أباه فى امارة العقيليين مع البويهيين ، حينما قطع الخطبة للفاطميين فى الموصل بعد أن أقامها لهم فى جميع أعماله سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م (١٤٣) ، وأعاد الخطبة للعباسيين على منابره ؛ كما استنجد الامير قرواش العقيلى بالأمير جلال الدولة البويهى ، حين هجم السلاجقة على الموصل سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ — ١٠٣٠ م) وأوقعوا الهزيمة بأهلها وعاثوا فى البلاد فسادا(١٤٤) .

---

(١٤١) الجامعين : مدينة على الفرات على طريق بغداد — الكوفه ، وتستبر اساس مدينة الحلة التى بنيت فى مقابلها على ضفة الفرات الغربية . ياوقت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٠ — ١١ .

(١٤٢) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٣٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٤٣ مطبعة السعادة ١٩٢٣ .

(١٤٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٥٧ ، ابن الاثير : جـ ٩ ص ٨٣ .

(١٤٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٥١ .

لم تحل العلاقات الودية التى سادت بين البويهيين وبنى عقيل ، دون وضع حد لأطماع كل فريق فى بلاد الآخر ، ذلك أن البويهيين لم يكونوا راضين عن استبداد الامراء العقيليين فى الموصل وأعمالها(١٤٥) ، فنشبت حروب كثيرة بين الفريقين خلال حكم البويهيين للعراق ، ذلك أنه لما استأثر أمير بنى عقيل أبو الدرداء محمد بن المسيب بالسلطة فى الموصل بعد أن استولى عليها من الحمدانيين استاء بهاء الدولة من ذلك وجهز جيشا بقيادة أبى جعفر الحجاج بن رمز لاستعادة الموصل من بنى عقيل ، وتمكن هذا القائد من الاستيلاء عليها فى أواخر سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م (١٤٦) ٠

كذلك قامت الحرب بين البويهيين والعقيليين بعد وفاة أبى الدرداء محمد بن المسيب سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م وتولية أخويه المقلد وعلى بن المسيب العقيلى امارة بنى عقيل واتفاقهما على استعادة الموصل من القائد البويهى الحجاج بن هرمز ، وكان المقلد العقيلى قد استمال عددا من الديلم من أتباع هذا القائد قبل أن يسير الى هذه المدينة ، فلما رأى أبو جعفر الحجاج انحياز أصحابه الى جانب بنى عقيل ، وأنه لا قبل له بلقاء العقيليين طلب منهم الأمان ، على أن يسلم الموصل اليهم ، واستطاع بحيلة أن يهرب الى بهاء الدولة فى بغداد ، وبذلك استعاد المقلد العقيلى وأخوه نفوذهما على الموصل(١٤٧) ٠

ولما ولى الأمير قرواش بن المقلد الحكم فى الموصل بعد مقتل أبيه « حسام الدولة » سنة ٣٩١ هـ (١٠٠٠ م)(١٤٨) وقويت شوكته ، ساءت علاقته مع البويهيين ، وسير جمعا من بنى عقيل فى

---

(١٤٥) خاشع المعاضيدى : دولة بنى عقيل فى الموصل ص ٩٤

(١٤٦) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٣٤ — ٣٥ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٣٤٣ ٠

(١٤٧) ابو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٨٠ — ٢٨١ ٠

(١٤٨) الصابى : تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ص ٤١٨ مطبعة الآباء اليوعبين — بيروت ١٩٠٤ م ٠

السنة التاليـــة الى المـــدائن(١٤٩) وحاصرها(١٥٠) ، فبعث اليـــه البويهيون جيشـــا بقيادة أبى جعفر الحجاج بن هرمز من الديـــلم والأتراك(١٥١) يســـاعدهم بنو خفاجة الذين قدموا من الشـــام ، والتقى الفريقان فى رمضان سنة ٣٩٢ هـ (يولية ١٠٠٢ م) فى نواحى باكرم ، فأقتتلا قتـــالا شديدا هزم فيه جيش أبى الحجـــاج أول الأمر ، الا أنه استطاع أن يستعيد تنظيم قواته وهزم بنى عقيـــل وحلفائهم من بنى مزيد أصحاب الحـــلة(١٥٢) ، ولم يكتف القائد البويهى بذلك ، بل تعقب فلول بنى مزيد المنهزمة الى موضع يعرف « شق المعزى »(١٥٣) — الواقعة جنوب بغداد — للايقاع بهم ، فلما علم الأمير قرواش بذلك ســـار مع جماعة من بنى عقيـــل والاكراد قاصدين الكوفة(١٥٤) للقاء القائد البويهى أبى جعفر ، وبنى خفاجة وكان بنو عقيل فى سبعة آلاف مجهزين بالعدد والمنجنيقات والاسلحة ، بينما كان القائد البويهى فى سبعمائة فارس ، ولـــما التقى الفريقان فى موضع يقال له « الصابونية » على مسافة فرسخين من الكوفة — حلت الهزيمة بالعقيليين وأسر منهم نحو ألف رجل ، وغنم بنو خفاجة أموالهم وسلاحهم ، وسار أبو جعفر والخفاجى الى الكوفة ، وأقاموا بها الخطبة للعباسيين(١٥٥) .

---

(١٤٩) المدائن : على سبعة فراسخ أسفل بغداد ، وكانت صغيرة آهلة فى القرن الرابع الهجرى ، وبالقرب من مسجدها ضريح ســـلمان الفارس (الصحابى الجليل) لسترنج : بلدان الخلافة ص ٥١ ، ٥٣ .

(١٥٠) ابن الاثير جـ ٩ ص ٩٤ .

(١٥١) الصابى : المصدر السابق ص ٤٤٥ .

(١٥٢) نفس المصدر ص ٤٤٧ .

(١٥٣) نفس المصدر : ص ٤٥٠ — ٤٥١ ، خاشع المعاضيدى : دولة بنى عقيل فى الموصل ص ٩٦ .

(١٥٤) الكوفة : مدينة على الجانب الغربى من الفرات فى حجم البصرة لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٠١ .

(١٥٥) الصابى : تحفة الامراء ص ٤٥١ — ٤٥٣ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٥٥٠ — ٥٥١

كذلك ظهر الخلاف بين العقيليين والبويهيين سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م بين الأمير قرواش العقيلى وجلال الدولة البويهى ٠ ويرجع السبب فى ذلك الى أن الأمير قرواش كان قد أنفذ جيشا سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م(١٥٦) لمحاربة خميس بن تغلب صاحب تكريت وجرت بينهما حرب عنيفة ، فأضطر خميس بن تغلب الى طلب المساعدة من جلال الدولة البويهى ليكف عنه الأمير قرواش العقيلى ، وكان خميس قد وعد جلال الدولة ببعض الأموال مقابل ذلك ، فبعث الى الأمير قرواش العقيلى يطلب منه الامتناع عن محاربة خميس بن تغلب ، لكن الأمير قرواش لم يستجب لطلب جلال الدولة البويهى(١٥٧) ، وكاتب الأتراك فى بغداد يحثهم للخروج على الأمير البويهى ، ويعدهم بالمساعدة ، ولما علم جلال الدولة بذلك أرسل الى البساسيرى مقدم الأتراك فى بغداد فى صفر سنة ٤٣٢ هـ (أكتوبر ١٠٤٠ م) بالقبض على نائب قرواش العقيلى بالسندية(١٥٨) الواقعة الى الجنوب من بغداد ٠

ظل الخلاف مستحكما بين جلال الدولة البويهى والأمير قرواش العقيلى ، فجهز جلال الدولة الجويش وسار الى الأنبار(١٥٩) بغية الاستيلاء عليها ، فلما قاربها جلال الدولة أغلقت الأنبار أبوابها فى وجهه ، بينما زحف الأمير العقيلى قرواش من تكريت قاصدا الأنبار ليصد عنها الأمير البويهى ، ودارت بين الفريقين عدة معارك هزم فيها أول الأمر جيش جلال الدولة ، ثم حمل أصحابه على جيش قرواش حتى أضطر الى طلب الصلح مع جلال الدولة ودخل

---

(١٥٦) ابن الاثير : جـ ٩ ص ١٨٢ ٠

(١٥٧) نفس المصدر ص ١٨٢ — ١٨٣ ٠

(١٥٨) نفس المصدر ص ١٨٣ ٠

(١٥٩) الأنبار : من المدن التى على الفرات فى خط عرض بغداد ، هى من المدن الآهلة فى اقليم العراق ، وفى اقليم خراسان مدينة تحمل اسم الأنبار وتعرف بانبار خراسان ٠ لسترنج / ص ١٧ ، ٤٦٨ ٠

فى طاعته ، وعاد كل منهما الى مقره وبذلك خمدت الفتنة التى ثارت بينهمـــا(١٦٠) .

٣ — مع القرامطـــة :(١٦١)

كان من أثر استيلاء معز الدولة البويهى على البصـــرة أن قام النزاع بينه وبين القرامطة ، فقبض معز الدولة على جميع قـــواد البريدى بهذه المدينة ، واستخرج أمواله وودائعه واستدعى لؤلؤا — أحد قواده — من بغداد فقلده أعمال البصرة(١٦٢) .

لم يحفل معز الدولة بتهديدات القرامطة ، وعبر الصحراء التى أدعى القرامطة أنها تحت نفـــوذهم ، فتحـــداه القرامطة ورحبوا بأبى القاسم البريدى حين لجأ اليهم(١٦٣) هربا من معز الدولة وفى ذلك يقول مســـكوية :(١٦٤) « فلما صـــاروا فى البرية ورد على الأمير معز الدولة رســـول الهجريين القرامطة بكتاب منهم اليـــه

---

(١٦٠) ابن الاثير : الكامل جـ ٩ ص ١٨٣ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٢ .

(١٦١) القرامطة : طائفة سياسية اتخذت الدعوة الى امامة اسماعيل ابن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق أغراضها وسلاحا للوصول الى ما تصبو اليه ، وقد عرفت بذلك نسبة الى احد دعاتها حمدان بن الاشعث الملقب بقرمط ويقال أنه سمي قرمط لقصور قامته ورجليه .

النويرى : نهاية الارب جـ ٢٣ ص ٥٦ (مخطوط) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٤١ .

(١٦٢) مسكويه / جـ ٦ ص ١١٢ .

(١٦٣) كانت علاقة القرامطة بالبريديين تقوم على نوع من التفاهم والتعاون ، ظلت على حالها الى أن مات ابو عبد الله البريدى سنة ٣٣٢ ق وتولى بعده اخوه أبو الحسين البريدى الذى كان سىء السمعة بين الجند ، فثاروا عليه محاولين قتله ، وولوا مكانه ابا القاسم ابن عبد الله البريدى ، فهرب الى هجر (عاصمة القرامطة) وطلب معونتهم فأعانوه بجيش وحاصروا به ابا القاسم بالبصرة ، وحاربوه ، ولما فشلوا فى مهمتهم أصلحوا ما بين أبى الحسين وأبى القاسم .

مسكويه / جـ ٦ ص ٥٨ ، ابن الاثير / جـ ٨ ص ١٤٥ .

(١٦٤) مسكويه / جـ ٦ ص ١١٢ .

بالانكار عليه فى سلوك البرية من غير أمرهم اذ كانت لهم ، فلم يجب عن الكتاب وقال للرسول : « قل لهم ومن أنتم حتى تستأذنوا فى سلوك البرية ، وكأنى أقصد البصرة ،انما قصدى بلدكم ، واليكم بعد فتحى اياها ، وستعرفون خبركم » .

لم ينفذ معز الدولة تهديده ووعيده للقرامطة ، بل نراه يستعين بهم فى جيوشه ، ويقيم علاقته معهم على أساس من المودة ، ومع ذلك فان القرامطة كانوا ينضمون أحيانا الى أعداء بنى بويه اذا رأوا فى انضمامهم فائدة تعود عليهم ، ففى سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م انضموا الى أمير عمان فى الثـورة التى واجهت معز الدولة فى تلك البلاد . ولما أدرك « ابن دحية » والى عمان فساد العلاقات بين القرامطة ومعز الدولة استعان بهم ووعدهم بفتح البصرة وكادوا يستولون عليها سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م(١٦٥) .

لم يستطع معز الدولة أن ينال من القرامطة الذين ما لبثـوا أن ازداد نفوذهم فى عمان ، وانتهزوا فرصة انقسام زعماء هـذه البلاد لتثبيت أقدامهم فيها ، فأعد معز الدولة قواته . ولما وصلت سيراف انضم اليها الجيش الذى جهزه عضـد الدولة من فارس وساروا الى عمان وتمكنوا من دخولها فى تاسع ذى الحجة وخطب لمعز الدولة فيها(١٦٦) .

تحسنت علاقة البويهيين بالقرامطة نتيجة للمساعدات التى قدمها معز الدولة بختيار لهم فى حربهم ضد الفاطميين ، فقد أمدهم بالمـال والسلاح ، فضـلا عن المعونة التى قدمها لهم أبو تغلب حمدان والى الموصل استجابة لطلبه(١٦٧) .

(١٦٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣٤ ص ١٠٦

(١٦٦) ابن الاثير / جـ ٨ ص ٢٠٤

(١٦٧) يذكر ابن كثير فى البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٥٤ أن سـيف الدولة الحمدانى سير الحديد الى القرامطة ليتخذوا منه سلاحا فأرسل اليهم الشىء الكثير حتى قيل انه قطع لهم ابواب الرقة ، وكانت من حديد صامت (خلم) كما جمع لهم اواقى الباعة من الاسواق ، وبلغ ما أرسله لهم من الكثرة حتى انهم ارسلوا اليه يطلبون عدم ارسال المزيد .

لم تلبث العلاقات أن تبدلت بين البويهيين والقرامطة بعد سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، ذلك أنه بعد وفاة الحسن بن أحمد أمير القرامطة فى هذه السنة قامت الخلافات الداخلية بين قرامطة بلاد البحرين ، وعمل أتباع أبى طاهر على اقصاء ولد أبى سعيد عن الامارة ، ثم استقر الرأى على أن يتولى الحكم فى البلاد اثنان من سادتهم هما جعفر واسحق(١٦٨) فسارا على السياسة التى اتبعها أمراء القرامطة قبل تولية الحسن بن أحمد فى اقامة الدعوة الفاطمية ، ومناهضة بنى العباسى(١٦٩) ، ففى عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م دخل اسحق وجعفر الكوفة فملكاها وأقاما الخطبة لشرف الدولة(١٧٠) .

أدت اغارة القرامطة على الكوفة سنة ٣٧٥ هـ الى انزعاج أهلها لما عرف به القرامطة من شدة البأس وقوة الشكيمة حتى هابهم الناس ، فبعث اليهم صمصام الدولة(١٧١) أمير بنى بويه جيشا أوقع بهم الهزيمة على نهر الفرات وتعقبهم الى القادسية(١٧٢) وبذلك تيسر للبويهيين اخراجهم نهائيا من بلاد العراق .

---

(١٦٨) ذكر ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٤٩ أنه تولى أمر القرامطة بعد وفاة الحسن بن أحمد ستة نفرا اشتركوا جميعا فى الحكم وسموا السادة .

(١٦٩) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٩١

(١٧٠) ابن الاثير : جـ ٩ ص ١٦

شرف الدولة : هو أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة تولى حكم العراق فى خلافة الطائع من سنة ٣٧٦ — ٣٧٩ هـ . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٩٦ .

(١٧١) صمصام الدولة : هو أبو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة تولى حكم بغداد بعد أبيه عضد الدولة . حسن ابراهيم حسن : نفس المرجع والصفحة .

(١٧٢) ابن الاثير : جـ ٩ ص ١٤ — ١٥ .

٣ — حركات الطوائف الاســـلامية

موقف البويهيين من الفاطميين ودعاتهم :

كان البويهيون يعتنقون المذهب الشيعى على مبـــادىء الزيدية التى أدخلها بلاد الديـــلم الحسن بن على الزيـــدى(١) • ومن ثم صاروا لا يعترفون بحق العباسيين فى السيادة على جميع العــــالم الاســـلامى(٢) ، وانما اعتبروهم مغتصبين للخلافة من أصـــحابها العلويين(٣) •

مال البويهييون الى الدعوة الفاطمية وتأثروا الى حد كبـــير بالدعاية الفاطمية فى بلاد المشرق ، فلما قبضوا على زمام السلطة فى بغداد ، وضعف مركز الخليفة تبعا لذلك ، فكروا فى اقامـــة خلافة شيعية بدلا من الخلافة العباسية السنية • فيذكر ابن الأثير(٤) ، أن معز الدولة بن بويه (٣٣٤ — ٣٥٦ هـ / ٩٤٥ — ٩٦٦ م) حاول أن ينقل الخلافة الى المعز لدين الله الفاطمى أو لغيره من العلويين ، غير أن بعض خواصه حذروه من سخط الناس وما قد يتعرض له نفوذه من ضعف بسبب وجود خلافة علوية يطيعها الجند من الديلم ويكونوا أداة فى يد الخليفة يستغلها لمصلحته متى شاء(٥) ، كما أن

---

(١) وهو الملقب بالأطروش ، وقد قام على نشر الاسلام بين أهالى الديلم وطبرستان فى أوائل القرن الرابـــع الهجـــرى وقضى على الوثنية والمجوسية التى كانت منتشرة بينهم •

انظر المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٥١١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٢ ص ٣٦٧ — ٣٩٦ ، الدورى : دراسات العصور العباسية المتأخرة ص ٧٢ — ٧٣

(٢) Arnold (Sir Thomss) : The caliphate. p. 61.

، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٦٨ •

(٣) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٦٢ •

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٥ ص ٨٧ •

عامة الناس فى الاقطار الاسلامية اعتادوا الدعوة العباسية وأطاعوا العباسيين طاعة الله ورسوله(٦) .

وقد أوضح ابن الأثير(٧) تلك المحاولة التى شرع معز الدولة فى تنفيذها ثم لم يلبث أن عدل عنها بقوله : « لقد بلغنى أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه فى اخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله أو لغيره من العلويين ، فكلهم أشار بذلك ما عدا بعض خواصه ، فانه قال : « ليس هذا برأى فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة ، كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه » .

عدل معز الدولة عن محاولته وفضل أن يستبد بالسلطة فى ظل خليفة عباسى ضعيف على أن يكون تابعا لخليفة يعترف بامامته(٨) ، كما أن أمراء بنى بويه الذين خلفوه وأصبحوا مطلقى التصرف فى العراق حذوا حذوه فلم يقدموا على تحويل الخلافة الى أحد العلويين لكنهم ظلوا على اتصال بالفاطميين ، فسمحوا لدعاتهم بنشر عقائد مذهبهم فى بلاد العراق وغيرها من البلاد التى كانت خاضعة لنفوذ بنى بويه(٩) .

كان البويهيون رغم حرصهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسى يؤثرون الفاطميين على العباسيين من الناحية المذهبية ، فقد تبودلت الرسائل الودية بين الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥ — ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ — ٩٩٦ م) وعضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه (٣٦٧ — ٣٧٢ هـ / ٩٧٧ —٩٨٢م) فأعترف هذا الامير باقامة الخليفة الفاطمى ،

---

(٦) الدورى : نفس المرجع السابق ص ٢٤٨ .
(٧) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ١٦٢ .
(٨) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧٠ .
(٩) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ١٠٣ .

كما كان لغارات البيزنطيين المتكررة على الاراضى المتأخمة لحدود كل من الدولتين العباسية والفاطمية أثر كبير فى تقريب مسافة الخلف بينهما وتعاونهما على ايقاف هذا العدو المشترك عند حده ويتبين لنا ذلك من الكتاب الذى بعثه العزيز بالله الفاطمى مع أحد رسله الى عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م وقد جاء فيه « .... ان رسولك وصل الى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ اليك فأدى ما تحمله من اخلاصك فى ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق امامته ، ومحبتك لأبائه الطائعين الهاديين المهديين ، فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك ، ووافق ما كان يتوسمه فيك ، وانك لا تعدل عن الحق .. وقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين وخرام الشام وضعف أهله ، وغلاء الاسعار ، ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه الى الثغور ، وسوف يقدم الى الحيرة ، وكتابه يقدم عليك عن قريب ، فتأهب الى الجهاد فى سبيل الله »(١٠) .

ومن الجدير بالذكر أن رسول العزيز بالله الفاطمى لما وصل الى بغداد استقبل استقبالا حافلا فقد اصطفت الجند على جانبى الطريق ، وأخذ القواد وكبار رجال الدولة أماكنهم كل على حسب مكانته على حين جلس الخليفة الطائع وراء الستر ، حتى اذا ما رفع هذا الستر رأى الحاضرون الخليفة جالسا على عرش مرتفع ويحيط به مئات الحراس ممتشقين سيوفهم ، مرتدين أبهى حللهم ، وأمام الخليفة مصحف عثمان وعلى كتفيه بردة الرسول صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب الملك ، وتقدم عضد الدولة وقبل الأرض . هنا سأل رسول الخليفة الفاطمى وقد أخذت الدهشة منه كل مأخذ : من هذا الذى يسجد له وتقبل الارض بين يديه ؟ أهو الاله العظيم ؟ فأجابه عضد الدولة : « انه خليفة الله وظله على الأرض »(١١) .

(١٠) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٤ — ١٢٥

(١١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ مطبعة الحلبى ١٣٠٥ هـ .
Arnold : The caliphate. pp. 66 - 67.

لما وصل كتاب العزيز الى عضد الدولة أرسل اليه ردا أقره فيه على انتمائه لأهل بيت رسول الله ، وأظهر استعداده لتنفيذ أوامره(١٢). وقد علق أبو المحاسن على هذا الكتاب الذى أرسله عضد الدولة البويهى الى الخليفة العزيز باله الفاطمى بقوله : « وأنا اتعجب من كون عضد الدولة كان اليه أمر الخليفة العباسى ونهيه ، ويقع فى مثل هذا لخلفاء مصر ، وقد علم كل أحد ما كان بين بنى العباس وخلفاء مصر من الشنآن ، وما أظن عضد الدولة كتب له ذلك الا عجزا عن مقاومته ، فانه قرأ كتابه فى حضرة الخليفة الطائع ، وأجاب بذلك بعلمه ، فهذا من العجب »(١٣) .

على أن هذه السياسة التى كانت تنطوى على التودد بين الخليفة الفاطمى وعضد الدولة البويهى ما لبث أن تبدلت فى أواخر عهد هذا الأمير ، بل نراه يجهز قواته لغزو مصر واستردادها من الفاطميين ، بعد أن اتضح له خطر الدولة الفاطمية على سلطان بنى بويه ، فقد ذكر البغدادى (١٤) أن عضد الدولة تأهب للسير الى مصر وانتزاعها من أيدى الباطنية ، وكتب على أعلامه باسلواد : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، الطائع لله أمير المؤمنين ، ادخلوا مصر ان شاء اله آمنين » لكن هذه المحاولة لم تتم بسبب وفاة عضد الدولة ، وقد قيل أن ما قام به هذا الأمير كان نتيجة لشكه فى نسب الفاطميين ، ذلك أنه دعا العلويين ببغداد وقال لهم : « ان الخليفة بمصر يدعى أنه علوى ، فأنكروا انتسابه اليهم ، فبعث الى العزيز رسولا يقول له : « نريد أن نعرف من أنت »

---

(١٢) كتب عضد الدولة رده على رسالة العزيز بالله فى حضرة الخليفة العباس الطائع لله . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٢٥ .

(١٣) أبو المحاسن : نفس المصدر والصفحة .

(١٤) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ص ٢٧٥ — ٢٧٦ مطبعة المعارف ١٩١٠ م .

فعظم ذلك على الخليفة الفاطمى، وأزمع رسول عضد الدولة على العودة الى بغداد وبينما هو فى طريقه اليها قتل بطرابلس(١٥) .

على الرغم من أن البويهيين لم يعملوا على مناصرة الفاطميين فى بداية عهدهم بالعراق ، فانهم ظلوا طوال حكمهم يشجعون المذهب الشيعى الذى يدينون به ، وقربوا اليهم أتباع هذا المذهب ليستعينوا بهم على تحقيق سياستهم فى العراق ، بل عرفوا بتعصبهم للشيعة ، مما أدى الى قيام الثورات من حين الى حين بين الشيعيين والسنيين فى بغــداد(١٦) .

ففى سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) كتب عامة الشيعة ببغداد بأمر معز الدولة على المساجد ما صورته : لعن الله معاوية بن أبى سفيان ، ولعن الله من غصب فاطمة رضى الله عنها فدكا ، ومن منع أن يدفن الحسين عند قبر جده عليه السلام ،ومن نفى أبا ذر الغفارى ، ومن أخرج انعباس من الشورى ، فأما الخليفة فكان محكوما عليه لا يقدر على المنع ، وأما معز الدولة فبأمره كان ذلك ، فلما كان الليل حكه بعــض الناس ، فأراد معز الدولة اعادته، فأشار عليه الوزير أبو محمد المهلبى بأن يكتب مكان ما محى : لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يذكر أحدا فى اللعن الا معاوية ، ففعل ذلك »(١٧) .

وليس أدل على تعصب بنى بويه لشيعة أنهم أرغموا أهل السنة على الاشتراك فى أعياد الشيعيين . ففى يوم عاشوراء من ســنة اثنين وخمسين (وثلثمائة) ألزم معز الدولة الناس بغلق الاســواق ومنع الطباخين من الطبيخ ، ونصبوا القباب فى الاسواق ، وعلقوا عليها المسوح ، وأخرجوا نساء منشورات الشعور يلطمن فى الشوارع

---

(٥) وكان قتله بالسم : المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٣٦ .
، حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص ٢٢٧ .
(١٦) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧٣ .
(١٧) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ١٩٥ .

ويقمن المأتم على الحسين وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد ، واستمرت هذه البدعة سنين(١٨) .

لم تنقطع الثورات بين الشيعة والسنة فى أواخر عهد الخليفة المطيع ، فان أهل السنة نهبوا حوانيت الكرخ بعد أن هاجموا الأحياء الشيعية ويقول ابن الأثير(١٩) فى حوادث سنة ٣٦٢ هـ : « احترق الكرخ حريقا عظيما ، وسبب ذلك أن صاحب المعونة قتل عاميا فثار به العامة والأتراك ، فهرب ودخل دار بعض الأتراك ، فأخرج منها مسحوبا وقتل وأحرق ، وفتحت السجون فأخرج من فيها ، فركب الوزير لأخذ الجناة ، وأرسل حاجبا له يسمى « صافيا » فى جمع لقتال العامة بالكرخ ، وكان شديد العصبية لسنة ، فألقى النار فى عدة أماكن من الكرخ فأحترق حريقا عظيما ، وكان عدة من احترق سبعة عشر ألف انسان ، وثلثمائة دكان وكثير من الدور ، وثلاثة وثلاثين مسجدا ومن الاموال ما لا يحصى » .

كذلك وقعت الفتنة بين السنة والشيعة فى عهد بهاء الدولة (٣٧٩ — ٤٠٣ هـ / ٩٨٩ — ١٠١٢ م) نتيجة لتعرض بعض الهاشميين لابن المعلم(٢٠) (فقيه الشيعة الامامية) فأراد الشيعة أن ينتقموا لامامهم فقصدوا بعض أئمة أهل السنة : كأبى حامد الاسفرائينى(٢١) ، وابن الاكفانى(٢٢) وغيرهما فسبوهما ، ثم عظمت الفتنة بين الفريقين

---

(١٨) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٦١ ، القاهرة ١٣٠٥ هـ

(١٩) الكامل : جـ ٨ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٢٠) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمانى المعروف بابن المعلم والملقب بالشيخ المفيد ، وكان شيخ الشيعة فى عصره ، توفى سنة ٤١٣ هـ . الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٦٥ هامش (١) تحقيق/ فؤاد سيد الكويت ١٩٦١ م .

(٢١) هو : احمد بن ابى طاهر بن احمد الفقيه امام الشافعية توفى فى شوال سنة ٤٠٦ هـ ، الذهبى : نفس المصدر السابق ص ٩٢ — ٩٣

(٢٢) الاكفانى : نسبة الى بيع الأكفان ، وهو قاضى القضاة عبد الله ابن محمد الاسدى البغدادى ولى قضاء العراق سنة ٣٩٦ هـ وتوفى سنة ٤٠٥ هـ .

نفس المصدر السابق ص ٩٠

حتى صاح الشيعة : الحاكم يامنصور « فلم يكن من القادر بالله الا أن أرسل عبيده وخدمه لمعاونة أهل السنة حتى هزموا الشـيعة ، فعمد بهاء الدولة البويهى وكان يتعصب لأهل الشيعة الى اخماد هذه الفتنة ، وعهد الى عميد الجيوش بذلك فأخرج ابن المعلم من بغداد(٢٣) أمـا أبو حامد الاسفرائينى فعاد الى مسجده مكرما(٢٤) .

لم تلبث الفتنة أن تجددت فى بغداد بين السنة والشيعة فى سنة ٤٢٢ هـ بسبب عزم الخزلجى الصوفى(٢٥) الملقب « بالمذكور » على محاربة الشيعة ، واستأذن الخليفة فى ذلك ، فأذن له وكتب له منشورا من دار الخلافة وأعطى علما ، فاجتمع له جمع كثير فساروا ومعهم السلاح وصاحوا بذكر أبى بكر وعمر فأشتبك معهم أهل الكرخ (حى الشيعة) واشتعلت الفتنة ، ونهبت دور اليهود لاتهامهم بمساعدة أهل الكرخ ، وفى اليوم التالى اجتمع أهل السنة ومعهم كثير من الاتراك ، وقصدوا الكرخ فأحرقوا وهدموا الاسواق(٢٦) ، وقتـل كثير من أهله ، واشتد الأمر ، فقتـل العامة ناظر المعـونة المعروف باسـم « الكلالكى » وأحرقوه ، واشتد القتال ، حتى دخل العيارون البلد ، فأجتهد الجنـد فى القبض عليهم ، وأظهروا كراهتهم لجلال الدولة البويهى ، وأرادوا قطع خطبته ، ففرق فيهم مالا وحلف لهم ، الا أنهم عاودوا الشكوى منه الى الخليفة ،فامتنع جلال الدولة عن الظهـور ودامت الحال على ذلك الى عيد الفطر فلم يحتفل به ، واستمر النزاع

---

(٢٣) الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٦٥ — ٦٦
يذكر أن ابن المعلم لم يعد الى بغداد الا بعد أن شفع له على بن مزيد صاحب الحلة .

(٢٤) نفس المصدر والصفحات .

(٢٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٥٥

(٢٦) من هذه الاسواق سوق العروس وسوق الصفارين (النحاسين) وسوق الأنماط (القماشين) وسوق الدقاقين .
ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٥٦ — ١٥٧ .

بين الفريقين حتى شهر ذى الحجة فنودى بالكرخ باخراج العيارين فخرجوا(٢٧) .

انتشار الدعوة الفاطمية فى العراق

لم يدخر الفاطميون جهدا فى سبيل نشر دعوتهم فى بلاد العراق(٢٨) منذ أن نجحوا فى اقامة خلافتهم فى بلاد المغرب ، فقد أرسل عبيد الله المهدى الدعاة الى بغداد وبذل هؤلاء الدعاة نشاطا كبيرا فى نشر دعوتهم ، وقد نوه الخليفة المعز لدين الله(٢٩) بذيوع الدعوة الفاطمية فى كثير من أرجاء العالم الاسلامى فى كتابه الذى أرسله الى الحسن بن أحمد زعيم القرامطة ببلاد البحرين بعد أن انحرف عن الفاطميين وعاداهم(٣٠) فقال : « ... فما من جزيرة فى الارض(٣١)

---

(٢٧) ابن الاثير : جـ ٩ ص ١٥٦ — ١٥٧ ، ابن الجوزى المنظم : جـ ٨ ص ٥٥ — ٥٧

وفى هذه السنة اعترض أهل البصرة من السنة قوما من مدينة « قم » — احدى مدن اقليم الجبال بفارس — بعض الشيعة ارادوا زيارة مشهد الحسين وعلى وقتلوا منهم ثلاثة أشخاص .

ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٥٧ .

(٢٨) تعود تلك الدعوة بأصولها ونشاطها الى أواخر القرن الثانى الهجرى ، حيث عمد دعاة الاسماعيلية (وهى فرقة من فرق الشيعة عرفت بذلك نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق) الأوائل الى التخفى حتى لا يتعرضوا للضرر والأذى من قبل العباسيين ومن هؤلاء عبد الله بن ميمون القداح ولما وقف رجال الدولة العباسية فى بغداد على نشاطه أمروا عمالهم فى الأقاليم بالقبض عليه ، فهرب مع داعية آخر يعرف بالحسين الاهوازى الى سلميه (من أعمال حماة بالشام) حيث اتخذها دار هجرة ومركزا رئيسيا لانفاذ الدعاة الى العراق وغيره من أرجاء العالم الاسلامى .

الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفاء ص ٥٥ — ٥٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ١١٩ — ١٢٠ .

(٢٩) أبو تميم معد بن اسماعيل المنصور بن المهدى .

(٣٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٢٥١ .

(٣١) نظام الاسماعيلية دعوتهم تنظيما دقيقا يقوم على نظام دورة
=

ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون لنا ، ويدلون علينا ، ويأخذون تبعتنا ، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا بتصاريف الغات ، واختلاف الالسن وفى كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون »(٣٢) ٠

وعلى الرغم من يقظة العباسيين تجاه الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق ، فقد اتخذ دعاة الفاطميين وأنصارهم الحيطة لأنفسهم ، واستطاعوا المحافظة على سرية الدعوة ، يدل على ذلك ما ذكره ابن الأثير(٣٣) عن حكاية القرمطى الذى وشى به الى الوزير على بن عيسى ورفض أن يدل على أصحابه ، وكان مصيره القتل ، غير أن هؤلاء الدعاة ما لبثوا أن خرجوا من دور الستر الى الظهور ، فكان القرامطة وأنصار الدعوة الفاطمية يجتمعون فى مسجد « براثا » ببغداد ، وكان لهم خواتيم من طين أبيض ويختمها « الكعكى » (أحد زعماء الشيعة) وعليها أسم امام دعوتهم محمد بن اسماعيل الامام المهدى ولى الله(٣٤) ٠

كان الخليفة المعز لدين الله الفاطمى يتطلع الى بسط نفوذه على بلاد العراق ، ويتبين لنا ذلك من حديثه الى رسول الامبراطور البيزنطى الذى جاء الى مصر قبيل وفاته سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م اذ

= الفلك ، فقسموا العالم اثنى عشر قسما ، وجعلوا كل قسم جزيرة وجعلوا على كل جزيرة داعيا لقب داعى دعاة الجزيرة او حجة الجزيرة ، وجعلوا لكل جزيرة ثلاثين داعيا نقيبا لمساعدة داعى دعاة الجزيرة فى الدعوة ، وجعلوا لكل نقيب اربعة وعشرين داعيا اثنى عشر ظاهرين واثنى عشر مستترين ٠ محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٣٣ — ١٣٤ ٠

(٣٢) المقريزى : نفس المصدر ص ٢٥١ — ٢٥٨

(٣٣) الكامل : جـ ٨ ص ٥٩ ٠

(٣٤) وكان العباسيون يعرفونهم بهذه الخواتيم فيقبضون عليهم ٠ ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ١٩٥ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٢٠ ، بندلى جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ص ١٣٤ — ١٣٥ ٠

قال له : « اتذكر اذ أتيتنى رسولا وأنا بالمهدية(٣٥) ، فقلت لك لتدخلن على وأنا بمصر مالكا لها . قال : نعم . قال : وأنا أقول لك لتدخلن على بغداد وأنا خليفة »(٣٦) .

تابع خلفاء الفاطميين جهودهم فى نشر الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق ، فاستطاع الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥ — ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ — ٩٩٦ م) بفضل اهتمامه بأمر الدعوة وانفاقه الاموال الكثيرة لهذا الغرض ، أن يستميل بعض أمراء العرب فى أعالى العراق الى جانب الدولة الفاطمية ففى المحرم من سنة ٣٨٢ هـ (مارس ٩٩٢ م) أعلن حاكم الموصل أبو الدرداء بن المسيب العقيلى ولاءه للفاطميين ، فأقام الخطبة فى الموصل للعزيز بالله ، وأمر أن ينقش اسمه على الاعــلام والسكة(٣٧) .

كذلك نجح الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى فى استمالة قرواش ابن المقلد الملقب بمعتمد الدولة أمير بنى عقيل فى الموصل ، فخرج على طاعة الخليفة العباسى القادر الله سنة ٤٠١ هـ ، وأظهر طاعة الحاكم بأمر الله وأقام الدعوة له(٣٨) .

يقول أبو المحاسن(٣٩) عن اقامة الخطبة فى الموصل للحاكم بأمر الله « أحضر (معتمد الدولة) الخطيب يوم الجمعة رابع المحــرم (سنة ٤٠١ هـ) وخلع عليه قباء ديبقيا(٤٠) وعمامة صــفراء وسراويل

(٣٥) المهدية : على بعد مرحلتين جنوبى القيروان ، وكانت حاضرة الفاطميين فى بلاد المغرب .
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٨ ص ٢٠٦

(٣٦) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٣٩ .

(٣٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٥٢ — ٥٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة / جـ ٤ ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٣٨) ابن الجــوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ، ابن الاثير : جـ ٩ ص ٨٣

(٣٩) النجوم الزاهرة : جـ ٤ ص ٢٢٤ .

(٤٠) نسبة الى ديبق التى تقع بنواحى بحيرة تنيس بمصر .
الثعالبى : لطائف المعارف هامش ٢٢٧ .

ديباج أحمر وخفين أحمرين وقلده سيفا وأعطاه نسخة ما يخطب به ، ومما ورد فى هذه الخطبة « ... اللهم وصـــل على وليك الازهر ، وصديقك الأكبر على بن أبى طالب أبى الخلفاء الراشدين المهديين ، اللهم وصل على السبطين الطاهرين الحسن والحسين ، وعلى الأئمة الابرار والصفوة الأخيار ، من أقام وظهر ومن خاف فاستتر ، اللهم صلى على الامام المهدى بك والذى بلغ أمرك وأظهر حجتك ونهض بالعدل فى بلادك . الهم وصل على القائم بأمرك والمنصور بنصرك ، اللذين بذلا نفوسهما فى رضائك وجاهدا أعدائك ، اللهم وصل على المعز لدينك المجاهد فى سبيلك .. اللهم وصل على العزيز بك ، الذى مهدت به البلاد وهديت به العباد . اللهم وأجعل نوامى صلواتك وزواكى بركاتك ، على سيدنا ومولانا امام الزمان وحصن الأمان وصاحب الدعوة العلوية ، والملة النبوية ، عبدك ووليك المنصور أبى على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين . كما صليت على أبائه الراشدين . الهم وفقنا لطاعته وأجمعنا على كلمته ودعوته ، اللهم وأعنه على ما وليته وأحفظه فيما استرعيته ... وأنصر جيوشه وأعلى أعلامه فى مشارق الارض ومغاربها انك على كل شىء قدير »(٤١) .

كما أمر « قرواش » عماله فى البلاد التى كانت فى حوزته أن يقيموا الدعوة الفاطمية فيها(٤٢) فخطب للحاكم بأمر الله فى كل من الأنبار والقصر والمدائن والكوفة والجامعين وغيرها مما حمل العلويين والعباسيين المقيمين ابلكوفة على الهرب الى بغداد(٤٣) .

---

(٤١) انظر ابو المحاسن : جـ ٤ ص ٢٢٥ — ٢٢٧ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٤٩ — ٢٥١ ، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧٤ .

(٤٢) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٨٣ ، ابن الـــوردى : تاريخـــه جـ ١ ص ٣٢٢ — ٣٢٣ ، الداواداری : الدرة المضية ص ٢٨٣ .

(٤٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٥١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٤٤٢ .

موقف الخلفاء العباسيين من انتشار الدعوة الفاطمية فى العــراق :

لمــا رأى الخليفة القادر بالله العبــاسى (٣٨١ — ٤٢٢ هـ / ٩٩١ — ١٠٣١ م) ان انتشار الدعوة الفاطمية فى بعض بلاده يشكل خطرا جديا على خلافته . أنفذ الى الأمير البويهى « بهاء الدولة » القاضى أبا بكر الباقلانى ليطلعه على حقيقة الموقف(٤٤) ، ويبــدو أن بهاء الدولة أدرك خطورة النفوذ الفاطمى فى بلاد العراق على بنى بويه ، وقد عبر عن ذلك حين قال لرسول الخليفة العباسى « والله ان عندنا من هذا الأمر أكثر مما عند أمير المؤمنين ، لأن الفساد علينا به أكثر ... وان دعت الحاجة الى سيرنا ، كنا أول طالع على أمــير المؤمنين »(٤٥) . ثم كتب بهاء الدولة الى عميد الجيوش(٤٦) يأمره بالمسير الى حرب قرواش بن المقلد وأطلق له مائة ألف دينار يستعين بها على نفقات العسكر ، ثم خلع على القاضى أبى بكر الباقلانى وولاه قضاء عمان والسواحل(٤٧) .

لمــا عرف « قرواش » بعزم الأمير البويهى على محاربته أوقف الدعوة الفاطمية فى بلاده ، وخطب للقادر بالله ، وبعث الى عميــد الجيوش يعتذر له(٤٨) ، وكان الحاكم بأمر الله قد بعث الى قرواش ابن المقلد ثلاثين ألف دينار لقاء اقامة الخطبة له ، فلما وصل رسول الخليفة الفاطمى الى الرقة وعلم باعادة الخطبة للخيفة العباسى فى

---

(٤٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٥١

(٤٥) نفس المصدر والصفحة .

(٤٦) هو ابو على الحسين بن ابى جعفر . كان ابوه من حجاب عضد الدولة ، وجعل ابنه هذا برسم صمصام الدولة ، فخدم صمصام الدولة وبهاء الدولة فولاه بهاء الدولة العراق .

ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٢٢٨ .

(٤٧) ابن الجــوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٥١ والسواحل : امارات الجنوب العربى .

(٤٨) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٨٣ ، ابو المحاسن : جـ ٤ ص ٢٢٧ .

الموصل وأعمالها ، امتنع عن المسير الى قرواش ، وسلم ما معه من الأموال الى والى الرقة ، وكان من عمال الفاطميين(٤٩) •

لم تقف جهود الخليفة القادر بالله العباسى فى مناهضة الدعوة الفاطمية عند هذا الحد ، بل عمد بعد أن بلغه ما لقيته هذه الدعوة من نجاح وامتداد النفوذ الفاطمى الى كل من مكة والمدينة الى سلاح التشهير بالفاطميين والطعن فى نسبهم للغض من شأنهم أمام العالم الاسلامى • فعقد فى ربيع الآخر من سنة ٤٠٢ ﻫ (نوفمبر ١٠١١ م) مجلسا حضره الفقهاء والقضاة والشهود والاشراف وقدم اليهم محضرا وقعوا عليه يتضمن الطعن فى نسب الفاطميين الى على رضى الله عنه ، ويؤيد أنهم منسوبون الى ديصاق بن سعيد الخرمى شهادة يتقربون بها الى الله ومعتقدين ما أوجب الله على العلماء أن ينشروه للناس ، فشهدوا جميعا أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم — حكم الله عليه بالبوار والخزى والنكال هو ومن تقدمه من سلفه أدعياء خوارج ، لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب وأن ذلك باطل وزور ••• »(٥٠) •

وكان من بين الموقعين على هذا المحضر فريق من فقهاء الشيعة وأشرافهم(٥١) ، وقد قرئت نسخ من هذا المحضر فى بغداد

---

(٤٩) ابن الجوزى : المنتظم ﺟ ٧ ص ٢٥١ •
وكان ذلك بناء على أوامر من الخليفة الحاكم بأمر الله •

(٥٠) المنتظم : ﺟ ٧ ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، الكامل : ﺟ ٩ ص ٨٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفاء ص ٥٨ — ٦٠ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر ﺟ ٣ ص ٧٦ — ٧٨ •

(٥١) ابن الجوزى : المنتظم ﺟ ٧ ص ٢٥٥ •
منهم الشريف الرضى واخوه الشريف المرتضى وأبوهما الشريف أبو أحمد الموسوى ، وابن الأزرقى الموسوى وأبو طاهر بن أبى الطيب وابن أبى يعلى وأبو محمد بن الاكفانى وأبو القاسم الجزرى وأبو العباس السورى وأبو حامد الاسفرائينى وأبو محمد الكشفلى والفقيه أبو الحسين القدورى وأبو عبد الله الصيمرى وأبو عبد الله البيضاوى وأبو القاسم التنوخى وأبو الفضل النسوى وأبو جعفر النسفى •
انظر المنتظم : ﺟ ٧ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ابن الاثير : ﺟ ٩ ص ٨٨ ، اتعاظ الحنفا ص ٤٥ — ٤٧ •

والبصرة(٥٢) ، ويبدو أن الشريف الرضى لم يكن من بين الموقعين على المحضر ، ولعل ميله الى الفاطميين كان من الاسباب التى حملته على الامتناع عن التوقيع عليه ، يؤيد هذا القول تلك القصيدة التى نظمها وأثبت فيها صحة نسب الفاطميين ومنها هذه الأبيات :

ما مقـــامى على الهـــوان وعندى
مقـــول صـــارم وأنف حـــمى
ألبـــس الـــذل فى بـــلاد الأعـــادى
وبمصـــر الخليفـــة العـــلوى
من أبـــوه أبى ومـــولاه مـــولا
ى اذا ضـــامنى البعيـــد القصـــى
لـــف عـــرقى بعـــرقه ســـيد النـــا
س جميعـــا : محمـــد وعـــلى
ان ذلـــى بـــذلك الـــجو عـــز
وأوامى بـــذلك النقـــع رى (٥٣)

ويقول ابن الأثير : « ان الشريف الرضى لم يودع هذه القصيدة ديوانه خوفا » ، ويعلق على ذلك بقوله « ولا حجة بما كتبه فى المحضر المتضمن القدح فى أنسابهم ، فان الخوف يحمل على أكثر من هذا » (٥٤) .

---

(٥٢) المنتظم : جـ ٧ ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، الكامل : جـ ٤ ص ٢٣٠

(٥٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٣٥ — ٤٠ ، النجوى الزاهرة : جـ ٤ ص ٢٣٠ .

والأوام بضم الهمزة : العطش ، وقيل شدته وحره .

والنقع : محبس الماء وكل مجتمع ماء نقع (انظر : لسان العرب جـ ١ ص ١٣٤ ، جـ ٣ ص ٧٠٦ ومعنى الأبيات أن الشريف الرضى يرى أن ذله فى رحاب الخليفة الفاطمى هو فى الحقيقة العز بعينه وأن عطشه بجانبه هو الرى الحقيقى ، فالشاعر يتطلع أن يحيا بجانب من يشاركه فى النسب مهما جرت عليه هذه الاقامة من آلام .

(٥٤) ابن الاثير / جـ ٨ ص ٢٤ .

ولما سمع الخليفة القادر بالله هذه الأبيات عقد مجلسا واستدعى اليه الشريف الطاهر أبا أحمد الموسوى والد الشريف الرضى وشكا اليه قائلا : « لا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترضاه ويكون ولدك على ما يضادها » ،كما أن كاتب الخليفة (عبد العزيز بن حاجب النعمان) تعجب من قول الشريف الرضى فى شعره فقال : « أى هوان قد أقام عندنا ؟ وأى ضيم لقى من جهتنا ؟ وأى ذل أصابه فى مملكتنا ؟ وما الذى يعمل به صاحب مصر ولو مضى اليه ؟ أكان يضع اليه أكثر من ضيعتنا ؟ وجعلناه أمير الحجيج ، فهل كل يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟ ما يظن كان يكون — لو حصل عنده — الا واحدا من أبناء الطالبين بمصر »(٥٥) ٠

أنكر والد الشريف الرضى أن تكون هذه الأبيات من شعر ولده ، واحتج بأنها من صنع أعدائه وأنهم نسبوها اليه نكاية به ، ثم أمر الخليفة القادر أن يكتب محضر ، فلما فرغ منه وقعه الحاضرون وكان من بينهم الشريف أبو أحمد الموسوى وولده أبو القاسم المرتضى وفريق من فقهاء الشيعة وأعيانهم ، فلما أرسل الى الشريف الرضى للتوقيع عليه امتنع عن ذلك وقال : « لا أكتب وأخاف دعاة مصر » وانكر الشعر ، وحينما ألح والده عليه قال : « أخاف دعاة المصريين وغيلتهم فانهم معروفون بذلك » فأجابه والده : « يا عجبا أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع » وأقسم ألا يكلمه وكذلك المرتضى خوفا من الخليفة القادر(٥٦) ٠

على أنه يتضح من رواية ابن الاثير أن الشريف الرضى قال هذا الشعر قبل التوقيع على المحضر الذى كتبه الخليفة القادر ، ومن المرجح أنه قاله فى الفترة ما بين عامى ٣٩٦ ، ٤٠٠ هـ وهو نقيب للعلويين ، فقد تقلد هذا المنصب عام ٣٩٦ هـ (١٠٠٥ م)(٥٧) ٠

---

(٥٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٣٥ — ٤٠ ٠
(٥٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٣٥ — ٤٠ ٠
(٥٧) الكامل فى التاريخ : جـ ٩ ص ١٨٩ ، ص ٢١٩ ٠

كان لمحضر الطعن الذى أصدره الخليفة القادر أثره على سلوك الشيعة فى بغداد ، فأحتفلوا بيوم الغدير فى سكينة وهدوء(٥٨) ، أما بالنسبة للفاطميين فقد كان له وقع سىء فى بلاط القاهرة(٥٩) ٠

أراد الخليفة القادر وهو فى حربه للدعوة الفاطمية القضاء على الفرق الدينية الأخرى التى ذاعت مذاهبها وقتذاك فى بلاد العراق ، فعمل على مناهضتها لصلتها بمبادىء الشيعة ففى سنة ٤٠٨ هـ استتاب القادر بالله الشيعة والمعتزلة عن المقالات المخالفة للسنة ، ونهاهم عن الكلام فيها وتدريسها أو المناظرة حولها ، ووقع التائبون من الشيعة والمعتزلة على محضر بذلك ، ثم تهددهم الخليفة بأنهم متى خالفوه حل بهم النكال والعقوبة وما يتعظ به أمثالهم(٦٠) ٠

ويمكن القول بأن الظروف التى أدت بالقادر الى اتخاذ هـذه الخطوة قد نبعت من داخل العراق ، فقد استمرت الفتن بين السـنة والشيعة ، وازداد خطرها ، وأضطر رجال دولته الى مواجهتها بالحزم اللازم ، ففى سنة ٤٠٦ هـ عاقب فخر الملك — وزير سلطان الدولة البويهى — الشيعة بمنعهم من ممارسة بعض شـعائرهم فى يـوم عاشوراء(٦١) ، وفى العام التالى (٤٠٧ هـ) انتصرت السنة على الشيعة ، وهرب وجوه الشيعة الى على بن مزيد (صاحب الحلة) وهو شيعى فأستنصروا به(٦٢) ، وفى سنة ٤٠٨ هـ تكررت الفتنة(٦٣) وازدادت ، وقتل عدد من السنة والشيعة ، فأضطر صاحب الشرطة الى اشعال النار قريبا من الكرخ (حى الشيعة) فتوقفت الفتنة(٦٤) ٠

---

(٥٨) الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٧٩ ٠
(٥٩) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص ١٨٣ ٠
(٦٠) انظر المنتظم : جـ ٧ ص ٢٨٧ ، الكامل : جـ ٩ ص ٣٠٥ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٩٨ ٠
(٦١) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٢٦٣ ٠
(٦٢) الكامل : جـ ٩ ص ٢٩٥ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٩٦ ٠
(٦٣) العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٩٨ ٠
(٦٤) الكامل : جـ ٩ ص ٣٠٥ ، العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٩٨ ٠

لم يقف الخليفة القادر بالله مكتوف الأيدى ازاء حركات الطوائف الاسلامية فى بلاد العراق ، وليس أدل على اهتمامه بالاحتفاظ بسيادة مذهب أهل السنة فى تلك البلاد ، من مشاركته فى الحركة الفكرية المناهضة لمذاهب الفرق الدينية الأخرى ، فعقد مجلسا فى دار الخلافة سنة ٤٢٠ هـ دعا اليه الاشراف والقضاة والشهود والفقهاء والوعاظ وقرأ عليهم كتبا تتضمن الوعظ وتفضيل مذهب أهل السنة وذكر فضائل أبى بكر وعمر والطعن فى عقائد المعتزلة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكان فى كل اجتماع تؤخذ توقيعات الحاضرين على الكتب(٦٥) .

ويبدو أن سلوك الخليفة القادر قد أثار نقمة الشيعة وأحدث رد فعل متطرف لدى بعضهم ، فاذا بأحد الخطباء الشيعيين يغالى (يبالغ) فى وصف الامام على فى خطبة الجمعة، فبعد أن صلى على النبى ، صلى على أخيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ووصفه بأنه مكلم الجمجمة ، ومحيىء الأموات ، البشرى والآلهى ، مكلم أهل الكهف والى غير ذلك من الغلو المبتدع »(٦٦) فقبض على هذا الخطيب وحبس فى دار الخلافة ، وأرسل الخليفة الى هذا المسجد خطيبا سنيا ، لم يذكر فى خطبته شيئا من فضائل على، بل ختم خطبته بقوله : اللهم اغفر للمسلمين ومن زعم أن عليا مولاه ، فرماه الشيعة بالآجر ، فتألم لذلك القادر واستدعى زعماء الشيعة وأرسل فى ذلك كتابا شديد اللهجة الى الأمير البويهى ، كما أرسل الى قائد الجيش يطالبه بمعاقبة هؤلاء الكفرة ، الذين خرجوا عن الاسلام ، وأن يعيد الى الاسلام هيبته ، وأن يخرج بعسكره « ليكون الخطيب فى صحبتهم ويجرى الأمر فى الخطبة الاسلامية على تقويها ورغم من رغم »(٦٧) .

---

(٦٥) المنتظم جـ ٨ ص ٤١ ، فون كريمر : الحضارة الاسلامية ومدى تاثرها بالمؤثرات الاجنبية ص ١٤٦ — ١٤٧ .
تعريب / مصطفى طه بدر ، دار الفكر العربى .

(٦٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٤١ — ٤٢ .

(٦٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٤٣ .

انتهى الأمر بين الخليفة القادر والشيعة ، عندما توجه فريق من زعماء الشيعة ، على رأسهم الشريف المرتضى الى دار الخلافة ، فأعتذروا للخليفة ، وطالبوا اقامة خطيب لهم عملت له نسخة يعتمدها فيما يخطب ويتجنب في خطبته ما يحفظ الشيعة »(٦٨) •

لم يكتف الخليفة القادر بذلك ، بل عزل جميع أئمة المساجد من الشيعة ، وعين مكانهم أئمة من أهل السنة(٦٩) ، رغبة منه في وقف النفوذ الفاطمى فى العراق ، كما أمر بعدم التعامل بالدنانير المغربية ، وطلب من الشهود ألا يشهدوا فى كتاب ابتياع أو مداينة يذكر فيها هذا الصنف من النقود ، فأضطر الناس الى تركها والتعامل بالنقود القادرية والنيسابورية(٧٠) •

ولم تقتصر جهود الخليفة القادر بالله ، على استتابة المعتزلة ، بل عقد المجالس فى دار الخلافة خلال عام ٤٢٠ هـ ودعا اليها الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد وقرىء عليهم كتابا طويلا ألفه فى الاعتقاد ، ذكر فيه أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ، وما روى عنه فى أمور الدين ، وخرج من ذلك الى الطعن على من يقول بخلق القرآن وتفسيقه ، ثم ختم القول بالوعظ والنهى عن المنكر ، وكانت تؤخذ توقيعات الحاضرين فى آخر هذه المجالس(٧١) •

---

(٦٨) نفس المصدر : ص ٤٥ •

(٦٩) فون كريمر : الحضارة الاسلامية ص ١٤٧ •

(٧٠) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٨٨ •

(٧١) المنتظم جـ ٨ ص ٤١ ومن الجدير بالذكر أن الخليفة القائم بأمر الله أخرج فى سنة ٤٣٣ هـ الاعتقاد القادرى الذى ألفه القادر بالله فقرىء فى الديوان وحضره الزهاد والعلماء •

انظر نص الاعتقاد القادرى فى المنتظم جـ ٨ ص ١٠٩ — ١١١ •

على أن الدعوة الفاطمية لم يقضى عليها فى بلاد العراق رغم تلك الجهود التى بذلها الخليفة القادر بالله ، فقد أرسل الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى سنة ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ م الدعاة الى بغداد مستغلا الاضطراب الذى ساد هذه المدينة من جراء النزاع بين أمراء بنى بويه والخلاف بين جند الأتراك ، فاستجاب لهم كثير من الناس(٧٢) .

(٧٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٢٧٦ ، جمال سرور / سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧٧ — ١٧٨ .

الباب الثاني

الأوضاع السياسية فى الدول الفارسية التى قامت فى شرق الـــدولة الاســـلامية

---

١ ــ البويهيين فى بلاد الفرس :

(أ) سياسة بنى بويه فى بلاد الفرس ٠

(ب) موقف البويهيين من الزياريين ٠

٢ ــ السامانيون فى خراسان وما وراء النهـــر :

(أ) الموقف السياسى الداخلى فى دولة السامانيين ٠

(ب) السامانيون وعلاقتهم بالخلافة العباسية ٠

(جـ) سياسة السامانيين تجاه البويهيين ٠

(د) السامانيون والأتراك الشرقيون (القره خانيون) ٠

الباب الثانى

الأوضاع السياسية فى الدول الفارسية التى قامت فى شرق الدولة الاسلامية

١ — البويهيون فى بلاد الفرس

(أ) سياسة بنى بويه فى بلاد الفرس : لم يعمل البويهيون على اقامة دولة مركزية يدير سياستها حاكم واحد ، بل اقتسم أعضاء أسرتهم فيما بينهم البلاد التى استولوا عليها ، كما لم يتخذوا عاصمة معينة ، لأن كل أمير منهم كان يقيم فى المدينة التى تقع فيها منطقة نفوذه[١] فكانت علاقة عماد الدولة على بن بويه فى فارس بأخويه معز الدولة فى العراق وركن الدولة فى الري وهمذان وأصبهان ، تقوم على أساس متين من المودة والصفاء[٢] .

وليس أدل على ما ساد بين أمراء بنى بويه من وئام ووفاق ومودة من أن عماد الدولة على بن بويه حينما اقترب أجله ، أرسل الى أخيه ركن الدولة يطلب منه ارسال ابنه عضد الدولة فناخسرو ليجعله ولى عهده ووارث ملكه بفارس ، حيث أن عماد الدولة لم يكن له ولد ذكر يخلفه فأرسل ركن الدولة ابنه عضد الدولة الى عمه قبل وفاته بسنة ، وصار فى جملة ثقاته وأصحابه وخرج عماد الدولة الى لقائه فى جميع عسكره ، وأجلسه فى داره على السرير (العرش) ووقف هو بين يديه ، وأمر الناس بالسلام على عضد الدولة وطاعته ، وكان يوما عظيما مشهودا . وكان

---

(١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٨٦ — ٨٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٧٤ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٠ .

فى قواد عماد الدولة جماعة يطمعون فى ملكه . ويرون أنفسهم أحق بوراثته فلما نزل عن ملكه لابن أخيه ، خشى عليه منهم ، فقبض عليهم وشتت شملهم[٣] .

لما توفى عماد الدولة على بن بويه بشيراز فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٨ هـ (نوفمبر ٩٤٩ م) خلفه فى حكم فارس ابن أخيه عضد الدولة ، غير أن نفوذه لم يستقر فى هذه البلاد بسبب سخط قواد البويهيين عليه[٤] ، واستمرت العلاقات بين عضد الدولة وعمه معز الدولة على أساس من المودة والصفاء حتى توفى معز الدولة فى ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ (فبراير ٩٦٧ م) وخلفه ابنه عز الدولة بختيار ، الذى أثار سخط قواده وكبار رجال أسرته ، ولم يعمل بوصية أبيه التى تضمنت طاعة عمه ركن الدولة واستشارته فى أموره الهامة والرجوع الى ابن عمه عضد الدولة[٥] ، فاتخذ عضد الدولة من ذلك فرصة لبسط نفوذه على البلاد التابعة له ، ففى سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٨ م) قامت الثورة فى بلاد كرمان ، فاستولى عليها عضد الدولة وأقطعها ابنه أبا الفوارس[٦] كذلك اتخذ عضد الدولة من ضعف نفوذ عز الدولة بختيار فى « عمان »[٧] فرصة لاقامة الدعوة لنفسه فيها وبسط نفوذه عليها فلما ثار الزنج[٨] على « عمر بن نهيان الطائى »[٩] عامله هناك وقتلوه ، وولوا عليهم

(٣) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ١٢٢ .
، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ١٧٣ — ١٧٤ .
(٤) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٧٤ .
، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٣٠٠ .
(٥) ابن الأثير / الكامل جـ ٨ ص ٢٠٧
(٦) الذى ولى بعده ولقب شرف الدولة (٣٧٢ — ٣٧٩ هـ / ٩٨١ — ٩٨٩ م) .
(٧) على الخليج العربى .
(٨) هم بقايا الزنج الذين اقلقوا الخلافة العباسية فى منتصف القرن الثالث الهجرى اكثر من اربع عشرة سنة (٢٥٥ — ٢٧٠ هـ / ٨٦٩ — ٨٨٤ م) وكانت ثورتهم فى منطقة المستنقعات الممتدة بين واسط والبصرة .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٣٧٥ — ٣٧٩ .
(٩) ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٣٢ .

رجلا منهم يعرف بابن الحلاج[١٠] ، أرسل عضد الدولة جيشا[١١] من كرمان استرد « عمان » فى سنة ٣٦٢ هـ ، ثم قضى على الثوار نهائيا فى السنة التالية[١٢] .

لم تستقر الأحوال لعز الدولة بختيار ، فقد وقف الأتراك وعلى رأسهم سبكتكين الحاجب الى جانب الخليفة الطائع لله ، فى عدائه له وقامت الحرب بين الفريقين فى المحرم سنة ٣٦٤ هـ (سبتمبر ٩٧٤ م) ، فاستنجد عز الدولة بابن عمه عضد الدولة ، الذى تظاهر بمساعدته ، الا أنه كان يعمل على بسط نفوذه فى بلاد العراق ، فأثار الأتراك على عز الدولة ووقف الى جوار الخليفة ضد عز الدولة ، وقبض على زمام الأمور فى العراق[١٣] .

لما بلغ ركن الدولة موقف عضد الدولة العدائى من عز الدولة بختيار[١٤] ، هدده بالمسير اليه اذا لم يرده الى ولايته ، فاضطر عضد الدولة الى اعادة بختيار لامارته ، بعد أن أخذ العهـد والمواثيق على عز الدولة أن يكون نائبا عنه فى العراق[١٥] ، غير أن عضد الدولة ما لبث أن سار نحو العراق بعد وفاة أبيه فى المحرم سنة ٣٦٦ هـ (أغسطس ٩٧٦ م)[١٦] وحارب جيوش بختيار فى واسط ، وأحل به الهزيمة فى

---

(١٠) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٣٨ .
(١١) جعل عليه ابا حرب طغان .
ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٣٨ .
(١٢) ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .
(١٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٦٣ .
، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .
(١٤) ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٣٤ .
(١٥) ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٣٤ — ٢٣٦ .
(١٦) نزل ركن الدولة عما بيده من الملك قبل وفاته لأولاده ، فجعل فارس وكرمان لعضد الدولة ، والرى واصبهان لمؤيد الدولة ، وهمذان والدينور لفخر الدولة .
ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٨٠ .
السيوطى : ص ١٦٣ .

تكريت وأسره وبعث به الى بغداد حيث قتل ، وصفا له الجو فى العراق (فى صفر سنة ٣٦٧ هـ / سبتمبر ٩٧٧ م) وخلع عليه الخليفة الطائع وطوقه وسوره وقلده سيفا وعقد له لوائين[١٧] .

كان عضد الدولة من أقـدر أمراء بنى بويه وأبعدهم نظرا فى السياسة والادارة ، فقام بعدة اصلاحات ، وأعاد الأمن والرخاء فى بلاد العراق وفارس ، كما تميز عهده باتساع سيادة البويهيين[١٨] ، ويقول عنه نظام الملك[١٩] : « لم يكن هناك بين ملوك الديلم ولا من غيرهم من الملوك من كان أيقظ عينا ولا أذكى فؤادا ولا أبعد نظرا من عضد الدولة ، وكان محبا للعمران كبير الهمة ، فاضـلا ذا سياسة وكياسـة » .

أقطع عضد الدولة ابنه شرف الدولة « كرمان » عندما استولى عليها سنة ٣٥٧ هـ ، ولما توفى[٢٠] فى شوال سنة ٣٧٢ هـ (مارس ٩٨٤ هـ) خرج شرف الدولة من كرمان الى فارس ، وقبض على « نصر بن هارون » وزير أبيه وقتله لاساءته معاملته أيام أبيه ، وأظهر العداء ضد أخيه صمصام الدولة[٢١] ، وقطع خطبته وخطب لنفسه وتلقب بتاج الدولة ، وفرق الأموال ، وجمع الرجال ، وبعد أن استولى على البصرة أقطعها أخاه أبا الحسين[٢٢] .

---

(١٧) مسكويه : جـ ٦ ص ٣٨٢ — ٣٨٣ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٣٤٩ ، السيوطى : ص ١٦٣ .

(١٨) اتسعت أملاك عضد الدولة وصار له العراق والجزيرة والأهواز وفارس والجبال والرى وجرجان واستولت جيوشه على بلوخستان ومكران فضلا عن عمان ، عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ .

(١٩) سياست نامه ص ١٠٧ ترجمة / السيد محمد العزاوى .

(٢٠) اجتمـع القواد بعد وفاة عضد الدولة على بيعة ابى كاليجار المرزبان الملقب بصمصام الدولة . ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٩ .

(٢١) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٩ .

(٢٢) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٩ .

ويبدو أن صمصام الدولة كان يخشى منافسة أخيه الأكبر شرف الدولة . لذلك نراه حين ولى أمور العراق ، يخلع على أخويه أبى الحسين وأبى طاهر فيروزشاه ، ويقطعهما فارس ، غير أن شرف الدولة كان قد سبقهما الى دخولها فعادا الى الأهواز[٢٣] .

وفى سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) قصد شرف الدولة الأهواز ، وأرغم أخاه أبا الحسين على الفرار ، واستولى عليها ، كما استولى على البصرة ، وقبض على أخيه أبى طاهر فيروزشاه ، وخشى صمصام الدولة ازدياد خطر أخيه شرف الدولة ، فتم الصلح بينهما على أن يذكر اسم شرف الدولة المنابر فى بلاد العراق وسائر البلدان قبل اسم صمصام الدولة ، وأن يكون صمصام الدولة نائبا عن أخيه فى حكم العراق ، ويطلق سراح أخاه بهاء الدولة (من حبسه) ويرسله اليه[٢٤] ، غير أن هذا الصلح لم يتم ، ففى سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) سار شرف الدولة من الأهواز الى واسط فاستولى عليها ، ولما استشار صمصام الدولة أصحابه نصحوه بالمسير الى الموصل وبلاد الجبل حيث تتاح له فرصة مقاومة أخيه شرف الدولة وبذر الشقاق بين أنصاره من الديلم والأتراك ، وأشار عليه بعض آخر بمكاتبة عمه فخر الدولة وطلب النجدة منه والمسير الى قرميسين[٢٥] ، ثم الى أصبهان وفارس منتهزا غياب شرف الدولة ، ويستولى على خزائنه هناك ، ومن ثم يضطر الى العودة الى فارس وطلب الصلح من جديد[٢٦] .

بيد أن صمصام الدولة لم يأبه لتلك النصائح ، وقصد أخاه شرف

---

(٢٣) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ١٢٠ — ١٢٤ .

(٢٤) أورد أبو شجاع نص هذا الصلح فى ذيل تجارب الأمم ص ١٢٤ — ١٢٦ .

(٢٥) قرميسين : بالفتح ثم السكون وكسر الميم وياء مثناة من تحت وسين مهملة وياء أخرى ساكنة ونون . بلد بينه وبين همذان سبعون ميلا ، وتقع بالقرب من الدينور كما تقع بين همذان وحلوان على طريق الحج .
ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٧ ص ٦٣ .

(٢٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٧ — ١٨ .

الدولة ، فأحسن لقاءه ، ولكنه لم يلبث أن قبض عليه ، كما تمكن من توحيد صفوف الأتراك والديلم بعد أن دب الشقاق بينهما ، وأرسل أخاه الى فارس حيث اعتقل فى احدى قلاعها[٢٧] .

قدم شرف الدولة الى بغداد بعد أن استقرت امارته بالعراق ، فتلقاه الخليفة الطائع مرحبا ، وتوجه وطوقه وكتب له عهدا وولاه ما وراء بابه وعقد له لوائين ولقبه شاهنشاه[٢٨] غير أن عهد شرف الدولة لم يطل فمات فى شهر جمادى الآخرة سنة ٣٧٩ هـ (سبتمبر ٩٨٩ م) بعد أن حكم بغداد سنتين وثمانية أشهر[٢٩] .

استمر النزاع بين صمصام الدولة وبين أخيه بهاء الدولة[٣٠] الذى آل اليه حكم بلاد العراق بعد وفاة أخيه شرف الدولة ، والتف حوله كثير من الديلم ، كما قامت الحرب أيضا بينه وبين أبى على بن شرف الدولة فى فارس — وكان يليها من قبل أبيه شرف الدولة — وفى سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) انتصر صمصام الدولة على جيش بهاء الدولة بالقرب من شيراز ، وعقد الصلح بينهما على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرجان ، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق[٣١] . وواصل صمصام الدولة انتصاراته حيث استولت جيوشه على الأهواز سنة

---

(٢٧) أبو شجاع : ذيل تجارب الامم ص ١٥٠ — ١٥٢ .

(٢٨) ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٤١ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ١١٧ .

(٢٩) أبو شجاع : ذيل تجارب الامم ص ١٥٠ — ١٥٢ .
، ابن الاثير جـ ٩ ص ٢٣ ، أبو المحاسن : النجـوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣٠) لما تمكن صمصام الدولة من الهرب من معتقله أرسل اليه بهاء الدولة جيشا كبيرا ، ولكن صمصام الدولة انتصر عليه على مقربة من شيراز سنة ٣٨٠ هـ وتم الصلح بينهما على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرجان ولبهاء الدولة خوزستان والعراق ، وحلف كل منهما لصاحبه على الوفاء وعاد بهاء الدولة الى الأهواز .
أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٣١) أبو شجاع : ص ١٨٣ — ١٨٤ .

٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م وعلى خوزستان والبصرة سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، وكادت بلاد العراق تقع فى قبضته لولا تدخـل مهذب الدولة صاحب البطيحة ، وانتهت هذه الحروب بعقد الصلح بين بهاء الدولة وصمصام الدولة على أن يخطب لهما ولمهذب الدولة فى البصرة[٣٢] .

انتهى النزاع بين صمصام الدولة وبهاء الدولة باغتيال صمصام الدولة فى ذى الحجة سنة ٣٨٨ هـ (نوفمبر ٩٩٨ م) على يد « أبى نصر بن عز الدولة بختيار أخذا بثأر أبيه عز الدولة بختيار الذى قتله عضد الدولة أبو صمصام الدولة[٣٣] .

استولى ابنا بختيار على فارس بعد مقتل صمصام الدولة سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م • وتلقب أولهما وهو أبو منصور « نور الدولة ومحيى الأمة » ، وتلقب ثانيهما وهو أبو القاسم « حسام الدولة سيد الأمة » وحاولا استمالة الديلم الذين كانوا يحنقون على بهاء الدولة بسبب تقريبه الأتراك اليه ، غير أن بهاء الدولة استطاع أن يستميل زعيم الديلم أبا على بن اسماعيل ، وحارب ابنى بختيار وأحل بهما الهزيمة واستولى على فارس فى سـنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م وقد أشار الى ذلك ابن الأثير[٣٤] فذكر أن بهاء الدولة اتصل بالديلم وقال لهم أن ثأرى وثأركم عند من قتل أخى (صمصام الدولة) فلا عذر لكم فى التخلف عن الأخذ بثأره ؟ فأجابه الديلم ودخلوا فى طاعته وأرسلوا جماعة من أعيانهم الى بهاء الدولة فحلفوه واستوثقوا منه ، وكتبوا الى أصحابهم المقيمين بالسوس[٣٥] بذلك وركب بهاء الدولة الى باب السوس كى يخرج من فيه من الديلم الى طاعته ، فخرجوا اليه بسلاحهم وقاتلوه قتالا شديدا لم يقاتلوا مثله ، فضاق صدره ، فقيل له أن هذه عادة

---

(٣٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٣٦ — ٤٦ .

(٣٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٥٣ . وكانت ولاية صمصام الدولة فارس تسع سنين وثمانية أيام وكان عمره حين قتل خمسا وثلاثين سنة .

(٣٤) الكامل جـ ٩ ص ٥٦ .

(٣٥) السوس : من مدن اقليم خوزستا نقرب نهر كرخه .
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٧٤ .

الديلم يشتد قتالهم عند الصلح لئلا يظن بهم ، ثم كفوا عن القتال وبعد أن حلف لهم ، نزلوا الى خدمته وساروا الى الأهواز ومنها الى رامهرمز حيث استولى عليها وعلى أرجان وغيرها من بلاد خوزستان ، وسار أبو على بن اسماعيل (زعيم الديلم) الى شيراز فنزل بظاهرها ، فخرج اليه ابنا بختيار فى أصحابهما فحاربوه فلما اشتدت الحرب مال بعض أتباعهما اليه ودخل فريق من أصحابه شيراز ونادوا بشعار بهاء الدولة .

كان من أثر الهزيمة التى حلت بابنى بختيار أن انحاز أنصارهما الى بهاء الدولة الذى خطب له بشيراز ، وهرب أبو نصر بن بختيار الى بلاد الديلم ، أما أبو القاسم فسار اليه بدر بن حسنويه صاحب البطيحة ، وقصد بهاء الدولة شيراز وقضى على أنصار أبناء بختيار[٣٦] ، ثم استولت جيوشه على كرمان[٣٧] .

لم يلبث أبو نصر بن بختيار أن عاد من بلاد الديلم سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م والتف حوله جمع كبير من الديلم والأتراك والزط ، ثم قصد كرمان ، وحارب عامل بهاء الدولة فيها واستولى على أغلب بلادها ، وتفاقم خطره حتى انه أثار قلق بهاء الدولة ، فسير اليه قائده الموفق على بن اسماعيل الذى أحل به الهزيمة وقتله[٣٨] . وبذلك استقر سلطان بهاء الدولة فى فارس وكرمان ، برغم محاولة طاهر بن خلف بن أحمد صاحب سجستان الاستيلاء على كرمان ، ولكن جيوش بهاء الدولة ردته على أعقابه[٣٩] .

توفى بهاء الدولة بأرجان فى الخامس من جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ هـ (٢٣ ديسمبر ١٠١٢ م)[٤٠] فخلفه ابنه سلطان الدولة

---

(٣٦) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٣٢٧ .
(٣٧) أبو شجاع : ص ٣٢٦ — ٣٢٧ .
(٣٨) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٦٠ — ٦٢
(٣٩) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ، ص ٦٢ — ٦٣ .
(٤٠) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٩٠

أبو شجاع ، الذى استهل عهده بتولية أخويه جلال الدولة البصرة ، وقوام الدولة أبى الفوارس كرمان(٤١) ، غير أن الشقاق ما لبث أن دب بين سلطان الدولة وأخيه قوام الدولة ، الذى أغراه الديلم بمحاربة أخيه فاستولى على شيراز فى سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) لكنه لم يلبث أن طرد منها ومن كرمان التى تمكن من استعادتها فى السنة التالية (٤٠٨ هـ) بمساعدة يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوى ، لكن قوام الدولة لم يستطع الوقوف فى وجه أخيه ، رغم استنجاده بشمس الدولة بن فخر الدولة بن ركن الدولة صاحب همذان وبمهذب الدولة صاحب البطيحة(٤٢) ، وانتهى الأمر باعادة كرمان الى قوام الدولة أبى الفوارس واعترافه بسلطان أخيه(٤٣) .

لم تقتصر المصاعب التى واجهت سلطان الدولة على مناوأة أخيه قوام الدولة أبى الفوارس ، فقد شغب عليه الجند فى العراق وأرادوا تولية أخيه مشرف الدولة الحكم فيها ، وأشار بعض خواص سلطان الدولة بالقبض على أخيه ، لكنه لم يتمكن من ذلك وهرب الى واسط فقال له جنده : « اما أن تجعل عندنا ولدك (أبا كاليجار) أو أخاك مشرف الدولة ، فراسل أخاه بذلك فأجابه بعد امتناع ، واجتمعا ببغداد ، ثم فارق سلطان الدولة بغداد وقصد الأهواز فى ذى الحجة سنة ٤١١ هـ (مارس ١٠٢٠ م) مستخلفا أخاه مشرف الدولة على العراق(٤٤) .

لم تلبث الحرب أن قامت بين هذين الأخوين ، وحلت الهزيمة بجيش سلطان الدولة الذى هرب من الأهواز الى أرجان ، وقوى أمر مشرف الدولة فلقب فى أواخر شهر ذى الحجة بلقب شاهنشاه واعترف أخوه جلال الدولة أبو طاهر صاحب البصرة به وخطب له ببغداد فى

---

(٤١) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٩٠.
(٤٢) ، (٤٣) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٩٠ ، ١٠٩ ، ١١٠.
(٤٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١١٨ .

أواخر المحرم سنة ٤١٢ هـ (مايو ١٠٢١ م)[٤٥] .

على أن سلطان الدولة لم يهدأ باله بعد أن هزم وعاد الى الأهواز من أرجان فأخذ يعمل على استعادة نفوذه ، واتخذ من ثورة الديلم على وزير أخيه مشرف الدولة وقتلهم اياه فرصة سانحة لتحقيق أغراضه ، فأنفذ ابنه أبا كاليجار الى الأهواز فاستولى عليها سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م وتم الصلح بينه وبين أخيه سلطان الدولة ، وحلف كل منهما على أن يكون العراق لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م الذى لم يلبث أن توفى بشيراز فى شوال سنة ٤١٥ هـ (ديسمبر ١٠٢٤ م)[٤٦] .

لما توفى سلطان الدولة ، لم يصف الجو لابنه أبى كاليجار ، لأن كثيرا من الأتراك كانوا يميلون الى عمه قوام الدولة أبى الفوارس صاحب كرمان ، وطلبوا اليه الحضور لامتلاك شيراز ، فاستولى عليها قبل أن يصل اليها أبو كاليجار ، الذى لم يلبث أن انتصر على جيوش قوام الدولة سنة ٤١٥ هـ واستولى على فارس التى أصبحت مركزا للنزاع بين أبى كاليجار وعمه أبى الفوارس[٤٧] . وتقلبت هذه البلاد بينهما الى سنة ٤١٧ هـ حيث تمكن أبو كاليجار من الاستيلاء عليها . وفى ذلك يقول ابن الأثير[٤٨] : « ولما ملك أبو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز ، خرج الديلم الشيرازية عن طاعته بسبب مالحقهم من جنده ، وندموا على قتالهم معه وتمنوا لو أنهم قاتلوا مع عمه ، ثم شغبوا عليه بعد أن طالبوه بالمال وأظهروا ما فى نفوسهم من الحقد ، فعجز عن المقام معهم ، وسار عن شيراز الى شعب بوان فأقام به ، فأرسل أهل شيراز الى عمه أبى الفوارس يطلبون منه القدوم اليهم فسار

(٤٥) ابن الأثير : ج ٩ ص ١١٩ .
، أبو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ج ٢ ص ١٥١
(٤٦) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١٢١ — ١٢٢ .
(٤٧) ابن الأثير : ج ٩ ص ١٢٣ — ١٢٥ .
(٤٨) ابن الأثير ج ٩ ص ١٢٦ — ١٢٧ .

اليهم ، وسلموا اليه شيراز ، ثم توجه الى شعب بوان لمحاربة أبى كاليجار واخراجه من البلاد ، فطلب الفريقان المتحاربان الصلح واستقر الرأى على أن يكون لأبى الفوارس كرمان وفارس ، ولأبى كاليجار خوزستان ، غير أنهما ما لبثا أن عادا الى مواصلة القتال ، فانهزم أبو الفوارس وسار الى دار ابجرد[٤٩] ، واستولى أبو كاليجار على فارس ، ثم عاد أبو الفوارس ومعه عشرة آلاف مقاتل من الأكراد فالتقوا بين البيضاء واصطخر بقوات أبى كاليجار ، حيث دار قتال عنيف بين الفريقين حلت فيه الهزيمة بأبى الفوارس وسار الى كرمان واستقر ملك أبى كاليجار سنة ٤١٧ هـ .

لما توفى مشرف الدولة فى شهر ربيع الأول سنة ٤١٦ هـ[٥٠] (مايو ١٠٢٥ م) أقيمت الخطبة لأخيه جلال الدولة ، وطلب اليه الحضور الى بغداد ، لكنه لم يستطع الوصول اليها ، فقطعت خطبته فى بغداد فى شهر شوال من نفس السنة ، وأقيمت لابن أخيه أبى كاليجار بن سلطان الدولة ، فلما تعذر عليه القدوم الى بغداد ، راسل كبار القواد جلال الدولة وأقاموا الخطبة باسمه فى جمادى الأولى سنة ٤١٨ هـ (يونيه ١٠٢٧)[٥١] .

ازداد نفوذ أبى كاليجار فى فارس ، وتجددت الحرب بينه وبين عمه أبى الفوارس صاحب كرمان ، ثم عقد الصلح بينهما ، على أن تكون كرمان لأبى الفوارس ، وفارس لأبى كاليجار ، وأن يدفع أبو كاليجار لعمه عشرين ألف دينار كل سنة[٥٢] .

---

(٤٩) دار ابجرد : عاصمة اقليم شبانكاره وهو اقليم فسيح يمتد من حدود كرمان حتى الخليج الفارسى ، وكانت مدينة دار ابجرد مبنية فى السهل يحميها سور حصين وقلعة فى قلبها .
نظام الملك : سياست نامه ، حاشية ص ١٣٦ .

(٥٠) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٢٩

(٥١) ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٢٩ ، ١٣٥ .

(٥٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٣٤ — ١٣٥ .

وفى سنة ٤١٩ هـ (١٠٢٨ م) استولى أبو كاليجار على البصرة وطرد منها الملك العزيز ابن جلال الدولة ، واستولى فى نفس السنة على كرمان اثر وفاة صاحبها أبى الفوارس(٥٣) ثم على مدينة واسط سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) لكن جلال الدولة لم يلبث أن استردها كما استرد البصرة سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م(٥٤) ، التى أصبحت مركزا للصراع بينه وبين أبى كاليجار(٥٥) .

لما توفى جلال الدولة فى سادس من شهر شعبان سنة ٤٣٥ هـ (مارس ١٠٤٤ م) بعد أن حكم بغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا(٥٦) ، لم يستطع ابنة الملك العزيز(٥٧) الاحتفاظ بنفوذ أبيه فى بغداد ، فقد استمال أبو كاليجار كبار القواد بالأمــوال ، فأقاموا الخطبة له واستقر أمره ببغداد وانفض أنصار الملك العزيز من حوله ، فدخل أبو كاليجار بغداد(٥٨) واستولى أنصاره على همذان وطردوا نائب طغرلبك السلجوقى منها . وأمر أبو كاليجار ببناء سور مدينة شيراز سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م نظرا لما كان يخشاه من اتساع نفوذ

---

(٥٣) ذكر ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٣٨ أن أبا الفوارس كان قد تجهز لقصد بلاد فارس وجمع عسكرا كثيرا فادركه اجله ، فلما توفى نادى أصحابه بشعار الملك أبى كاليجار وارسلوا اليه يطلبونه فسار مجدا وملك البلاد بغير حرب ، وأمن النــاس معه وكانوا يكرهون عمه أبا الفوارس لظلمه وسوء سيرته ، وكان اذا شرب ضرب أصحابه ، وضرب وزيره يوما مائة مقرعة ، وحلفه بالطلاق انه لا يتأوه ولا يخبر بذلك احد ، فقيل أنهم سموه فمات » .

(٥٤) ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٥٣ .

(٥٥) المصدر السابق : جـ ٩ ص ١٦١ كان من جراء الفوضى التى عمت بغداد ، وبلغت ذروتها سنة ٤٢٣ هـ / ١١٣٧ م أن أرغم جلال الدولة على الهرب من بغداد ثلاث مرات خوفا على حياته حتى عقد الصلح بينهما سنة ٤٢٨ هـ فساد الوفاق بينهما ، ابن الأثير جـ ٩ ص ١٦٩ .

Harold Bowen : The Last Buwayhids. p. 229 (J. R. A. S. 1929)

(٥٦) ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٩٢ .

(٥٧) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ١٦٧ .

(٥٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٧ ، ٣٨ .

السلاجقه ، كما حارب صاحب أصبهان لنقضه العهد وانضمامه الى طغرلبك واستيلائه على بعض نواحى كرمان وألحق به الهزيمة ، غير أنه ما لبث أن نجح فى استمالته ثم عقد الصلح بين كاليجار وطغرلبك الذى كتب الى أخيه (ابراهيم ينال) يأمره بالكف عما وراء ما بيده . واستقر الحال بينهما على أن يتزوج طغرلبك بابنة أبى كاليجار ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبى كاليجار بابنة الملك داود أخى طغرلبك(٥٩) .

لما توفى أبو كاليجار سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م استدعى ابنه أبو نصر خسرو فيروز الجند ، وكان وقتذاك نائبا عنه فى العراق واستحلفهم ، وراسل الخليفة القائم بأمر الله يطلب منه أن يأذن له بذكر اسمه فى الخطبة ، ويلقبه بالملك الرحيم ، وترددت الرسل بينهم فى ذلك فأجيب الى طلبه الأول ، وامتنع عن تلقيبه بهذا اللقب وقال : « لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى »(٦٠) ، واستقر ملك الأمير البويهى بالعراق وخوزستان والبصرة(٦١) لكنه لم يلبث أن واجه عدة صعاب من جراء الصراع بينه وبين أخوته(٦٢) ، فقد استولى أبو منصور أخو الملك الرحيم على شيراز ، فسير اليه أخاه أبا سعد خسرو شاه ، فاستولى عليها ، وأقام الخطبة فيها للملك الرحيم . ثم سار الملك الرحيم الى خوزستان فأذعنت بالطاعة ، كما هزمت جيوشه الملك العزيز بن جلال الدولة (٦٣) .

---

(٥٩) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٩٩ .

(٦٠) ذكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٤٦ أن الخليفة القائم وافق على تلقيبه بالملك الرحيم وخلع عليه خلع السلطنة ، وكانت الخلع سبع جباب كاملة والتاج والطوق والسوارين واللوائين ، كما فعل مع عضد الدولة .

(٦١) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢٠٤ .

(٦٢) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢٠٤ .

(٦٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ١٣١ — ١٣٢ .

لم تلبث الأحـــوال أن تقلبت بالملك الرحيم ، فقد تمكن أخوه أبو منصور صاحب فارس من الانتصار عليه واستولى على الأهواز سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩[٦٤] ، لكنه لم يلبث أن غادرها بسبب شغب الجند عليه ، واعادة الخطبة للملك الرحيم الذى استرد الأهواز بنفسه فى السنة التالية (٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م) ، وفى سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م أرسل الملك الرحيم أخاه أبا سعد فاستولى على قلعة اصطخر ومدينة شيراز ، وانتهز أخوه الأمير أبو منصور صاحب فارس انشغال أبى سعد بالحروب وعاد هو وأنصاره الى الأهواز وانتصر على الملك الرحيم واضطره الى التقهقر الى واسط ، وفى سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م حارب الملك الرحيم أخاه أبا على فنا خسرو فى البصرة وانتصر عليه[٦٥] .

أدت الحروب التى قامت فى مدن فارس والعراق بين الملك الرحيم واخوته الى اتاحة الفرصة للسلاجقة للقضـــاء على نفوذ بنى بويه ، فشرع السلاجقة منذ انتصارهم على السلطان مسعود الغزنوى فى موقعة داندانقان فى عام ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م(٦٦) فى ارساء قواعد دولتهم فى بلاد فارس ، فأخذوا يوحدون صفوفهم ، ويســـدون الثغرات ، وتعاهدوا على أن يظلوا متحدين متماســـكين ، واتفقوا على تعيين طغرلبك قائدا أعلى لجيوشهم وسلطانا على دولتهم[٦٧] ، وقســـموا

---

(٦٤) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢٠٧ .

(٦٥) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢٠٦ — ٢٢٠ .

(٦٦) البيهقى : تاريخه ص ٦٩٥ وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٧٢ ، الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ١٦٣ ترجمة / ابراهيم الشوا ربى .

(٦٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٥ ، عبد النعيم حســـنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٣١ — ٣٢ .

ارسل السلاجقة عقب انتصارهم فى داندانقان رسالة الى الخليفـــة القائم بأمر الله على يد المعتمد ابى اسحق الفقاعى اخبروه فيها بانتصارهم على السلطان مسعود وانهم قاموا بذلك ردا على افعاله وافعال ابيه من قبله العدائية وانهم مطيعون للخليفة العباسى ، فسر الخليفة بهذه الرسالة وأرسل =

الولايات وعينوا على كل ناحية واحدا من كبارهم والمقدمين فيهم ، فاتخذ « جغرى بك » مدينة مرو دارا لملكه ، وولى « موسى كلان » بست وهرات وسجستان وما يجاور ذلك من النواحى التى يستطيع فتحها ، أما « قاورد » فولى الطبسين(٦٨) ونواحى كرمان(٦٩) .

انصرف ولاة السلاجقة ، كل الى المنطقة التى وضعت تحت نفوذه ، وبدأ طغرلبك فى تنفيذ خطته لاتمام سيطرة السلاجقة على بلاد الفرس والعراق ، وكان عليه أن يقضى على نفوذ بنى بويه فى فارس ، حتى تتم السيطرة التامة لهم ، ففى سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م فتح طغرلبك خوارزم وضمها لممتلكاته(٧٠) ثم تيسر له استخلاص مدينة الرى فاتخذها عاصمة له ومقرا لحكومته(٧١) .

لم تكن الحالة فى بلاد العراق فى الوقت الذى شغل فيه الخليفة القائم بأمر الله العباسى بالتغلب على الصعاب الداخلية التى واجهته خافية على السلاجقة الذين ازداد نفوذهم اذ ذاك فى شرق الدولة

=

رسولا من قبله هو هبة الله ابن محمد المأمون الى طغرلبك يدعوه لزيارة بغداد ، فأرسل الى الخليفة يخبره بانه سيقوم بزيارة بغداد فى الوقت المناسب .

الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٦٨) الطبسين : من مدن اقليم قوهستان . لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣٩٩ .

(٦٩) راحة الصدور ص ١٦٧ .

(٧٠) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٨٨ — ١٩٠ .

(٧١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٨

ومن الرى أرسل طغرلبك اخاه « ابراهيم ينال » الى مدينة همذان ، والأمير ياقوتى الى أبهر وزنجان ونواحى آذربيجان والأمير قتلمش الى جرجان والدامغان ، كما تيسر للسلاجقة فتح أصفهان والأجزاء الجنوبية من فارس سنة ٤٤٢ هـ .

الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٨ .

، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

الاسلامية ، فعمدوا الى انتهاز هذه الفرصة لمواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على أراضى هذه الدولة • ففى المحرم من سنة ٤٤٧ هـ (أبريل ١٠٥٥ م) أظهر طغرلبك أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى ، فأمر عماله فى المناطق المجاورة بجمع الجند ، ثم دخل العراق[٧٢] وقصد بغداد فى رمضان من نفس السنة ، وأرسل اليه الخليفة القائم الأموال والهدايا[٧٣] ، فأسرع الملك الرحيم البويهى الى بغداد لاستقباله ، واستقر الرأى بينه وبين الخليفة العباسى على التعاون مع طغرلبك[٧٤] ، فأمر الخليفة أن يذكر اسم طغرلبك فى الخطبة أولا ثم يذكر بعده اسم الملك الرحيم بن أبى كاليجار[٧٥] •

كان من أثر دخول طغرلبك وجند السلاجقة بغداد ، أن أظهر العامة تذمرهم من جراء ما حدث من جند السلاجقة فى هذه المدينة ، وتمكنوا بفضل مساعدة بعض الأتراك من قتل فريق من جند السلاجقة[٧٦] فاستاء من ذلك طغرلبك واستدعى الملك الرحيم وأتباعه ، وأتهمهم بتدبير ما حدث ، ثم قبض عليهم ، وأرسل الملك الرحيم أسيرا الى قلعة طبرك بالرى[٧٧] ، ولما بلغ الخليفة العباسى ما حل بالملك البويهى وأتباعه أرسل الى طغرلبك ينكر عليه سياسة العنف التى لجأ اليها على أثر دخوله بغداد ويقول : « انهم انما خرجوا اليك بأمرى وأمانى ، فان أطلقتهم والا فأنا أفارق بغداد ، فانى اخترتك واستدعيتك

---

(٧٢) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢٢٨ •
(٧٣) الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٩ •
(٧٤) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢٢٨ •
(٧٥) الراوندى : ص ١٦٩ •
(٧٦) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢١٨
، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٨٨ •
(٧٧) وظل فى سجنه حتى توفى عام ٤٥٠ هـ
الراوندى : راحة الصدور ص ١٦٩ •

اعتقادا منى أن تعظيم الأوامر الشريفة يزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الأمر بالضد »[٧٨] .

لم يجد الخليفة العباسى القائم بأمر الله بدا من التسليم بالأمر الواقع ، فأمر فى رمضان سنة ٤٤٧ هـ باسقاط اسم الملك الرحيم من الخطبة[٧٩] ، فأسدل بذلك الستار على دولة آل بويه بعد أن قضى السلاجقة على نفوذهم فى فارس والعراق .

(ب) موقف البويهيين من الزياريين : لما حصل « على بن بويه » على اعتراف الخليفة الراضى بسيطرته على ما بيده من البلاد[٨٠] ، بعد أن دانت له بلاد فارس بالولاء والطاعة خشى مرداويج بن زيار الديلمى من زحفه بجيشه الى العراق ليستولى عليها ، فأنفذ جيوشه الى الأهواز ليحول دون تحقيق أطماعه[٨١] ، غير أن على بن بويه استطاع أن يهادن مرداويج فأقام له الخطبة وبعث بأخيه « الحسن بن بويه » رهينة عنده[٨٢] .

لما اغتيل مرداويج بن زيار سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م[٨٣] لم يستطع أخوه وشمكير الاستيلاء على بلاد الجبل ، فسقطت فى أيدى البويهيين ، وظل أحمد بن بويه يتقدم ناحية الغرب ، بينما ظل أخوه « على »

---

(٧٨) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٢١٨ ، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٨٨ .

(٧٩) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٠ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ص ٤٣٧ نشر براون لندن ١٩١٠ م

(٨٠) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٢٧١ ، مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٤٦ وذلك مقابل ثمانية ملايين درهم .

(٨١) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠١ ، ابن الأثير : جـ ٨ ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٨٢) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٥ ص ٣٠١ — ٣٠٢ ، ابن الأثير : الكامل : جـ ٨ ص ٩٨ — ٩٩ .

(٨٣) الكرديزى : زين الأخبار ص ١٥٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٥٣ ، ابن الأثير : جـ ٨ ص ٩٩ .

بفارس ، وحكم أخوه الحسن بلاد الجبل[٨٤] .

وفى سنة ٣٢٧ هـ بدأ الصراع بن الحسن بن بويه وبين وشمكير بن زيار الذى عز عليه استيلاء الحسن بن بويه على البلاد التى كانت لأخيه ، فأرسل اليه جيشا طرده من أصبهان فاضطر الحسن بن بويه الى التقهقر الى بلاد فارس ، ثم سار فى السنة التالية الى واسط ليمد نفوذه منها الى ما جاورها من البلاد ، لكنه اضطر أمام مقاومة البريديين والخليفة الراضى الى التقهقر نحو الأهواز[٨٥] . وفى سنة ٣٢٨ هـ عاد الحسن بن بويه الى أصبهان وطرد أصحاب وشمكير منها ، واتفق هو وأخوه على بن بويه مع أبى على بن محتاج[٨٦] ، قائد نصر بن أحمد السامانى وأخذا يحرضانه على « ماكان بن كاكى » ووشمكير[٨٧] ، وكان الحسن بن بويه وأخوه على بن بويه يرجوان من وراء صداقتهما لابن محتاج الى بسط نفوذهما على بلاد وشمكير[٨٨] .

تجهز أبو على بن محتاج للمسير الى جرجان والرى بعد أن أقام ثلاثة أشهر وهو يستعد للحرب ثم سار على رأس جيش كبير من نيسابور[٨٩] الى جرجان[٩٠] لاخضاع « ماكان » الذى خلع طاعة السعيد نصر بن أحمد واستبد بالأمر فيها ، وعسكر بجيشه على بعد

(٨٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٣٨٩ — ٣٩٠

(٨٥) الأهواز : كانت قديما تعرف باسم هرمز شهر أى مدينة هرمز ، وكانت الاهواز تعد خزانة البصرة ويقتات أهلها خبز الرز وهو عسر الهضم ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .

(٨٦) ظل ابو بكر محمد بن المظفر بن محتاج واليا على خراسان الى ان عزله السعيد بن نصر احمد السامانى بعد أن استدعاه الى بخارى سنة ٣٢٧ هـ وعين ابنه ابا على أحمد فى رمضان من نفس العام .
النويرى : نهاية الارب جـ ٢٣ ص ١٧٨ (مخطوط) .

(٨٧) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٢٧ .

(٨٨) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٣٠ .

(٨٩) نيسابور : كانت فى القرن الرابع الهجرى مدينة عامرة مساحتها نحو فرسخ فى مثله . لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٢٤ — ٤٢٥ .

(٩٠) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان . لسترنج : ص ٤١٧ — ٤١٨ .

فرسخ منها وحاصرها حصارا شديدا ، وقطع المؤن والامدادات عنها ، وضيق الخناق على « ماكان » وأصحابه فطلب الأمان منه فريق من جيش « ماكان » وضاق الحال على من بقى بجرجان(٩١) ، وتدهور موقف « ماكان » فاضطر الى طلب مساعدة وشمكير بالرى فأمده بقائد من قواده ، فلما وصل جرجان سعى فى الصلح بينهما ، وذهب « ماكان » الى طبرستان ، واستولى أبو على بن محتاج على جرجان فى آخر سنة ٣٢٨ هـ وأصلح حالها ، ثم ما لبث أن غادرها بعد أن ترك ابراهيم ابن سيمجور الدواتى نائبا عنه(٩٢) .

كانت الخطوة التالية التى خطاها أبو على بن محتاج بعد اخضاعه جرجان هى الاتجاه صوب « الرى » لمحاربة وشمكير بن زيار الذى ساعد « ماكان » ضده ، وبعد معارك عنيفة بين الفريقين هرب وشمكير ومن معه الى طبرستان ، وسقطت الرى فى يدى أبى على بن محتاج(٩٣) ، ثم سار الحسن بن بويه فى سنة ٣٢٩ هـ الى الرى حيث حارب جيوش وشمكير وانتصر عليها(٩٤) .

لما تم لأبى على بن محتاج الاستيلاء على الرى ، أرسل بعض قواته الى بلاد الجبل فأخضعها(٩٥) ، وطلب منه الحسن بن الفيرزان أن يعاونه ضد وشمكير(٩٦) ، فسار أبو على ومعه الحسن بن الفيرزان

---

(٩١) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٢٦ .

(٩٢) النويرى : نهاية الارب جـ ٢٣ ص ١٧٨ (مخطوط)

(٩٣) ، (٩٤) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٨

(٩٥) الكرديزى : زين الأخبار ص ١٥٣
استطاع ابو على ايضا الاستيلاء على زنجان وابهر وقزوين وقم وهمذان ونهاوند والدينور الى حدود حلوان ، ورتب العمال فيها وجبى أموالها .
ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٩٦) كان الحسن بن الفيرزان عم « ماكان » فلما قتل « ماكان » راسله وشمكير ليدخل فى طاعته ولكنه لم يقبل واخذ يسب وشمكير وينسب اليه التقصير والتحريض على قتل « ماكان » فقصده وشمكير مما جعله مضطرا الى الالتجاء الى ابى على فى الرى .
الكرديزى : زين الاخبار ص ١٥٣ — ١٥٤ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٣٨ .

نى وشمكير وحاصره سنة ٣٣٠ هـ وضيق عليه حتى طلب وشـمكير الصلح فصالحه وعاد الى جرجان فى جمادى الآخرة سـنة ٣٣١ هـ ، فبراير ٩٤٢ م) أما أبو على فعاد الى خراسان(٩٧) .

لما قدم أبو على بن محتاج نيسابور بلغه أن ابراهيم بن سيمجور الدواتى نائبه فى جرجان قد خالفه وأعلن عصيانه ، فترددت الرسـل بينهما ، ثم تصالحا ، فلم يلبث الحسن بن الفيرزان أن تمرد وثار على أبى على » وجيشه ونهب أمواله ، وأخذ ابن وشمكير ، وعاد الى جرجان فاستولى عليها وعلى الدامغان ، وراسل الحسن بن الفيرزان وشمكير بن زيار ، الذى استولى بدوره على الرى فى تلك الاثناء(٩٨) .

لما عاد أبو على بن محتاج من الرى الى خراسـان ، عول ركن الدولة الحسن بن بويه على المسير الى الرى واستولى عليها وعلى سائر أعمال الجبل والأهواز واتسع بذلك نفوذ بنى بويه(٩٩) .

وفى سنة ٣٣٦ هـ حارب ركن الدولة بن بويه وشمكير بن زيار وطرده من طبرستان وجرجان ، فأضطر الى الاستعانة بالسامانيين الذين أجابوا طلبه خوفا على بلادهم من خطر بنى بويه ، فأرسـل نوح بن نصر (٣٣١ — ٣٤٣ هـ / ٩٤٢ — ٩٥٤ م) فى سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م جيشا تمكن من اجلاء نائب ركن الدولة عن الرى ، واستولى على بلاد الجبل الى قرميسين وأزال عنها ولاة بنى بويه ، فأرسل معز الدولة الى أخيه ركن الدولة جيشا بقيادة سبكتكين الحاجب ، طرد جند السامانيين من قرميسين وهمذان ، غير أنه رغم هزيمة الجيش واستيلاء سبكتكين الحاجب على أصبهان اضطر الى الانسحاب منها والعودة الى الرى

---

(٩٧) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٣٨ ، الكرديزى : زين الاخبار ص ١٥٤

(٩٨) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٧٢ .

(٩٩) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٧٢ .

(فى المحرم سنة ٣٤٠ هـ / يونيه ٩٥١ م) لقلة المؤن[١٠٠] ، وتمكن ركن الدولة من أن يدخل طبرستان ، بعد أن هرب وشمكير منها الى جرجان[١٠١] .

لم يتوقف خطر وشمكير بن زيار وأمراء السامانيين على أملاك ركن الدولة البويهى . ففى سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م حرض عامل كرمان[١٠٢] من قبل البويهيين منصور بن نوح السامانى على المسير الى الرى التى اتخذها ركن الدولة قاعدة لبلاده ، وأطمعه فى البلاد التى كان يليها بنو بويه ، وأعد السامانيون عدة جيوش لتحقيق مطامعهم ، ولما أيقن ركن الدولة من الخطر المحدق به ، استعان بابنه عضد الدولة الذى كان يلى حكم بلاد فارس وبأبن أخيه بختيار بن معز الدولة المتولى حكم العراق ، لكن وفاة وشمكير بن زيار فجأة أبعدت هذا الخطر الذى كان يهدد بلاد ركن الدولة[١٠٣] .

لم تنته أطماع آل زيار — بعد وفاة وشمكير — فى البلاد التى يلى حكمها بنو بويه فى فارس . ففى عهد الأمير البويهى مجد الدولة أبو طالب رستم (٣٨٧ — ٤٢٠ هـ / ٩٩٧ — ١٠٢٩ م) الذى تولت والدته الوصاية عليه ، طمع شمس المعالى قابوس بن وشمكير فى تلك البلاد فأرسل فى سنة ٣٨٨ هـ « الأصبهبذ شهريار بن شيروين » الى

---

(١٠٠) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٧٥ — ١٧٦ .
تمكن وشمكير بن زيار بمساعدة ابو على بن محتاج من ارغام ركن الدولة بن بويه على دفع جزية سنوية لنوح بن نصر مقدارها مائتا الف دينار .
ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٨٣ .

(١٠١) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ١٩٠ — ١٩١ .
بلغ من ازدياد نفوذ ركن الدولة الحسن بن بويه وضعف وشمكير أن لقب الخليفة العباسى المطيع ابا شجاع فناخسرو ابن ركن الدولة بلقب عضد الدولة .
مسكويه : جـ ٦ ص ١٩٢ .

(١٠٢) ابو على (محمد) بن الياس . مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٢٣٢ .

(١٠٣) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

جبل شهريار فأوقع الهزيمة بواليه مجد الدولة بن فخـر الـدولة ، واستولى أصبهبذ على الجبل ، وخطب لشمس المعالى ، ثم كتب أهل جرجان الى قابوس يستدعونه ، فسار اليهم من نيسابور كما سار الى جرجان أيضا أصبهبذ ، وقاتلوا عسكر مجد الدولة بجرجان وهزموهم ، ودخل شمس المعالى قابوس جرجان فى شـعبان من هذه الســنة (٣٨٨ هـ / أغسطس ٩٩٨ م) ، غير أن أصبهبذ أراد الاستقلال عن قابوس ، واغتر بما اجتمـع لديه من أموال وذخائر ، فسارت اليه العساكر من الرى ، وأوقعت به الهزيمة ، ونادوا بشعار شمس المعالى ، واتسعت بذلك رقعة دولته ، فأصبحت تشمل الى جانب بلاد الجبل جرجان وطبرستان[١٠٤] .

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٥٢ — ٥٣ .

٢ — السامانيون فى خراسان وما وراء النهر

(أ) الموقف السياسى الداخلى فى دولة السامانيين :

ينتسب السامانيون الى أسرة فارسية عريقة فى المجد يرجع أصلها الى بهرام جوبين[١] الذى يعتبر من أنجب أبناء فارس[٢] .

اتصل سامان[٣] جد هذه الأسرة بالدولة الاسلامية فى عهد هشام بن عبد الملك ، فوفد على « أسد بن عبد الله القسرى »[٤] والى خراسان ، واعتنق الاسلام على يديه وسمى ابنه أسدا تبركا به[٥] .

ظهر أولاد أسد بن سامان فى عهد الخليفة المأمون الذى عرف

---

(١) ذكر ياقوت الحموى ان السامانيين ينسبون الى بهرام جور . معجم البلدان جـ ٥ ، ص ١٢ وذهب ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ، ص ٩٩ ، والسمعانى : الانساب ورقة رقم ٢٨٦ (مخطوط) والكرديزى : زين الأخبار ص ١٤٥ — ١٤٦ والبيرونى : الآثار الباقية ، ص ٣٩ الى أن السامانيين ينسبون الى بهرام جوبين .

(٢) كريستينسن : ايران فى عهد الساسانيين ، ص ٤٢٧ — ٤٢٩ ، ترجمة : يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٧ .

(٣) سمى : « سامان » نسبة الى قرية بناها هذا الجد بنواحى بلخ وسماها سامان وان كانت دائرة المعارف الاسلامية تردد أن الاسم مركب من « سامان خداه » بمعنى حاكم سامان النرشخى : تاريخ بخارى ص ٨٦ — ٨٧ ، لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ١٢٨ ، ترجمه للفارسية عباس اقبال وترجمه عن الفارسية مكى طاهر ، مطبعة البصرى ، بغداد ١٩٦٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١١ ، ص ٧٦ .

(٤) وكان يلقب « ناصر المظلومين » .

ارمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٣ ، ترجمه احمد محمود السساداتى .

(٥) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ٨٦ — ٨٧ ، ترجمه امين عبد المجيد ونصر الله الطرازى .

فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٣ ، لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ١٢٨ .

منزلتهم[٦] ، فولى نوح بن أسـد [٧] سمرقند[٨] فى سـنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م وأحمد بن أسـد فرغانه[٩] ، ويحيى بن أسد الشـاش[١٠] طشقند) وأشروسنة[١١] ، والياس على هراة[١٢] ، ولما ولى طاهر ابن الحسين بلاد خراسان أقرهم فى هذه الأعمال[١٣] .

أقر العباسيون أبناء أسد بن سامان على ولاياتهم ، فظل نوح

---

(٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٢ .

(٧) كان نوح عاملا على بخارى من قبل المأمون ، وهو الذى اهدى اليه طولون ابو أحمد بن طولون فاهداه الى المأمون .

ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٣١١ — ٣١٢ .

(٨) سمرقند : وتقع على بعد مائة وخمسين ميلا شرقى بخارى .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٠٦ .

(٩) فرغانة : كان يعرف الى وقت قريب بخانية خوقند ، وكانت قصبته مدينة « اخسيكث » التى سماها العرب فرغانة ، وتقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية وبين فرغانة وسمرقند مائة وخمسة وعشرين ميلا ، ويقول ياقوت : « فرغانة قرية من قرى فارس » .

معجم البلدان جـ ٦ ، ص ٣٦٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٢١ .

(١٠) الشاش : غرب فرغانة على ضفة نهر سيحون اليمنى ، ذكرت بأسماء كثيرة منها الشاش وينطقها الفرس (جاج) وتاشكنت المحرف من الشاش الى تاشى وتاشقند وتاشكنت ومعناها « مدينة الحجر » مع أن الحجر لا يكاد يوجد بتلك المنطقة .

لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٢٣ — ٥٢٤ ، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ، ص ٨٣ .

(١١) اشروسنة : وتكتب اسروسنة ، وسروسنة ، وستروشنة ، وتقع شرق سمرقند ، وكانت قصبتها « بنجكث » : لسترنج ، ص ٥١٧ — ٥١٨ .

(١٢) وكان ذلك مكافأة لهم على جهودهم فى مساندة الخلافة العباسية فى القضاء على ثورة رافع بن الليث الذى خرج على ابيه هارون الرشيد الذى مات قبل أن يقضى عليه ، وبعد ان فشل قائد المأمون خزيمة بن الخازم فى القضاء عليه ايضا .

نامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٠ — ٩١ .

(١٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ٧٤ ، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦ — ١٧ ، ابن الأثير : جـ ٧ ، ص ٩٩ .

ابن أسد حاكم سمرقند فى ولايته الى أن توفى سنة ٢٢٨ هـ/٨٤٢ م[١٤] حيث خلفه أخوه أحمد[١٥] أما يحيى بن أسد فظل يحـكم الشاش وأشروسنه حتى سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م ، كما ظل الياس بن أسـد يلى هراة الى وفاته سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م[١٦] .

عـلا شأن أحمد بن أسد من بين اخوته وصار يلى حكم فرغانة وقسما من الصـغد وسمرقند[١٧] وكان لأحمـد بن أسد سبعة أولاد ، اشتهر منهم نصر بن أحمد واسماعيل بن أحمد ، فلما توفى أحمـد سـنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م خلفه ابنه نصر[١٨] ثم أصبح واليـا على بلاد ما وراء النهر من قبل الخليفة المعتمد سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م[١٩] ، ولم يلبث أن ولى أخاه اسماعيل بن أحمد[٢٠] على بخارى[٢١] .

أقام اسماعيل بن أحمد فترة من الزمن فى بخارى ، ثم سـار الى سمرقند بدون اذن من أخيه ، واعتبر نصر هذا التصرف اهانة له ، فساءت العلاقات بينهما[٢٢] .

---

(١٤) السمعانى : الانساب ، ورقة ٢٨٦ (مخطوط) .
(١٥) غامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٤ .
(١٦) ، (١٧) السمعانى : الأنساب ، ورقة ٢٨٦ (مخطوط) .
(١٨) غامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٤ .
(١٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٩٩ .
يذكر غامبرى : انه قد تم لبلاد ما وراء النهر ولتركستان وحـدتها بالمرسوم الذى أصدره الخليفة المعتمد بتولية نصر امارة بلاد ما وراء النهر ، وجعل له كل البلاد الممتدة من شواطىء جيحون حتى اقصى بلاد المشرق . تاريخ بخارى ، ص ٩٥ .
(٢٠) ابن الأثير : جـ ٧ ، ص ٩٩ .
(٢١) غزا حسين بن طاهر أميرخوار زم بخارى سنة ٢٥٩ هـ فأعمل السلب والنهب ، فاستنجد أهلها بنصر السامانى ، فسير اليهم أخـاه اسماعيل الذى دخل بخارى وخطب فيها باسم نصر فى غرة رمضان سنة ٢٦٠ هـ (يونية ٨٧٣ م) .
النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٠٧ — ١٠٩ .
غامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٤ — ٩٥ .
(٢٢) يذكر النرشخى أن القطيعة استمرت بين الأخوين حتى شفع له ابن عمه محمد بن نوح وعبد الجبار بن حمزة ، تاريخ بخارى ، ص ١١٠ .

عمل اسماعيل بعد قدومه الى بخارى على تحسين علاقته مع رافع ابن هرثمة(٢٣) ، حتى أنه لما طلب من رافع أن ينزل له عن خوارزم أجابه الى ما أراد ، واتخذ الوشاة من سياسة اسماعيل فى التقرب من رافع بمثابة تحالف ضد نصر بن أحمد فأخبراه بأن هدف اسماعيل من صداقته لرافع هى اخراجه من بلاد ما وراء النهر(٢٤) ، ورأى نصر من ناحيته أن يختلق سببا لاثارة أخيه اسماعيل ، فاتهمه بالتقصير فى دفع الخراج اليه ، واتخذ من ذلك مبررا لمهاجمته بجيشه ، مما أضطر اسماعيل الى الفرار الى بيكند(٢٥) ، عبر فاراب(٢٦) ، حيث أوفد رسولا الى حليفه رافع بن هرثمة ، الذى سار بدوره فعبر جيحون متوجها صوب بخارى ، غير أن رافع خشى أن يعود الوئام بن نصر واسماعيل فيتفقا عليه ، ومن ثم عمد الى التوسط بينهما(٢٧) ، فتصالحا ، وكانت شروط الصلح تقضى بأن يكون أمير بخارى اسحاق ابن أحمد ، ويكون اسماعيل عاملا على الخراج ، وأن يدفع كل سنة خمسمائة ألف درهم .. ثم عاد نصر بن أحمد الى سمرقند فى سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٥ م(٢٨) .

على أن الحرب بين الأخين ما لبثت أن تجددت ، ولما يمض

---

(٢٣) وكان ثائرا اقطاعيا فصار عاملا للخليفة على خراسان .
نامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٦ .
(٢٤) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٠ ، ص ٧٨ .
، فامبرى : تاريخ بخارى ، هامش ص ٩٥ .
(٢٥) بيكند : بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى ، وكانت منيعة ، فقد بلغ عدد الرباطات (جمع رباط) بها نحو الف رباط .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .
(٢٦) فاراب : ولاية وراء نهر سيحون فى تخوم بلاد الترك ، ويذكر لسترنج انها على ضفة سيحون الشرقية ، وينسب الها أبو نصر الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩ هـ بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢٨ ، ياقوت : ج ٦ ، ص ٣٢٢ .
(٢٧) ، (٢٨) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١١٣ — ١١٤ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٦ — ٩٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٧ ، ص ١٠٠ .

على الصلح خمسة عشر شهرا ، فبادر نصـر بالعدوان فى سـنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م بحجة أن اسماعيل لم يرسل شيئا من الأموال التى اتفق عليها ، غير أن اسماعيل احتاط بامدادات من خوارزم[٢٩] ، وانجلت المعركة بانهزام اسحاق بن أحمد والى بخارى من قبل نصر بن أحمد ، وسار الى فاراب[٣٠] .

عاد نصر بن أحمد مرة ثانية لقتال اسماعيل ، لكن اسـماعيل تمكن من احراز النصر على جيش فرغانة بقيادة أبى الأشعث فى النصف الثانى من عام ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ، وكاد نصـر أن يلقى حتفه على يد جماعة من الخوارزميين[٣١] ، ولمـا حمل الى اسماعيل قال له : أيها الأمير انها أرادة الله التى شاءت أن أراك اليـوم وأنت فى الأسر » فأجابه نصر بقوله : « بل هى ارادتك أنت اذ خرجت على سـيدك وأذنبت بذلك فى حق الله عز وجل » هنالك أقر اسماعيل بجرمه وسأله أن يصفح عنه وعرض عليه أن يسيره من فوره الى مقر ولايته ، واستقر الرأى بينهما على مسير نصر الى سمرقند[٣٢] ، وظل اسماعيل نائبا عنه فى بخارى[٣٣] .

بسط اسماعيل بن أحمد سلطانه على خوارزم وبلاد ما وراء النهر عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ — ٨٩٤ م عقب وفاة أخيه ، وظل مقيما فى بخارى[٣٤] وأقره الخليفة المعتضـد فى امارته فى المحرم سـنة

---

(٢٩) فامبرى : ص ٩٧ .
(٣٠) النرشخى : ص ١١٤ — ١١٥ .
(٣١) فامبرى : ص ٩٧ .
(٣٢) وذلك قبل أن تصل انباء الحادث الى سمرقند ، فلا تتعرض هيبته فيما وراء النهر الى شىء من المهانة .
النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١١٥ ، ١١٦ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٨ .
(٣٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .
(٣٤) بعد أن عهد بحكومة سمرقند الى احد ابناء نصر .
فامبرى : ص ٩٨ .

٢٨٠ هـ(٣٥) .

اتسعت رقعة الدولة السامانية فى عهد اسماعيل بن أحمد حتى غدت بخارى حاضرة كل ولايات آسيا الوسطى ، ذلك أن سلطانه امتد شمالا حتى مشارف صحراء قراقورم وشرقا حتى وديان تيان شان ، وجنوبا حتى الخليج الفارسى وحدود الهند الشمالية وغربا الى ما وراء العراق العجمى(٣٦) ، وأصبح عمال اسماعيل هم أصحاب الأمر والنهى فى مرو ونيسابور والرى وآمل وقزوين وأصفهان وشيراز ، غير أن الحروب التى خاض غمارها لتثبيت ذلك الملك الواسع ، أنهكت قواه فتوفى سنة ٢٩٥ هـ وهو فى الحادية والستين من عمره بعد أن حكم أربعة وثلاثين سنة(٣٧) .

لم يظهر بعد اسماعيل بن أحمد أمير قدير من السامانيين ، ولكن حسن ادارتها واستقرار حكمهم فى بلاد ما وراء النهر ، مكنهم من المحافظة على ملكهم مدة مائة سنة ، فقد أقر الخليفة المكتفى أحمد بن اسماعيل على ولاية أبيه ، وخلع عليه فى ذى القعدة سنة ٢٩٥ هـ(٣٨) وبدأ عمله بعد توليه زمام الحكم بالقبض على عمه اسحاق بن أحمد — أمير سمرقند ، وحبسه فى بخارى ، اذ كان يتوقع تآمره عليه(٣٩) ، ثم سار الى طبرستان ، وكانت قد ساءت علاقته مع واليها « بارس الكبير »(٤٠) ، الذى جمع أموالا كثيرة من خراج الرى وطبرستان وجرجان واستولى عليها ، بعد وفاة اسماعيل ، فلما خلفه ابنه أحمد عمل على استرداد هذه الأموال من « بارس » ، فلما سار اليه كتب « بارس » الى الخليفة المكتفى يستأذنه فى المسير اليه فأذن له فاتجه « بارس » الى بغداد فى أربعة آلاف فارس(٤١) .

(٣٥) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١١٦ — ١١٧ .
، فامبرى : ص ٩٨ .
(٣٦) فامبرى : ص ١٠٤ .
(٣٧) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٠٤ ، ١١٠ .
(٣٨) الكرديزى : زين الاخبار ، ص ١٤٨ .
(٣٩) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٤٨ .
(٤٠) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٢ .
(٤١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣ .

لم يغضب الأمير الســامانى أحمد بن اسماعيل لهرب عامله « بارس » بقدر ما غضب لخروج أمواله من يده[٤٢] ، وعين أبا العباس ابن عبد الله واليا على خراسان ، وكان يتميز بكفايته الادارية حتى أن النــاصر الأطــروش[٤٣] العــلوى لم يســتطع فى أيامــه منــاوئة الســامانيين[٤٤] .

أولى أحمد بن اسماعيل طبرستان عناية خاصة ، فولى عليها محمد ابن نوح ، فأحسن السيرة فيها وأكرم من بها من العلويين ، وراســل زعماء الديلم وهادنهم واستمالهم ثم ما لبث أن عزله الأمير السامانى ، وولى طبرستان « ســلاما » الذى لم يحسن سياسة أهلها ، فثار عليه الديلم ، ومع أنه قاتلهم وهزمهم الا أن أحمد بن اسماعيل عزله وأعاد « محمد بن نوح » اليها فدانت له بالطاعة[٤٥] .

ولى طبرستان بعد وفاة محمد بن نوح ، أبو العباس محمد بن ابراهيم سنة ٢٩٨ هـ فلم يحسن سياسة أهلها ، مما أغضب الديلم لتنكره لرؤسائهم ، فأنتهز الحسن بن على الأطروش الفرصة وأثار الديلم عليه ودعاهم الى الخروج معه فأطاعوه[٤٦] ، لذلك أنفذ أحمد ابن اسماعيل السامانى فى سنة ٢٩٨ هـ جيشا بقيادة « محمد بن ابراهيم »

---

(٤٢) بينما كان « بارس » فى طريقه الى بغداد توفى الخليفة المكتفى وخلفه المقتدر الذى طمع فى الأموال التى هرب بها « بارس » وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن تمكن من قتله .
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٢ .
(٤٣) تقدم الأطروش على طبرستان فى عهد الداعى الحسن بن زيد العــلوى .
المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٩٤ .
، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ .
(٤٤) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٢ .
(٤٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٨ — ٢٩ .
(٤٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٩ .

الى طبرستان لكن الديلم بقيادة الأطروش أوقعوا به عند شالوس(٤٧) فى جمادى الآخرة سنة ٣٠١ هـ (ديسمبر ٩١٣ م)(٤٨) وقتل من أصحاب « محمد بن ابراهيم » نحو أربعة آلاف رجـل ، وحاصر الأطروش الباقين ، ثم أمنهم واستولى على طبرستان ، وخرج محمد بن ابراهيم الى الرى سنة ٣٠١ هـ(٤٩) .

لما توفى أحمد بن اسماعيل خلفه ابنه أبو الحسن نصر (الذى لقب فيما بعد بالسعيد) وكان فى الثامنة من عمره(٥٠) ، وقد استصغر الناس الأمير الجديد واستضعفوه واعتقدوا أن أمره لا ينتظم مع وجود عم أبيه أسحق بن أحمد بن أسد — صاحب سمرقند — الذى استمال أهالى بلاد ما وراء النهر — عدا بخارى — اليـه ، وأرسل هو وبعض أمراء البيت السامانى الى الخليفة العباسى المقتدر يسأله كل منهم امرة ناحية من نواحى خراسان ، لكن الخليفة أقر نصـرا على بلاد أبيه ، وأقر اللقب الذى تلقب به وهو السعيد(٥١) .

واجه الأمير السعيد فى بداية حكمه خطر عمه اسحق الذى كان ينافسه فى حكم بلاد الدولة السامانية(٥٢) ، فاتجه بعد أن مكن لنفسه فى سمرقند الى بخارى أملا فى الاستيلاء عليها ، وتولى ابنه الياس

---

(٤٧) شالوس : مدينة بجبال طبرستان بينها وبين الرى ثمانية فراسخ وبين شالوس وآمل عشرون فرسخا .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٦ .

(٤٨) ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٩ .
، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٤٩) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٩ .

(٥٠) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٧ .

(٥١) قام بضبط بلاده أبو عبد الله محمد بن احمد الجيهانى ، فأحسن سياسة الدولة وادارة شئونها .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٠ ، ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٧ .
، النويرى : نهاية الأرب ، ج٢٣ ، ص ١٧٥ (مخطوط) .

(٥٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٣ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٠ .

قيادة الجيش ، ورأى السعيد أن الأمر يتطلب عملا سريعا ، فبعث قائد جيوشه « حمويه بن على » لمحاربة اسحق الذى انهزم فى أول الأمر ، وتمكن جيش السعيد من دخول سمرقند والتغلب على جيش اسحق الذى انتهت حياته فى بخارى(٥٣) . وهدأت الأحوال فى خرسان وما وراء النهر بعد وفاته ، وأقيمت الخطبة باسم السعيد فى فارس وكرمان وطبرستان وجرجان(٥٤) .

على أن الأمور لم تستقر لنصر الثانى ، فقد ثار عليه قائده أحمد بن سهل(٥٥) فى نيسابور واستولى عليها وأسقط خطبة نصر(٥٦)، وسار من نيسابور الى جرجان ، واستولى عليها ، ثم عاد الى خراسان وقصد مرو وضمها الى حوزته وبنى عليها سورا وتحصن بها ، فأرسل اليه السعيد نصر الجيوش مع حمويه بن على من بخارى فوافى مرو الروز(٥٧) ، وأقام بنواحيها وحاصرها(٥٨) .

تحصن ابن سهل بمرو ، ولم يفلح « حمويه » فى اخراجه من حصنه(٥٩) ، فأرسل اليه بعض قواده لاستمالته ، فمال اليهم وخرج

---

(٥٣) زين الأخبار ، ص ١٥١ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٨ .
(٥٤) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ٩٢ .
(٥٥) هو أحمد بن سهل بن هاشم بن جبله ، التحق بخدمة عمرو بن الليث الصفار فى أول الأمر الى ان صار واليه على مرو ، ثم غضب عليه عمرو واعتقله بسجستان ولكنه تمكن من الهرب الى مرو ، وبعد أن الحق اسماعيل السامانى الهزيمة بعمرو بن الليث ، التحق بخدمة اسماعيل بن أحمد ودخل فى طاعته فاكرمه وظل كذلك حتى عهد السعيد نصر بن أحمد .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥١ — ١٥٢ .
، ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٤٠ — ٤١ .
(٥٦) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ص ١٧٦ (مخطوط) .
(٥٧) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٢ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١ .
(٥٨) نهاية الأرب جـ ٢٣ ، ص ٧٦ ١، زين الأخبار ، ص ١٥٢ ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١ .
(٥٩) نهاية الأرب جـ ٢٣ ، ص ١٧٦ .
، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١ .

معهم من مرو الى حمويه فى رجب سنة ٣٠٧ هـ (نوفمبر / ديسمبر ٩١٩ م) ، ثم دارت بين الفريقين عـدة معارك انتهت بهزيمتـه وأسره[٦٠] .

كان دعاة الاسماعيلية فى فارس وشرق الدولة الاسلامية يبذلون جهودا كبيرة لجذب كبار الأمراء الى زعيمهم عبيد الله المهدى ، ومن بين هؤلاء الدعاة أبو عبد الله محمد ابن أحمد النسفى وكان عالمـا أديبا اشتهر بحرية الرأى ، استطاع أن يضم الى الاسماعيلية كثيرا من أهالى خراسان ، ولم يكتف بما أحرزه من نجاح فى هذا الاقليم ، بل عبر نهر جيحون واتجه الى بخارى حيث لقى معاونة من كبـار رجال الدولة السامانية ، وبفضل هؤلاء استطاع النسفى الوصـول الى نصر الثانى بن أحمد السـامانى الذى رحب بمبادئه ودعاه لمقابلته ، وكان السعيد نصر الثانى من أكبر معارض المذهب الاسماعيلى فى بادىء الأمر ، فقبض على أستاذ النسفى الحسين بن على المروزى وسجنه وظل مسجونا حتى توفى[٦١] ، غير أن النسفى استطاع بدهائه وحسن سياسته أن يستميل السعيد نصر الثانى الى جانب الخليفـة الفاطمى عبيد الله المهدى ليبرهن له عـلى اخلاص نصر للدعـوة الاسماعيلية وفى ذلك يقول ابن النديم[٦٢] : « لمـا تمكن الحسين بن على المروزى من بلاد خراسان حبيبه نصر بن أحمد ، فمات فى حبسه ،

---

(٦٠) نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ١٧٦ .
، زين الأخبار ، ص ١٥٢ .
، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١ .

(٦١) حسن ابراهيم حسن طه احمد شف : عبيد الله المهـدى ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٣ .

(٦٢) الفهرست ، ص ٢٦٦ ، جمال سرر : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٨٣ .
ازداد اعزاز نصر بن احمد للنسفى بعد ان استجاب لدعوته ولم يعد يطيق فراقه . لحظة نظام الملك الطوسى : سياسة نامه ، ص ٢٦٦ ، ترجمة السيد محمد العزاوى .

فخلفه النسفى ، واستغوى نصر بن أحمد وأدخله فى الدعوة وأغرمه دية المروزى مائة وتسعة عشر دينار فى كل دينار ألف دينار ، وزعم أنه ينفذها الى صاحب المغرب القيم بالأمر » وكان ذلك سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١ م .

وليس أدل على ميل السعيد نصر الثانى بن أحمد الشامانى الى الدعوة الاسماعيلية من ذلك الكتاب الذى أرسله الى عبيد الله المهدى يعترف فيه بسلطته الروحية ويعد بامداده بالرجال ، وقد قال فى كتابه : « أنا فى خمسين ألف مملوك يطيعوننى وليس على المهدى بهم كلفة ولا مئونة ، فان أمرنى بالمسير سرت اليه ووقفت بسيفى ومنطقتى بين يديه وأمتثلت لأمره »[٦٣] .

ازداد نفوذ النسفى فى عهد السعيد نصر الثانى حتى أصبح صاحب الأمر والنهى فى دولته فاستغل هذا المركز لمضاعفة جهوده فى نشر الدعوة الاسماعيلية مما أثار عليه حفيظة كبار رجال الدولة السامانية من السنيين ، وخاصة بعض القواد والعلماء الذين أخذوا يكيدون له ولأنصار المذهب الاسماعيلى[٦٤] .

لما وقف الأمير نصر الثانى على الخطر المحدق به ، نزل عن الامارة سنة ٣٣١ هـ لابنه نوح[٦٥] الذى وجه اهتمامه الى القضاء على الدعوة الاسماعيلية وأنصارها فى بلاده فدعا الفقهاء لمناظرة النسفى ، فلما تغلبوا عليه بحججهم أمر بقتله وقتل كثيرين من القواد الذين دخلوا فى المذهب الاسماعيلى[٦٦] .

---

(٦٣) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٤١٧ .
(٦٤) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ .
(٦٥) سياسة نامة ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ .
ذكر ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ١٤٢ أن نصر بن أحمد استمر فى الحكم الى ان مات سنة ٣٣١ هـ دون أن يشير الى حادثة التنازل عن الامارة ، كذلك أورد النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٤٢ أن نصرا مات مقتولا فى عام ٣٣٠ هـ دون بيان سبب قتله .
(٦٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٨٤ .
، البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٥ — ٢٧٧ .

توفى السعيد نصر بن أحمد سنة ٣٣١ هـ (٩٤٣ م) بعد أن امتد حكمه زهاء ثلاثين عاما قضاها فى كفاح متواصل لتأمين الدولة فى الداخل والخارج ، ساعده فى ذلك المخلصون من قادته ووزرائه من أمثال حمويه بن على ومحمد بن المظفر بن محتاج وابنه أحمد والبلعمى والجيهانى ومحمد بن حاتم المصعبى وأبو الفضل محمد بن محمد الذى اشتهر بلقب حاكم الشهيد[٦٧] ويصف ابن الأثير[٦٨] نصر بن أحمد بأنه كان على جانب عظيم من حسن الخلق وكان حليما عاقلا .

ولى نوح بن نصر السامانى بلاد خراسان وما وراء النهر فى شهر شعبان سنة ٣٣١ هـ (أبريل ٩٤٣ م)[٦٩] وكان نصر قد جعل ولاية العهد من بعده لابنه الأصغر ، لكن خلفه فى الحكم أخوه الأكبر نوح الذى لقب بالامير الحميد[٧٠] . وقد استهل امارته بالعفو عن بعض الأمراء الذين كان يحقد عليهم فى حياة أبيه ليتألف القلوب من حوله[٧١] ، غير أن هؤلاء الأمراء ما لبثوا أن استغلوا ضعف الدولة السامانية ، وطمعوا فيها ، واستقل كل منهم بناحية ، فواجه الأمير نوح بن نصر من جراء ذلك مصاعب كثيرة ، فسار الى نيسابور فى رجب سنة ٣٣٣ هـ وقبض على أميرها أبو على الأصفهانى وهزم المتمردين وبدد شملهم وأسند حكم نيسابور لابراهيم بن سيمجور الدواتى[٧٢] ، كما أن أبا اسحق أحمد سار الى بخارى وأظهر العصيان ، فعاد الأمير نوح الى بخارى واشتبك مع أبى اسحق أحمد ، فانهزم نوح بن نصر ، ودخل أبو اسحق بخارى ظافرا منتصرا سنة ٣٣٥ هـ وبايعه جميع أهلها وأقيمت الخطبة باسمه على منابر

---

(٦٧) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٤ .
(٦٨) الكامل : جـ ٨ ، ص ١٤٢ .
(٦٩) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٩ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٤ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٤٢ .
(٧٠) غامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٥ .
(٧١) غامبرى : ص ١١٥ .
(٧٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٥ .

بخارى ، على أنه لم ينعم بالحكم طويلا اذ خرج عليه جنده ، وأعلنوا ولاءهم للأمير نوح بن نصر ، وبذلك خمدت هذه الفتنة[٧٣] .

ومن الصعوبات التى واجهت الأمير الحميد نوح ، خروج القائد السامانى أبو على بن محتاج الذى تمكن من صد ركن الدولة الحسن ابن بويه عن الرى[٧٤] ، وخلت له هذه المدينة ، ورأى على بن بويه أن يستغل الخلاف بين الامير نوح وابن محتاج لصالحه فأرسل الى الأمير نوح يعرفه عدم أهمية الرى بالنسبة له وسأله أن يضمنه أعمالها عشر سنين بمثل ما تقرر عليه بينه وبين ابن محتاج زيادة مائة ألف دينار فى كل سنة ، على أن يقرضه مال سنة ، وتعهد على بن بويه بأن يعاون الأمير نوح ضد ابن محتاج حتى يظفر به[٧٥] ، فأنفذ نوح بن منصور رسوله على بن موسى المعروف بالرزاز الى عماد الدولة على بن بويه ، وذلك بعد أن قبض على أخوة أبى على بن محتاج وأهله وقتل بعضهم[٧٦] ، وبعث عماد الدولة الى ابن محتاج يؤكد له أنه لا زال على عهده معه وحذره من غدر نوح ، فكان ذلك مما حمل ابن محتاج على أن يرسل الى ابراهيم بن أحمد السامانى (عم نوح) وكان مقيمـا عند الحمدانيين بالموصل — يعرفه بأنه عقد له الرياسة عليهم وأن تكون له خراسان مقابل أن يمضى معه لحرب نوح[٧٧] وكان ذلك فى أواخر أيام الخليفة المستكفى[٧٨] .

توجه ابراهيم بن أحمد السامانى الى همذان سنة ٣٣٤ هـ والتقى بأبى على بن محتاج الذى سار معه الى خراسان[٧٩] التى ما لبثت

---

(٧٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٩ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٥ .
(٧٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٥٨ — ١٥٩ .
(٧٥) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٠٠ .
(٧٦) تجارب الأمم ، جـ٦ ، ص ١٠١ .
(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٦٤ .
(٧٨) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٠١ .
(٧٩) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٦٤ .
، مسكوية : جـ ٦ ، ص ١٠٢ .

أن ثارت على نوح بن نصر[٨٠] ، ولما تجلى عداء أبى على بن محتاج لنوح بن نصر أرسل عماد الدولة على بن بوية رسولا من قبله الى نوح ، يخبره بأنه سيعهد الى ركن الدولة بمعاونته فى محاربة ابن محتاج وحليفه ابراهيم بن أحمد السامانى ، وقد استمرت الحرب بين نوح وابن محتاج فترة طويلة[٨١] ، حيث تمكن ابن محتاج من الاستيلاء على نيسابور ومرو وبخارى سنة ٣٣٥ هـ ، وخطب فيها لابراهيم بن أحمد السامانى ، غير أن ابراهيم السامانى سرعان ما آثر خلع نفسه واتفق مع نوح بن نصر على أن يتقلد امرة جيشه[٨٢] .

لما توفى الأمير الحميد نوح بن نصر فى ربيع الآخر ٣٤٣ هـ (أغسطس ٩٥٤ م)[٨٣] خلفه ابنه عبد الملك الملقب بالرشيد[٨٤] ، فأسند الى « بكر بن مالك » امرة الجيوش[٨٥] فى خراسان ، وسيره لاخراج أبى على بن محتاج منها ، وخدمت الظروف « بكر بن مالك » فقد تفرق رجال ابن محتاج عنه ، وعادوا الى طاعة الأمير السامانى عبد الملك ، وظل أبو على فى مائتى رجل من أصحابه سوى من انضم اليه من الديلم ، واضطر الى المسير الى ركن الدولة بالرى مستجيرا به[٨٦] .

ظل أبو على بن محتاج مقيما عند ركن الدولة ، الذى توسط لدى الخليفة العباسى المطيع لاقرار سلطة أبى على فى خراسان ،

---

(٨٠) مسكوية : جـ ٦، ص ١٠٢ .
(٨١) ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ١٦٥ .
(٨٢) ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ١٦٥ .
(٨٣) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٥٤ — ١٥٧ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٤ — ١٥٩ .
(٨٤) وكان اذ ذاك فى العاشرة من عمره .
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٦ — ١١٧ .
(٨٥) هو ابو سعيد بكر بن مالك الفرغانى .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٩ .
(٨٦) يذكر مسكوية ان ركن الدولة استقبل ابى على واحسن وفادته .
تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٥٧ .

وعاونه فى ذلك معز الدولة البويهى ، فأرسل الخليفة العباسى تقليد ولاية خراسان لأبى على سنة ٣٤٣ هـ (٩٥٤ م)(٨٧) .

حاول الأمير الرشيد عبد الملك بن نوح أن يحتفظ بنفوذ السامانيين فى غربى الدولة . غير أن « أشعث بن محمد » وكان من خيرة قواده ، لم ينجح الا فى مصالحة الديلم وركن الدولة على شروط معقولة دون أن يحملهم على الولاء للأمير السامانى الذى لم يلبث أن توفى فى شوال ٣٥٠ هـ (نوفمبر ٩٦١ م)(٨٨) ، فآلت السلطة من بعده لأخيه أبى صالح منصور بن نوح الملقب بالأمير السديد(٨٩) ، فبدأت الفتنة فى خراسان وتطرق الضعف الى الدولة السامانية(٩٠) .

ومن العوامل التى ساعدت على انحلال الدولة السامانية خروج بعض ولاتها عليها من أمثال البتكين الذى نشأ مملوكا فى بلاط السامانيين ، ثم أخذ يترقى حتى بلغ منصب الوزارة بعد أن ولى نيسابور ، وبدلا من أن يساند الدولة السامانية ويحفظ كيانها ، عمد الى مهاجمة أميره منصور بن نوح فى جيش كبير ، غير أنه تعذر عليه عبور نهر جيحون فى بداية الأمر مما اضطره الى العودة الى غزنه(٩١) ، الا أن التوفيق حالفه فى محاولته الثانية حتى اضطر الأمير منصور أن يصالحه على أن تصير له نيسابور على خراج سنوى قدرهخمسون ألف دينار(٩٢) .

---

(٨٧) مسكوية : ج ٦ ، ص ١٥٤ — ١٥٧ ، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٩ .
لم يلبث ابو على بن محتاج ان توفى فى آخر رجب سنة ٣٤٤ هـ . زين الأخبار ، ص ١٦٠ .
(٨٨)وكان ذلك اثر سقوطه من فوق جواده .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦١ ، نامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٧ .
(٨٩) السديد : اى العادل . نامبرى : ص ١١٧ .
(٩٠) مسكوية : تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ١٨٩ .
(٩١) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٧ ، نامبرى : ص ١١٧ .
(٩٢) نامبرى : ص ١١٧ .

وفى عهد الأمير منصور شق أهل سجستان عصا الطاعة على أميرهم خلف ابن أحمد وولوا مكانه رجلا من أصحابه يدعى طاهر بن الحسين[٩٣] ، فاستنجد خلف بالأمير منصور الذى أمده بجيش استرد به هذه البلاد ، لكنه لم يلبث أن طرد منها ، ثم استردها ثانية بمعونة السامانيين ، الا أن الأمير خلف لم يلبث أن ساءت علاقته بالسامانيين ، فقامت الحروب بين الفريقين ، واستمرت سبع سنوات انتهت بالصلح واعادة الخطبة لمنصور بن نوح ، الأمر الذى يوضح مدى الضعف الذى تطرق الى البيت الساماني[٩٤] .

كذلك قامت الحرب فى جهات الرى بين منصور بن نوح وركن الدولة الحسن بن بويه[٩٥] ، ذلك أن أبا على « محمد » بن الياس أطمع منصور بن نوح[٩٦] فى بلاد الديلم وزعم له أن قواد جيوش ركن الدولة لا يطيعونه ، فطلب الأمير منصور من وشمكير بن زيار والحسن ابن الفيروزان المسير لمحاربة ركن الدولة وأمدهما بالجيوش ، وانتهت الحرب بين الفريقين سنة ٣٦١ هـ بالصلح[٩٧] ، الذى تضمن أن يرسل ركن الدولة وابنه عضد الدولة الى الأمير منصور الساماني مائة وخمسين ألف دينار كل سنة[٩٨] .

---

(٩٣) ذلك ان خلف بن احمد ذهب الى الحج سنة ٣٥٣ هـ واستخلف على اعماله طاهر بن الحسين وكان من اصحابه ، فطمع طاهر فى الملك وعصى خلف لما عاد من الحج ، فسار خلف الى بخارى واستنصر بالأمير منصور بن نوح .
ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٠١ .

(٩٤) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٩٥) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٠٧ .

(٩٦) كان ابن الياس عامل البويهيين فى كرمان فلما خرج عليهم تصده عضد الدولة فهرب الى خراسان ، ولقى الأمير منصور فشجعه على المسير الى بلاد الديلم .
مسويكة : تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٩٧) مسكوية : تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ٢٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٤ .

(٩٨) ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ .

لما توفى منصور بن نوح فى منتصف شهر شوال[٩٩] سنة ٣٦٦ هـ[١٠٠] (يونية ٩٧٧ م) واجه ابنه نوح الثانى[١٠١] بن منصور الملقب بالسعيد أبى القاسم عدة صعاب بسبب ضعف نفوذ السامانيين ، فقام بأمر الدولة السامانية فى مستهل امارته وزيره أبو الحسين العتبى ، واستبد محمد بن سيمجور قائد الجيش فى خراسان من قبل السامانيين بالأمر فى هذه البلاد واتخذ من صغر سن الأمير الجديد فرصة لتحقيق مطامعه ، فعزله الوزير أبو الحسين العتبى وولى أبا العباس تاش[١٠٢] امرة الجيش وأصبح نائبا لأبى القاسم على خراسان عام ٣٧١ هـ[١٠٣] كما قامت فى هذه السنة أيضا الحرب بين الأمير نوح ابن منصور وبين عضد الدولة بن بويه ، الذى استولى على جرجان وطبرستان سنة ٣٧٢ هـ[١٠٤] .

على أن الوزير الجديد « عبد الله بن عزيز » الذى كان يضمر العداوة والبغضاء للوزير العتبى ، عمل على عزل أبى العباس تاش عن خراسان واعادة أبى الحسن بن سيمجور اليها ، فامتنع أبو العباس عن تنفيذ أوامر الوزير الجديد ، ولجأ الى فخر الدولة بن

---

(٩٩) يذكر النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٣ أن وفاته يوم الأحد السادس عشر من شهر المحرم سنة ٣٦٥ هـ بينما يذكر الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦٤ أنه مات فى شوال سنة ٣٦٥ هـ ولقبه الأمير السديد .

(١٠٠) النرشخى : ص ١٣٣ .
، ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٤٣ .

(١٠١) هو أبو القاسم نوح وكان عمره حين ولى الأمر ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور .
ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٤٣ .

(١٠٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦٦ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤ ، وهو الملقب بحسام الدولة .
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٨ .

(١٠٣) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٤ .

(١٠٤) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٤ ، ٥ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦٧ .

بويه بجرجان[١٠٥] ، فأمده بجيش حارب به ابن سيمجور واستولى على نيسابور[١٠٦] .

تعرضت الدولة السامانية فى عهد نوح بن منصور للزوال ، ففى سنة ٣٨٣ هـ ثار عليه أبو الحسن بن سيمجور ، وفائق الخاصة ، غلام نوح بن نصر — وهما من أكبر قواد السامانيين واتصلا بشهاب الدولة هرون بن سليمان ايلك المعروف ببغراخان[١٠٧] وأطمعاه فى الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر[١٠٨] ، وتمكن ايلك من الانتصار على جيوش نوح فى هذه السنة والاستيلاء على بخارى ، غير أن نوحا لم يلبث أن استرد حاضرة امارته[١٠٩] .

أدت ثورة الأمراء على نوح بن منصور الى استعانته بسبكتكين صاحب غزنة ، حيث انتصرت جيوشهما بالقرب من هراة على هؤلاء الأمراء الذين استعانوا ببنى بويه وفروا الى جرجان ، وتمكن نوح من استعادة نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين[١١٠] ، فأحسنا السيرة ، وعاد نوح الى بخارى وسبكتكين الى هراة وأقام محمود بنسابور[١١١] .

توفى الأمير نوح بن منصور[١١٢] ، بعد أن استمر فى الحكم

---

(١٠٥) فامبرى : ص ١١٨ .
(١٠٦) فامبرى : ص ١١٨ .
(١٠٧) كانت بلاده تمتد من حدود الدولة السامانية شرقا حتى حدود الصين .
ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٦ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ .
(١٠٨) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٢ .
(١٠٩) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، فامبرى ، ص ١٢٢ .
(١١٠) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٨ .
(١١١) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧٠ .
، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٨ .
(١١٢) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٩ .

أكثر من واحد وعشرين عاما(١١٣) ، وكان عهده مليئا بالثورات بسبب صغر سنه ، وتدخل النساء والوزراء فى حكم بلاده ، وتطلع بنى بوية والأتراك الى امتلاك بلاده . فضلا عن قيام المنافسة بين أفراد البيت السامانى نفسه ، وقد أشار ابن الأثير الى ذلك فى قوله « توفى الأمير الرضا نوح بن منصور السامانى ، وأختل بموته آل سامان ، وضعف أمرهم ضعفا ظاهرا وطمع فيهم أصحاب الأطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة »(١١٤) .

خلف أبو الحارث منصور أباه نوح فى رجب ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م(١١٥) وأعاد فائق الخاصة الى خدمة السامانيين(١١٦) ، وولاه الامارة(١١٧) ، وعين حاجبه الكبير بكتوزون(١١٨) واليا وقائدا لجيوش خراسان(١١٩) بدلا من محمود بن سبكتكين ، الذى كان مشغولا بقتال أخيه اسماعيل(١٢٠) ، وكان بين فائق وبكتوزون عداء ، فأغرى فائق أبا القاسم بن سيمجور ببكتوزون ومناه بولاية جيوش خراسان اذا

---

(١١٣) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٧ ملحق بتاريخ بخارى ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٤٨ .

(١١٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤٨ .

(١١٥) تاريخ البيهقى ، ص ٧٠٧ .

(١١٦) استمال شمس الدولة ايلك خان ملك الخانيين فائق الخاصة اليه فى سبيل تحقيق أطماعه فى أملاك السامانيين ، وارسله فى ثلاثة آلاف رجل الى بخارى فبادر أبو الحارث منصور الى عبور نهر جيحون تاركا عاصمته ، غير انه بعد أن دخل فائق بخارى ما لبث أن اظهر الولاء للامير أبى الحارث منصور السامانى وطالبه بالرجوع فعاد العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ ، ٢٨٠ .

، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(١١٧) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٧ ، ملحق بتاريخ بخارى .

، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧٢ .

(١١٨) بكتوزون : لفظ أويغورى معناه الأمين العادل .

فامبرى : تاريخ بخارى ، هامش ص ١٢٣ .

(١١٩) تاريخ البيهقى ، ص ٧٠٧ .

(١٢٠) ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٤٨ .

هو طرده منها فحاربه وانتصر عليه وصفت له خراسان[١٢١] .

أخذ محمود بن سبكتكين يرسل الهدايا الى أبى الحارث منصور طمعا فى توليته خراسان ، ثم أضطر الى استخدام القوة ، فسار بجيشه الى نيسابور ، وأضطر بكتوزون الى الانسحاب مستنجدا بالأمير السامانى أبى الحارث ، الذى أجابه ، وكان فى مقدور محمود أن يقضى عليهما الا أنه فضل أن يتبع سياسة أبيه فى اظهار الولاء للدولة السامانية فترك لهما نيسابور[١٢٢] .

ومع ما قام به الأمير منصور بن نوح تجاه بكتوزون[١٢٣] وفائق الخاصة الا أنهما قبضا عليه وسملا عينيه[١٢٤] ، ولم يمض عليه فى الامارة غير سنة وسبعة أشهر . ووليا أخاه الصغير عبد الملك بن نوح فى صفر ٣٨٩ هـ فاتخذ محمود بن سبكتكين من اضطراب حبل الأمور فى الدولة السامانية وسيلة للاستيلاء على أملاكهم ، فبعث الى هذين المتآمرين يلومهما ويقبح فعلهما ، وأعد عدته وجهز الجيوش

---

(١٢١) ارسل محمود بن سبكتكين بعد ان فرغ من امر اخيه يعرض على ابى الحارث خدماته وانه يقوم مقام ابيه فى نصرة الدولة السامانية ، فاقره الأمير السامانى على ما فى يده واعتذر له عن نيسابور التى وليها بكتوزون .

العتبى : جـ ١ ، ص ٢٩١ ، ابن الاثير : جـ ٩ ، ص ٥٢ .

(١٢٢) العتبى : جـ ١ ص ٢٩٢ — ٢٩٥ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٧ ، ابن الاثير ، جـ ٩ ، ص ٥٢ .

(١٢٣) حيث اكرمه ولقبه بسنان الدولة .

حمد الله المستوفى : تاريخ كزبدة ، ص ١٤٧ ملحق بتاريخ بخارى .

(١٢٤) يذكر البيهقى فى تاريخه ، ص ٧٠٧ ، ٧٠٨ ان بكتوزون كان يرى أن هذا الأمير حدث (صغير) وان هواه مع السلطان محمود ، وأسر بذلك الى فائق واوضح له ان هذا الامير يستخف بهما وانه (اى بكتوزون) يخشى ان يسلمه واياه الى محمود ، كما سلم ابوه ابا على سيمجور الى سبكتكين واتفقا على عزله ، وذات يوم ركب ابو الحارث للصيد فى سرخس فدعاه بكتوزون الى خيمته وما أن دخل الأمير منصور حتى قيدوه ، ثم سملوا عينية ، ثم اجلسوا عبد الملك بن نوح أخاه على العرش ، وجعلوا امور الملك فى يد « سديد ابن الليث » .

للقائهما(١٢٥) ، والتقى الجيشان فى مرو فى جمادى الأولى سنة ٣٨٩ هـ (ابريل/مايو ٩٩٨ م) فحلت الهزيمة بالجيش السامانى ، وأرتد فائق الخاصة بصحبة عبد الملك بن نوح الى بخارى(١٣٦) ، وقصد بكتوزون نيسابور(١٣٧) ، وقد استطاع محمود بن سبكتكين أن يستولى على نيسابور وبخارى ، ويوطد سلطته فى خراسان ويزيل نفوذ السامانيين عنها ويقيم فيها الخطبة للخليفة القادر بالله(١٢٨) .

حـاول عبد الملك بن نوح السـامانى وفائق وبكتوزون بعد اجتماعهم فى بخارى استعادة خراسان ، لكن وفاة فائق فى شعبان سنة ٣٨٩ هـ أوهن عزيمة السامانيين ولم يبق لهم سوى بخارى فيما وراء النهر(١٢٩) .

سرعان ما سقط عبد الملك بن نوح فريسة لغدر ايليك خان(١٣٠) ، الذى أدعى حمايته له ، فقدم من كاشغر(١٣١) الى بخارى لمساعدته ضد أعدائه ، غير أنه ما لبث أن كشف عن غرضه الحقيقى حين قبض على قواد السامانيين ، ثم دخل بخارى نفسها يوم الثلاثاء عاشر ذى

---

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٥٤ .
(١٢٦) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧٣ .
، غامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٣ .
(١٢٧) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ .
(١٢٨) هلال بن الصابىء : تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ، ص ٣٧٤ .
، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٨ ، ملحق بتاريخ بخارى .
(١٢٩) البيهقى : ص ٧٠٩ .
، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٥٥ .
(١٣٠) ذكره الكرديزى : ابو الحسن ايلك بن نصر ، ويقول محقق زين الأخبار ان ابن الأثير ذكره ايلك خان ولقبه شمس الدولة أما اسمه الاصلى الذى ذكر على مسكوكاتهم : ابو الحسين نصر بن على الأمـير الرابع المعظم لآل افراسياب الايلكخانيين .
(١٣١) كاشغر : يسافر اليها من سمرقند وهى فى وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٢٠٧ .

القعدة سنة ٣٨٩ هـ (٢٤ أكتوبر ٩٩٩ م) وقبض على عبد الملك نفسه وزجه فى السجن(١٣٢) .

لم يكن لمحمود بن سبكتكين مطمع فى أملاك السامانيين فيما وراء النهر ، فقد اعتبر نهر جيحون حدا طبيعيا لامارته من جهة الشمال . لذلك لم يجد بأسا فى ترك بخارى ليستولى عليها جاره ايليك خان معلنا سقوط الدولة السامانية(١٣٣) .

حاول الأمير السامانى المنتصر (أبو ابراهيم) أن ينقذ ما بقى للسامانيين من نفوذ ، بعد أن تمكن من الهرب من السجن حيث سار الى خوارزم(١٣٤) ، وتلقاه كثير من أتباع أسرته السابقين ومنهم شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، ورغم أنه (أى المنتصر) نجح فى هزيمة قوات ايليك خان(١٣٥) ، غير أن ايليك خان كان من القوة بحيث لم تؤثر فيه ضربات المنتصر (أبو ابراهيم)(١٣٦) .

ظل الأمير المنتصر (أبو ابراهيم) ينتقل بين طبرستان وسجستان وخراسان وحوله قلة من أخصائه حتى نجح فى عام ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م فى الاستيلاء على نيسابور(١٣٧) ، وسرعان ما أخرجه منها نصر بن سبكتكين(١٣٨) ، ثم وقع أسيرا فى شراك ايليك خان الذى أسره هو وأتباعه ، وما لبث أن هرب ولقى حتفه فى مضارب قبيلة بنى بهيج(١٣٩) . وبوفاة آخر الأمراء السامانيين فى ربيع الأول من عام

---

(١٣٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٣ .
(١٣٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٦ .
(١٣٤) العتبى : ج ١ ، ص ٣٢١ ، ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .
(١٣٥) ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٦٠ .
(١٣٦) فامبرى : ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
(١٣٧) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .
(١٣٨) العتبى : ج ١ ، ص ٣٢٤ — ٣٢٨ ، تاريخ كزيدة ، ص ١٤٨ ملحق بتاريخ بخارى ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٩ .
(١٣٩) ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٦٠ ، تاريخ كزيدة ، ص ١٤٩ ، ملحق بتاريخ بخارى ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٤ .

٣٥٩ هـ (ديسمبر ١٠٠٥ م)(١٤٠) انقرضت أسرة كانت تسيطر على بلاد ما وراء النهر وفرغانة ، ثم ظلت ابتداء من عهد الأمير نصر — أى قرابة مائة وخمسة وأربعين عاما — تحكم كل آسيا الوسطى(١٤١) .

(ب) الســامانيون وعلاقتهم بالخلافة العباسية :

كان الســامانيون يعملون فى خدمة الدولة العباسية كولاة لبعض مدن ما وراء النهر ، وتم تعيين السامانيين فى هذه الولايات منذ عهد الخليفة المأمون الذى كافأهم بذلك على خدمتهم له(١٤٢) وانتقد بعض المؤرخين(١٤٣) سياسة المأمون فى تولية قواده امارة المدن والولايات ، وقالوا انها أدت الى قيام الامارات المستقلة ، غير أن السامانيين ظلوا منذ أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) على علاقة طيبة بالخلافة العباسية ، فعمل أحمد بن أسد السامانى على نشــر نفوذ العباسيين فى منطقة ما وراء النهر ، فضم قسما كبيرا من بلاد الصغد وبلاد ما وراء النهر الى الدولة الاسلامية ، وظل مواليا للعباسيين حتى توفى ، وخلفه ابنه نصر الذى منحه الخليفة المعتمد تفويضا رسميا كاملا بحكم منطقة ما وراء النهر مكافأة له على مواصلة جهود أبيه ، وحينما ولى اسماعيل بن أحمد الامارة بعد أخيه لم تعترض الخلافة على توليته بل أقرته تحقيقا لرغبة السامانيين . وقد أدت هذه العلاقة الودية بين السامانيين والخلافة العباسية الى موافقة الخليفة المعتضد على تولية اسماعيل بن أحمد السامانى خراسان بعد أن تمكن من هزيمة عمرو بن الليث الصفار سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م(١٤٤) .

---

(١٤٠) العتبى : جـ ١ ص ٣٢٤ — ٣٢٧ ، ابن الاثير : جـ ٩ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، تاريخ كزيدة ، ص ١٤٩ ، ملحق بتاريخ بخارى .

(١٤١) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٤ .

(142) Lan Poole : Muhammadan Dynasties. p. 131.

(143) Noldeke : Sketches from Eastern History, p. 86.

(١٤٤) وقع عمرو بن الليث فى أسر اسماعيل بن أحمد السامانى فى يوم الاربعاء التاسع من جمادى الاخر سنة ٢٨٨ هـ (أول يونية ٩٠٠ م)

كما استجاب هذا الخليفة لرغبة اسماعيل السامانى فولاه كرمان وجرجان سنة ٢٩٠ هـ ولما جاء الخليفة المكتفى ولاه اقليم الجبال حتى حلوان[١٤٥] . وهكذا أصبحت معظم الأراضى الفارسية تحت حكم السامانيين برضاء من الخلافة العباسية .

استمر السامانيون على ولائهم للخلافة العباسية حتى فى الأوقات التى كانت الخلافة تحاول أن تحد من نفوذهم . ففى سنة ٢٩٣ هـ هرب « بارس الكبير » وكان من أكبر قواد السامانين ويلى أمر جرجان من قبلهم ، والتجأ هذا القائد الى بغداد بما معه من أموال هذا الاقليم ، فحماه الخليفة المكتفى ، ولم يحرك الأمير السامانى أبو نصر أحمد ابن اسماعيل ساكنا[١٤٦] ، ولم يغضب لهرب عامله بقدر ما أغضبه خروج هذه الأموال من يديه[١٤٧] .

كذلك تمكن السامانيون فى عهد اسماعيل بن أحمد السامانى من فتح بلاد طبرستان واستردادها من يد « محمد بن زيد » الذى كان ينازع السامانيين والعباسيين فى خراسان ، ولم يكتف السامانيين بطرد العلويين ، بل أدخلوا طبرستان تحت السلطة الشرعية لدولتهم وصارت الخطبة تقام فيها باسم الخليفة العباسى[١٤٨] .

=

وبالغ فى اكرامه حتى انه رد اليه أمواله وجواهره ، غير انه حينما ارسل اليه الخليفة العباسى المعتضد يطلب اليه ارسال أسيره الى بغداد ، لم يجد يدا من اطاعة امر الخلفة العباسى ، حيث أرسل الى دار الخلافة وظل فى السجن حتى أمر الخليفة المكتفى بقتله فى جمادى الاولى من عام ٢٩٠ هـ (ابريل ٩٠٢ م) .

النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ،
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(١٤٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٣٧ .

(١٤٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣ .

(١٤٧) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٢ .

(١٤٨) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٣٨ وما بعدها (مخطوط).
، ابن الأثير : ج ٧ ، ص ١٨٨ .

وفى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م حينما ثار أهالى سجستان على نصر الثانى ، عين الخليفة العباسى المقتدر حاكما من قبله على هذا الاقليم ، فقبض على عمال السامانيين فى المنطقة[١٤٩] . ولم يحاول نصر السامانى الاعتراض على هذا التصرف ، بسبب ولائه للخليفة[١٥٠] .

حرص السامانيون على ذكر اسم الخلفاء العباسيين فى الخطبة ونقش اسمهم على السكة فقد ضرب الدينار السامانى على نمط الدينار العباسى ، وذكر عليه أسماء الخلفاء العباسيين مع الحكام السامانيين ، وذلك فى مدن الشاش ونيسابور وسمرقند[١٥١] .

كذلك اهتم الامراء السامانيون بالحصول على عهود التولية ، ليؤكدوا بذلك شرعية حكمهم ، فكانت البراءة التى أصدرها الخليفة المعتمد سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م بتعيين الأمير نصر بن أحمد أميرا على بلادها وراء النهر[١٥٢] ايذانا بقيام الدولة السامانية .

لم يكن الخلفاء العباسيون يعارضون فيمن يتولى منهم زمام السلطة ، فأقر الخليفة المقتدر الأمير السامانى أبو الحسن نصر الذى لقب بالسعيد بعد وفاة أبيه أبو نصر أحمد بن اسماعيل سنة ٣٠١ هـ على البلاد التى كانت لأبيه ، رغم صغره ومعارضة عمه اسحق ابن أحمد[١٥٣] ، وساعد السامانيون الخلافة العباسية فى قمع حركات التمرد ضدها فى بلاد الفرس وما وراء النهر[١٥٤] ، على أن الخلافة

(١٤٩) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٦ .
(١٥٠) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص ١٢٢ .
(١٥١) ناصر الدين النقشبندى : الدينار الاسلامى لملوك الطوائف ، جـ ٢ ، المجلد الثالث ، ص ٢٩٦ ، مجلة سومر سنة ١٩٤٧ م .
ضربت اول عملة ذهبية باسم اسماعيل بن احمد سنة ٢٩٥ هـ/٩٠٧ م.
(١٥٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٥ .
(١٥٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٨ .
(١٥٤) من اهمها ثورة طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار فى سجستان سنة ٢٨٨ هـ وثورة السبكرى فى فارس سنة ٢٩٦ هـ وثورة ليلى ابن النعمان سنة ٣٠٩ هـ وثورة ماكان بن كاكى سنة ٣٢٠ هـ .

العباسية فى بعض الأحيان تحت ضغط بنى بويه أقرت بعض الثائرين على الدولة السامانية على ما وقع بأيديهم من بلاد ، وذلك حين خرج القائد السامانى أبو على بن محتاج على الأمير الحميد نوح بن منصور واستولى على اقليم خراسان واستطاع بمعـــونة ركن الدولة ومعز الدولة البويهى أن يحصل على تقليد من الخليفة العباسى المطيع بحكم هذا الاقليم سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م[١٥٥] .

وكان للسامانيين دورهم فى حفظ الأمن وحراسة الطرق ، وتسهيل سبل المواصلات وحماية القوافل ويذكر ابن كثير[١٥٦] انهم أنشأوا نقطا للحراسة على الطرق كانت الواحدة منها تسع ألف فارس وأوقفوا عليها أموالا جزيلة .

على أن السامانيين رغم تعاونهم مع الخلافة العباسية ، لم يكونوا يرسلون الى الخلفاء أى خراج بصورة منتظمة[١٥٧] . وقد أعطى ذلك للسامانيين نوعا من الاستقلال مكنهم أن يوجهوا تلك الاموال الى تنظيم دولتهم[١٥٨] .

=

Siddiqi : Caliphate and Kingship. p. 104 (Islamic Culture. vol, 10, 1946).

(١٥٥) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٦٤ — ١٦٧ ، ١٧٥ .
، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٦ .

(١٥٦) البداية والنهاية جـ ١١ ، ص ١٠٦ .
وان الذى قام على ذلك اسماعيل بن أحمد .

(157) Siddiqi : Caliphate and Kingship, vol, 10, p. 104.

(١٥٨) أهتم السامانيون بتنظيم دواوينهم واختيار موظفيهم وكتابهم ، وكانوا يميلون الى الأكثار من عدد الوظائف شأنهم شأن الفرس القدماء ، فقد كثر عدد الحجاب وعارض الجيوش واضطر السامانيون نظرا لسعة أرجاء دولتهم الى انشاء ما يشبه منصب « نائب الملك » فكانوا يقيمون فى بخارى على حين أن صاحب جيشهم كان يقيم فى نيسابور والتى كانت على أيام الطاهريين قصبة خراسان .
البيهقى ، ص ١١٠ ، ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ١٥١ .
، ادم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ١ ، ص ٣٠ — ٣١ .

(جـ) سياسة السامانيين تجاه البويهيين :

أصبح السامانيون سادة خراسان وما وراء النهر ، الا أنه كان عليهم مواجهة أطماع بنى بويه الذين تطلعوا الى الاستيلاء على كرمان ، وذلك أنه بعد أن تمكن على بن بويه وأخوه الحسن بن بويه من بلاد فارس والجبل ، أرسلوا أخاهم أحمد بن بويه الى كرمان فى جيش كبير ، تمكن من الاستيلاء على السيرجان سنة ٣٢٤ هـ[١٥٩] .

وفى تلك الأثناء كان ابرهايم بن سيمجور الدواتى يقود جيش السعيد بن نصر السامانى ، ويحاصر به محمد بن الياس بقلعة فى كرمان ، فلما بلغه مسير أحمد بن بويه الى كرمان سار عنها الى خراسان ، وتمكن أحمد بن بويه من الاستيلاء على مدينة « بم »[١٦٠] التى استخلف عليها بعض أصحابه[١٦١] وزحف الى جيرفت — قصبة كرمان — فدخلها بعد أن أخلاها صاحبها على بن كلويه ، غير أنه ما لبث أن انسحب منها الى اصطخر[١٦٢] .

ظل أبو بكر ممحد بن المظفر بن محتاج واليا على خراسان الى أن عزله السعيد نصر بن أحمد سنة ٣٢٧ هـ وولى ابنه أبا على أحمد بن محتاج فى رمضان من نفس العام[١٦٣] ، وأقام أبو على ثلاثة أشهر

---

(١٥٩) مسكوية : تجارب الامم ، جـ ٥ ، ص ٣٥٣ ، ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١١٣ .
والسيرجان : قصبة كرمان بينها وبين شيراز ستون ميلا .
ياقوت الحموى : جـ ٥ ، ص ١٩٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٣٨ .
(١٦٠) « بم » مدينة على طرف المفازة (صحراء قراقورم) بين كرمان وسجستان .
ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١١٣ .
(١٦١) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١١٣ .
(١٦٢) مسكية : تجارب الامم ، جـ ٥ ، ص ٣٥٦ .
، ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ١١٤ .
(١٦٣) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ص ١٧٨ (مخطوط) .

وهو يتجهز للمسير الى جرجان والرى وطبرستان ، وتحرك فى المحرم سنة ٣٢٨ هـ بجيش كبير لاخضاع « ماكان بن كاكى » الذى خلع طاعة السعيد نصر بن أحمد ، وقام أبو على بن محتاج بمحاصرة « ماكان » واضطره الى طلب المساعدة من وشمكير بن زيار بالرى ، فأرسل قائده شيرج بن ليلى بن النعمان ، ولما بلغ هذا القائد جرجان سعى فى الصلح بين أبى على و« ماكان » وسار « ماكان » الى طبرستان ، واستولى أبو على بن محتاج على جرجان أواخر سنة ٣٢٨ هـ وغادرها بعد أن ترك ابراهيم بن سيمجور الدواتى نائبا عنه(١٦٤) .

اتجه أبو على بن محتاج صوب الرى وبها وشمكير بن زيار الذى ساعد « ماكان » ضده ، وكان على بن بويه وأخوه الحسن بن بويه يكاتبان أبا على ويحثانه على قصد وشمكير ، على أن يمدا له يد العون والمساعدة ليمكناه من الاستيلاء على الرى من وشمكير ، ومن ثم يسهل لهما التغلب عليها ، فعلم وشمكير بأمر اتفاقهم وتحالفهم عليه ، فأرسل الى « ماكان » يطلب منه امداده بجيش ، فسار « ماكان » اليه من طبرستان الى الرى(١٦٥) وبعد معارك عنيفة قتل « ماكان » وهرب وشمكير الى طبرستان واستولى أبو على بن محتاج على الرى(١٦٦) .

ومن الرى أرسل أبو على بعض قواته الى بلاد الجبل فأخضعها لسلطان الدولة السامانية ، كما استولى على زنجان وأبهر وقزوين وقم وكرج وهمذان ونهاوند والدينور الى حدود حلوان ، ورتب العمال فيها وجبى أموالها(١٦٧) .

---

(١٦٤) مسكويه : تجارب الامم ، جـ ٥ ، ص ٤١١ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٢٦ .
، النويرى : نهاية الأرب ، ٦ ٢٣ ، ص ١٧٨ (مخطوط) .
(١٦٥) ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ١٣٠ .
(١٦٦) مسكويه : جـ ٦ ص ٦ ، وابن الأثير : جـ ٨ ص ١٣٠ .
(١٦٧) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

لم يلبث الحسن بن الفيرزان والى جرجان أن طلب مساعدة أبى على بن محتاج ضد وشمكير بن زيار[١٦٨] ، فسار اليه أبو على وتوجها لقصد وشمكير وحاصراه سنة ٣٣٠ هـ حتى طلب عقد الصلح ، فصالحه أبو على وأخذ رهائنه[١٦٩] على أن يدين بالطاعة للسعيد نصر بن أحمد الساماني ، وعاد الحسن بن الفيرزان الى جرجان فى جمادى الآخرة سنة ٣٣١ هـ أما أبو على بن محتاج فعاد الى خراسان[١٧٠] .

استغل الحسن بن الفيرزان فرصة الشقاق الذى حدث بين أبى على بن محتاج وابراهيم بن سيمجور الدواتى ، فخرج على ابن محتاج وهاجم جيشه ونهب أمواله وعاد الى جرجان فاستولى عليها وعلى الدامغان وواسل وشمكير الذى استولى على الرى بدوره فى تلك الأثناء[١٧١] .

وكان الحسن بن بويه يطمع وقتذاك فى الاستيلاء على هذه المدينة ، فسار اليها فى رمضان سنة ٣٣١ هـ ، وأضطر وشمكير الى التقهقر الى طبرستان بعد أن استأمن أكثر رجاله الى الأمير البويهى[١٧٢] .

ولى نوح بن نصر الساماني خراسان وما وراء النهر فى شهر شعبان ٣٣١ هـ[١٧٣] وبعد أن استقر فى ولايته أمر قائده أبا على بن

(١٦٨) كان الحسن بن الفيرزان ابن عم ما كان بن كاكى وقد ساءت علاقته بوشمكير لاعتقاده فى تخاذل وشمكير عن ابن عمه « ماكان » حتى قتل فقصده وشمكير وحاصره فاستجار الحسن بابن محتاج .
مسكوية : جـ ٦ ، ص ٧ ، ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(١٦٩) ومن بين الرهائن : « سالار » ابن وشمكير ، مسكويه : جـ ٦ ، ص ٧ .

(١٧٠) مسكويه ، جـ ٦ ، ص ٧ ، ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(١٧١) مسكويه : جـ ٦ ص ٧ ، ٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٣٨ .

(١٧٢) مسكويه : جـ ٦ ص ٨ .

(١٧٣) النرشخى : تاريخ بخارى ص ١٣٩ ، الكرديزى : زين الأخبار ص ١٥٤ ، ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٤٢ .

محتاج بالمسير الى الرى واستعادتها من الحسن بن بويه ، فسار أبو على فى جمع كبير من الجند ، فلقيه وشمكير بن زيار فى خراسان وهو فى طريقه الى الأمير نوح السامانى ليستنجد به بعد هزيمته على يد الحسن بن الفيرزان أمير جرجان(١٧٤) .

اتجه أبو على بن محتاج نحو الرى ، فلما نزل ببسطام ، خرج عليه بعض رجاله(١٧٥) فواصل سيره بمن بقى معه ، فخرج اليه الحسن ابن بويه ، ودارت الحرب بينهما على بعد ثلاثة فراسخ من الرى ، وكان مع أبى على جماعة من الأكراد ، غدروا به ، واستأمنوا الى الحسن ابن بويه فانهزم على وتقهقر الى نيسابور(١٧٦) .

وجه الأمير نوح أبا على بن محتاج الى الرى مرة ثانية وأمده بجيش كبير ، فسار اليها من نيسابور فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ ، فلما علم الحسن بن بويه بكثرة جموعه أرسل الى أخيه على بن بويه يطلب منه المدد ، فأمره بالانسحاب والتوجه اليه(١٧٧) فرحل الحسن عن الرى فاستعادها أبو على بن محتاج فى رمضان ٣٣٣ هـ(١٧٨) .

لم يلبث القائد السامانى أبو على بن محتاج أن خرج على الأمير نوح بن نصر السامانى بعد أن عزله نوح عن خراسان واستعمل عليها ابراهيم بن سيمجور الدواتى(١٧٩) ، ورأى على بن بويه أن يستغل الخلاف بين الأمير نوح وقائده ابن محتاج لصالحه ، فأرسل

---

(١٧٤) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٥٨

(١٧٥) انضم من خرج من رجال ابى على الى منصور بن قراتكين — وكان من اكابر اصحاب الأمير نوح وخواصه — وساروا الى جرجان حيث تمكن الحسن بن الفيرزان من صدهم فانصرفوا منهزمين الى نيسابور . ابن الاثير جـ ٨ ص ١٥٨ — ١٥٩ .

(١٧٦) ابن الاثير جـ ٨ ، ص ١٥٩ .

(١٧٧) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠٠

(١٧٨) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٥٩

(١٧٩) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ١٦٤ .

الى الأمير نوح يعرفه عدم أهمية الرى بالنسبة له ، وسأله أن يضمنه أعمالها عشر سنين بمثل ما تقرر عليه بينه وبين ابن محتاج زيادة مائة ألف دينار كل سنة وأن يقرضه مال سنة ، وتعهد على بن بويه بأن يعاون الأمير نوح ضد ابن محتاج حتى يظفر به[١٨٠] ، فأنفذ نوح الى على بن بويه رسوله « على بن موسى المعروف بالرزاز » بعد أن قبض على أخوة أبى على بن محتاج وأهله[١٨١] ، وراسل على بن بويه ابن محتاج بخبر رسول الأمير نوح اليه وأكد له أنه على عهده معه وحذره من غدر نوح ، وبذلك تم الايقاع بين نوح وابن محتاج ، فأرسل ابن محتاج الى ابراهيم بن أحمد السامانى (عم نوح) — وكان مقيما عند الحمدانيين بالموصل .. يدعوه لمحاربة ابن أخيه نوح ، وفى مقابل ذلك يمنحه أبو على خراسان[١٨٢] .

سار ابراهيم بن أحمد السامانى الى همذان سنة ٣٣٤ هـ والتقى بأبى على بن محتاج الذى توجه بصحبته الى خراسان[١٨٣] ، وخلت بذلك الرى فدخلها ركن الدولة الحسن بن بويه وملك الجبل بأسره[١٨٤] .

ولما تجلى العداء بين أبى على بن محتاج ونوح بن نصر ، أرسل عماد الدولة على بن بويه رسولا من قبله الى نوح يخبره بأنه سيعهد الى ركن الدولة الحسن بن بويه بمعاونته فى محاربة ابن محتاج وحليفه ابراهيم بن أحمد السامانى ، واستمرت الحروب بين نوح وابن محتاج فترة طويلة وتمكن ابن محتاج من الاستيلاء على نيسابور ومرو وبخارى سنة ٣٣٥ هـ وخطب فيها لابراهيم ابن أحمد السامانى ، غير أن ابراهيم السامانى آثر أن يخلع نفسه بعد أن اتفق مع ابن

(١٨٠) مسكويه : تجارب الامم جـ ٦ ص ١٠٠
(١٨١) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠١
(١٨٢) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠١ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٤
(١٨٣) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠٢ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٤
(١٨٣) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠٢ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٤
(١٨٤) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠٨ .

أخيه الأمير نوح السامانى على أن يتقلد امرة جيشه(١٨٥) .

انتهت الحروب بين أبى على بن محتاج ونـــوح بن نصر التى استمرت من سنة ٣٤٤ هـ الى سنة ٣٣٧ هـ بعقد الصلح بينهما(١٨٦) ، واستطاع نوح بن نصر أن يسترد الرى وبلاد الجبل من ركن الدولة ابن بويه ، الذى كان له أثر كبـير فى اثارة أبى على بن محتـــاج عليـــه(١٨٧) .

أسند نوح بن نصر قيادة جيوش خراسان الى أبى على بن محتاج، الذى استطاع بمساعدة وشمكير بن زيار أن يرغم ركن الدولة بن بويه على أن يدفع لنوح بن نصر جزية سنوية مقدارها مائتا ألف دينار ، على أن نوحا لم يلبث أن ساورته الشكوك فى اخلاص أبى على فعزله عن قيادة الجيوش فى خراسان ، فلم يكن من أبى على بن محتاج الا أن راسل ركن الدولة بن بويه ، وسار اليه فى الرى حيث أكرمه ، وتدخل لدى الخليفة المطيع لله ، فأقره على ولاية خراسان سنة ٣٤٣ هـ(١٨٨) .

حاول الأمير الرشيد عبد الملك بن نوح أن يحتفظ بنفوذ السامانيين ويبسط سلطانه فى غربى الدولة ، غير أن « أشعث بن محمد » وكان من خيرة قواده ، نجح فى مصالحة الذيلم وركن الدولة على شروط معقولة دون أن يحملهم على الولاء للأمير السامانى الذى لم يلبث أن توفى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م)(١٨٩) فآلت السلطة من بعده لأخيه أبى صالح منصور بن نوح(١٩٠) ، وفى أيامه قامت الحرب فى جهات الرى بينــه

---

(١٨٥) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٥

(١٨٦) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٤ — ١٦٥ ، ١٧٥

(١٨٧) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠٠ — ١٠٤ .

(١٨٨) وهى السنة التى توفى فيها الأمير نوح بن نصر السامانى . مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ١٥٤ — ١٥٧ .

(١٨٩) الكرديزى : زين الأخبار ص ١٦١ ، فامبرى : تاريخ بخارى ص ١١٧ .

(١٩٠) مسكيه : جـ ٦ ص ١٨٩ .

وبين ركن الدولة بن بويه[١٩١] ، ذلك أن أبا على (محمد) بن الياس أطمع منصور بن نوح[١٩٢] فى قصد بلاد الديلم ، وزعم له أن قواد جيوش ركن الدولة لا يطيعونه ، فطلب الأمير منصور من وشمكير ابن زيار والحسن بن الفيرزان المسير لمحاربة ركن الدولة وأمدهما بالجيوش ، وانتهت الحرب بين الفريقين سنة ٣٦١ هـ بالصلح[١٩٣] الذى تضمن أن يرسل ركن الدولة وابنه عضد الدولة الى الأمير منصور السامانى مائة وخمسين ألف دينار كل سنة[١٩٤] .

(د) السامانيون والأتراك الشرقيون (القره خانيون)[١٩٥] :

بسط السامانيون نفوذهم فى أواسط آسيا طوال مدة حكمهم التى امتدت من أوائل القرن الثالث الهجرى ، حتى نهاية القرن الرابع (٢٠٥ — ٣٨٩ هـ / ٨٢٠ — ٩٩٩ م) حيث أخذ الاسلام ينتشر بين صفوف الترك[١٩٦] .

---

(١٩١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ، ص ٢٠٧ .

(١٩٢) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(١٩٣) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٣٣ ، النرشخى : تاريخ بخارى ص ١٣٤ ، ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٠٧ — ٢٠٨

(١٩٤) ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٢٥

(١٩٥) القره خانيون : هم شعب اليغما من اتراك التقوز أو غوز ، وكانت ديارهم تشمل كاشغر وشطرا من البلاد الواقعة بين الحوض الأدنى لنهر ايلى الذى يصب فى بحيرة ولخش والمجرى الأدنى لنهر شو ، وكانت كاشغر منطلقهم ومقر خاناتهم حيث اطلق عليها فى بعض الأحيان « اردوكنت » أو مقر السلطان .

Barthold : Histoire des turcs. p. p. 59 61 (Leiden 1962).

(١٩٦) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ص ٥٧ ترجمة / أحمد السعيد سليمان ، اتبع السامانيون سياسة جديدة تجاه بدو الأتراك ، وذلك حينما تخلوا عن بناء الأسوار التى كانت تحميهم من غارات هؤلاء الأتراك ذلك أن الدولة السامانية بلغت من القوة ما يجعلها قادرة على مبادأة الهجوم بمثله وفى نفس الوقت رفعت الحواجز بينهم مما شجعهم على التعرف على هؤلاء المسلمين ومن ثم دخلوا فى الاسلام .

، فامبرى : تاريخ بخارى ص ٢٤ . Barthold : op. cit, p. 48.

ويرجع اتصال الأتراك الشرقين بالسامانيين فيما وراء النهر الى مستهل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وربما قبل ذلك(١٩٧) ، ففى القرن الثالث الهجرى وأوائل الرابع أنفذ السامانيون الجيوش الى مناطق البدو والترك لاخضاعهم • فقد استولى نوح بن أسد على اسبيجاب(١٩٨) ، كما قام اسماعيل بن أحمد بحملة مشابهة لغزو النصارى(١٩٩) عند مدينة طراز فى شهر المحرم سنة ٢٨٠ هـ (مارس / ابريل ٨٩٣ م) ، فأنزل بهم الهزيمة واتخذ كنيستهم مسجدا(٢٠٠) • واستطاع اسماعيل بن أحمد أيضا أن يطرد الغزاة الترك الذين أغاروا على بلاد ما وراء النهر سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٤(٢٠١) • وفى منتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) قام السامانيون بحملة كبيرة على بلاساغون(٢٠٢) ، حيث تمكنوا من استعادتها سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م من الأتراك الشرقيين الذين كانوا قد استولوا عليها سنة ٣٣١ هـ وأسروا ابن خاقان الترك(٢٠٣) •

ظل السامانيون يفرضون سلطانهم على الأتراك الشرقين حتى

---

(197) Barthold : Turkestan Down to the Mongol Invasion p. 256.
، حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ص ١٥٥ •

(198) Barthold : Histoire des Turcs. p. 211.
، حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ص ١٤٦ •

(١٩٩) ذلك أن المسيحية كانت قد رسخت اقدامها فى طراز قبل الاسلام• دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٥ ص ١٢٠ مادة طراز ، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ص ٥٨ •

(٢٠٠) النرشخى : تاريخ بخارى ص ١١٧ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٥ ص ١٢٠ مادة طراز ، ويذكر فامبرى : تاريخ بخارى ص ٩٩ أن اسماعيل بن احمد عاد من هذه الغزوة ومعه من الاسلاب ما بلغ نصيب كل رجل فى جيشه ألف درهم •

(٢٠١) حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ص ١٥٥

(٢٠٢) بلاساغون : بلد عظيم فى ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر ، ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٥٨ •

(٢٠٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٤٧ ، حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ص ١٥٥ •

النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وليس أدل على ذلك من بنائهم الربط والحصون قرب ميركى[٢٠٤] ، ولكن يبدو أن أطماعهم فى أملاك السامانيين قد شد من أزرها اسلامهم فى عهد ستوق بغراخان[٢٠٥] . وتأكد اسلامهم فى عهد حفيده هارون بن موسى الذى لقب شهاب الدولة وظهير الدعوة[٢٠٦] ولم يجد مقاومة تذكر فى غزو ما وراء النهر ، وكان قد تم الاتفاق سرا بين هارون وبين والى خراسان اذ ذاك أبى على أحمد بن محمد أمير الصغانيان على اقتسام أملاك السامانيين على أن تترك بلاد ما وراء النهر لبغراخان ، وتطلق يد أبى على فى البلاد جنوب نهر جيحون[٢٠٧] .

ولم يلق هارون بن موسى معارضة تذكر من أهل البلاد أثناء تقدمه الى اسبيجاب وسمرقند وبخارى ودخوله حاضرة السامانيين فى ربيع الأول سنة ٣٨٢ هـ (مايو ٩٩٢ م) ولكن هارون ما لبث أن أنسحب الى سمرقند حيث مات فى طريق عودته الى بلاده[٢٠٨] .

لم تقف أطماع القره خانيين رغم وفاة هارون ، فقد عادوا الى

---

(204) Barthold : Turkestan Down. p. 256.

(٢٠٥) يذكر مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ١٨١ ، وابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٩١ سنة ٣٤٩ هـ نظرا لأهميتها فى تاريخ الاسلام فى تركستان ، فقد تدافعت جموع الترك فى تلك السنة نحو الاسلام تدخل فيه ، واعتنق الاسلام منهم فى هذه السنة نحو مائتى الف خيمة (والخيمة تعنى اسرة) .

Barthold : Four Studies. vol. I, p.p. 98 — 100.

، حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ص ١٥٣ .

(٢٠٦) نقش هذا اللقب على السكة التى ضربها بايلاق سنة ٣٨٢ هـ

Barthold : Turkestan. p. 257.

، زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة جـ ٢ ص ٣١٢ .

ويذكره ابن الاثير جـ ٩ ص ٣٦ باسم شهاب الدولة هرون بن سليمان ايلك المعروف بغراخان التركى .

(٢٠٧) ابن الأثير : جـ ٨ ص ٢٠٢ ، جـ ٩ ص ٣٧ .

(٢٠٨) يذكر ابن الأثير : جـ ٩ ص ٣٧ انه لما مات بغراخان سنة ٣٨٣ هـ عاد أصحابه الى بلادهم وولى أمر الترك بعده ايلك خان .

غزو بلاد السامانيين مرة أخرى سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م وقد استنجد نوح آخر أمراء السامانيين بسبكتكين الذى خف لنجدته ، وانضم اليه أمراء الجوزجان والصغانيان والخطل (الختل) ، لكن سبكتكين صالح القره خانيين على أن تكون الحدود الفاصلة بينهم وبين السامانيين بادية قطوان[٢٠٩] وتتم سيطرتهم على كل البلاد الواقعة شمال حوض طبرستان ، وبهذا احتفظ القره خانيون بحوض نهر سيحون كله ، ولم يقيموا فى بخارى ، وأصبحت ما وراء النهر ولاية تابعة لهم[٢١٠] .

لم يتوقف زحف القره خانيين صوب الغرب ، فقد تمكن أرسلان خان على ، الذى اتخذ لقب « أرسلان ايلك » من هزيمة بقايا السامانيين سنة ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م[٢١١] واستولى على ما وراء النهر كله باسم القره خانيين ، وتوفى المنتصر أبو ابراهيم آخر الأمراء السامانيين سنة ٣٩٤ هـ بعد قيامه بعدة محاولات فشلت جميعها فى استرداد أملاك دولتهم[٢١٢] .

---

(٢٠٩) قطوان : قرية من قرى سمرقند على بعد خمسة فراسخ منها . ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٢٧ .

(210) Barthold : Four Studies. vol. 1, p. 21 (Leiden 1962), Turkestan, p. 263.

، حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ص ١٥٧ .

(٢١١) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٤٨

Barthold : Turkestan. p. 268.

(٢١٢) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٣٢٤ — ٣٤٧ ، ابن الأثير : جـ ٩ ص ٦٠

Barthold : Four Studies. vol. I, p. 22.

، حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ص ١٥٧ .

الباب الثالث

الغزنويون فى بلاد المشرق الاســلامى

١ — امتداد نفوذ الغزنويين الى الولايات الشرقية

٢ — العلاقات بين الغزنويين والدول والامارات الاسلامية المجاورة .

١ — مع خانات التركستان

٢ — مع أمراء بلاد ما وراء النهر

(أ) مع على تكين

(ب) مع بورتكين

٣ — مع البويهيين

٤ — مع الخلافة العباســية

٥ — مع الخلافة الفاطمية

٣ — ضعف نفوذ الغزنويين وزوال سلطانهم

الباب الثالث

الغزنويون فى بلاد المشرق الاسلامى

١ ــ امتداد نفوذ الغزنويين الى الولايات الشرقية :

يرتبط ظهور الغزنويين بالضعف الذى انتاب الدولة السامانية فى نهاية عهدها فقد كان السامانيون يعتمدون اعتمادا كبيرا على العناصر التركية التى يجلبونها من بلاد التركستان المتاخمة لهم • وتطلعت هذه العناصر الى الاستقلال بالولايات الشرقية منذ أن استعان بهم السامانيون فى ادارة شئون دولتهم[١] •

كان البتكين[٢] مملوكا تركيا انخرط فى سلك الجيش السامانى[٣] ، وما زالت تتدرج به المناصب حتى أصبح كبير حجاب الأمير عبد الملك ابن نوح (٣٤٣ ــ ٣٥٠ هـ / ٩٥٤ ــ ٩٦١ م)[٤] ، ومن ثم ارتفع شأنه وازداد نفوذه فى الدولة السامانية حتى كان الوزير أبو على

---

(١) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٨٩ •

(٢) البتكين : كلمة مركبة من الب بمعنى البطل وتكين بمعنى المسمى او الشبيه •
فامبرى : تاريخ بخارى ص ١١٧ ، وفى المعجم فى اللغة الفارسية لمحمد موسى هنداوى « ألب » بمعنى بطل او رجل قوى وتكين « شجاع » او « قادر » •

(٣) كان غلاما لدى احمد بن اسماعيل السامانى •
حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٠ ، ملحق بتاريخ بخارى للنرشخى •

(٤) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص ٩٨ ،
دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ ، مادة البتكين ،
Ali. M. A : A New History of Indo-Pakostan p. 7 (Dacca 1970).

البلعمى لا يصدر أمرا من غير علمه ولا مشورته[٥] ، ثم تولى الامارة على جيوش خراسان[٦] . وكان عمره وقتذاك خمسا وثلاثين سنة ، وقد عرف بوفائه ، كما تميز بحسن التدبير والرأى[٧] .

لما توفى عبد الملك بن نوح سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م رأى الأمراء ضرورة استشارة البتكين فى اختيار من يخلفه فى الامارة ، فأرسلوا يستأذنوه فى تولية الأمير السديد منصـــور ابن عبد الملك ، ولما كان منصور هذا شابا حدثا لذلك رفض البتكين توليته واختار عمه (أى عم منصور) ولكن الأمراء ولوا منصورا[٨] . وأدى ذلك الى توتر العلاقات بين الأمير الجديد والبتكين ، وباءت محاولات البتكين تحسين علاقته مع هذا الامير بالفشل[٩] .

وبعد مضى ست سنوات استدعى الأمير منصـــور البتكين الى بلاطه[١٠] ، فخشى البتكين غدر الأمير السامانى وترك امارة خراسان متجها مع أتباعه صوب غزنه[١١] ، فعين الأمير منصور أبا الحسين بن

---

(٥) ولى أبو على البلعمى الوزارة بفضل نفوذ البتكين .
دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ ، مادة البتكين
Ali. M. A : A New History of Indo-Pakestan, p. 7.

(٦) كان سبهسالار السامانيين ، البيهقى ، ص ٩٨ ، ٢١٨ .
وتذكر دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ مادة البتكين أن ذلك فى ذى الحجة ٣٤٩ هـ (يناير / فبراير ٩٦١ م) .

(٧) نظام الملك الطوسى : سياسة نامه ص ١٤١ — ١٤٢ .
يذكر بارتولد أن هدف الأمير السامانى من تعيينه أميرا على جيوش خراسان ابعاده عن العاصمة بخارى بعد أن تزايد نفوذه فيها . دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ .

(٨) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٤٣ .

(٩) غامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٧ .

(١٠) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٣ ، ملحق بتاريخ بخـــارى .

(١١) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٩٢ ، منتخب التواريخ ص ٨ ، تصنيف عبد القادر بن ملوك شاه بدوانى ، (كلكته ١٨٦٨ م) .

سيمجور مكانه فى خراسان(١٢) وأرسله فى عشرة آلاف مقاتل لمقاتلة البتكين الذى تمكن من ايقاع الهزيمة بهم على مقـربة من بلخ ، ثم واصل مسيره الى غزنه فحاصرها واستولى عليها من حاكمها السامانى (أبو بكر لويك)(١٣) ولم يكتف بذلك بل غزا زابلستان ، وأقام بها امارة مستقلة عن السامانيين عاصمتها غزنه(١٤) .

اتجه الأمير منصور الى مصالحة البتكين(١٥) والاعتراف به حاكما لغزنه ، وولى ابنه أبا اسحق ابراهيم(١٦) قيادة الجيوش بخراسان ، فتفرغ البتكين لادارة أمور غزنه التى ظل يلى حكمها ستة عشر عاما(١٧) .

لم يلبث البتكين أن توفى سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م وكان ابنه أبو اسحق

(١٢) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص ٥٠٤ مادة البتكين .

(١٣) الملقب بالصاحب أو « بادشاه » ولعله أحد زعماء الكشـــان المتأخرين .
دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص ٣٩١ مادة افغانستان .

(١٤) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٣ ، ملحق بتاريخ بخـــارى .
غزنة عاصمة زابلستان وهى ولاية واسعة فى طرف زابلستان ، والأفصح فى اسمها « غزنين » وهو الاسم المعترف به عند العلماء وتعرب فيقال « جزنة » واليها ينسب الغزنويون وهذا النسب سماعى وكان القياس يقضى بأن يقال « غزنيون » وتقع غزنة حاليا الى الجنوب الشرقى من مدينة كابول عاصمة افغانستان على مسافة ١٢٠ (مائة وعشرين كيلو متر) تقريبا . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ٢٨٩ ، على مسعود الشابى : الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى ، ص ١٠ ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة .

(١٥) مسكويه : تجارب الامم ، جـ ٦ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .
، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٢ ، ملحق بتـــاريخ بخـــارى .

(١٦) زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، جـ ٢ ، ص ٤١٦ .

(١٧) وقد ذكر ابن حوقل أن ملك البتكين امتد الى غزنة وكابل . صورة الأرض ، ص ٤٣٤ ، ٤٥٠ .

فى بخارى حين بلغه اضطراب الأمور فى غزنه[١٨] ، فاستأذن أبو اسحاق الأمير منصور فى العودة الى هذه المدينة حيث تمكن من القضاء على ثورة أبى على آنوك[١٩] واستقر له حكم غزنه سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م[٢٠] .

ولما توفى أبو اسحاق ابراهيم بن البتكين[٢١] فى ذى الحجة سنة ٣٥٥ هـ (ديسمبر ٩٦٦ م) خلفه « بلكاتكين »[٢٢] واجتمعت كلمة الأمراء على اختياره[٢٣] ، ثم أجمع القادة بعد وفاته على تولية « بيرى » أحد غلمان البتكين[٢٤] ، وقد تعرضت البلاد فى عهده لخطر داهم ، تمثل فى تحالف ابن حاكم غزنه السابق ابن آنوك مع بعض القوى المجاورة فى المنطقة[٢٥] وفاجأ غزنه فى جيش كبير ، فاضطرب أهلها ، ولكن

---

(١٨) ، (١٩) طبقات ناصرى (فارسى) للقاضى منهاج سراج الجوزجانى تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبى ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٢٠) احمد دده المولوى : جامع الدول ، ج ١ (مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٩٥) .
يقول بارتولد : ان ابا اسحاق لم يستطع الاحتفاظ بسلطانه الا بمعونة السامانيين وبهذا اصبحت غزنة امارة تابعة للسامانيين .
دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ مادة البتكين .

(٢١) اشار اليه ابن حوقل ولقبه صاحب خراسان .
صورة الأرض ، ص ١٤ .

(٢٢) نظام الملك : سياسة نامة ، هامش ، ص ١٥٣ .
كان لاسحاق مملوكان هما بلكاتكين ، وسبكتكين .
زامباور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٢٣) حكم حتى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٢ م حيث مات وهو يحاصر احدى قلاع الهند .
نظام الملك : سياسة نامة ، هامش ، ص ١٥٣ .
وذكرت دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، مادة افغانستان . انه ضرب السكة باسمه فى غزنة سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م وهو الأمر الذى لم يفعله احد من أسلافه .

(٢٤) نظام الملك : سياسة نامه هامش ص ١٥٣ ، زامباور : معجم الانساب ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٢٥) مثل امير كابل وجيبال ملك الهند .
المولوى : جامع الدول ج (مخطوط) .

سبكتكين تمكن من انقاذ الموقف وتصدى لهذا الجيش فاستقر رأى الجميع على توليته مكان « بيرى »[٢٦] .

يعتبر سبكتكين[٢٧] أحد موالى البتكين[٢٨] وزوج ابنته المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية[٢٩] ويذكر ابن الأثير[٣٠] : « أن أبا اسحق ابن البتكين لما توفى ولم يخلفه من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم اجتمع عسكره ونظروا فيمن يلى أمرهم ، فاختلفوا ، ثم اتفقوا على سبكتكين ، لما عرفوه من التعقل والدين والمروءة وحب الخير ، فقدموه عليهم وولوه أمرهم ، وحلفوا له وأطاعوه فوليهم وأحسن السيرة فيهم وساس أمورهم سياسة حسنة » .

عمد سبكتكين بعد أن ولى امارة غزنه الى توسيع ملكه فاستولى على مدينة بست[٣١] ، كما اضطر حاكم قصدار [٣٢] الى أداء الجزية

---

(٢٦) العتبى : تاريخ اليمينى ج ١ ص ٥٧ .
، الجوزجانى : طبقات ناصرى ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٢٧) سبكتكين : هو سبكتكين بن جوقى الملقب بقرابجكم .
الجوزجانى : طبقات ناصرى ، ج ١ ، ص ٢٢٦ . وقرابجكم كلمة تركية مركبة من كلمتين « قرا » بمعنى اسود ويجكم بمعنى زعيم أو شجاع فتعنى الكلمة الزعيم الأسود .
(٢٨) اشتراه البتكين من تاجر رقيق فى نيسابور عندما كان البتكين سبهسالار (قائد جيش) السامانيين .
البيهقى : ص ٢١٧ ، المولوى : جامع الدول ، ج ١ (مخطوط) .
(29) Lane Poole : Muhammadan Dynasties, p. 285.
(٣٠) الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٤٧ .
، نظام الملك : سياسة نامه ص ١٥٣ ، تاريخ ابى الفدا ج ٢ ، ص ١٢٣ .
(٣١) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٦٤ — ٦٧ ، أبى الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، خواندمير : حبيب السير فى اخبار البشر ، المجلد الثانى ، ص ١٨ بومباى ١٨٥٧ م .
وبست : مدينة بين سجستان وغزنة وهراة من اعمال كابل (كرشك حاليا) ويقال لناحيتها كرم سير (لشدة حرارتها) ، والى بست ينسب الشاعر ذو الساتين صاحب التجنيس ابو الفتح البستى ، وقد كان كاتبا لباى توز ، ثم تولى فيما بعد ديوان الرسائل فى عهد سبكتكين .

له واقامة الخطبة باسمه على المنابر(٣٣) • ومع أن سبكتكين يعتبر من الناحية العملية مستقلا عن السامانيين الا أنه اعترف لهم بالسيادة وفتح البلاد باسمهم(٣٤) حتى « اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جيشه ، وعمرت خزائنه ، وأشفقت النفوس من هيبته(٣٥) ، ففى سنة ٣٨٤ هـ استعان نوح بن منصور السامانى (٣٦٦ — ٣٨٧ هـ / ٩٧٦ — ٩٩٧ م) بسبكتكين لمحاربة أبى على بن سيمجور وفائق الخاصة اللذين شقا عصا الطاعة فى خراسان ، وأسند نوح ولاية خراسان لسبكتكين ، ودارت الحرب بنواحى هراة بين نوح السامانى يعاونه سبكتكين وابنه محمود ، وبين أبى على بن سيمجور وفائق الخاصة يعاونهم فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى(٣٦) ، وانتهت الحرب بانتصـــار سبكتكين وتمكن من الاستيلاء على نيسابور(٣٧) ، وحقق سبكتكين بهذا النصر مكاسب كبيرة اذ منحه نوح لقب « ناصر الـــدولة » وولى ابنه قيـــادة الجيوش فى خراسان ومنحه لقب « سيف الدولة »(٣٨) •

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ ، العتبى : جـ ١ ، ص ٦٧ — ٦٨ •

(٣٢) قصدار : بالضم ثم السكن ودال بعدها الف وراء • ويقال لهـــا تزدار • ناحية مشهورة قرب غزنة بينها وبين بست ثمانون فرسخا وبينها وبين الملتان نحو عشرون مرحلة وقصدار قصبة ناحية يقال لها طوران •

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٩٥ ، العتبى : جـ ١ ، ص ٧٢ •

(٣٣) العتبى : جـ ١ ، ص ٧٤ •

خواندمير : حبيب السير ، المجلد الثانى ، ص ١٨ •

(34) Lane Poole : Muhammadan Dynasties, p. 286.

(٣٥) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٦٣ •

(٣٦) العتبى : جـ١ ص ١٨٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٣٨ •

(٣٧) ميرخواند : روضة الصفا ص ١ •

(٣٨) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ١٨٧ — ١٩٣ • وقد ذكر ان هذه المعركة دارت فى منتصف رمضان سنة ٣٨٣ هـ بينما يذكر البيهقى ، ص ٢١٥ تاريخها فى منتصف رمضان ٣٨٤ هـ ووافقه ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٣٩ ، ٤٠ • وحمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٦ ، ملحق بتاريخ بخارى •

وبعد أن عاد الأمير نوح الى حاضرة دولته بخارى ، بقى سبكتكين فى هراة ، وأقام ابنه محمود فى نيسابور ، على أن أبا على وفائقا عاودا الاغارة على خراسان ، ففى سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م اشتبك هذان القائدان مع محمود بن سبكتكين ، فانهزم وانسحب الى هراة(٣٩) ، على أن سبكتكين ما لبث أن أعد جيشا لطرد أبى على بن سيمجور من خراسان ، واستطاع أن يوقــع بقواته الهزيمة ، ونجـــح فى اعادة هذا الاقليم لامرته(٤٠) .

توفى سبكتكين فى شعبان من عام ٣٨٧ هـ (أغسطس سبتمبر ٩٩٧ م) بعد أن حكم عشرين سنة(٤١) ، وضع فيها أساس الدولة الغزنوية بفضل ما أحرزه من فتوحات ، وقد وصفه العتبى بأنه « أبى النفس ، حمى الأنف ، جرىء القلب ، قوى البطش كريم الخيم (السجايا) وضىء التدبير كبير الهمة كثير الحكمة »(٤٢) ، وكان يعتبر نفسه كأحد الجنود ، فلا يسمو به تعاظم أو سلطة(٤٣) ، كما عرف بزهده وتعففه وترفعه عن الشهوات وتمسكه بالعدل(٤٤) ، وحسن الاعتقاد ، ذا مروءة تامه وحسن عهد ووفاء(٤٥) .

كان سبكتكين قد أوصى قبل وفاته لابنه اسماعيل(٤٦) بالملك من

---

(٣٩) واقام ابو على بن سيمجور فى نيسابور واقام الخطبة باســـمه (اى اسم ابى على) .
البيهقى : ص ٢٢١ .

(٤٠) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ص ١٤٦ ملحق بتاريخ بخارى . بخــارى .

(٤١) ابى الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ .

(٤٢) تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤٣) العتبى : جـ ١ ، ص ٦١ .

(٤٤) حتى أنه عرف بالعادل ، البيهقى ، ص ٤٨٠ ، ٤٨١ .

(٤٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤٨ .

(٤٦) كان اسماعيل اخو محمود من ابيه اذ ان امه كانت ابنة البتكين اما محمود فقد انجبه ابوه من زوجته ابنة رئيس زاولستان ، ولهذا لقب محمود بالزاولى : نظام الملك سياسة نامه ص ١٥٤ .
، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٣٩١ (فارس) .

بعده(٤٧) ، فلما توفى سبكتكين بايع الجند اسماعيل ، فوزع عليهم الأموال ، لكنهم مالبثوا أن استضعفوه لصغر سنه ، واشتطوا فى طلب الأموال ، حتى خلت خزائن أبيه ، ولما علم محمود بولاية أخيه اسماعيل ، وكان اذ ذاك بنيسابور أرسل اليه يطلب منه امارة غزنه ، ويأخذ بلخ بدلا منها(٤٨) ، ويذكره أن أباه انما عهد اليه بالملك لبعده (أى محمود) عنه ، وترددت الرسل بينهما فى ذلك ، ولما لم يستقر الأمر على حال يرضى الطرفين ، لم يجد محمود بدا من أن يقصد أخاه بغزنه ، فسار من نيسابور الى هراة ، وهناك اجتمع بعمه « بغراجق » فساعده على الوقوف ضد أخيه ، فتوجه الى « بست » وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه الى غزنه ، فلما بلغ الخبر اسماعيل ، وكان حينئذ فى بلخ سار الى غزنه وفى تلك الأثناء كان بعض الأمراء الموالين له وعدوه بمعاضدته والوقوف الى جانبه ، فالتقى هو واسماعيل بظاهر غزنه حيث اشتد القتال بينهما فانهزم اسماعيل واعتصم بقلعة غزنه(٤٩) ، فحاصره محمود وطلب منه النزول وأمنه ، فلما نزل أحسن اليه وأكرمه(٥٠) .

بينما كان محمود بن سبكتكين مشغولا بالصراع مع أخيه حدث تطور فى معسكر السامانيين اذ قرب ايلك خان فائق الخاصة(٥١) وجعله فى حمايته ، ثم أرسله فى جيش من ثلاثة آلاف رجل الى بخارى ،

---

(٤٧) إبن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٤٩ ، تاريخ ابى الفدا ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٤٨) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
، بداونى : منتخب التواريخ ص ٩ .

(٤٩) ابو الفدا : المختصر ، ج ٢ ص ١٤٠ .

(٥٠) انظر : منتخب التواريخ لبداونى ، ص ٩ .

(٥١) غلام نوح بن نصر السامانى ، وكان قد فر الى شهاب الدولة هارون بن سليمان ايلك هو وابو الحسن بن سيمجور القائد السامانى ثائرين على منصور بن نوح الأمير السامانى واطمعاه فى الاستيلاء على بخارى .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

فبادر أبو الحارث منصور بن نوح الى عبور النهر تاركا لهم بخارى ، فدخلها فائق الخاصة الذى ما لبث أن أظهر الولاء والطاعة للأمير أبى الحارث وطالبه بالرجوع الى حاضرته ، فعاد ليحكم تحت سيطرة ونفوذ فائق . وعين أبو الحارث منصور حاجبه الكبير « بكتوزون » واليا وقائدا لجيوش خراسان[٥٢] ، فاستاء محمود الغزنوى من منصور بن نوح السامانى لانتزاعه نيسابور وأمرة خراسان منه ، فأرسل اليه يذكره بطاعته وولاءه ، ويطلب منه أن يعيده الى خراسان[٥٣] . ولما لم يجب طلبه عول على استخدام القوة واتجه بجيشه الى نيسابور وانسحب من أمامه بكتوزون ، وأرسل يستنجد بالأمير السامانى أبى الحارث فأجابه ودارت الحرب بين الطرفين . وكان فى مقدور محمود أن يقضى عليهما ، غير أنه آثر التريث ، متبعا سياسة أبيه فى اظهار الولاء للسامانيين[٥٤] .

لم تلبث الفرصة أن سنحت للامير محمود الغزنوى لتحقيق أطماعه عندما تحالف فائق وبكتوزون ضد الأمير السامانى رغبة فى التخلص منه منه ، فقبضا عليه وسملا عينيه ووليا مكانه أخاه عبد الملك بن نوج سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م[٥٥] فسار محمود بقواته الى « مرو »[٥٦] حيث

---

(٥٢) ولقبه بسنان الدولة .
العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٥٣) العتبى : ج ١ ، ص ٢٧١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٤٨ .

(٥٤) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٢٩٢ — ٢٩٥ ، تاريخ كزيدة ، ص ١٤٧ ، ملحق بتاريخ بخارى ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٢ .

(٥٥) العتبى : ج ١ ، ص ٢٩٦ — ٢٩٨ ، تاريخ أبى الفدا ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، غامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٣ .

(٥٦) مرو : مرو الشاهجان : اشهر مدن خراسان وقصبتها ، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا (١٧٥ ميلا) وبالقرب من مرو الشاهجان مرو الروذ على بعد خمسة أيام منها وهى على نهر عظيم فلهذا سميت به لأن روذ معناها فى الفارسية نهر فسميت به غير أن مرو الروذ صغيرة بالنسبة لمرو الشاهجان .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

التقى بهم فى جمادى الأولى سنة ٣٨٩ هـ (أبريل / مايو ٩٩٨ م) وأوقع بهم الهزيمة وفر الأمير عبد الملك بن نوح وفائق الى بخارى بينما تراجع بكتوزون وابن سيمجور — الذى كان قد انضم اليهما — الى قهستان[٥٧] .

حقق محمود الغزنوى باستيلائه على خراسان آماله وآمال أبيه فى وراثة أهم ممتلكات السامانيين وولى عليها أخاه نصر بن سبكتكين الذى صار قائدا لجيوش خراسان ، وأعلن محمود الغزنوى نفسه سلطانا ، وأرسل اليه الخليفة القادر بالله العباسى الخلع والألقاب وأقره على ما فى يديه[٥٨] .

على أن الامير السامانى عبد الملك بن نوح لم يركن الى الهزيمة التى ألحقها به محمود بن سبكتكين وانتزاع خراسان منه ، ففى سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م دعا الأمراء المعادين للسلطان محمود فى بخارى وعلى رأسهم فائق وبكتوزون لمواجهة خطره ، لكن خططهم للوقوف فى وجهه باءت بالفشل[٥٩] .

لم يبق للسامانيين سوى بخارى فيما وراء النهر ، ولم يكن محمود يطمع فى الاستيلاء على أملاكهم فى هذا الاقليم ، فقد اعتبر نهر جيحون حدا طبيعيا مناسبا لدولته من جهة الشمال ، وبذلك أتاح الفرصة لايلك خان ليستولى على بخارى ، فقصد عاصمة السامانيين وأظهر لعبد الملك ابن نوح أنه لم يقدم الى بلده الا للوقوف الى جانبه ضد أعداءه فظن

---

(٥٧) العتبى : جـ ٢ ، ص ٣١٠ .

(٥٨) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٥٩) ذلك أن فائق الخاصة وهو من اقوى الأمراء المعادين للسلطان محمود توفى فى شعبان ٣٨٩ هـ ، ففت ذلك فى عضد هؤلاء الأمراء وأضعف من شأنهم .
ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٥٥ .

عبد الملك صدق قوله . فلما التقى به بكتوزون وغيره من الأمراء والقادة ألقى القبض عليهم . ودخل إيلك خان بخارى معلنا سقوط الدولة السامانية فى العاشر من ذى القعدة سنة ٣٨٩ هـ (الاثنين ٢٤ أكتوبر سنة ٩٩٩ م)(٦٠) .

اتجه الغزنويون بعد سقوط الدولة السامانية الى توسيع رقعة دولتهم بمد نفوذهم الى الامارات المحيطة بهم ، فسار محمود لمحاربة خلف بن أحمد صاحب سجستان(٦١) ، الذى قام بعدة محاولات للاستقلال عن غزنه فى عهد سبكتكين ، ولما أيقن أنه لا يستطيع الوقوف فى وجهه طلب منه العفو والصفح ، فعفا عنه وأبقاه على ولايته(٦٢) ، غير أن خلف بن أحمد لم يبق على ولائه للغزنويين وأخذ يترقب الفرص للعودة الى العصيان(٦٣) . فلما توفى سبكتكين سنة ٣٨٩ هـ وخلفه ابنه محمود ، عاد خلف الى الانتقاض على الغزنويين ، فأرسل ابنه طاهر الى قهستان فملكها ، ثم سار منها الى بوشنج(٦٤) وهراة فانتزعها من واليها « بغراجق » — عم السلطان محمود(٦٥) — فقام بغراجق بطرد طاهر من ولايته ، واشتبك معه فى معركة انتهت بهزيمة طاهر ، على أن طاهر

---

(٦٠) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٣٢٠ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٦٣ (بولاق سنة ١٢٨٤ هـ) ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٥٦ وذكر حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٨ ملحق بتاريخ بخارى أن استيلاء الخان على بخارى وسقوط الدولة السامانية كان فى الثانى والعشرين من ذى الحجة ٣٨٩ هـ .

(٦١) سجستان : تقع جنوبى هراة ، وبينها وبين هراة ثمانون فرسخا .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٧ .

(٦٢) العتبى : ج ١ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٦ .

(٦٣) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٦٠ .

(٦٤) بوشنج : بلدة نزيهة فى واد مشجر نواحى هراة .
ياقوت : ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

(٦٥) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٦٠ .

ابن خلف لم يركن الى الهزيمة ، بل انتقض فجأة على بغراجق وقتله[٦٦] ، فغضب محمود لمقتل عمه وتوجه سـنة ٣٩٠ على رأس جيش كبير الى سجستان لقتال « خلف » وحاصره فى حصن « أصبهبذ » وأجبره على دفـع فـدية كبيرة[٦٧] وصار مواليا للـدولة الغزنوية وسـلطانها محمـود[٦٨] .

ما لبثت الامور أن تطورت فى سجستان لصالح محمود ، اذ ساءت العلاقة بين خلف وابنه طاهر ، وتمكن الابن من هزيمة أبيه وولى حـكم البلاد ، غير أن خلف تمكن من الاحتيال على ابنه وقتله[٦٩] ، وأعلن استقلال سجستان عن غزنه[٧٠] . فغضب الجند الموالون لطاهر ، وتمكنوا من الاستيلاء على السلطة وأعلنوا دخولهم فى طاعة محمود بن سبكتكين ، وأقاموا له الخطبة فى سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ — ١٠٠٣ م[٧١] .

عول محمود بن سبكتكين على القضاء على خلف بن أحمد الذى فر الى قلعه[٧٢] « طاق[٧٣] » وما لبث أن دخل هذه القلعة واضطر خلف الى

---

(٦٦) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٦٤ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٠ .

(٦٧) مقدارها مائة الف دينار .
العتبى : جـ ١ ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٦٨) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٠ .
، خوند أمير : حبيب السير فى اخبار البشر جـ ٢ ص ١١ .

(٦٩) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٦٨ ، ٣٧٠ .
يروى خوند أمير : حبيب السـير جـ ٢ ص ٢١ أن خلف ترك حكومة سجستان لابنه وانشغل بالعبادة ، غير أنه ندم على ما فعل وغدر بابنه وقتله ، ولـما علم محمود بذلك قصده ليحاربه انتقاما لـما فعله .

(٧٠) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٠ .

(٧١) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٧٠ ، هلال بن الصـابى : تحفة الأمراء ، ص ٤١٤ ، ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٦٣ .

(٧٢) قلعة طاق أو حصن طاق : كان لهذا الحصن سبعة أسـوار يحيط بها خندق واسع عميق صعب العبور ، لا يعبر منه الا من طريق فى مضيق على جسر يطرح عند الحاجة ويرفع عند الاستغناء عنه .
العتبى : جـ ١ ، ص ٣٧١ .

(٧٣) طاق : من مدن سجستان بطرف خراسان بينها بين شـمال زرنج مسيرة يوم الكرديزى : زين الاخبار هامش ص ١٧٧ .

طلب الأمان ، فأجابه وسمح له أن يقيم حيث يشاء فاختار الجوزجان(٧٤) ثم بلغ محمود أنه يكاتب إيلك خان ويحرضه على غزوه فأبعده الى « كرديز » حيث توفى(٧٥) فى رجب سنة ٣٩٩ هـ (مارس ١٠٠٩ م)(٧٦) .

أسـند محمود ولاية سجستان الى أحد أمرائه ويدعى « قنجى الحاجب » فثار عليه بعض أهل المدينة ، فسار اليهم محمود الغزنوى ، وتمكن من القضـاء على ثورتهم فى ذى الحجة سنة ٣٩٩ هـ (يوليه / أغسطس ١٠٠٩ م) وصفت له سجستان فأقطعها أخاه نصرا بالاضافة الى نيسابور (٧٧) .

ولما فرغ محمود الغزنوى من أمر سجستان اتجه الى قصدار ، وكانت خاضعة لنفوذ الغزنويين منذ أيام سبكتكين ، غير أن أميرها منع ما كان يرسله للسلطان محمود ، مختميا بحليفه ايلك خان الذى كان يلى ما وراء النهر ، ولما كانت علاقة السلطان محمود طيبة بالخان ، فقد تغاضى عما قام به أمير قصدار ، الى أن تبدلت العلاقات وفسد الحال بينهما ، فلم يعد هناك ما يمنع محمود من المسير اليه ، وواتته الفرصة حينما انشغل الخان بصراعه مع أخيه « طغان خان » فاتجه الى قصدار فى جمادى الأولى سنة ٤٠٢ هـ (نوفمبر/ديسمبر ١٠١١ م) مظهرا أنه يقصد هراة ، ثم ما لبث أن غير وجهته فأحاط بقصدار ، فلم

---

(٧٤) تاريخ أبى الفدا : جـ ٩ ، ص ١٤٢ .
والجوزجان او جوزجانان : اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهى بين مرو الروذ وبلخ ويقال لقصبتها « اليهودية » ومن مدنها الأنبار وفاراب وكلار .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(٧٥) يذكر الكرديزى : ان موت خلف كان فى بلدة دهك فى زابلستان .
زين الأخبار ص ١٧٧ .

(٧٦) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٦٨ — ٣٧٤ ويذكر حمد الله المستوفى : تاريخ كزيده (فارسى) ص ٣٩٢ ان خلف بن أحمد عاود الخـروج على السلطان ولجأ الى ايلك خان فقبض عليه محمود الغزنوى وارسله من سجستان الى قلعة جرجان فظل بها الى ان مات .

(٧٧) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٨٦ — ٣٨٩ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٥ .

يجد حاكمها الذى فوجىء بالجيوش الغزنوية بدا من طلب الأمان وعاد الى الطاعة[٧٨] .

واصل محمود الغزنوى جهوده لمد نفوذ دولته ، فاتجه الى بلاد غرشستان[٧٩] وكان يلى حكمها فى زمن الغزنويين الشار أبو نصر محمد ابن أسد ، الذى نزل عن الملك لابنه الشاه محمد[٨٠] ، ولما آلت خراسان الى محمود بن سبكتكين دخل فى طاعته حكام تلك البلاد ، وقام العتبى[٨١] المؤرخ بالسفارة بين السلطان وبين الشاه وابنه فقبلا اقامة الخطبة باسم السلطان محمود سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ — ٩٩٩ م وحافظا على طاعة محمود ، ورفضا الانضمام الى بقايا السامانية فى محاولتهم استعادة سلطانهم[٨٢] .

غير أنه عندما اعتزم السلطان محمود غزو الهند فى نفس العام (٣٨٩ هـ) وأرسل الى ولاة الأقاليم فى دولته يطلب منهم امداده بالقوة اللازمة — لم يستجب حاكم غرشستان — وأظهر التمرد[٨٣] والعصيان ، فتغاضى السلطان محمود عن عصيانه حتى عاد من غزوته فى الهند وعول

---

(٧٨) العتبى : جـ ٢ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ابن الاثير : جـ ٩ ص ٨٤ .

(٧٩) غرشستان : معناها بلاد الغرش وتسمى أيضا غرستان و« غرج الشار » ومعنى الغرج « الجبال » والشار هو الملك ويسميها العوام « غرجستان » وهى ولاية تقع شمال غزنة ويحدها شمالا مرو الروذ وغربا هراة واشهر مدنها « بايكان » مقر الشار (الملك) وبسير وسورمين وهى ملاصقة لبلاد الغور .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ٢٧٧ .

(٨٠) واشتغل بالعلوم ومجالسة العلماء .

العتبى : جـ ٢ ، ص ١٣٣ .

(٨١) أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) .

(٨٢) يروى العتبى أن الشاه محمد حضر الى بلاط السلطان الغزنوى ليقدم فروض الولاء والطاعة .

تاريخ اليمينى ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ — ١٣٨ .

(٨٣) العتبى : جـ ٢ ، ص ١٤٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٥٩ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٥٥ .

على استعادة نفوذه في غرشستان[٨٤] فأرسل اليها جيشا بقيادة أبي سعيد التونتاش وأرسلان جاذب والي طوس ، واستطاع الجيش الغزنوي دخول غرشستان غير أن حاكمها لم يستسلم للهزيمة ، ولجأ مع بعض قواته الى احدى القلاع وتحصن بها ، فحاصره الجيش الغزنوي حتى اضطر الى الاستسلام وقبض عليه حيث سيق الى غزنه[٨٥] ، وخضعت غرشستان من جديد للسلطان محمود[٨٦] .

رأى السلطان محمود أن يتابع سياسته في تدعيم سلطة دولته ، بغزو بلاد الغور[٨٧] ، فسار اليها على رأس قواته ، وخرج اليه حاكمها « ابن سوري » في عشرة آلاف مقاتل[٨٨] ، ودارت الحرب بين الفريقين ، وتمكن جند الغزنويين من دخول مدينة آهنكران[٨٩] . وكان ذلك في سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ — ١٠١١ م[٩٠] .

استمرت اغارات السلطان محمود على بلاد الغور ، مستغلا في ذلك قدراته وامكانياته الحربية ، ففي سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م زحف على « خوابين » — وهي متصلة بأراضي بست ودراو — وتمكن من فتح

---

(٨٤) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٥٥ .
(٨٥) العتبي : تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ١٤٠ — ١٤٦ .
(٨٦) العتبي : ج ٢ ، ص ١٤٠ — ١٤٦ ،
خوندمير : حبيب السير ، ج ١ ص ٢٠ .
(٨٧) الغور : ولاية واسعة موحشة تغلب عليها الطبيعة الجبلية والمناخ البارد وكانت تقع بين هراة وغزنة ، ورغم احاطة ديار الاسلام بهذا الاقليم فقد ظلوا على الكفر الا قلة منهم اعتنقت الاسلام وقد وصف العتبي ملكهم بانه زعيم الكفرة ، وكانت مدينة فيروزكوه عاصمتهم ، وكان ملوكهم يحملون اسم « سوري » .
الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ — ١٥٧ ، العتبي : ج ٢ ، ص ١٢٣ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢١٣ .
(٨٨) العتبي : ج ٢ ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، البيهقي : ص ١١٨ — ١٢٠ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٨٢ .
(٨٩) العتبي : ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٨٢ .
(٩٠) العتبي : ج ٢ ، ص ١٢٤ ،
ابن خلدن : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٦٩ .

الحصون الموجودة فى هذه المنطقة(٩١) ، ولم يزل يواصل غزوه بلاد الغور حتى تمكن من الاستيلاء على « وى »(٩٢) قاعدة تلك البلاد(٩٣) .

ظلت بلاد الغور خاضعة للغزنويين فى عهد السلطان محمود وابنه السلطان مسعود ، وجاء امراؤها بين راغــب وكاره يقدمون فروض الطاعة للسلطان مسعود ، ولم يتفق فى أى عهد أنهم خضعوا لملك مثله من قبل • على حد قول البيهقى(٩٤) .

ولم يكن الأفغان(٩٥) أقل خطرا من الغور ، فكانوا يســكنون الجبال القريبة من غزنه ، ويقطعون الطرق المؤدية لها ، فعول السلطان محمود على اخضاعهم فتصد فى سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م بلادهم وسلك مضايقها ، وفتح مغالقها ، وغنم أموالهم فركنوا الى الهدوء والطاعة لغزنه(٩٦) .

كذلك اتجه السلطان محمود الغزنوى الى جرجان وطبرستان لاخضاعهما وكانتا تحت حكم آل زيار(٩٧) • وقد عمل الســلطان

---

(٩١) البيهقى : ص ١١٨ .

(٩٢) كانت « وى » ذات موقع استراتيجى هام بحيث يستطيع من يســيطر عليها أن يفــرض ســيطرته ونفــوذه على المنطقة كلهــا . البيهقى ، ص ١٢١ .

(٩٣) البيهقى ، ص ١٢١ — ١٢٤ .

(٩٤) البيهقى ، ص ١١٨ .

(٩٥) كان العنصر الافغانى يقيم فى بلاد سليمان القريبة من غزنة ، ويتسم الأفغان بالأنوف الطويلة الضيقة والعيون السوداء ، ويبلغ طول قامتهم ما بين ٦٣٫٥ الى ٦٩ بوصة ، وهم من أصل ايرانى تركى ويتصفون بحدة الطباع .

محمود طه ابو العــلا : دراسات فى جغرافية العالم الاسلامى ، ص ١٠٩ ، على مظهر : افغانستان ، ص ٢١ — ٢٨ .

(٩٦) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ — ٣٠٣ .

، ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٧٣ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١١٥ .

(٩٧) نسبة الى مؤسسها زيار بن وردان شاه حاكم جيلان والد مرداويج ، زامباور : معجم الانسا بوالاسرات الحاكمة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٠ ، ص ٤٧١ .

محمود على الاستفادة من الخلافات التى نشبت داخل الأسرة الزيارية . وكان دارا ابن الأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير الزيارى قد لجأ اليه ، وحدث أن تغير عليه السلطان محمود فأودعه السجن ، ثم أراد أن يفيد منه بعد الاضطرابات التى حدثت فى جرجان فأطلقه وقرر ارساله فى جيش للاستيلاء على جرجان باسمه(٩٨) ، وخشى منوجهر الذى آل اليه الحكم فى جرجان وطبرستان وبلاد الجبل سنة ٤٠٣ هـ(٩٩) مغبة الأمر فسارع بتقديم الطاعة والولاء للسلطان محمود وتعهد بدفع اتاوة قدرها خمسون ألف دينار كل عام له ، وأقام له الخطبة على منابر بلاده(١٠٠) .

وجه سلاطين الغزنويين جهدهم للقضاء على حركات التمرد والعصيان التى قامت ضدهم فى طبرستان وجرجان ، فقد استغل دار ابن منوجهر — والى طبرستان وجرجان من قبل الغزنويين انشغال السلطان مسعود سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م ببعض الغزوات فى الهند ، والشغب الذى أحدثه الغز (السلاجقة) فى خراسان ، وامتنع عن ارسال الأموال المقررة على ولايته الى غزنة ، وراسل أمير أصفهان علاء الدولة ابن كاكويه(١٠١) ، فلما انتهى السلطان مسعود من غزواته فى الهند وأخضع الغز فى خرسان ، سار الى جرجان واستعادها ، ثم اتجه الى آمل وطبرستان(١٠٢) ففارقها واليها وتحصن

---

(٩٨) العتبى : جـ ٢ ، ص ١٨٧ — ١٩٢ .

(٩٩) العتبى : جـ ٢ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، زامباور : معجم الانساب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ .

(١٠٠) سعى منوجهر الى تقوية مركزه بطلب مصاهرة السلطان فأجابه وزوجه احدى بناته .
العتبى : جـ ٢ ، ص ١٧٢ — ١٨١ .

(١٠١) هو علاء الدولة (عضد الدين) أبو جعفر محمد بن وشمنزار ابن كاكويه ، استولى على اصبهان سنة ٣٩٨ هـ وهمدان وسابور خواست سنة ٤١٤ هـ ، وتوفى سنة ٤٣٣ هـ . معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ .

(١٠٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٦٠ .

مع جنده بالجبال ، فسار اليهم السلطان مسعود واقتحمها عليهم وهزمهم ، فلما رأى « دارا » أنه لا قبل له بالسلطان مسعود طلب منه العفو والصفح فعفا عنه وأعاده الى ولايته[١٠٣] .

أما خوارزم التى تقع شمال غرب خراسان ، ويتولى حكمها أفراد يتسمون باسم مأمون[١٠٤] ، فقد تزوج آخر حكامها أبو العباس المأمون بن المأمون[١٠٥] من أخت السلطان محمود[١٠٦] ، وكان أبو العباس هذا يدين بالولاء للسلطان الغزنوى ، وبلغ من خضوعه له أنه أمر بكتمان أمر الخلعة والألقاب التى أرسلها اليه الخليفة القادر بالله ، خشية من غضب السلطان لحصوله عليها بغير وساطته[١٠٧] .

ولم يلبث أبو العباس خوارزمشاه أن أثار شك السلطان محمود فى صدق ولائه له حين رفض ارسال رسول من قبله ليشهد عقد ميثاق الصلح بين السلطان وخانات التركستان[١٠٨] ، ورأى السلطان محمود أن يؤكد خضوع حكام خوارزم له ، فطالب أميرهم أبا العباس أن يقيم الخطبة باسمه ، لكن رجال خوارزمشاه عارضوا هذا الأمر

---

(١٠٣) البيهقى : ص ٤٩١ ، ابن الاثير : ج ٩ ، ص ١٦٥ .

(١٠٤) البيهقى : ص ٧٣١ .

(١٠٥) وهو من آل فريغون الذين كانوا يحكمون فى ولاية الجوزجان .
العتبى : ج ٢ ، ص ١٠١ .

(١٠٦) العتبى : تاريخ اليمينى ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، البيهقى ، ص ٧٤٣ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٩٨ ، وان كان البيهقى يذكر ، ص ٧٣٤ أنه تزوج من اخت الأمير سبكتكين السيدة « كالجى » .

(١٠٧) البيهقى ، ص ٧٣٤ ، ٧٣٥ يشيد ابو الريحان البيرنى باخلاق ابى العباس فيقول : « وقد خدمته سبع سنين لم اسمع لفظة نابية جرى على لسانه » .
البيهقى ، ص ٧٣٤ .

(١٠٨) البيهقى ، ص ٧٣٦ .

بشـــدة[١٠٩] . ورأى الأمير أبو العباس أن يقيم الخطبة للسلطان محمود فى جميع بلاده ما عدا مدينتى خوارزم والجرجانية التى يتمركز فيها المعارضون للسلطان محمود[١١٠] .

لـــم يلبث هـــؤلاء المعارضـــون أن ثاروا على ابن العبـــاس خوارزمشاه بقيادة كبير الحجاب « البتكين البخارى »[١١١] وقصدوا دار الامارة وحاصروا خوارزمشاه وقتلوه فى منتصف شـــوال سنة ٤٠٧ هـ (مارس ١٠١٧ م)[١١٢] ، ثم جاءوا بابن أخيه[١٠٣] أبى الحرث محمد بن على بن المأمون — وكان فى السابعة عشر من عمره — وأجلسوه على العرش وأستولى البتكين البخارى على شئون الحكم مع وزيره « أحمد طغان » وأستبدوا بالسلطة أربعة أشهر كانت فيها البـــلاد مسرحا للفتن والمؤامرات[١١٤] .

ولـــا بلغ السلطان محمود ثورة هؤلاء المعارضين على خوارزمشاه وقتله أرسل الى خانات التركسـتان يخبرهم بعزمه على محاربتهم[١١٥] ، وأوقع الهزيمة بقائد جيشهم البتكين البخارى[١١٦] ، ثم دخل السلطان

---

(١٠٩) ، (١١٠) حاول خوارزم شاه أن يقوى مركزه بالتحالف مع خانات التركستان ضد السلطان محمود ، لكنهم رفضوا أن ينكثوا بعهدهم مع السلطان الغزنوى وعرضوا أن يتوسطوا فى الصلح بينهما .
البيهقى : ص ٧٣٦ — ٧٤٢ .

(١١١) يذكره حمد الله المستوفى باسم « اينالتكين » ، تاريخ كزيدة ، ص ٣٩٦ (فارسى) .

(١١٢) كان عمر هذا الأمير اثنين وثلاثين عاما .
البيهقى : ص ٧٤٢ .

(١١٣) يذكر العتبى : أنه عقد لأحد أولاده امارة خوارزم .
تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(١١٤) البيهقى : ص ٧٤٢ .

(١١٥) العتبى : ج ٢ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٦ ، البيهقى ، ص ٧٤٢ .
رغم علم خانات التركستان أن السلطان محمود حين يستولى على خوارزم سيكون كالشوكة القوية فى قلبهم . البيهقى : ص ٧٤٤ .

(١١٦) البيهقى : ص ٧٤٤ — ٧٤٥ .
كذلك قبض السلطان محمود على خمارتاش الشرابى ، وشاذتكين ، وكانوا رؤوس الفتنة والمدبرين لها . البيهقى ، ص ٧٤٥ .

محمود خوارزم واستولى عليها[١١٧] .

اتجه الغزنويون بعد ذلك الى الاستيلاء على أملاك البويهيين التى تحيط بدولتهم من الغرب والجنوب الغربى ، وقد تهيأت الظروف أمام السلطان محمود نتيجة انقسام البويهيين الى عدة قوى تتصارع فيما بينها . فبدأ زحفه على أملاكهم سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م الرى وبلاد الجبـــل[١١٨] .

كان يلى حكم الرى مجد الدولة أبو طالب رستم بن على ، وكان فى الرابعة من عمره عندما آل اليه الملك بعد وفاة أبيه فخر الدولة سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م . ولذا تولت والدته السلطة الفعلية فى البلاد ، وكانت الرى موضع تفكير السلطان محمود وكان يســتشير وزيره أبا الحسن الميندى فى المسير اليها لكنه أثناه عن ذلك[١١٩] .

---

(١١٧) وضم اليها الجرجانية . حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٣٩٦ (فارسى) .
يذكر ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٨٤ فى حوادث سنة ٤٠٧ هـ أن محمود بن سبكتكين ملك خوارزم ونقل اهلها الى الهند .

(١١٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(١١٩) البيهقى : ص ٢٨٩ .
كان السلطان محمود يبعث برسله الى الرى مهددا بالغزو أو مطالبا بالجزية فى عهد أم مجد الدولة ، لكن مستشارها ابدر بن حسنويه الكردى كان يظهر لهؤلاء الرسل ما لديه من قوة عسكرية فكان يرتب طوائف الجند بطول الطريق بكامل أسلحتهم وهيئتهم حتى يبعث الرهبة فى نفس رسول السلطان وليخبروا السلطان بما شاهدوه . فكان ذلك طريقا للكف والموادعة ومما يروى أنه حينما هددها السلطان بالقتال قالت للرسول : « ان السلطان لن يقدم على محاربة عجوز مثلى ، واذا اختار الحرب ، فلن اتردد عن الطعن والنزال ، فان انتصرت فسيذكر لى هذا النصر الى يوم الدين ، واما اذا فاز هو ، فسيتحدث المتحدثون انه لم يفز الا على امراة عجوز » ولهذا لم يقدم السلطان على قصد هذه المراة طول حياتها .
أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .
، براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوس الى الســعدى ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

ولما اضطربت الأحوال فى الرى بعد وفاة أم مجد الدولة سنة ٤١٩ هـ(١٢٠) وشغب الجند ضد الأمير مجد الدولة(١٢١) ، أضطر هذا الأمير الى مكاتبة محمود بن سبكتكين ، فأرسل اليه يطلب منه الدخول فى طاعته ؛ فوافق مجد الدولة على شروطه(١٢٢) ، فأرسل السلطان محمود جيشا(١٢٣) الى الرى فقبض على مجد الدولة وأرسله الى غزنة(١٢٤) ، وبذلك تيسر للسلطان محمود ضم الرى الى حوزته سنة ٤٢١ هـ(١٢٥) .

أصبحت ولاية كرمان فى متناول الغزنويين بعد استيلائهم على الرى ، ففى سنة ٤٢٢ هـ بلغ السلطان مسعود(١٢٦) اضطراب الأحوال فى هذه الولاية ، فأرسل قائده أحمد على نوشتكين(١٢٧) فتمكن من الاستيلاء على كرمان دون صعوبة تذكر وطرد منها جند البويهيين(١٢٨) .

ولما أرسل الأمير البويهى أبو كاليجار(١٢٩) الى السلطان مسعود

---

(١٢٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، ص ٥٨ (مخطوط)

(١٢١) وكان يميل الى المذاهب المناوئة للمذهب السنى وكان مولعا بقراءة كتب الشيعة والمعتزلة ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٣٨ .

(١٢٢) وكانت هذه الشروط ان يدخل مجد الدولة فى طاعته مقابل أن يساعده ضد المتمردين عليه وان يزوجه احدى بناته . مرآة الزمان ، جـ ١١ ، ص ٤٥٧ — ٤٥٩ (مخطوط) .

(١٢٣) وكان على رأس هذا الجيش ثلاثة من مقدمى قواده هم ايكوتكين وعلى الحاجب وغازى الحاجب .

الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٩٣ « فارسى » .

(١٢٤) الكرديزى : ص ١٩٣ وان كان سبط بن الجوزى يذكر انه أرسل مع ابنه أبى دلف الى احدى قلاع خراسان . مرآة الزمان ؛ جـ ١١ ، ص ٤٥٧ — ٤٥٩ (مخطوط) .

(١٢٥) وكان فتح الرى فى جمادى الاولى سنة ٤٢١ هـ ، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٩٣ .

(١٢٦) عن طريق جواسيسه ، البيهقى : ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(١٢٧) على ان يكون واليا وقائدا وان يكون أبو الفرج الفارسى صاحب الجيش والأعمال والأموال . البيهقى : ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(١٢٨) البيهقى : ص ٤٥٧ .

(١٢٩) البيهقى : هامش ص ٤٥٦ .

يعتب عليه استيلائه على كرمان أجابه بأنه سار الى هذه الولاية للقضاء على المفسدين فيها ولاستنجاد أهلها به ، فضلا عن أن الخليفة العباسى أرسل اليه كتابا يطلب فيه الاستيلاء على هذه الولاية[١٣٠] .

لم يكن الاستيلاء على كرمان وغيرها من أملاك البويهين فى شرق الدولة الاسلامية هو نهاية المطاف لآمال الغزنويين ، بل كانوا يطمحون فى القضاء على نفوذ البويهيين فى العراق ، يتضح ذلك من قـــول السلطان مسعود لقائده حسن سليمان[١٣١] فى الرى : « وأعلم علم اليقين أنا سنعمل الفكر فى شئون هذه النواحى عنـدما تسـتقيم لنا الأحوال ونصل الى قاعدة ملكنا ، وسنبعث قائدا كبيرا الى هنا مـع جيش عظيم بصحبته أحد الأكفاء والثقاة من أرباب القلم ليتخذه الجميع مثـالا حسـنا فى أعمالهـم حتى يدخـل باقى العراق فى طاعتنـا انشاء الله »[١٣٢] ، كما تجلت أطماع السلطان مسعود فى العراق حين وجه حاجبه « تاش فراش » الى خراسان والعراق فى شوال سنة ٤٢٢ هـ (سبتمبر/اكتوبر ١٠٣١ م) وقال له : « وأملى أن يفتح الله عليـك أبواب العراق جميعها »[١٣٣] ، غير أن ما تعرضت له الدولة الغزنوية من فتن وثورات ، فضلا عن ظهور خطر السلاجقة حال دون تحقيق هذه الأطمـاع .

---

(١٣٠) البيهقى : ص ٤٥٧ .
(١٣١) أحد اعيان أمراء جبال هراة وقد عينه السلطان شحـنه (قائدا) لاقليم الرى ، البيهقى : ص ٢٣ .
(١٣٢) البيهقى : ص ٢٣ .
وكان ذلك يوم الاربعاء لأربع عشر ليلة بقين من رجب سنة ٤٢١ هـ .
(١٣٣) البيهقى : ص ٣٠٩ .

٣ — العلاقات بين الغزنويين والدول والامارات الاسلامية المجاورة

١ — مع خانات التركستان :[١٣٤]

بدأت علاقات الغزنويين بخانات التركستان بتنافسهم على وراثة أملاك السامانيين ، وانتهت باقتسام هذه الأملاك فيما بينهم ، فأستولى القراخانيون على ما يقع شمال نهر جيحون ، بينما استولى الغزنويون على خراســان[١٣٥] .

ولى أمر الترك أبو نصر أحمــد بن على الملقب بشمس الدولة المعروف بايلك خان سنة ٣٨٣ هـ[١٣٦] وكانت علاقتــه بالغزنويين فى بادىء الأمر تنطوى على الود والصداقة غير أن هذه الصداقة لم تستمر طويلا لطمع كل منهما فى الآخر ، فلم يكن فى نية القراخانيين أن يقفوا عند حدود جيحون[١٣٧] ، كما أن محمودا كان حريصا على السيطرة على أمور المشرق وألا يتصل القراخانيون بالخليفة الا عن طريقه[١٣٨] ، ولذلك غضب من الخليفة القادر بالله عندما رفض أن يزيد فى ألقابه[١٣٩] ، بينما أعطى لخاقان سمرقند ثلاثة ألقاب[١٤٠] .

---

(١٣٤) ويسمون بالقره خانيين أو الايلكخانيين لاتخاذه لقب قراخان ولقب ايلك وان كان بارتولد يرى ان لقب ايلك نادرا ما يضاف الى لقب الخان ، كما انه لم يطلق على كل حكام الاسرة .

بارتولد : تاريخ الترك آسيا ، ص ٧٢ ، ترجمه أحمد السعيد سليمان مكتبة الانجلو المصرية .

(١٣٥) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ، ص ٨٢ .

(١٣٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٧ .

(١٣٧) لم يقم القراخانيون بعد استيلائهم على بلاد ما وراء النهر فى بخارى وسمرقند وانما اتخذوا من مدينة أوزكند الواقعة الى الشرق من فرغانة مركزا لهم . بارتولد : تاريخ الترك ، ص ٨٣ .

(١٣٨) تاريخ الترك فى آسيا ، ص ٨٦ .

(١٣٩) بعد أن منحه لقب مبين الدولة نظام الملك : سياسة نامة ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(١٤٠) وهى : ظهير الدولة ومعين خليفة الله وملك الشرق والصين . نظام الملك : سياسة نامه ص ١٨٩ .

بدأ الصراع بين الفريقين يأخذ شــكلا سافرا مسلحا عندما انتهز أيلك خان غياب السلطان محمود فى غزوة الملتان بالهند سنة ٣٩٦ هـ (١٠٠٥/١٠٠٦ م) فهاجم خراسان بجيش يقوده « سباشى تكين » وأضطر أرسلان الجاذب قائد جيوش السلطان محمود فى خراسان الى التراجع الى غزنه بناء على توصيات وتعليمات السلطان محمـــود بتجنب القتال لحين عودته . وأرسل من غزنه الى السلطان محمـــود يخبره بما حدث ، فأسرع بالعودة الى غزنه ، وأمر أرسلان الجاذب بمطاردة « سباشى تكين » فظل يلاحقه من بلد الى بلد حتى أوقع به وأسر أخاه وطائفة من جنده[١٤١] . وحاول الخان أثناء القتال أن يخفف الضغط على « سباشى تكين »وأن يشغل الغزنويين عن مطاردته فأرسل جيشا آخر بقيادة « جعفر تكين » لمهاجمة « بلخ » فلم يلتفت اليه السلطان محمود ، حتى اذا ما انتهى من أمر « سباشى تكين » أرسل أخاه الأمير نصر لقتال « جعفر تكين » وتعقبه حتى ساحل جيحـــون سنة ٣٩٦ هـ وبذلك سلمت خراسان للغزنويين[١٤٢] .

لم يرض ايلك خان بهذه الهزيمة ، واستعد لجولة أخرى متحالفا مـــع ابن عمه يوســـف قدرخـــان ابن هارون بغراخـــان[١٤٣] (ملك الختن)[١٤٤] ، لكن محمودا بادر بالهجوم والتقى بقوات الخان عند

---

(١٤١) الكرديزى : زين الاخبار ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

ويذكر الكرديزى أنه عند ما رجع « سباشى تكين » الى الخـــان لامه لوما شديدا فقال له القواد : « مع وجود الفيلة والسلاح والعـــدة والرجال لا يستطيع احد ان يقاوم » ، زين الأخبار ، ص ١٧٩ .

(١٤٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ٨٣ .

(١٤٣) زامباور : معجم الانساب ، جـ ٢ ، ص ٣١٤ .

(١٤٤) الختن : بضم أوله وفتح ثانيه وآخره نون : ولاية أســـفل كاشغر وراء أوزكند وتعد من بلاد تركستان ، وهى فى واد بين جبال فى وسط جبال الترك .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٤٠١ .

قنطرة جرخيان(١٤٥) ، وتمكن بعد معركة طاحنة من احراز النصر(١٤٦) .

وكانت بين السلطان محمود وطغان خان الأخ الأكبر لايلك خان عهود ومواثيق فكاتب طغان محمودا يعتذر اليه عما فعل أخوه ويتنصل من تبعته ، فلما علم ايلك خان بذلك استاء من أخيه ، وسار لمحاربته سنة ٤٠١ هـ ، غير أن سوء الأحوال الجوية(١٤٧) . حال دون مواصلة القتال بينهما .

أخذ السلطان محمود يترقب ما يسفر عنه الصراع بين الأخوين ، وقدمت عليه رسلهما ، يتنصل كل فريق من مسئولية ما حدث ويلقى باللوم على الآخر ، حتى توسط السفراء بين الأخوين ، الا أن ايلك لم ينسى هزيمته أمام محمود ، وأخذ يكاتب أمراء ما وراء النهر ، فقام صاحب قصدار سنة ٤٠٢ هـ بقطع الأموال التى كان يرسلها الى السلطان محمود فعول السلطان محمود على المسير من غزنه الى قصدار وباغت صاحبها على حين غفلة فعجز عن مقاومته ، وطلب الأمان ، فأمنه السلطان الغزنوى بعد أن ألزمه بأداء المال الذى اجتمع لديه ، وأقره على ولايته بعد أن قدم فروض الولاء والطاعة(١٤٨) .

على أن ايلك اخن لم يتحول عن أطماعه فى خراسان ، رغم الصعوبات التى اعترضته ففى سنة ٤٠٣ هـ أعد العدة للمسير الى هذا

---

(١٤٥) جرخيان : على بعد اربعة فراسخ من بلخ .
العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ٢ ، ص ٨٤ .
(١٤٦) العتبى : جـ ٢ ، ص ٨٣ — ٨٦ .
، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٧١ ، ٧٢ .
ويذكر الكرديزى : ان هذا النصر كان يوم الاحد الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٩٨ هـ (٧ ديسمبر ١٠٠٧ م) ، زين الأخبار ، ص ١٧٩ .
(١٤٧) العتبى : جـ ٢ ، ص ٢١٩ .
، ابن الاثير : جـ ٩ ، ص ٨٣ .
(١٤٨) ابن الاثير : الكامل جـ ٩ ص ٨٤ ، خوندمير : حبيب السير جـ ٢ ص ٢١ .

الاقليم ، ولما توفى انتقلت السلطة الى يد أخيه « طغان خان » الذى اتخذ سياسة تخالف سياسة أخيه المناوئة للسلطان الغزنوى وتبودلت المراسلات بين الطرفين ، واتفقا على أن يكف كل منهما عن معاداة صاحبه ، ويتفرغا لنشر الاسلام ، فيقوم السلطان محمود بغزو الهند ، بينما يقوم طغان خان بغزو كفار الترك[١٤٩] .

استمرت حالة السلم بين الطرفين ، وساعد على ذلك انشغال « طغان خان » بمواجهة بعض الغزاة الذين قدموا من جهة الصين وهاجموا بلاده ، الا أنه استطاع أن يهزمهم ، ولم يلبث أن توفى عقب ذلك فى سنة ٤٠٨ هـ وخلفه أخوه أرسلان خان أبو منصور الأصم الذى حافظ على صلاته الودية بالسلطان محمود وأكد ذلك بقبول خطبة ابنته للأمير مسعود[١٥٠] .

لم يلبث « قدر خان » — حاكم سمرقند من قبل طغان خان — أن أعلن الثورة على أرسلان خان ، وأرسل الى السلطان محمود يعرض عليه التحالف معه ، فاستجاب له وعبر نهر جيحون[١٥٢] ، غير أنه ما لبث أن ساورته الشكوك نحو مسلك قدر خان[١٥٣] اذ ما لبث أن تصالح هذا الأمير مع أرسلان خان وتحالفا ضده ، واتجها نحو بلاده فتصدى لهما وهزمهما ، فارتدا عبر جيحون[١٥٤] .

توقفت أطماع القره خانيين فى أملاك الغزنويين جنوب نهر جيحون بعد هزائمهم المتكررة وخسائرهم الفادحة واستيلاء محمود

---

(١٤٩) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .
ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٨٩ .
(١٥٠) العتبى : ج ٢ ، ص ٢٢٠ — ٢٣٢ .
(١٥٢) الكرديزى : زين الاخبار ، ص ١٨٦ .
(١٥٣) زين الأخبار ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .
(١٥٤) يروى ابن الأثير : الكامل ، ج ٩، ص ١١١ أنه عقب انتصار محمود على الخانيين جاءه رسول والى خوارزم يهنئه فسأله : كيف عرفت فقال له : من كثرة القلانس التى جاءت مع الماء .

الغزنوى على بعض الولايات والمدن الواقعة على النهر ، واتجه القره خانيون الى تحسين علاقتهم مع الغزنويين وأبرمت عهود ومواثيق بين قدرخان والسلطان محمود[١٥٥] .

ولما ولى السلطان مسعود حرص على استمرار العلاقات الطيبة مع قدر خان وأبنائه ، فأرسل الى الخان سنة ٤٢٢ هـ رسالة يروى فيها تفاصيل الوقائع بينه وبين أخيه محمد ويبين أحقيته بحكم غزنة[١٥٦] ، وأرسل السلطان مسعود فى نفس هذه السنة (٤٢٢ هـ)[١٥٧] . ابا القاسم ابراهيم بن عبد الله الحصيرى والقاضى أبا طاهر التبانى سفيرين من قبله الى قدر خان[١٥٨] ، ونجحت تلك السفارة ، حيث أبرم رسولا السلطان مسعود ميثاق صداقة مع قدر خان[١٥٩] .

ولى حكم تركستان بعد وفاة قدرخان ابنه الأكبر أبو شجاع أرسلان الملقب بشرف الدولة ، فعهد لأخيه بغراخان بولاية طراز[١٦٠]

---

(١٥٥) البيهقى : ص ٥٧١ .

(١٥٦) وقد اورد البيهقى نص هذه الرسالة كاملة ، ص ٧٥ — ٧٨ .

(١٥٧) فى العاشر من ربيع الاول سنة ٤٢٢ هـ (الاحد ٨ مارس ١٠٣١ م) ، البيهقى ، ص ٢٣٢ .

(١٥٨) ومعهما كتاب ومشافهتين يطلب فى المشافهة الاولى ابرام عقد وصداقة ومصاهرتين الاولى من احدى بنات الخان للسلطان والثانية من احدى بنات ولى العهد بغراتكين باسم الامير مودود والمشافهة الثانية فى شرح ظروف الصراع بينه وبين اخيه محمد لكسب تاييده .

انظر نص هاتين المشافهتين فى البيهقى ، ص ٢٢٨ — ٢٣٧ .

(١٥٩) تأخرت تلك السفارة نظرا لوفاة قدر خان واضطرار الوفد الى البقاء لتقدم واجب العزاء ، ولما استقر الامر فى تركستان ونصب ارسلان خان ابن قدر خان ملكا عليها عاد الرسولان ومعهما العروسان الا أن عروس مودود ماتت فى الطريق أما عروس السلطان فقد وصلت الى غزنة حيث زفت اليه ، وقد استغرقت هذه السفارة اربع سنوات .

البيهقى : ص ٤٥٠ — ٤٥٢ .

(١٦٠) طراز : وتعرف الآن باسم أوليانا ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٤ ، ص ٢٥ .

وأسبيجاب[١٦١] ، وأرسل بغراخان يجدد طلب زواجه من الحرة زينب ابنة السلطان محمود ، لكن مسعودا أرجأ هذا الزواج أكثر من مرة[١٦٢] ، ولم يمض غير قليل حتى تبدلت علاقة بغراخان مع الغزنويين ، فاتجه الى التحالف مع السلاجقة ، وأمد طغرلبك بالرجال والسلاح[١٦٣] .

أحس السلطان مسعود بخطورة تحالف بغراخان مع السلاجقة ، لكنه عالج الأمر بدقة ، فأرسل سفارة الى تركستان لاصلاح ما فسد وخرج رسوله الامام أبو صادق التبانى من غزنه فى يوم الثلاثاء السابع من ذى القعدة سنة ٤٢٨ هـ (٢٣ أغسطس ١٠٣٧ م) قاصدا بلاد الترك ، ونجح بعد مفاوضات طويلة فى ابرام العهود مع أرسلان خان وأخيه وأقنعهما بوجوب ايثار الود مع السلطان[١٦٤] .

ولما هزم السلطان مسعود أمام السلاجقة فى داندانقان سنة ٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م بعث الى الخان يشرح له ظروف المعركة وأسباب الهزيمة ويؤكد له عزمه على تدارك المحنة وأنه يثق أن حليفه الخان لن يبخل عليه بالمساعدة ولن يتوانى عن مده بما يحتاج من جنود[١٦٥] .

---

(١٦١) البيهقى ، ص ٥٧١ .

(١٦٢) كان السلطان مسعود يرد رسل الخان لا يحملون الا الوعود المعسولة ، فقد غضب مسعود من الخان بعد أن بلغه أنه يطالب بميراث زينب من ابيها محمود الغزنوى . البيهقى ، ص ٥٧٢ .

(١٦٣) وقعت رسالة فى يد السلطان مسعود مرسلة من بغراخان الى السلاجقة يحملها رسول يتخفى فى زى اشكافى ، وفيها يغرى السلاجقة بالغزنويين ويهون أمرهم ويقول لهم : « اصمدوا ورابطوا حتى نرسل لكم أى عدد من الرجال تريدون » وكانت الرسالة مخبأة فى تجويف حقيبة كانت مع هذا الرسول وفوقها أدوات الاسكافية . تاريخ البيهقى ، ص ٥٧٢ ، ٥٧٣ .

(١٦٤) كان أبو صادق التبانى مفاوضا بارعا استطاع أن ينال اعجاب بغراخان حتى انه قال عنه : « انه يذكرنا بمناظرات وجدل أبى حنيفة » . البيهقى : ص ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

(١٦٥) كان السلطان مسعود يأمل أن يستعين بالقراخانيين ، ولكن مصرعه حال دون ذلك . البيهقى ، ص ٦٩٦ وانظر نص كتاب مسعود الى ارسلان خان فى البيهقى من ص ٦٩٧ — ٧٠١ .

٢ — مع أمراء بلاد ما وراء النهــر :

(أ) مع على تكــين :

كان على تكين الذى يلى بعض نواحى بلاد ما وراء النهر[١٦٦] أخا لايلك خان ، فلما ولى أرسلان خان حكم الترك قبض عليه وسجنه لخوفه من منافسته على السلطة ، لكن « على تكين » تمكن من الهرب واستولى على بخارى واتخذها مركزا لحكمه[١٦٧] .

وكان « على تكين » يحنق على الغزنويين لاعتقاده أن السلطان محمود بن سبكتكين أعان أرسلان خان ضده وضد أسرته[١٦٨] ، فضلا عن احتفاء السلطان محمود بقدر خان (أبو أرسلان خان) مما أدى الى ضياع هيبة « على تكين » فى امارته فى تركستان[١٦٩] .

وكان لعلى تكين أطماع توسعية ، فكثر تعديه على ما جاوره من بلاد محمود الغزنوى كما قطع الطرق على رسله المترددين الى ملوك التــرك[١٧٠] ، وحــاول تدعيــم قوته بالتحــالف مع الســلاجقة فصاهرهم[١٧١] .

تغيرت سياسة الغزنويين تجاه « على تكين » بعد وفاة السلطان محمود ، ذلك أن مسعودا رغب فى الاستعانة به فى صراعه مع أخيه محمد ، ووعده بتولية أحد أبنائه على بعض الأقاليم الغزنوية وقال

---

(١٦٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٨٨ ويذكره باسم الامير على تكين صاحب ما وراء النهر .
(١٦٧) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٦ .
(١٦٨) البيهقى ص ٩٣ ، ٩٤ .
(١٦٩) البيهقى ، ص ٣١٠ .
(١٧٠) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٦ .
، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، ص ٥٢٦ (مخطوط) .
(١٧١) يروى ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٧ أن على تكين لمــا احس بخطر السلاجقة عليه فيما وراء النهر انقلب عليهم واستطاع بعد عدة معارك معهم أن يرغمهم على العبور الى خراسان .

فى رسالة أرسلها اليه : « اننا نتأهب للسفر نحو أخينا (محمد) فاذا أعاننا الأمير فى هذه الحرب ، فحضر بنفسه الينا أو أوفد أحد أبنائه مع جيش مجهز بالعدة والعتاد ، وانتهى ما نحن بصدده من الأمر ، فسنمنح أحد أولاد الأمير اقليما عظيما من هذه الناحية » . على أن السلطان مسعود بعد أن حقق هدفه ووصل الى الحكم بغير قتال حذره ناصحوه من قوة « على تكين » فلم يف بوعده له مما زاد فى حنق على تكين على الغزنويين ، وعاد الى سياسته الأولى فى الاغارة على المناطق القريبة من نهر جيحون[١٧٢] .

كان يلى خوارزم من قبل الغزنويين التونتاش خوارزمشاه — الذى وقف حائلا دون أطماع « على تكين » — فوجه اهتمامه الى تحصين الثغور القريبة منه[١٧٣] وحشدها بالرجال ، لأن من عادة « على تكين » مهاجمة النواحى الخالية من المعدات الحربية[١٧٤] . ففى صفر من سنة ٤٢٣ هـ وصلت الأنباء من بخارى الى السلطان مسعود بأن على تكين يعد جيوشه ويستعد للعدوان ، فرأى مسعود الاستعانة بالتونتاش[١٧٥] وعهد اليه باخضاع « على تكين » فتوجه التونتاش شطر جيحون فى ربيع الأول سنة ٤٢٣ هـ (فبراير / مارس ١٠٣٢ م) وأمده بخمسة عشر ألف من الجنود ، فلما علم « على تكين » بذلك ترك بخارى واختار موقعا حصينا يكثر فيه الشجر والماء عند قلعة « دبوسى » ليقاتل فيه ، ودخل التونتاش خوارزمشاه بخارى فتقدم

---

(١٧٢) البيهقى : ص ٦٧ . كان على تكين يطمع فى منطقة « ختل » الواقعة على المجرى الأعلى لنهر جيحون ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٨ ، ص ٢٢٢ .

(١٧٣) وهى ثغور بلخ وطخارستان وصغانيان وترمذ .
البيهقى : ص ٩٤ .

(١٧٤) البيهقى : ص ٩٣ ، ٩٤ .

(١٧٥) البيهقى : ص ٣٥٨ . كان فى نية السلطان مسعود الاستعانة ببغراخان ضد على تكين الا انه عدل عن ذلك لغضب بغراخان من السلطان مسعود بسبب تأجيل زواجه من بنت السلطان محمود .
البيهقى : ص ٥٧١ .

أهلها فروض الولاء والطاعة ، وسعى « على تكين » فى طلب الصلح بسبب ما أصابه من خسائر فادحة ونقص الرجال ، فقبل التونتاش الصلح ، وتمكن وزيره أحمد بن عبد الصمد من الانسحاب بالجيش سالما(١٧٦) .

ولى خوارزم بعد التونتاش ابنه هارون الذى ما لبث أن تحالف مع « على تكين » وظل حليفا لأبناء « على تكين » بعد وفاته سنة ٤٢٦ هـ ، وقد حاول مسعود أن يستميل الابن الأكبر لعلى تكين الذى ولى الأمر بعده ، فراسله معزيا فى أبيه ومهنئا بولايته وخاطبه فى رسالته « بالأمير الفاضل الولد » غير أن ذلك لم يغير موقفه العدائى تجاه مسعود(١٧٧) .

اتفق هارون بن التونتاش مع أبناء على تكين على الاغارة على بعض مدن خراسان وما وراء النهر ، غير أنه ما لبث أن أغتيل ، وواصل حلفاؤه أبناء على تكين تنفيذ ما اتفقوا عليه وأغاروا على « صغانيان » وفر واليها « أبو القاسم الداماد » ، ثم اتجهوا الى ترمذ ، لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها ، ثم ارتدوا الى سمرقند(١٧٨) .

شجعت انتصارات السلاجقة على الغزنويين فى خراسان أبناء على تكين على معاودة غاراتهم ، فقاموا فى شوال سنة ٤٢٦ هـ (أغسطس / سبتمبر ١٠٣٥ م)(١٧٩) بمهاجمة نواحى « صغانيان » وترمذ(١٨٠) ، ولما علم أبناء على تكين بحضور السلطان الى بلخ أصابهم الخوف

---

(١٧٦) توفى التونتاش متأثرا بجراحه التى تمكن من اخفائها امام رسل على تكين البيهقى ، ص ٣٦٢ — ٣٧٣ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(١٧٧) البيهقى : ص ٤٩٦ .

(١٧٨) البيهقى : ص ٤٩٧ ، ٤٩٨ وذلك حينما بلغتهم انباء مقتل هارون .

(١٧٩) البيهقى : ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

(١٨٠) وذلك عقب هزيمة القائد الغزنوى بكتغدى أمام السلاجقة . البيهقى ، ص ٥٢٨ .

وأرسلوا فى طلب الصلح فرفض السلطان مقابلة رسولهم[١٨١] لشدة نقمته عليهم ، لكن وزيره نصحه بقبول الصلح حتى يتفرغ لمواجهة الاضطرابات العديدة فى الأطراف فاستجاب له[١٨٢] .

(ب) مع بورتكين :

لم يكد السلطان مسعود يأمن جانب أبناء على تكين ويوطد علاقته معهم حتى ظهر أمير تركى فى منطقة ما وراء النهر[١٨٣] هو أبو اسحاق ابراهيم بن ايلك المعروف ببورتكين ، وكان بورتكين على عداء مع أبناء على تكين ، فأرسل الى السلطان مسعود فى شوال سنة ٤٢٩ هـ (يولية / أغسطس ١٠٣٨ م) يعرض عليه صداقته . فاستجاب له السلطان بناء على نصيحة وزيره ، ورد عليه ردا جميلا وخاطبه فى رسائله : « بالأمير الفاضل »[١٨٤] .

على أن هزائم الغزنويين أمام السلاجقة فى خراسان شجعت « بورتكين » على الطمع فى ممتلكاتهم شمال جيحون فقام فى أوائل سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م بجمع نحو من ثلاثة آلاف من الفرسان المدربين واتجهوا نحو « هلبك »[١٨٥] متظاهرا بأنه جاء لخدمة السلطان ، وفى نيته السلب والعدوان ، وتوالت الرسائل من حدود « ختلان »[١٨٦] تستغيث منه ، فأرسل اليه وزير السلطان مبينا أن هذه الأفعال لا تتفق مع ما سبق أن عبر عنه من رغبة فى طاعة السلطان[١٨٧] .

---

(١٨١) موسى تكين وبصحبته فقيه من سمرقند .
البيهقى : ص ٥٣٣ .
(١٨٢) البيهقى : ص ٥٣٢ — ٥٣٤ .
(١٨٣) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠١ .
(١٨٤) البيهقى : ص ٥٩٦ — ٥٩٨ .
(١٨٥) هلبك : مدينة خلف جيحون وهى قصبة الختل .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٠١ .
(١٨٦) ختلان : بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند .
معجم البلدان : ج ٣ ، ص ٤٠٠ .
(١٨٧) البيهقى : ص ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

اتجه السلطان مسعود بجيشه صوب المناطق الشمالية ، وفى نيته أن يبدأ ببورتكين[١٨٨] لأنه كما قال : « عدو وابن عدو » ولا يجرؤ على الاقتراب من ممتلكات أبناء على تكين فضلا عن صغانيان ، ولذلك وجه أطماعه صوب ممتلكات السلطان الغزنوى ، فلما وصل السلطان الى « ولوالج »[١٨٩] وبروان أذاع أنه يزمع الزحف اليه بنفسه ، ففزع بورتكين وأرسل يعتذر للسلطان ، ويؤكد له أن الغارات التى حدثت على أطراف بلاده كانت دون علمه ، وأنه سوف يحضر بنفسه لتقديم فروض الولاء والطاعة[١٩٠] .

استشار السلطان مسعود وزيره أحمد بن عبد الصمد فى شأن بورتكين ، فاقترح عليه الوزير عقد صلح معه والاستفادة منه فى قتال السلاجقة ، لأنه أكثر دراية بأساليبهم فى القتال ، فرفض هذا الاقتراح قائلا : « ان بورتكين لأكثر شرا من التركمان ، فانه قد انتهز الفرصة وزحف بجنـــده وأكثر من نهــب ختــلان ، ولو تأخرنا لخــرب تلك النواحى وسوف أتعقبه أولا ، حتى اذا فرغت من أمره اتجهت الى الآخرين »[١٩١] .

استقر الرأى على اعداد جيش من عشرة آلاف فارس لمطاردة بورتكين[١٩٢] ، فلمـــا وصل هذا الجيش الى « ختلان » فربورتكين لاجئا الى « الكمخيين »[١٩٣] ، فخرج السلطان بنفسه للقضاء عليه ،

---

(١٨٨) كتب وزير السلطان الى بورتكين وارسل له رسولا يبين له سوء ما جرى فى « وخش » وختلان ، وان ما قام به لا يدل على ما يظهره من نيته فى الطاعة وان السلطان فى سبيله اليه .
البيهقى : ص ٦٠٩ .

(١٨٩) ولوالج : بلد من اعمال بدخشان خلف بلخ وطخارستان .
معجم البلدان : ج ٨ ص ٤٣٣ .

(١٩٠) وتنصل من تبعة ما حدث فى وخش وعند حدود هلبــك مدعيا بان ما حدث كان دون علمه . البيهقى : ص ٦٠٩ ، ٦١٠ .

(١٩١) البيهقى : ص ٦١٠ ، ٦١١ .

(١٩٢) البيهقى : ص ٦١١ .

(١٩٣) البيهقى : ص ٦١٥ ، ٦١٦ .

فأقام جسرا[١٩٤] على نهر جيحون ليعبر عليه بجيشه ، وكان ذلك فى ربيع الأول سنة ٤٣٠ هـ (ديسمبر ١٠٣٨ م) وكان الجو شديد البرودة ، فسار متعقبا بورتكين عبر المضايق ، غير أن بورتكين كان خبيرا بالمنطقة ومسالكها ، فلم يظفر منه السلطان بطائل[١٩٥] ، وأضطر الى العودة ، وأثناء انسحاب السلطان كان بورتكين يغير على مؤخرة جيشه وينهب ما تصل اليه يديه من أمتعة ودواب ، حتى عبر جيش السلطان الجسر الى خراسان فى أواخر ربيع الثانى سنة ٤٣٠ هـ[١٩٦] .

تزايدت قوة بورتكين ، وعقد تحالفا مع السلاجقة ، وكان يرأس طلائعهم فى حروبهم ضد السلطان[١٩٧] ، وتمكن من الانتصار على أبناء على تكين بمعاونة السلاجقة الذين أمدوه بالمؤن والرجال وانتزع بلاد ما وراء النهر منهم[١٩٨] .

ولما هزم السلطان مسعود فى داندانقان أمام السلاجقة سنة ٤٣١ هـ قال : « يجب أن نعطى ولاية بلخ وطخارستان الى بورتكين حتى يجىء بعسكر وحشم ما وراء النهر ويحارب التراكمة (السلاجقة)[١٩٩] .

٣ — مع البويهيين :

بدأت علاقة الغزنويين بالبويهيين فى عهد سبكتكين بالود والصداقة وتبادل الهدايا ، فقد أرسل فخر الدولة على بن بويه (صاحب همذان والرى وما بينهما) الى الأمير سبكتكين أثناء مقامه فى بلخ هدية من

---

(١٩٤) كانت معدات هذا الجسر موجودة وسليمة منذ عهد السلطان محمود . البيهقى : ص ٦١٦ .
(١٩٥) البيهقى : ص ٦١٩ ، ٦٢٠ .
(١٩٦) البيهقى : ص ٦٢٠ .
(١٩٧) البيهقى : ص ٦٢٥ — ٦٨١ .
(١٩٨) البيهقى : ص ٦٥٤ .
(١٩٩) البيهقى : ص ٧٢٥ .

الذهب والفضة فرد عليه سبكتكين بهدية أحسن منها ، وزاد عليها ثلاثة من الفيلة الخفاف[٢٠٠] .

ازدادت الرغبة فى تحسين العلاقات مع البويهيين بعد استيلاء السلطان محمود بن سبكتكين على سجستان سنة ٣٩٣ هـ ، وأصبحت ممتلكاته متصلة بأملاك بهاء الدولة البويهى فى كرمان ، وكان محمود منذ استيلائه على خراسان سنة ٣٨٩ هـ يسعى للحصول على اعتراف من الخليفة العباسى بولايته عليها ، فراسل بهاء الدولة البويهى فى ذلك ، وبعث اليه رسوله أبا عمر البسطامى وبعض الهدايا وسأله التوسط لدى الخليفة القادر بالله ، فوجه بهاء الدولة فخر الملك أبا غالب بصحبته رسول محمود الى الخليفة القادر بالله العباس ليسأله ما طلب السلطان الغزنوى[٢٠١] ، فأجاب الخليفة محمود الغزنوى الى ملتمسه وأرسل اليه الخلع والألقاب فى شعبان سنة ٤٠٤ هـ[٢٠٢] .

حاول السلطان محمود الاستفادة من الخلافات التى نشبت داخل البيت البويهى ، واتيحت له الفرصة ، عندما طرد سلطان الدولة ابن بهاء الدولة أخاه أبا الفوارس من كرمان فلجـأ أبو الفوارس الى السلطان محمود الذى أكرمه ، وأمر أخاه الأمير نصر بن سبكتكين باستقباله ورحب به فى بلاطه[٢٠٣] وأقام أبو الفوارس فى بلاط محمود قرابة ثلاثة أشهر ، ولما رغب فى استرداد ملكه اعطاه السلطان محمود من المال أكثر مما طلب ، وسير معه جيشا بقيادة أبى سعيد الطائى ، فتمكن من استعادة كرمان ، وواصل أبو الفوارس تقدمه الى بلاد فارس بعد أن عاد الجيش الغزنوى ، وتمكن من دخول شيراز ، لكن جيوش سلطان الدولة أوقعت به الهزيمة ، ولاحقته الى كرمان فأخرجته

---

(٢٠٠) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٩ .
(٢٠١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٥٢ .
(٢٠٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٥٢ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٩١ .
(٢٠٣) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ٢٠٩ — ٢١٥ .

منها سنة ٤٠٨ هـ ولم يستطع العودة الى السلطان الغزنوى لاساءته السيرة مع قائده أبى سعيد الطائى(٢٠٤) .

بدأ الغزنويون الزحف على ممتلكات البويهيين منذ سنة ٤٢٠ هـ وكشفوا النقاب عن نواياهم فى تصفية الوجود البويهى ، ودخول بغداد ، فاستولى محمود بن سبكتكين على الرى ، وواصل ابنه مسعود التقدم الى أصفهان وهمذان ، ثم استولى على كرمان ، ومن ثم توترت العلاقات بين الطرفين وانقطعت صلات الود والصداقة(٢٠٥) .

ولما أرسل الملك البويهى أبو كاليجار معاتبا مسعود لاستيلائه على كرمان ومذكرا اياه بالصداقة القديمة لم يستجب اليه ورد قائلا : « ان هذه الولاية مهملة ، ولا حامى لها ، وهى مرتبطة بولايتنا من جانبين ، وأهلها يستغيثون من المفسدين ومن واجبنا أن نفرج كرب المسلمين »(٢٠٦) .

على أن السلطان مسعود مال فى أواخر عهده الى تحسين علاقته بالبويهيين ، وخاصة بعد أن تمكنوا من استرداد كرمان ، واشتد عليه خطر السلاجقة فى خراسان ويروى سبط بن الجوزى أن رسول السلطان مسعود وصل بغداد فى صفر سنة ٤٢٨ هـ (نوفمبر/ديسمبر ١٠٣٦ م) لخطبة ابنة أبى كاليجار بشيراز للأمير أبى شجاع (مودود) ابن مسعود ، كما تزوج أبو كاليجار من أخت السلطان مسعود بخراسان(٢٠٧) .

---

(٢٠٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١١٠ .

(٢٠٥) ويروى أن السلطان محمود حذر ابنه مسعود أن يتزوج من الديلم وطلب منه أن يحلف له على ذلك ، وكان ذلك فى أخريات حياته ، فحلف له مسعود .

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، ص ٤٧٨ (مخطوط) .

(٢٠٦) البيهقى : ص ٢٨٨ ، ٤٥٧ .

(٢٠٧) مرآة الزمان ، جـ ١١ ، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ (مخطوط) .

٤ — مع الخلافة العباسية :

كان محمود الغزنوى يتخذ من الانتصار للخلافة العباسية واجهة يدعم بها مركزه فى قتاله ضد السامانين ، فكان السامانيون لا يخطبون للخليفة العباسى القادر بالله ويقيمون الخطبة باسم الخليفة المخلوع الطائع لله(٢٠٨) ، وقد قال محمود الغزنوى فى رسالة منه للخليفة القادر عقب انتصاره على السامانيين « ... وجريت على عادتى مع هذا الأخير (يقصد عبد الملك بن نوح) أوفد اليه مرة بعد أخرى وثانية بعد أولى من يدعوه الى الرشاد ويبصره من التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — سبل الرشاد ، فلم يزد ذلك الا ما زاد أخاه (أى منصور بن نوح) استقصاء واستغواء ، فلما أيست من فيئه الى واضح الجد ... نهضت اليه بمن معى من أنصار مولانا أمـــير المؤمنين »(٢٠٩) .

توطدت العلاقة بين السلطان محمود الغزنوى والخلافة العباسية عندما استولى على خراسان سنة ٣٨٩ هـ واعترف بسلطة الخليفة القادر بالله ، وأقام الخطبة باسمه ، ومنذ ذلك الوقت بدأت الخلافة العباسية تجنى ثمار علاقتها الودية مع الغزنويين الذين اتسمت سياستهم بالولاء الشديد لها ، وكان من مظاهر هذا الولاء الى جانب اقامة الخطبـــة للخليفة العباس نقش اسم الخليفة العباسى على عملتهم(٢١٠) .

---

(٢٠٨) هلال بن الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، ص ٣٧٢ . أجبر الخليفة الطائع على ان يخلع نفسه وينزل عن الخلافة للقادر بالله . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٥ .

(٢٠٩) هلال بن الصابى : تحفة الأمراء ، ص ٣٧٢ — ٣٧٤ . وانظر نص الرسالة كاملة من ٣٧٢ — ٣٧٦ .

(٢١٠) هلال بن الصابى : تحفة الأمراء ، ص ٣٧٢ ، أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٣٣٢ ، ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٣٠ — ٥٥ . وقد اورد لنا زامباور عملة ضربت فى نيسابور فى عهد محمود بن سبكتكين عليها اسم القادر بالله والالقاب التى منحها لمحمود .

Zambaur (E. Von) : Numismatische Zeitschrift. p. 126. (Wien 1915).

ولمـــا قلد الخليفة القادر ابنه أبا الفضل ولاية العهد(٢١١) ، كاتب السلطان محمود فى هذا الشأن ، فألحق اسم ولى العهد باسم أبيه فى الخطبة والسكة ، فصارت الخطبة تقام باسميهما ، وتنقش اسماؤهما على الدنانير والدراهم(٢١٢) .

كان اعتراف الخليفة العباسى أمرا ضروريا يحرص عليه سلاطين غزنة ، ويبذلون الجهد والمال فى سبيل الحصول عليه ، وقد بعث السلطان محمود بالهدايا الكثيرة الى بهاء الدولة البويهى ليتوسط له لدى الخليفة القادر بالله ليقره على ما بيده من بلاد ، ورغم وفاة بهاء الدولة سنة ٤٠٣ هـ فقد نجحت مساعيه وحصل على منشور من الخليفة فى شعبان سنة ٤٠٤ هـ(٢١٣) .

وكان الخليفة العباسى يعبر عن اعترافه بالحكم الغزنوى بارسال الخلع والألقاب فأضفى القادر على السلطان محمود اللقب الذى اشتهر به وهو يمين الدولة(٢١٤) وأمين المـــلة(٢١٥) ، كما لقبـــه نظـــام

---

(٢١١) لقبه الغالب بالله .
العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ١١١ .

(٢١٢) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢١٣) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٥٢ .
، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٩١ .

(٢١٤) حينما ولى محمود السلطنة طلب الى الخليفة القادر بالله أن ينعم عليه بلقب من الألقاب فلقبه « يمين الدولة » فلما أخذ محمود سجستان واستولى على خراسان والهند وسمرقند وخوارزم واصفهان وطبرستان وقوهستان طلب من الخليفة أن يزيد فى ألقابه أسوة بخاقان الترك الذى منح ثلاثة ألقاب فرفض الخليفة متعللا بأن الألقـــاب تزيد صاحبها تشريفا اذا كان فى قلة من عراقة النسب وزيادة فى الجهـــل « أما أنت فرجل شريف يكفيك لقب واحد » .
نظام الملك : سياست نامه ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢١٥) العتبى : ج ١ ص ٣١٧ ، سياست نامه ص ١٩٤ .
Zambaur : op, cit, p. 126.
ووجد ذلك اللقب على عملة ضربت فى نيسابور سنة ٤٠٨ هـ .

الدين(٢١٦) وكهف الاسـلام(٢١٧) والمسلمين ، ومـولى أمـير المؤمنين(٢١٨) كما لقب القادر ابنه مسعود « ناصر دين الله » و« حافظ عباد الله »(٢١٩) ، المنتقم من أعداء الله ، ظهير خليفة الله أمـير المؤمنين(٢٢٠) ، ولقب الأمير محمد « جلال وجمال الملة »(٢٢١) .

وكان محمود الغزنوى يعلن أن فتوحاته ومعاركه انما تجرى وفق مشيئة الخليفة العباسى وأنه يدافع عن نفوذ الخلافة ويحفظ هيبتها فى الشرق ، ففى رسالة منه للخليفة بعد انتصـاره على السـامانيين : « ... وقد فتح الله لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة ، وجعل منابرها تذكر اسمه »(٢٢٢) كما كان السلطان محمود يظهر فى رسائله احترامه الزائد للخليفة القادر ويخاطبه « بسيدنا ومولانا »(٢٢٣) كما

---

(٢١٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٩١ .
Zambaur : Numismatische. p. 128.
وقد ورد لقب نظام الدين ضمن القاب محمود فى نص جنائزى من حوالى سنة ٤٢١ هـ على ضريح محمود بغزنة ، وكذلك ايضا لقب الملك المؤيد .
حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق ص ٥٩ ، ٤٩٧ .

(٢١٧) يذكر الكرديزى : زين الاخبار ، ص ١٩١ اللقب « كهـف الدولة والاسلام » .

(٢١٨) البيهقى : ص ٤٧ ووجد من القاب محمود على البرج الذى يحمل اسمه بغزنه « السلطان الأعظم » ظهير المسلمين « وغازى المغازى » ومعين المساكين وملك الاسلام .
حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ، ص ٣٣٠ — ٣٨٧ ، ٣١٢ ، ٤٧٩ — ٥٠٣ .

(219) Zambaur : Opt Cit, p. 129.
وقد ظهرت على عملة ضربت فى نيسابور سنة ٤٢٣ هـ .

(٢٢٠) البيهقى : ص ٤٧ ويذكر الكرديزى من القابه ايضـا « شـهاب الدولة وجمال الملة » .
زين الأخبـار ، ص ١٩١ .

(٢٢١) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٩٢ — ١٩٤ .

(٢٢٢) هلال بن الصابى : تحفة الأمراء ، ص ٣٧٥ .

(٢٢٣) تحفة الأمراء ، ص ٣٧٢ .
، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٩٢ .

حرص على موافاة الخليفة بتقارير عن فتوحاته ومعاركه كرسالته التى أرسلها له مبشرا بانتصاره على السامانيين ، ورسالته اليه فى وصف معاركه فى غزو سومنات وغيرها من بلاد الهند(٢٢٤) .

كذلك اعتبر حكام غزنة أنفسهم القوة الوحيدة الممثلة للخلافة فى شرق العالم الاسلامى ، ولذا غضب السلطان محمود حينما قال الخليفة القادر لفخر الملك : « انك تفتح الدنيا من مشرقها الى مغربها » وأرسل يعتب على الخليفة هذا القول(٢٢٥) ، كما اشترط ابنه مسعود فى صيغة العهد الذى عقده مع الخليفة القائم بأمر الله ألا يكاتب حكام تركستان ولا يرسل اليهم خلعا أو ألقابا(٢٢٦) .

ويتضح مما ذكره البيهقى (٢٢٧) مدى ما يتمتع به الخليفة العباسى من هيبة فى نفوس السلطان ورعاياه ، فقد وفد رسول الخليفة الى غزنة فى موكب كبير ، ألقى الناس عليه الدراهم والدنانير ، ووقف الرجالة بأسلحتهم أمام الفرسان ، وأصطف أصحاب المراتب صفين ، وحملت الخلع فى الصناديق ، وحمل امام الرسول اللواء معقودا بيد فارس وطوى المنشور والكتاب فى الديباج الأسود ، وعهد به الى فارس آخر ، ومن أمامهم الحجاب وأهل المراتب ، واستقبل مسعود رسول الخليفة بالحفاوة حيث أبلغه سلام أمير المؤمنين وألحقه بالدعاء الجميل ، وقرأ عليه تقليد ولايته وقال :

« ان ناصر دين الله وحافظ بلاد الله أبا سعيد مسعود هو أعظم أركاننا وأقواها » وعقد اللواء بيده وسلمه الطوق والقلادة والتاج والمنطقة وأهداه عمامة وسيف ليقضى به على الزنادقة والقرامطة (الاسماعيلية) ويستولى على ما بيد أعدائه من البلاد وأخرجت الخلع

---

(٢٢٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٩٢ ، جـ ٨ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .
(٢٢٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، ص ٣٤٩ (مخطوط) .
(٢٢٦) البيهقى : ص ٣٢٠ .
(٢٢٧) البيهقى : ص ٣٩٣ .

من الصناديق ، فنزل السلطان مسعود من على السرير (العرش) وأرتدى الخلعة ، وبلغ من تقدير السلطان مسعود لتقليد الخليفة أن كتب الى كافة البلاد بألقابه : « ناصر دين الله ، حافظ عباد الله ، المنتقم من أعداء الله » .

كما حرص سلاطين الغزنويين على اظهار مدى ما حققوه من نجاح وتوفيق ضد أعداء الاسلام . فكان محمود الغزنوى يرسل عقب كل غزوة يغزوها فى بلاد الهند خطابا الى الخليفة العباسى يتحدث فيه عما أحرزه من نصر للاسلام ، وكان الخليفة بدوره يرسل اليه مشجعا ومعضدا ، ففى سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ — ١٠١٤ م فتح محمود بن سبكتكين ناردين ، فأرسل اليه الخليفة القادر يجدد له العهد ولقبه نظام الدين ، وفى سنة ٤١٠ هـ أرسل الى الخليفة كتابا يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند جاء فيه : « انتخب العبد (يقصد نفسه) ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل وانضم اليه جماهير المطوعة وخرج العبد من غزنة فى العام التاسع (٤٠٩ هـ) بقلب منشرح لطلب الشهادة ففتح قلاعا وحصونا ، وأسلم زهاء عشرين ألفا من عباد الأوثان ، وسلموا قدر ألف ألف درهم ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد ، وألف بيت من الأصنام الفضية زيادة على ألف صنم ، ولهم صنم معظم يؤرخون به لعظم جهالتهم بثلاثمائة عام »[٢٢٨] .

وفى سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ — ١٠٢٤ م أرسل يمين الدولة خطابا مماثلا الى القادر بالله ، يصف له كيف أوغل فى بلاد الهند حتى جاء الى قلعة عد فيها ستمائة صنم ليس لها فى الدنيا نظير ، وهذه القلعة من الاتساع بحيث تسع خمسمائة ألف انسان وخمسمائة فيل ، وعشرين ألف دابة ، وكيف أعانه الله عليهم حتى طلبوا الأمان ، فأمن ملكهم وأقره على ولايته بخراج قرر عليه ، فضلا عما أنفذه من هدايا كثيرة

(٢٢٨) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

وفيلة وطرف غريبة[٢٢٨] ، فقبلت هديته ، وختم خطابه بقوله : « وانقلب العبد بنعمة من الله وفضله[٢٢٩] و فى سنة ٤١٨ هـ كتب الى الخليفة القادر يذكر ما فتحه من بلاد الهند ، وكسره الصنم المعروف بسومنات[٢٣٠] .

كانت غزنة تشارك بغداد فى الاحتفال بمراسم الخلافة ، فحين توفى القادر بالله أعلنت مراسم الحداد فى الدولة الغزنوية ، وعطلت الأسواق ثلاثة أيام ، وبعد ذلك أقيمت الاحتفالات بتولية الخليفة القائم بأمر الله ، وجمع له النثار[٢٣١] الذى أسهم فيه السلطان مسعود بعشرة آلاف دينار ، وشارك فيه كبار رجال الدولة والأمراء[٢٣٢] . كما كان رسول الخليفة يلقى كل احتفاء وتكريم فى غزنة ، فتعرض أمامه الجيوش وتقدم اليه الخلع والنثار والهدايا الكثيرة ، ثم يعود على أحسن ما يكون[٢٣٣] .

٥ ـ مع الخلافة الفاطمية :

لما وجد الفاطميون فى مصر ما يلاقيه أنصارهم من الاسماعيلية فى المشرق على يد محمود الغزنوى ، عملوا على استمالته اليهم ، لكنهم لم يستطيعوا تحقيق مآربهم ، فأرسلوا أحد دعاتهم واسمه « التاهرتى » ليدعوه الى اعتناق المذهب الفاطمى سنة ٣٩٢ هـ ، ولما كان السلطان محمود يحرص على نفى كل صلة له بالفاطميين لذلك رفض مقابلة هذا

---

(٢٢٨) المنتظم : جـ ٨ ، ص ١٣ .
(٢٢٩) المنتظم ، جـ ٨ ، ص ١٢ ، ١٣ .
(٢٣٠) المنتظم : جـ ٨ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .
(٢٣١) النثار : كما ورد فى تاج العروس ، جـ ٣ ، ص ٥٥٤ : فتات ما يتناثر حوالى الخوان من الخبز . خصه اللحيانى فى التهذيب وقال الجوهرى : النثار بالضم ما تناثر من الشىء . والمقصود هنا هو ما يلقى أو يجمع من الأموال لتكريم شخص من الأشخاص وهو ما يشبه « النقوط » فى وقتنا الحالى .
(٢٣٢) البيهقى : ص ٣١٥ وما بعدها .
(٢٣٣) البيهقى : ص ٤٥ ، ٤٦ .

الداعى ، كما رفض تسلم رسالته وأمر باعلانها على الملأ ، كما حرص على اثبات بطلان كل ما يدعيه التاهرتى من نسب وصحة معتقد ، فأرسل اليه القاضى أبا بكر ليناظره ، فأثبت بطلان دعوته وفساد عقيدته ، وأنفذ اليه أحد أعيان الدولة من الطالبين ، فأعلن كذب انتمائه للعلويين فأمر السلطان بقتله ، وأهدى بغلته الى القاضى منصور الأزدى شيخ مدينة هراة وقال : « كان يركبها رأس الملحدين ، فليركبها رأس الموحدين »(٢٣٤) .

حاول الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله استمالة محمود الغزنوى برسالة أرسلها اليه سنة ٤٠٣ هـ يدعوه الى طاعته والدخول فى بيعته ، فبعث محمود بكتابه الى الخليفة القادر بالله(٢٣٥) . وكان لهذا التصرف أثره السىء فى نفس الحاكم بأمر الله فلم يكرر المحاولة(٢٣٦) ، الا أن الرغبة فى اكتساب السلطان محمود الغزنوى دفعت الخليفة الفاطمى الى تناس الاهانة التى لحقت بأبيه ، فأرسل الى السلطان سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م كتابا وخلعة مع أبى العباس أحمد بن محمد الرشيدى الملقب « زين القضاة » فأنفذها معه الى الخليفة ، فجلس القادر بالله لأبى العباس الرشيدى ، بعد أن جمع القضاة والشهود والفقهاء والأماثل ، وأدى أبو العباس رسالة يمين الدولة الى الخليفة وفيها

---

(٢٣٤) كان السلطان محمود مدفوعا الى هذا التصرف بتوجيهات من الخليفة القادر الذى كتب اليه مبينا ما يقتضيه الدين من التصلب فى أمر هذا التاهرتى ، فنفذ السلطان هذه التوجيهات ، وكتب الى مجلس الخلافة بصورة ما حدث .

العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ، ص ٢٣٨ — ٢٥٠ .

، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٣٨ ترجمة محمود محروس قشيطة رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٢٤ .

(٢٣٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٩٢ .

، الذهبى : سير اعلام النبلاء ، المجلد العاشر ، الجزء الثانى ورقة ٣١ الوجه الثانى (مخطوط) .

(٢٣٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢٦٠ .

يبين أنه الخادم المخلص الذى يرى الطاعة فرضا ويبرأ من كل ما يخالف الدولة العباسية ، وفى اليوم التالى أخرجت الثياب الى باب النـوبى (ببغـداد) وحفرت حفرة طرح فيها الحطب ، ووضعت الثياب فوقه وأشعلت النار .... ، فقامت قيامة الظاهر وكف عن مكاتبة محمود بعدها(٢٣٧) .

على أن الغزنويين لم يلبثوا أن جدوا فى القضاء على دعاة الفاطمين فى بلادهم وفى المدن التى كانوا يستولون عليها ، فقام محمود الغزنوى بعد استيلائه على خوارزم بقتل كل من وجده بها منهم ، كما قبض على داعيهم بنيسـابور « أبى القاسم الحسـن ابن على » الملقب « بدانشمند » وأرسله الى غزنة حيث قتل(٢٣٨) .

وفى سنة ٤٢٠ هـ أرسل يمين الدولة أبا القاسم محمـود الى الخليفة القادر من معسكره بظاهر الرى كتابا فى غرة جمادى الآخرة ، يبين له فيه أن الله قد أزال عن هذه البقعة (يقصد الرى) أيدى الظلمة وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة ، كما قمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة الباطنية الفجار ، وكانت مدينة الرى مخصوصة بالتجائهم اليها ، يختلطون بالمعتزلة المبتدعة والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة ، وكان زعيمهم « رستم بن على الديلمى » فعطف العبـد (أى محمود) عنانه بالعساكر وتوقف بها ، ووجه عليا الحاجب فى

---

(٢٣٧) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٢١ ، ٢٢ وكان الظاهر قد حاول استمالة بعض رجال محمود الغزنوى بالخلع والهدايا ومنهم « حسنك » امير خراسان ، فاهدى اليه خلعا وصلة (مالا) فى موسم الحج ، فقبلهما « حسنك »وغير طريق عودته ولم يدخل بغداد خوفا من غضب القادر ، فكوتب محمود بن سبكتكين بما فعله « حسنك » فارسل محمود الخلع والطرائف الفاطمية التى اهديت الى عامله فأحرقت فى بغداد ورفض اتهام « حسنك » بالميل الى الفاطميين .
ابن الجوزى : جـ ٨ ص ١٦ ، البيهقى : ص ١٩٤ ، ابو المحاسن : جـ ٤ ، ص ٢٦٠ .

(٢٣٨) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

مقدمة العسكر الى الرى ، فبرز رستم بن على ومن معه مستسلمين ، فقبض عليه وعلى أعيان الباطنية من قواده ، وأتفق الفقهاء على أنهم خارجون عن الطاعة ، وداخلون فى أهل الفساد ، ومستمرون على العناد ، فيجب عليهم القتل والقطع والنفى على مراتب جناياتهم ، فصلبوا على شارع المدينة ، وحول رستم بن على وابنه وجماعة من الديالمة الى خراسان ، وضم اليها أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس من فتنتهم ... فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض ، وانتصرت السنة ، فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعالى لانصار الدولة القاهرة »(٢٣٩) .

---

(٢٣٩) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٣٨ — ٤٠ .

٣ ـ ضعف نفـوذ الغزنويين وزوال سـلطانهم

أثار ظهـور السـلاجقة(٢٤٠) مخـاوف السـلطان محمـود الغـزنوى(٢٤١) ، خاصـة بعـد تحالفهـم مـع الأمـير عـلى تكين(٢٤٢) ، الذى كثيرا ما أثار المتاعب للسلطان الغزنوى فيما يجاوره من البلاد وقطع الطريق على رسله المترددين الى ملوك الترك(٢٤٣) ولما عقد الصلح بين السلطان محمود بن سبكتكين وبين الأمير القره خانى قدرخان سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ — ١٠٢٥ م(٢٤٤) حذره « قدرخان » من السلاجقة وتعاظم قوتهم واحتمال قيامهم بالاستيلاء على بعـض الولايات مستغلين غيابه فى بلاد الهند ، وأشار عليه بأن يستعين بهم ليأمن شرهم(٢٤٥) .

---

(٢٤٠) السلاجقة : نوع من قبائل الغز الأتراك ، وقد أخذت هذه القبائل تفارق موطنها الأصلى فى سهول التركستان على شكل موجات خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى واستقروا فى أول أمرهم فى بلاد ما وراء النهر . وقد عرف السلاجقة بهذه التسمية نسبة الى زعيمهم سلجوق بن دقاق ، وكان لسلجوق أربعة أولاد هم : اسرائيل (بيغو أرسلان) وموسى بيغو ويونس وميكائيل وخلف ميكائيل أولاده بيغو وطغرلبك وجغرى بك داود .

الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢ ، ٣ ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٧ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ابن الأثير : جـ ٣ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٩١ ترجمة محمود محروس قشطة ، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ، ص ١٠٠ — ١٠٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٥ ، ص ٣٤—٣٧ .

(٢٤١) تزايدت قوة السلاجقة خاصة بعد أن امتلكوا جيشا كامل العدة والعدد واشتبكوا فى معارك حربية ضد القره خانيين كان النصر فيها حليف السلاجقة .

ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ .

(٢٤٢) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٦ .

(٢٤٣) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ .

(٢٤٤) البيهقى : ص ٢٢ ، ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
، الكرديزى : زين الاخبار ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢٤٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٧ .

استجاب السلطان محمود الغزنوى لهذا التحذير ، وأراد أن يتبين بنفسه مدى قوة السلاجقة ، فأرسل اليهم رسالة ، طلب فيها أن يختاروا أحدهم يفد الى مقره على شاطىء جيحون ليعقد معه العهود والمواثيق[٢٤٦] ، فقدم اليه اسرائيل على رأس جيش كبير ، فلما علم السلطان محمود بقدومه أنفذ اليه رسولا يقول له : « لسنا الآن فى حاجة الى الاستمداد بجيشك ، وانما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك ، فاترك الجيش فى مكانه ، وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك » . فأجاب اسرائيل طلب السلطان وسار اليه ومعه ولده قتلمش فى جماعة من خيرة فرسان السلاجقة[٢٤٧] فلما وصل الى حضرة السلطان بالغ السلطان محمود فى اكرامه وأجلسه على طرف سريره[٢٤٨] .

أراد محمود أن يعرف قوة السلاجقة على حقيقتها ، فأوهم اسرائيل أنه يود الاستعانة بهم القضاء على من يحاول الخروج عليه حينما يذهب لغزو بلاد الهند ، وسأل اسرائيل عن مقدار ما يستطيع السلاجقة أن يمدوه من الجيوش ، وكان اسرائيل يحمل قوسا وسهمين ، فأخذ سهما وأعطاه للسلطان محمود وقال له : « أرسل هذا السهم لجندنا اذا عرضت لك حاجة الينا يأتك منا مائة ألف فارس ... » فأجابه السلطان : واذا لم يكف هذا العدد ؟ فتناول اسرائيل السهم الآخر وأعطاه للسلطان محمود وقال له : « أرسل هذا السهم الى جبل « بلخان »[٢٤٩] فسوف يأتيك خمسون ألف غيرهم ، واذا لم يكفك هذا العدد فأرسل الينا هذا القوس ، وكان اسرائيل قد ناول السلطان قوسه — فسوف يأتيك اذا شئت مائتا ألف فارس »[٢٥٠] .

---

(٢٤٦) راحة الصدور ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢٤٧) ، (٢٤٨) راحة الصدور ، ص ١٤٨ .

(٢٤٩) جبال بلخان : الى الشمال الشرقى من خراسان . الراوندى : راحة الصدور ، هامش ص ١٤٩ .

وبلخان كانت مدينة فى ظهر ابيورد .

الكرديزى : زين الأخبار ، هامش ص ١٩٢ .

(٢٥٠) الراوندى : ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

تأكدت مخاوف السلطان محمود الغزنوى تجاه السلاجقة وتعاظم قوتهم ، فأمر بالقبض على اسرائيل بن سلجوق وولده قتلمش وبقية من معــه من الفرسان ، ثم أرسل الأمير السلجوقى الى بلاد الهند حيث سجن فى قلعة كالنجر[٢٥١] ، وبقى هناك حتى توفى[٢٥٢] .

كان لغدر السلطان محمود بالسلاجقة واعتقاله اسرائيل ومن معه من القواد والفرسان أسوأ الأثر فى نفوس السلاجقة ، الذين عزموا على الثأر من الغزنويين ، فأختاروا لقيادتهم ميكائيل بن سلجوق[٢٥٣] ، الذى نجح فى نقل السلاجقة الى اقليم خراسان[٢٥٤] ، فقد كتب الى السلطان محمود يقول : « ان مقامنا أصبح يضيق بنا ، وأن مراعينا أصبحت لا تفى بحاجة مواشينا ، فأذن لنا أن نعبر النهر وأن نجعل مقــامنا بين نســا[٢٥٥] وباورد[٢٥٦] فأشار أرسلان الجــاذب[٢٥٧]

---

(٢٥١) الراوندى : ص ١٤٩ — ١٥١ .
ذكر الكرديزى : انه بعد مقابلة السلطان محمود لقدرخان ، اخبــره جواسيسه بان اسرائيل ابن سلجوق مختفى فى مكان ما بالصحراء فارسل اليه من قبض عليه واحضروه فارسل الى غزنة ومن هناك ارسل الى الهند حيث كان آخر العهد به . زين الاخبار ، ص ١٨٩ .

(٢٥٢) قام السلاجقة بمحاولة لاخراج سلجوق من سجنه ، غير أن الحراس تمكنوا من اعادة اسرائيل الى سجنه بعد ان اكتشفوا اختفائه .
الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٩ — ١٥١ .

(٢٥٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٥ ، حسين امين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٤٨ ، وتذكر بعض المصادر ان ميكائيل قتل قبل هذا التاريخ اثناء غارات السلاجقة على الاتراك غير المسلمين ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٦٧ ، ١٧٧ ، ابو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(٢٥٤) البندارى : ص ٥ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايــران والعراق ، ص ٢٥ .

(٢٥٥) نسا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبين مرو خمسة أيام وبين ابيورد يوم ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٢٨٢ .

(٢٥٦) باورد : وهى ابيورد بلد بخراسان بين سرخس ونســا . ياقوت : ج ٢ ، ص ٥٣ .

(٢٥٧) هو أبو الحرث أرسلان الجاذب . الكرديزى : زين الاخبار ص ١٩٠ .

حاكم مدينة طوس على السلطان محمود بألا يسمح لهم بالعبور الى خراسان[٢٥٨] ، غير أن السلطان محمود لم يلتفت الى قول أرسلان الجاذب ، لأنه لم يعد يخشى بأس السلاجقة بعد القبض على اسرائيل وصفوة قوادهم ، وسمح لهم بعبور نهر جيجون والاستقرار فى اقليم خراسان سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م[٢٥٩] .

عمل السلاجقة منذ أن استقروا فى اقليم خراسان على توطيد نفوذهم فى هذا الاقليم بتدعيم قواتهم وتسليحها ، كما أخذوا يبسطون نفوذهم على الأطراف المجاورة ويتحينون الفرص للقضاء على نفوذ الغزنويين فى خراسان وما وراء النهر[٢٦٠] .

أدت سياسة السلاجقة التى تنطوى على التوسع الى تذمر أهل « نسا » وباورد وفراوة[٢٦١] وجاءوا الى بلاط السلطان محمود سنة ٤١٨ هـ حيث رفعوا شكواهم من عدوان السلاجقة على بلادهم ، فكتب السلطان محمود الى والى طوس أرسلان الجاذب يأمره بمحاربة السلاجقة ودارت عدة معارك انتهى الأمر فيها بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوى[٢٦٢] فلما علم السلطان محمود الغزنوى بهزيمة أرسلان الجاذب أرسل اليه يلومه على عجزه وتقصيره فى صد السلاجقة فأجابه بأن أمرهم قد قوى بحيث لا يستطيع وحده مواجهتهم وطلب منه الحضور بنفسه لقمع السلاجقة[٢٦٣] ، فلم يجد السلطان محمود بدا من التوجه بنفسه لمحاربة السلاجقة وتجهز لقصدهم فى سنة

---

(٢٥٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٣ .
، الكرديزى : ص ١٩٠ ، ابن الأثير : ج ٩ ص ١٧٧ .
(٢٥٩) زين الأخبار ، ص ١٩٠ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ (فارسى) .
(٢٦٠) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٢٦ .
(٢٦١) فراوة : بليدة من أعمال نسا بين دهستان وخوارزم ويقال لها رباط فراوة . معجم البلدان ، ج ٦ ص ٣٥٢ .
(٢٦٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٩٢ .
(٢٦٣) زين الأخبار ، ص ١٩٢ .

٤١٩ هـ وتحرك من غزنة الى بست ومنهما الى طوس حيث استقبله أميرها ووضح له حقيقة الحال ، فقوى عزمه على محاربة السلاجقة واجلائهم عن البلاد التى استولوا عليها ، وعند « رباط فراوة » التقى الغزنويون بالسلاجقة حيث دارت بين الفريقين معركة كبيرة انتصر فيها الجيش الغزنوى انتصارا ساحقا[٢٦٤] .

على أن جغرى بك داود أبو سليمان ، وطغرلبك أبو طالب ولدى ميكائيل بن سلجوق[٢٦٥] استطاعا بعد هذه الهزيمة جمع شمل السلاجقة وتوحيد صفوفهم واعداد جيش قوى ، وقد اتيحت لهم الفرصة لتحقيق أطماعهم عند وفاة السلطان محمود[٢٦٦] ، فأخذوا يعملون على توسيع رقعة أراضيهم وبسط نفوذهم على المناطق المجاورة ، حتى أصبح معظم اقليم خراسان خاضعا لنفوذ السلاجقة[٢٦٧] .

لم يكتف جغرى بك وطغرلبك بما حققاه من نصر فى خراسان ، وأرسلا الى حاكم مدينة نيسابور « سورى بن المعتز » يطلبان منه أن يأذن للسلاجقة بالاقامة فى هذه المدينة[٢٦٨] ، فرفض اجابة طلبهما وكتب الى السلطان مسعود[٢٦٩] بذلك فعول على المسير الى نيسابور سنة ٤٢٦ هـ ، وأعد جيشا كبيرا لمحاربة السلاجقة[٢٧٠] . غير أنه

---

(٢٦٤) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٩٢ .
(٢٦٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ .
(٢٦٦) زين الأخبار ، ص ١٩٤ .
(٢٦٧) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٢٧ .
، حسين امين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٤٩ .
(٢٦٨) البيهقى ، ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .
، الراوندى : ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٢٦٩) زين الأخبار ، ص ١٩٤ — ١٩٧ .
(٢٧٠) عهد مسعود بقيادة هذا الجيش الى عدد من امرائه بلغوا عشرة على رأسهم « بكتغدى الحاجب » وكدخداى خواجه حسين بن على ابن ميكائيل ، وكانت جملة الجيش خمسة عشر الف فارس مجهزين بعدتهم بالاضافة الى الفى من الحراس .
البيهقى : ص ٥١٥ ، ٥١٦ .

لبث أن أضطر الى عقد صلح معهم اعترف فيه بسيادتهم على نسا وفراوة ودهستان(٢٧١) .

وكان السلاجقة قد أرسلوا كتبا(٢٧٢) الى السلطان مسعود رغم النصر الذى حققوه على جيشه يلتمسون فيه العفو عنهم ، وعقـد الصلح معهم ، يقرهم فيه على ما بيدهم من البلاد(٢٧٣) وبعد مفاوضات جرت بين رسل السلاجقة والسلطان مسعود ، وافق السلطان الغزنوى على طلب السلاجقة(٢٧٤) .

كان لعقد السلطان مسعود الصلح مع السلاجقة أثر كبير فى توطيـد نفوذهم بخراسـان وتوسيع رقعة أراضيهم ، فقد ذكـر الراوندى(٢٧٥) أن السلاجقة بعد عقد الصلح مع السلطان مسعود « اشتد بأسهم وازدادت قوتهم ، ولاحت عليهم امارات الملك ، وعلامات الحكم ، ومخايل السلطان » فلما عاد السلطان الغزنوى من الهنـد الى غزنة سنة ٤٢٩ هـ وعلم بعلو شأن السـلاجقة وازدياد قوتهم أحس بالخطر الذى بات يتهدد دولته من ناحيتهم(٢٧٦) ، فكتب الى أمير خراسان(٢٧٧) يأمره بوجوب محاربة السـلاجقة واخراجهم من خراسان ، غير أن أمير خراسان أجاب على كتاب السلطان مسـعود بقوله : « إن أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن

---

(٢٧١) البيهقى : ص ٥٢٨ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ، ص ٩ ، ص ١٢ .
(٢٧٢) البيهقى : ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .
(٢٧٣) البيهقى : ص ٥٢٨ ، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٢ .
(٢٧٤) البيهقى : ص ٥٢٨ .
(٢٧٥) راحة الصدور ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٨ .
(٢٧٦) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
، الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٠ — ١٢ .
(٢٧٧) المراد به الحاجب الكبير سباشى .
الراوندى : راحة الصدور ، هامش ص ١٥٧ .

نقاومهم »[٢٧٨] ، لكنه ما لبث أن أضطر الى الخروج لاجلاء السلاجقة عن منازلهم ، وفى آخر شعبان سنة ٤٢٩ هـ (الثلاثاء ٦ يونية ١٠٣٨ م) التقى جيش مسعود بقيادة أمير خراسان بالسلاجقة على باب مدينة سرخس ، ودارت معـركة كبـيرة بين الفريقين انتهت بانتصـار السلاجقة[٢٧٩] .

كان لهذا النصر الذى أحرزه السلاجقة أثره الكبير فى قيام دولتهم ، فسار طغرلبك الى نيسابور ودخلها بعد أن منح أهلها الأمان ، وجلس على عرش السلطان مسعود فى ذى القعدة من السنة نفسها (٤٢٩ هـ) باسم السلطان طغرلبك وأمر أن تقرأ الخطبـة باسمه على منـابر المدينـة[٢٨٠] .

لمـا بلغ السلطان مسعود ما أحرزه طغرلبك من نصر ، عزم على محاربة السلاجقة[٢٨١] ، فأعد جيشا ضخما[٢٨٢] سار به نحو خراسان

---

(٢٧٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٧ .
(٢٧٩) البيهقى : ص ٥٧٩ — ٥٩٣ ، راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
(٢٨٠) راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، البيهقى ، ص ٦٠٠ — ٦٠٤ ، ابن خلكان : جـ ٢ ، ص ٤٤٠ .
وصف البيهقى دخول طغرلبك نيسابور بقوله : « وكان طغرلبك قد كتب الى ابراهيم ينال بقوله : « ان أعيان نيسابور قد تصرفوا بحكمة ، فلا جرم أن يروا ما سيكون لهم وللرعايا جميعا من الطيبات ، وقد اتمنا على الجيوش أخانا داود وعمنا بيغو معهما المقدمون وسنحضر نحن على المقدمة مع خاصتنا ، وذلك حتى لا يمس رعايا تلك البلاد سوء ، جزاء ما قدموا من الطاعة وحفظوا انفسهم ... » وبلغ طغرلبك نيسابور بعد ثلاثة أيام وخرج الأعيان جميعا لاستقباله ... وكان طغرلبك قد أعتلى سرير (عرش) السلطان مسعود أمام الصفة ، وأخذ بيد القاضى صاعد الذى طلب منه أن يعدل بين الناس ولا يترك الجيش يظلم الناس » .
البيهقى ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ ،بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ، ص ١٠٤ .
(٢٨١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٢ ، البيهقى : ص ٦٠٥ — ٦٠٧ .
(٢٨٢) بلغ عدده ما بين اربعين وخمسين الف جندى ، البيهقى : ص ٦٠٧ .

حيث قضى الشتاء بنيسابور سنة ٤٣٠ ﻫ / ١٠٣٩ م ثم تحرك فى الربيع الى باورد ومنهـا الى سرخس[٢٨٣] ، ومن هنـاك اتجـه ناحيـة داندانقان[٢٨٤] .

لم يكد السلطان مسعود ينزل بجنده فى تلك الناحية[٢٨٥] ، حتى أقبل السلاجقة واستولوا على المنطقة المحيطة به ، وقطعوا الطريق عليه الى غزنة[٢٨٦] ، مما أضطره الى استكمال اعداد جيشه ، واسـتغلا السـلاجقة لملاقاته ، فلما دارت الحـرب بين الطرفين هزم جنـد الغزنويين ، وأرتد بعضهم ، فانضموا الى السلاجقة ، وعلى الرغـم مما أبلاه السلطان مسعود من شجاعة أثناء القتال ، الا أن فرار قواده وعصيانهم أوامره لهم بمواصلة القتال أدى الى هزيمة الغزنويين فى داندانقان[٢٨٧] ، وكان ذلك فى يوم الجمعة الثامن من رمضـان سنة ٤٣١ ﻫ (٢٤ مايو ١٠٤٠ م)[٢٨٨] .

ولـما حلت الهزيمة بقوات السلطان مسعود وأضطر الى العـودة الى غزنة ، أخذ السلاجقة يتتبعون جيشه المهزوم ويوقعون به ، ويغنمون

---

(٢٨٣) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٣ .

(٢٨٤) داندانقان : بلدة من نواحى مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها فى الصحراء وتقع بين سرخس ومرو . معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦١٠ ، زين الأخبار ، هامش ص ٢٠٣ .

(٢٨٥) زين الأخبار ، ص ٢٠٣ .

(٢٨٦) راحة الصدور ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢٨٧) يرجع البيهقى هزيمة الغزنويين فى داندانقان الى شدة القيظ وقلة المؤن والعلف وهزال الدواب ، فضلا عن أن المعركة كانت فى الأيام الأولى من رمضان كما أن السلاجقة قاموا باستنزاف مياه الآبار فى منطقة القتال وردموها .

البيهقى : ص ٦٨٠ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٣ .

(٢٨٨) أمر السلطان مسعود بعد عودته الى غزنة باعتقال قواده الثلاثة على داية وحاجبه العظيم سباشى وحاجبه بكتغدى لاهمالهم وعدم طاعتهم أوامره ، حيث أمر بقتلهم . زين الأخبار ، ص ٢٠٣ .

منه ما لا حصر له من الأسرى والأموال والسلاح والدواب[٢٨٩] .

كانت موقعة داندانقان حدا فاصلا بين السلاجقة والدولة الغزنوية ، فبعد هزيمة السلطان مسعود لم يجرؤ الغزنويون على التصدى للسلاجقة أو محاولة استعادة ما فقدوه من البلاد ، كما تطرق الضعف الى جسم الدولة الغزنوية بسبب النزاع بين أمراء الجيش والتنافس بين أمراء البيت الغزنوى على السلطة .

وزعت ولايات الدولة الغزنوية بعد انتصار السلاجقة فى داندانقان على أمرائهم فاتخذ جغرى بك مدينة مرو دارا لملكه واختص بأكثر خراسان ، وتقلد موسى ولاية بست وهراة وسجستان ، وولى قاورد ولاية الطبسين[٢٩٠] ونواحى كرمان ، وعين ابراهيم ينال واليا على قوهستان وجرجان[٢٩١] ، أما طغرلبك فانه فضلا عن استيلائه على نيسابور[٢٩٢] ، استطاع أن يضم الى حوزته مدينة الرى ، واتخذها مقرا لحكومته[٢٩٣] .

استقر رأى السلاجقة على مكاتبة الخليفة القائم بأمر الله العباسى لينالوا تفويضا منه بحكم البلاد التى بسطوا سلطانهم عليها ، فأنفذوا اليه رسالة[٢٩٤] حملها اليه أبو اسحاق الفقاعى[٢٩٥] تضمنت ولاءهم

---

(٢٨٩) البيهقى ، ص ٦٦٣ — ٦٩٥ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١١ — ١٢ ، الراوندى :راحة الصدور ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢٩٠) الطبسين : من مدن اقليم قوهستان لسترنج ، ص ٣٩٩ .

(٢٩١) الراوندى : ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، البندارى : ص ٨ ، أبو المحاسن : ج ٥ ، ص ٣٠ .

(٢٩٢) الراوندى : ص ١٥٨ ، البيهقى : ص ٦٠٠ — ٦٠٤ ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ .

(٢٩٣) راحة الصدور ، ص ١٦٨ .

(٢٩٤) ومما جاء فيها أننا نحن معشر آل سلجوق أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة وأحببناها من قلوبنا ، ولقد اجتهدنا فى غزو الكفار ، واعلان الجهاد ، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا

وتمسكهم بأهداب الدين والجهاد فى سبيل الله وحبهم للعدل ، والتمسوا فى ختام رسالتهم اعتراف الخليفة القائم بقيام دولتهم(٢٩٦) .

لما وصلت رسالة السلاجقة الى دار الخلافة أرسل الخليفة القائم بأمر الله الى طغرلبك فى مدينة الرى رسولا(٢٩٧) يبلغه سروره ورضاءه برسالة السلاجقة ويدعوه للحضور الى بغداد(٢٩٨) .

لما عاد السلطان مسعود الى غزنه فى شوال سنة ٤٣١ هـ(٢٩٩) أمر بالقبض على سباشى وغيره من الأمراء(٣٠٠) ، وعين بدلا منهم ، وأرسل

=

اسمه اسرائيل بن سلجوق ، قبض عليه يمين الدولة محمود ابن سبكتكين بغير جرم أو جناية وارسله الى قلعة كالنجر فى بلاد الهند ، فمات بعد أن تضى فى الأسر سبع سنوات ، واحتجز كذلك فى القلاع الأخرى الكثير من أهلنا واقاربنا ، فلما مات محمود وجلس مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب فلا جرم اذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم ، ولكن مسعودا . وجه الينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كروفر وهزيمة وانتصار حتى ابتسم لنا الحظ وانحاز الينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا منه بالغلبة وانكسر مسعود وأصبح ذليلا ، وولى الأدبار تاركا لنا الدولة والاقبال وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر ، فنشرنا عدلنا ، وانصافنا على العباد ، وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ، ونحن نرجو أن نكون فى هذا قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين » .

الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢٩٥) راحة الصدور ، ص ١٦٧ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧ ، ٨ .

(٢٩٦) الراوندى : ص ١٦٧ ، البندارى : ص ٧ ، ٨ .

(٢٩٧) هبة الله بن محمد المأمون ، الراوندى ، ص ١٦٨ .

(٢٩٨) الراوندى : ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢٩٩) البيهقى ، ص ٧٠٥ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٨١ .

(٣٠٠) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٣ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٨١ .

ابنه الأمير مودود الى خراسان[٣٠١] كما أرسل ابنه الأمير مجدود الى الملتان لحمايتها ممن ثار بها من الأفغان[٣٠٢] .

كان لهزيمة داندانقان أثرها السيء فى نفس السلطان مسعود حتى أنه عزم على الانسحاب الى بلاد الهند فيذكر كل من الكرديزى[٣٠٣] وابن الأثير[٣٠٤] أن السلطان مسعود سار الى بلاد الهند ليجمع من هناك جيشا قويا يستعين به على قتال السلاجقة وأصطحب السلطان معه أخاه محمد[٣٠٥] مسمولا[٣٠٦] وحمل معه الخزائن[٣٠٧] ، فلما عبر نهر سيحون واقترب من رباط ماريكله هاجم الجند الموالين لأخيه محمد تلك الخزائن ، ونهبوها وعزلوا السلطان مسعود وولوا مكانه أخـاه محمد[٣٠٧] ، الا أن محمدا أبى قبول الولاية ، ثم اضطر الى اجـابة طلبهم كارها ، وبقى مسعود فيمن معه من العسكر ، ثم التقى الجمعان فى منتصف ربيع الآخر سنة ٤٣٢ هـ فاقتتلوا وعظم الخطب ، وحـلت الهزيمة بعسكر مسعود وتحصن هو فى رباط ماريكله الا أن محمـدا

---

(٣٠١) بعد ان اعطاه امارة بلخ وارسل معه الوزير احمد بن عبدالصمد وارتكين الحاجب واربعة آلاف فارس ، البيهقى : ص ٧٢٣ ، زين الأخبار ، ص ٢٠٤ .

(٣٠٢) زين الأخبار ، ص ٢٠٤ .

(٣٠٣) زين الاخبار ص ٢٠٤ .

(٣٠٤) الكامل : جـ ٩ ، ص ١٨١ .

(٣٠٥) حيث جيء به من قلعة برغند على بعد ستة أيام من غزنة . البيهقى ، ص ٧٢٥ ، زين الأخبار ، ص ٢٠٤ .

(٣٠٦) يذكر البيهقى ان السلطان مسعود امر بأن يؤتى بأولاد أخيه محمد الاربعة احمد وعبد الرحمن وعمر وعثمان حيث أكرمهم وخلع عليهم بعد ان استحلفهم باغلظ الايمان على الاخلاص فى خدمته وطاعته .

البيهقى : ص ٧٢٦ .

(٣٠٧) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٤ .

، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٨١ .

(٣٠٨) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٤ .

، ابن الأثير : ص ١٨١ .

استطاع أن يقبض عليه وأرسله معتقلا الى قلعة كيرى[٣٠٩] .

لم يلبث الأمير محمد أن فوض أمر دولته الى ولده أحمد — وكان مصابا بخلل فى قواه العقلية — فاتفق مع ابن عمه يوسف بن سبكتكين وابن على خويشاند على قتل مسعود ليصفوا الملك له ولأبيه ، وتمكن من الاستيلاء على خاتم أبيه واحتال به على محافظ القلعة فأدخله الى عمه مسعود فقتله[٣١٠] وأنفذ الأمير محمد الى ابن أخيه مودود بخراسان يخبره بمقتل أبيه[٣١١] ، فعاد مجدا فى عساكره الى غزنة ، وقامت الحرب بينه وبين عمه محمد فى ثالث شعبان سنة ٤٣٢ هـ وتمكن مودود من هزيمة عمه وقضى على أتباعه[٣١٢] وعاد الى غزنة حيث استقر له أمرها[٣١٣] .

استمر حكم مودود بن مسعود الغزنوى حتى توفى فى العشرين من رجب سنة ٤٤١ هـ وخلفه ابنه مسعود الثانى ، لكنه لم يبق فى السلطنة سوى خمسة أيام ، ثم تقلد السلطنة بعده عمه أبو الحسن على بن مسعود الأول ، غير أن عبد الرشيد بن يمين الدولة محمود الغزنوى انتهز فرصة الاضطراب الذى ساد الدولة الغزنوية بعد موت مودود ودعا الجند الى طاعته فأجابوه ، وساروا الى غزنة ، ففر على بن مسعود واستقر الأمر لعبد الرشيد[٣١٤] .

---

(٣٠٩) زين الاخبار : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٨١ .
(٣١٠) الكرديزى : زين الاخبار ، ص ٢٠٥ .
وهناك رواية أخرى أوردها ابن الأثير تفيد بأن محمد استجاب لاغراء ابنه بقتل أخيه مسعود وأرسل اليه من قتله والقاه فى بئر وسد راسها .
الكامل : جـ ٩، ص ١٨١ .
(٣١١) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .
(٣١٢) ، (٣١٣) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٨٢ .
يذكر ابن الأثير ان مودود بنى فى المكان الذى انتصر فيه على عمه محمد قرية ورباط سماه فتح آباذ .
(٣١٤) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٢٠٨ .

أراد عبد الرشيد الاستعانة بطغرل — زوج أخت مودود وحاجبه — لطرد السلاجقة من خراسان ، غير أن طغرل ما لبث أن تآمر ضد عبد الرشيد ، وقصد غزنة حتى أصبح على بعد ستة فراسخ منها ، وحاول خداع عبد الرشيد مدعيا أن الجند تألبوا عليه وألحوا فى العودة للمطالبة بزيادة أرزاقهم ، وعلى الرغم من اعتصام عبد الرشيد بقلعته فى غزنه ، قبض عليه طغرل وقتله (سنة ٤٤٤ هـ) واستولى على بلاده ، غير أن هذا العمل من جانب طغرل لم يرض بعض القواد ، كما لم يرض نائب الغزنويين فى الهند ، على الرغم مما بذله طغرل من جهود فى اغرائه واستمالته اليه . واتصل هذا الوالى بوجوه القواد ، وأنكر عليهم قعودهم عن الأخذ بثأر عبد الرشيد ، مما أثار حماسة بعض القواد ، فدخلوا على طغرل وقتلوه ، وولى عرش الغزنويين فروخ زاده[٣١٥] ، غير أن هذا الأمير لم يسلم من التآمر عليه ، اذ لم يلبث أن ثار بعض قواده ومماليكه عليه واتفقوا على قتله ، لكنه نجا من تآمرهم بمساعدة بعض أنصاره ، ويبدو أن هذا الحادث قد أثر فى نفسه تأثيرا سيئا ، فلم يطل به العمر وتوفى فى شهر صفر سنة ٤٥١ هـ[٣١٦] .

مما تقدم يتجلى لنا كيف أدى ظهور السلاجقة واتساع سلطانهم ، وانتصارهم على الغزنويين فى داندانقان الى انهيار الدولة الغزنوية ، وانحلالها نتيجة للنزاع والتنافس بين أفراد البيت الغزنوى الأمر الذى ترتب عليه زوالها على يد شهاب الدين الغورى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م[٣١٧] .

---

(٣١٥) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .
(٣١٦) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢ .
(٣١٧) حسن ابرهايم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

الباب الرابع

الحـالة الاقتصـــادية

١ ـ الانتاج الزراعى والصناعى :

(أ) الثروة الزراعية .

(ب) الانتاج الصـــناعى .

٢ ـ النشــاط التجارى :

(أ) المراكز التجارية .

(ب) الأســـعار .

(جـ) الرقابة على الأسواق (الحسبة) .

(د) الطرق التجــارية :

أولا : طرق التجارة الداخلية .

ثانيا : طرق التجارة الخارجية .

(هـ) العلاقات التجارية .

(و) الصادرات والواردات .

٣ ـ المعاملات المالية والتجارية :

(أ) المكوس والضرائب .

(ب) المكاييل والموازين والمقاييس .

(جـ) العملة المتبادلة .

(د) دور الضرب .

(هـ) السفاتج والصكوك .

الباب الرابع

الحالة الاقتصادية

١ — الانتاج الزراعى والصناعى

(أ) الثروة الزراعية :

تعرضت الثروة الزراعية فى بلاد العراق خلال عهد ازدياد نفوذ الأتراك لكوارث عديدة نتيجة اهمال مشاريع الرى والزراعة وكثرة الفيضانات(١) فكان هناك مساحات شاسعة من الأراضى الخصبة تغمرها مياه الفيضان(٢) فقلت مساحة الأراضى الزراعية ، الأمر الذى أدى بالفلاحين الى هجرة أراضيهم والنزوح الى المدن والقرى المجاورة(٣) .

ولما استأثر البويهيون بالسلطة فى العراق لم يستطيعوا ايجاد سياسة زراعية موحدة أو تخطيط زراعى شامل ، وانما كانت هناك جهود فردية لبعض الأمراء والوزراء لانقاذ المزارعين من الدمار الذى يتهددهم ، وعلى ذلك صار من بين المشاكل التى واجهت البويهيين

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٦ ص ٣٠٠ — عنى العباسيون بتنظيم أساليب الرى فى العراق والمشرق الاسلامى ، وصيانة السدود والترع ، وجعلوا عليها جماعة من الموظفين اطلق عليهم اسم المهندسين ومهنتهم المحافظة على هذه السدود خشية انبثاق الماء منها . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ .

(٢) كان الارتفاع المستمر فى شواطىء دجلة والفرات الناشىء من رسوب الغرين (الطمى) بكميات كبيرة يعوق رجوع المياه التى طفت على الشواطىء ابان الفيضان من العودة الى النهر مما أدى الى وجود مساحات شاسعة من الاراضى الخصبة تغمرها المياه فيما بين واسط شمالا والبصرة جنوبا عرفت باسم البطائح .

دائرة المعار فالاسلامية : ج ٣ ، ص ٦٨٢ مادة البطائح .

(٣) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١١٣ .

العمل على تنمية الزراعة ، وقد أظهر بعض الأمراء البويهيين رغبة أكيدة فى تحقيق هذه الغاية ، فضلا عن الاهتمام بتنظيم الرى وتطهير الأنهار وسد البثوق والتغلب على مخاطر الفيضانات . فقام معز الدولة بمحاولات لزيادة الثروة الزراعية ، وقد استعان فى ذلك بخبرة بعض كبار رجال الدولة ، فأشار أبو الحسن على بن عيسى[٤] (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ) على معز الدولة بسد البثوق[٥] اذ أنها أصل الفساد وخراب الأراضى الزراعية[٦] فشرع معز الدولة سنة ٣٣٤ هـ فى سد البثوق وأشرف عليها بنفسه ، وكان من أثر ذلك أن عمرت بغداد[٧] .

كذلك عنى معز الدولة بحفر القنوات والأنهار وتطهيرها من الرواسب التى تعوق جريان الماء فيها ، واستخدم المهندسين فى شق هذه الترع والأنهار والاشراف على عملية الرى[٨] ، كما عمل على اصلاح السواد وبخاصة الأراضى الخراب (المهجورة) فطلب من أبى الفرج بن هشام عمارة الضياع الخراب فى السواد ، وشجع المزارعين وخفف عنهم الضرائب التى أثقلت كاهلهم[٩] فأمر وزيره أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى سنة ٣٥١ هـ بنقل سنة ٣٥٠ هـ الخراجية الى سنة ٣٥١ هـ ليتم التوفيق بين موعد نضوج الزرع وموعد الجباية[١٠] بعد أن كان الزراع يضطرون الى الاستدانة لدفع الخراج ، كما منح فقراء المزارعين قروضا من الأموال والحبوب على

---

(٤) مسكويه : تجارب الامم جـ ٦ ص ١٠٤ .

وزر على بن عيسى للخليفة المقتدر بالله ، وقد أشاد به ياقوت الحموى بقوله « وكانت منزلته من الرياسة ومعرفته بالعدل والسياسة تجل عن وصفها » .

معجم الادباء : جـ ١ ص ٦٨ القاهرة ١٩٣٦ م .

(٥) تجارب الأمم جـ ٦ هامش ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٦) وذلك بتقوية الأماكن الضعيفة من النهر والتى يفيض منها الماء على الأراضى المنخفضة .

(٧) مسكويه جـ ٦ ص ٦٥ .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٣٩ .

(٩) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ١٨٩ .

أن يسددوها فى موسم الحصاد(١١) .

لم تستمر حركة الاصلاح لانماء الزراعة على عهد معز الدولة طويلا ، نظرا لثورات الجند وسوء الادارة ، فضلا عن تدهور الاقطاعات التى منحت للجند نتيجة لعدم خبرتهم بأمور الزراعة ، مما أضطر الكثير منهم الى رد اقطاعاتهم بعد خرابها طمعا فى اقطاع آخر يستغلون موارده دون محاولة اصلاح أراضى هذه الاقطاعات وقد ترتب على ذلك انصراف موظفى الرى عن الضياع وتبع ذلك فساد نظام الرى وتعطل منشآته ، وحلت النكبات بالمزارعين وساءت أحوالهم(١٢) .

أدى عدم الاهتمام بالزراعة واهمال السدود والأنهار الى تعرض الأراضى الزراعية للخراب بسبب الفيضانات ، ففى سنة ٣٦٦ هـ وصلت زيادة نهر دجلة الى احدى وعشرين ذراعا(١٣) .

ظلت الأحوال الزراعية فى العراق فى تدهور ، حتى جاء عضد الدولة سنة ٣٦٧ هـ فشهد العراق فترة اصلاح استمرت حتى وفاته سنة ٣٧٢ هـ ، وقد حاول عضد الدولة اصلاح نظام الرى ، فأمر بحفر بعض القنوات وتطهير الأنهار(١٤) ، كما أعاد حفر ما دثر من الأنهار فى العراق(١٥) سنة ٣٦٩ هـ . وشق نهرا يوصل نهر الأهواز بنهر

---

(١٠) مسكويه : جـ ٦ ص ١٨٩ .

كتب الصابى بذلك عن المطيع كتابا فى هذا المعنى ، جاء فيه أن السنة الشمسية خمسة وستون وثلاثمائة يوم وربع بالتقريب وأن السنة الهلالية أربعة وخمسون وثلثمائة يوم وكسر ، وما زالت الأمم السالفة تكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبها .

تجارب الامم : جـ ٦ هامش ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(١١) الصابى : تحفة الأمراء ، ص ٣٣٨ .

(١٢) تجارب الأمم : جـ ٦ ص ٩٨ .

(١٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٨٣ .

(١٤) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٤٠٦ .

(١٥) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ١٠٠ القاهرة ١٣٥٣ هـ .

دجلة[١٦] سمى بالنهر العضدى[١٧] ، كما أقام سنة ٣٦٩ هـ السدو دوأنفق فيها الأموال وأعد عليها الآلات ووكل بها الرجال وألزمهم حفظها بالليل والنهار ، وراعى ذلك منهم فى أوقات الفيضانات والسيول[١٨] والأمطار ، وأنشأ عضد الدولة الى جانب ما تقدم القناطر[١٩] على أفواه الأنهار والقنوات[٢٠] . وقام بسد البثوق وعين الحراس ليلا ونهارا لمراقبتها .

لم تستمر الاصلاحات التى تساعد على انماء الزراعة بالعراق طوال العهد البويهى بسبب النزاع والخلاف بين أمراء بنى بويه على السلطة[٢١] ، مما أدى الى اهمال الزراعة ومشاريع الرى . ومع ذلك فان بعض الوزراء قاموا باصلاحات فردية كسد البثوق وتطهير بعض الأنهار ، ففى سنة ٣٨٢ هـ حفر الوزير أبو الحسن على بن محمد الكوكبى الأنهار المخترقة أسواق الكرخ[٢٢] ، وحفر أبو العباس بن واصل نهرا سنة ٣٩٥ هـ الى جانب النهر العضدى بين الأهواز والبصرة[٢٣] .

لم يقصر بنو بويه جهودهم فى انماء الثروة الزراعية على بلاد العراق وحدها ، بل امتدت جهودهم فى ذلك الى اقليم فارس ، فقام عضد الدولة ببناء سد على نهر الكر أسفل نهر بلورابه ، ليسقى ناحية كربال العليا ، وعرف هذا السد ، ببند أمير — أو البند العضدى ، وكان أساس هذا السد من الرصاص وعليه من الجانبين عشرة دواليب

---

(١٦) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٤١٩ .
(١٧) ابن الأثير : ج ٧ ، ص ٢٢٩ .
، الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ١١٧ .
(١٨) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٦٩ .
(١٩) ابن الأثير : ج ٧ ، ص ١١٥ .
(٢٠) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١١٨ .
(21) Hitti : History of the Arabs, p. 471 — 472.
(٢٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ١٦٨ .
(٢٣) ابن الأثير : ج ٧ ص ٢٢٩ مصر ١٣٥٣ هـ .

وتحت كل دولاب رحا ، ويجرى الماء فى قنى (جمع قناة) فأسـقى ثلاثمائة قرية ، كما كان هناك سد آخر فى أسفل أنهار الكر يقال له « بند قصار » أنشىء لرفع الماء ويسقى ناحية كربال السـفلى[٢٤] وأنشئت على نهر هيلمند (باقليم سجستان) على مسافة نحو ثلاثين ميلا من زرنج سدود لتوزيع مياهه على أنهار الرى[٢٥] .

لم يكن فى الاقاليم الواقعة شرقى فارس الا نهيرات وجداول صغيرة تنحدر من المرتفعات بعد سقوط الأمطار ، ومن ثم أصبح من الضرورى جمع مياهها وذلك بانشاء قنوات فى جوف الأرض عليها قناطر ، وبلغ طول احدى هذه القنوات خمسين كيلو مترا ، وكان بمدينة « قم » قنطرة من هذا النوع ، كما اشتهرت نيسابور بقنواتها التى تجرى تحت الأرض وكان بها كثير من مجارى الماء المغطاة بعضها فى خارج المدينة يستخدم فى رى البساتين والبعض الآخر يمد الدور بالمـاء[٢٦] .

أما فى أراضى الدولة الغزنوية فأقيم سد من الحجارة والآجر على نهر صغير بين محلة « بلقاباد » و« خيوة » لحماية المنطقة من فيضان هذا النهر فى فصل الربيع[٢٧] كما أقيمت قنطرة فى « باميان » سنة ٤٢٦ هـ بعد أن تهدمت قنطرتها القديمة بفعل السيل ، وكانت هذه

---

(٢٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣١٣ .
انهار ذلك السد فى مطلع القرن السادس الهجرى .
(٢٥) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٧٧ ، ٣٧٨ .
(٢٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .
ومن الجدير بالذكر ان الطاهريين اهتموا بالزراعة وامورها ، فانفقوا نحوا من مليونى درهم فى حفر قنوات باقليم الشاش ظلت قائمة حتى القرن السابع الهجرى .
Barthold : Turkestan down to the Mongol invasion, p. 212.
، حسن أحمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ، ص ١٤٠ .
(٢٧) أمر بتشيد هذا السد « سورى » صاحب ديوان الخراج .
البيهقى : ص ٢٨٦ .

القنطرة ذات طابق واحد[٢٨] .

اختلفت نظم الرى من منطقة الى أخرى تبعا للظروف الطبيعية ، فقد استخدم الأهالى فى أردبيل وهى من أشهر مدن آذربيجان[٢٩] — لحراثة الأرض ثمان من البقر لكل محراث ، ولكل اثنتين منها سائق ، على حين نجد أهالى بعض بلاد فارس لا يعتمدون على البقر فى زراعتهم مع كثرتها فى بلادهم[٣٠] ، وكان أهالى العراق فى القرن الرابع الهجرى يعنون بتربية البقر والجاموس الذى جلبه العرب من الهند — وهى موطنه الأصلى — ثم نقل فى عهد الأمويين الى بطائح العراق[٣١] وانتشر استخدامه منذ ذلك الوقت فى سائر البلاد الاسلامية .

ومن أشهر الحاصلات الزراعية الحنطة وتزرع فى المناطق التى ينوفر فيها الماء وكانت منطقة السواد[٣٢] وتعد من أشهر المناطق الزراعية لوفرة مياهها وخصوبة تربتها — تختص بانتاج الحنطة ، وكذلك منطقة واسط[٣٣] التى تزود بغداد من محصولاتها السنوية

---

(٢٨) قامت بالجهود الذاتية حيث قام على انشائها التاجر « عبويه » البيهقى : ص ٢٨٦ .

(٢٩) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٨٠ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٣٠ .

(٣٠) انظر ما أورده ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٠ عن بلدة ابرقوه وتقع بكورة اصطخر مما يلى خراسان . جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٣٠ .

(٣١) اتى الزط — وهم قوم من الهنود — ومعهم الجاموس من الهند فى عهد عبد الملك بن مروان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ، ص ٦٩٠ مادة البطائح .

(٣٢) ذكر الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١١ — ١٢ حدود السواد فقال : « من لدن تخوم الموصل الى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقى دجلة طولا اما عرضه فحده منقطع الجبل من أرض حلوان الى منتهى اطراف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب » .

(٣٣) بنيت مدينة واسط على انقاض مدينة كسكر وقد ذكر البكرى :

وتمدها بالميرة كلما كان الحصاد رديئا فيها أو أصابها جدب[٣٤] ، كما اشتهرت الموصل[٣٥] والبطائح[٣٦] والجزيرة الفراتية ونصيبين[٣٧] ، وطبرستان[٣٨] وأصفهان بزراعة الحنطة[٣٩] . وكانت « طالقان طخارستان » من البلاد التى يكثر فيها زراعة القمح ، وتميزت مرو بوفرة محصولها من القمح اذ كان بذر قمحها يعطى فى السنة الأولى مائة ضعف وفى الثانية ثلاثين وفى الثالثة عشرة أضعاف ، كذلك أشتهر اقليم قومس بوفرة انتاجه من القمح[٤٠] .

كانت منطقة واسط مركزا هاما لزراعة الشعير[٤١] ، كما زرع أيضا بمنطقة البطائح[٤٢] والجزيرة الفراتية ونصيبين[٤٣] والموصل[٤٤] ، وحفل اقليم خراسان بشتى أنواع الحبوب وبخاصة الحنطة والشعير ، وبلغ من وفرته أن أهل خراسان كانوا يقايضون به مع بعض البلاد المجاورة لهم[٤٥] .

وكانت منطقة السواد مركزا هاما لزراعة الأرز ، حتى أن عددا

معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ١١٢٨ وياقوت : معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ ان معنى كسكر يدل على الأرض الصالحة للزراعة ، أو أرض الحنطة أو بلد الشعير .

(٣٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٣٩ .

(٣٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٤٥ .

(٣٦) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٩٠ .

(٣٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٤٠ .

(٣٨) صورة الأرض : ص ٣٨١ .

(٣٩) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٨٦ ، ٢٩٧ .
، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٠٦ — ٢٠٩ بيروت .

(٤٠) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٤٥ ، ٤٠٧ ، ٤٨٠ ، ٤٧١ .

(٤١) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٥ ص ٢٩٤ .

(٤٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٩٠ .

(٤٣) صورة الأرض : ص ١٤٠ .

(٤٤) المقدسى : ص ١٤٥ .

(٤٥) ياقوت : معجم اللبدان جـ ٢ ص ٤٠٥ بيروت .
، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٢٠ .

كبيرا من فلاحيها كانوا يدفعون جزءا من خراجهم أرزا[٤٦] ، كما كان يزرع الأرز بمدينة واسط[٤٧] وبالبطائح[٤٨] وفى منطقة خوزستان ومازندران[٤٩] ، ويعد الأرز فى مازندران قوتا للشعب ، فكانوا يصنعون منه خبزا[٥٠] ، كذلك زرع الأرز فى « ولوالج » وبلخ[٥١] وخراسان[٥٢] ، وكانت جيلان[٥٣] من المناطق الشهيرة بانتاج الأرز وذكر القزوينى[٥٤] أنه كان الغذاء الرئيسى لأهل هذه البلدة ، وبلغ من كثرة محصوله أن وجبت زكاته عليهم .

كذلك اشتهرت نواحى نهر سيحون وبخاصة مدينة الشاش (طشقند) بزراعة الأرز ، وشارك اقليم طبرستان بنصيب وافر فى انتاجه ، وظلت « آمل » قصبة هذا الاقليم توليه عنايتها الكبيرة حتى أصبح من أكثر سلعها الزراعية التى تصدرها الى غيرها من البلاد[٥٥] .

كانت الذرة تزرع بكثرة فى منطقة كرمان[٥٦] أما السمسم فتعد مدينة تكريت المركز الرئيسى لزراعته[٥٧] ، كما زرع أيضا فى كل من

---

(٤٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١١ .
(٤٧) التنوخى : الفرج بعد الشدة جـ ١ ص ٥٥ .
، مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٤ .
(٤٨) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ٢٢٣ ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
(٤٩) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ، ص ٥٠٦ .
(٥٠) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٣١ .
(٥١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨١ .
(٥٢) لسترنج : بلدان الخلافة ص ٤٧٢ .
(٥٣) جيلان : بلدة بين مدينة قزوين وبحر الخزر ، القزوينى : آثار البلاد ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .
(٥٤) آثار البلاد : ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .
(٥٥) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٤٣٥ ، لسترنج : ص ٤١٠ ، ٤١١ ، ٥٣١ .
(٥٦) جمال سرور : ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(٥٧) المقدسى : ص ١٢٣ .

نصيبين وسنجار[٥٨] ، وواسط وليس أدل على كثرته بواسط من أن ضامن ضرائب واسط تعهد بدفع أربعمائة كر من السمسم سنويا[٥٩] .

وانتشرت زراعة الكروم فى بلاد العراق والمشرق ، وقد كثرت أصنافها وتعددت أنواعها ومن مراكز زراعتها مدينة عكبرا[٦٠] ، كما اشتهرت مدينة حلوان بجودة كرومها[٦١] ، وكانت كل من الموصل وسنجار ورأس العين تشتهر أيضا بزراعة الكروم[٦٢] ، كما زرع بشهرستان قصبة سابور — احدى بلاد فارس — كذلك اشتهرت بزراعته بلاد ما وراء النهر ، كما اهتم بزراعته أهل مدينة سابور وجرجان[٦٣] .

كان العراق من أكبر مراكز انتاج التمر ، ولا غرو فقد ذاعت شهرة تمر العراق لجودته وطيبه ، وتعد البصرة من أهم مناطق زراعته ، وقد ذكر المقدسى أن أنواع التمر فى البصرة وحدها بلغ أربعين نوعا[٦٤] ، بينما يقول ابن الفقيه أن هذه المدينة تنتج ثلثمائة نوع من التمور[٦٥] .

---

(٥٨) ابن حوقل : ص ١٤٢ ، ١٤٨ .

(٥٩) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٥ ص ٣٩٤ .

الكر بواسط والبصرة مائة وعشرين قفيزا وكل قفيز أربعة مكاكيك والمكوك خمسة عشر رطلا وكل رطل مائة وثمانية وعشرين درهما . والكر بالكوفة وبغداد ستون قفيزا وكل قفيز ثمانية مكاكيك وكل مكوك ثلاثة كيالج والكيلجة وزن ستمائة درهم .

الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٥ .

(٦٠) المقدسى : ص ١٢٢ ، الثعالبى : لطائف المعارف ص ١٣٣ .

(٦١) المقدسى : ص ١١٧ — ١٢٣ .

(٦٢) صورة الأرض ، ص ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٠ .

(٦٣) معجم البلدان : جـ ٣ ، ص ٣٣٥ ، ٣٧٦ ، جـ ٤ ، ص ١٣ ، ٥٣ ، بيروت ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٥٢ ، ١٦٤ ، ص ١٦٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٧١ ، ٥٣١ .

(٦٤) المقدسى : ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٧ ، الاصطخرى : ص ١٢٥ ، ١٤٩ ، ١٦٢ .

(٦٥) مختصر كتاب البلدان : ص ٢٥٨ .

لم تقتصر زراعة النخيل على البصرة فقد كثرت زراعته أيضا فى أراضى السواد[٦٦] كما كان يزرع النخيل أيضا فى سنجار[٦٧] وباقليم الجزيرة ، واشتهرت مدينة هيت الواقعة على نهر الفرات بزراعة النخيل[٦٨] كما اشتهرت بعقوبا — احدى المدن العراقية — بكثافة أشجار النخيل وبجودة رطبه حتى غدت مضرب الأمثال [٦٩] ، وتميزت « بادرايا » احدى نواحى النهروان — بالقرب من واسط بنوع خاص من التمر[٧٠] كذلك اشتهرت « عين التمر » — الواقعة غربى الكوفة — على مقربة من الأنبار بتمرها الجيد الكثير الذى يجلب لجودته الى سائر البلاد[٧١] وغلب النخل على حاصلات خوزستان الزراعية وقال ياقوت فى ذلك : « وأما ثمارهم وزروعهم فان الغالب على نواحى خوزستان النخل »[٧٢] واشتهرت كرمان بكثرة انتاجها من التمر فقد شبهه ياقوت بالبصرة فى كثرة تمره وجودته[٧٣] وبلغ من كثرة ما تنتجه كرمان من التمر أن أهلها كانوا لا يرفعون ما وقع من النخل ، وكان الحمالون يحملون التمر الى خراسان مقابل أخذهم نصفه[٧٤] وانفردت

---

(٦٦) الاصطخرى : الممالك والممالك ، ص ٥٨ .
(٦٧) الاصطخرى : ص ٥٣ ، أبو الفدا : تقويم البلدان : ص ٢٨٣ .
(٦٨) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٢١ ، بيروت ، جبرائيل حنوش : مختصر المستفاد فى تاريخ بغداد (أو منتجع المرتاد فى تاريخ بغداد) ورقة ٢٠٧ نسخة من ١٥٥ ورقة مأخوذة بالميكروفيلم عن المتحف العراقى (معهد للمخطوطات العربية رقم ١٩٨٤ تاريخ) .
(٦٩) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٥٣ ، بيروت .
(٧٠) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣١٦ ، بيروت .
(٧١) معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٧٦ ، بيروت .
، جبرائيل حنوش : مختصر المستفاد ، الورقات ١٨١ ، ١٨٢ .
(٧٢) معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٠٥ ، بيروت .
(٧٣) معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٥٤ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٨١ ، ٢٠٠ ، ٢٤٧ .
(٧٤) المقدسى : ص ٤٦٩ .
وكان ثمن التمر ينخفض فى بعض بلاد كرمان مثل منوقان وغيرها فيباع المائة من بدرهم المقدسى : ص ٤٦٩ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٠٥ .

كازرون بزراعة نوع من التمر يقال له « الجيلان »[٧٥] .

ومن الفواكه التى زرعت فى بلاد العراق والمشرق فى ذلك العهد البرتقال والنارنج والأترج . ويقول المسعودى :[٧٦] « ان شجر الأترج المدور والنارنج جلب من أرض الهند بعد الثلاثمائة (من الهجرة) فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام ... » وقد أثنى الثعالبى[٧٧] على الأترج والنارنج الذى يزرع فى البصرة ، ويذكر الخطيب البغدادى[٧٨] أن الخليفة المقتدر بالله زرع الأترج فى بستان قصره بكميات وافرة ، وكان الأترج يزرع أيضا فى منطقة الجزيرة وبخاصة فى سنجار حيث اشتهرت بنوع كبير الحجم[٧٩] كما اشتهرت مدينة بعقوبا بزراعة الليمون وذكر ياقوت أنه كان يضرب بحسنه وجودته المثل[٨٠] ، وكان الليمون يعد من أهم حاصلات اقليم طبرستان الزراعية[٨١] .

وزرع التفاح فى نواح كثيرة من بلاد ما وراء النهر حيث اشتهرت كورة فرغانة بزراعته[٨٢] وكانت الدامغان — الواقعة بين الرى ونيسابور — تنتج تفاحا يقال له القومسى يصدر الى العراق لجودته ، أما تفاح أصبهان فكان يظل بها غضا — لصحة تربتها — سبع سنين[٨٣] ، ووصف تفاح بسطام — احدى بلاد قومس —

---

(٧٥) معجم البلدان : ج ٤ ، ص ٤٢٩ ، آثار البلاد ، ص ٢٤٤ ومن الجدير بالذكر أنه كان يجفف مقادير كبيرة من انتاج العراق وكرمان من التمر لتصديرها الى البلاد المجاورة : حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ٥٠٦ .

(٧٦) مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .

(٧٧) ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، ص ٤١٧ ، مصر ١٣٢٦ هـ .

(٧٨) تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٧٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٤٨ .

(٨٠) معجم اللبدان ، ج١ ، ص ٤٥٣ ، بيروت .

(٨١) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤١١ .

(٨٢) آثار البلاد ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٦٠٣ .

، ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ ص ٢٥٣ بيروت ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٢١ .

بأنه « تفاح حسن الصبغ مشرق اللون يحمل الى العراق يعرف بالبسطامى »(٨٤) كذلك زرع السفرجل والكمثرى فى أصبهان(٨٥) .

أما الجوز واللوز فقد اشتهر اقليم ما وراء النهر(٨٦) بزراعتهما ، واشتهرت « بادغيس » احدى مدن اقليم خراسان — بغابات الفستق الكثيفة ، وبلغ من كثرة محصوله أن أهل هذه المدينة كانوا يتجرون به مع سائر البلاد ، ثم يعيشون السنة كلها من الأرباح التى يدرها عليهم ، كما كان يزرع بكثرة فى الطالقان الخراسانية(٨٧) .

واشتهر شمالى فارس بزراعة الفواكه وعلى الأخص البطيخ الذى كان يقدد ويحمل الى العراق(٨٨) ، وكان بطيخ مرو يرسل الى الخلفاء العباسيين ببغداد ، وكانت تقوم الواحدة منه اذا وصلت الى هذه المدينة بسبعمائة درهم ، وكان هذا النوع من البطيخ يحمل فى قوالب من الرصاص معبأة بالثلج(٨٩) ، كما اشتهرت خراسان أيضا بانتاج البطيخ(٩٠) وكان البطيخ يزرع بكثرة فى اقليم خوارزم أو قد

---

(٨٣) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٩ ، بيروت .

(٨٤) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٢١ ، بيروت .

(٨٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٣١ .
الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٨٤ .

(٨٦) معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٥٣ بيروت .
القزوينى : آثار البلاد ، ص ٦٠٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٣١ .

(٨٧) معجم البلدان : جـ ٤ ص ٣٩٧ بيروت ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ — ٤٥٧ ، ٤٧١ .

(٨٨) الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٤٩ .

(٨٩) الثعالبى : لطائف المعارف ، ص ١٢٩ .
، متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٩٠) وقد انتقل منها نوع عرف فى مصر باسم العبدلاوى نسبة الى عبد الله بن طاهر الذى حكم مصر فى عهد الخليفة المأمون وهو الذى جلبه من خراسان الى مصر عند قدومه اليها ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، جـ ٣ ، ص ٥٠٦ .

أشاد القزوينى بجودته فقال : ان بطيخ خوارزم لا يوجد مثله فى جميع البلاد حلاوة وطيبا[٩١] ، وكان يزرع البطيخ أيضا فى مدينة تكريت ثلاث مرات فى السنة[٩٢] ، ومما ساعد على ذلك خصوبة أرضها .

وكان شجر الزيتون يزرع بالعراق وبخاصة شرقى النهروان[٩٣] ، كما زرع جنوب بغداد قرب دير العاقول[٩٤] وفى مدينة الرقة[٩٥] ، كما اشتهرت بزراعته مدينة أرجان — التى تبعد عن شيراز بنحو ستين فرسخا — واهتمت بزراعته مدينة سابور ، وتوفرت كمياته فى مدينة جرجان وفى مدينة الطالقان التى كان يزرع فى جبالها ويجلب منها الى قزوين القريبة منها ، كما كان الزيتون من ثمار مدينة شهرستان الفارسية[٩٧] ، وزرع التين فى حلوان ، وبلغ من جودته أن سماه أهلها « شاه انجير » أى ملك التين[٩٨] ، وكان يزرع التين أيضا فى جزيرة ابن عمر[٩٩] ، واقليم جرجان بفارس[١٠٠] .

وكان قصب السكر[١٠١] يزرع فى العراق بكميات كبيرة . وقد انتقلت زراعته من الهند الى فارس فى القرن السابع الميلادى ، ثم دخلت زراعته بلاد العراق وانتشرت زراعته فى أراضى ما بين النهرين

---

(٩١) آثار البلاد ، ص ٥٢٥ .

(٩٢) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٨١ ، ص ٤٤٥ ، ٤٩٢ .

(٩٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٣٤٣ مصر ١٣٥٣ هـ .

(٩٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ١٨٦ .

(٩٥) المقدسى : ص ١٤١ .

(٩٦) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٩٧) المقدسى : ص ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، القزوينى : ص ٢٠٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، معجم البلدان ، جـ١،ص ١٤٣ ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ٣٧٦ ، بيروت .

(٩٨) القزوينى : ص ٣٥٧ ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ ، بيروت ، جبرائيل حنوش : مختصر المستفاد ، الورقة ١٨١ ، ١٨٣ (مخطوط) .

(٩٩) صورة الأرض ، ص ١٥٣ .

(١٠٠) المقدسى : ص ٣٥٤ — ٣٥٧ .

(١٠١) سكر : من الفارسية شكر ومن السنسكريتية سركرا ومن البراكريتيه سكرا ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٢ ، ص ١٤ مادة السكر .

الجنوبية وخوزستان(١٠٢) ، وكان يزرع بكثرة فى كورة سابور وبلاد كرمان وبخاصة قصبتها « سيرجان » واهتمت بزراعته بشكل خاص ولاية مكران(١٠٣) ومدينة جرجان(١٠٤) .

اشتهرت بلاد فارس وخاصة الأجزاء الشمالية منها ، وكذلك بلاد ما وراء النهر بانتاج القطن ، وكانت مدينة الشاش (طشقند) احدى مدن اقليم سيحون — من أمهات المدن التى ازدهرت فيهـا زراعة القطن(١٠٥) ، كما اشتهرت أيضا خراسان(١٠٦) ، ومدينة « بم » — شرق كرمـان — بزراعتـه(١٠٧) كمـا كان محصـوله وافـرا فى خوزسـتان(١٠٨) .

انتقلت زراعة القطن الى العراق على أيدى الحمدانيين ، ومن المراكز الهامة لزراعته مجدل ورأس العين وحران فى الجزيرة(١٠٩) واشتهرت تكريت ونواحيها بزراعة القطن ، وكان القطن الموصلى الذى يزرع فى بعض أعمال الموصل من أجود أنواع القطن ، كما كانت بعض نواحى ماردين تنتج محصولا وافرا من القطن(١١٠) .

---

(١٠٢) متز : جـ ٢ ، ص ٢٦١ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٢ ، ص ١٦ .
(١٠٣) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٠٥ ، جـ ٣ ص ١٦٨ ، ص ١٧٩ ، جـ ٥ ، ص ١٨٠ ، بيروت ، آثار البلاد ، ص ١٥٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ — ٢٠٥ .
(١٠٤) آثار البلاد : ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
(١٠٥) معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، بيروت ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥١٣ .
(١٠٦) يشيد الثعالبى بشهرة خراسان فى زراعة القطن بقوله : « وقد علم الناس أن القطن لخراسان والكتان لمصر » ، لطائف المعارف ، ص ١٦٠ .
(١٠٧) الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٩٩ .
(١٠٨) آثار البلاد : ص ٢٤٧ ، ٣٦٣ ، لسترنج ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ .
(١٠٩) الأصطخرى : ص ٧٤ .
(١١٠) جبرائيل حنوش : مختصر المستفاد الورقة ١٨١ ، ١٨٢ (مخطوط) ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧٩ .
، لسترنج : ص ١١٨ ، ١١٩ ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

انتشرت زراعة الكتان فى بلاد فارس ، وكانت كازرون من أكبر مراكز انتاجه(١١١) ، كما ازدهرت زراعته فى بلاد ما وراء النهر وخاصة فى مدينة الشاش فى اقليم سيحون(١١٢) .

(ب) الانتاج الصناعى :

كانت الصناعة محل اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة فعملوا على تقدمها على اعتبار أنها مورد هام من موارد الثروة ، فأقاموا فى مدن العراق والمشرق مراكز صناعية هامة للصناعات المختلفة ، ووضعوا القواعد الدقيقة لتنظيمها والاشراف عليها ، وعهدوا الى بعض الموظفين بالاشراف على هذه الصناعات ، ويتجلى لنا ذلك فى عهود الخلفاء للولاة والعمال الذين كانوا يولونهم الأقاليم المختلفة ، فكتب الخليفة الطائع لناصر الدولة الحمدانى حين ولاه الجزيرة الفراتية والموصل وما جاورها يطلب منه « مراعاة أمور العوام فى المتاجر والصناعات ومنعهم من الغش والتدليس »(١١٣) . وجاء أيضا فى عهد الخليفة الطائع لأبى الحسن بن ركن الدولة حين قلده همدان وغيرها بأن « يجرى الاستعمال فى جميع المناسج على أتم النقيه(١١٤) وأسلم الطريقة واحكام الصنعة(١١٥) .

ومن الصناعات التى ازدهرت فى ذلك العصر المنسوجات على اختلاف أنواعها وكانت مرو ونيسابور و« بم » (شرق كرمان) من المراكز الكبرى لصناعة نسج القطن فى شرق فارس ، واشتهرت نيسابور بثياب القطن الفاخرة — وكان من طرائف ما يعمل فيها الطيالسة

---

(١١١) المقدسى : ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .
(١١٢) معجم البلدان ، ج ٥ ص ٤٥ ، ٤٦ .
، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥١٣ .
(١١٣) الصابى : رسائل الصابى ، ص ١٤١ ، نشر شكيب ارسلان ، لبنان ١٨٩٨ م .
(١١٤) أى تنقى المنسوجات من الخلط الذى يضر بها وان يكون الانتاج جيدا .
(١١٥) رسائل الصابى ، ص ١١٣ .

المقورة التى تنسج بزخارف ، ويبلغ ثمن الطيلسان منها ثلاثين دينارا ، وكانت تصدر الى كثير من البلاد وتباع بخراسان والعراق ومصر ، وكان يصنع فى « مـــرو » نسيج القطن الذى يبلغ الغاية فى الجـــودة واللين[116] وكان ينتج فى زرند (باقليم كرمان) نسيج يقـــال له البطانة[117] ، ويصنع « ببم » ثياب فاخرة من القطن ، كما صنع بها العمائم والمناديل والطيالس[118] وكان يصنع فى قومس مناديل من القطن بيضاء اللون ومن أحجام مختلفة ، ويصل ثمن بعضها الى ألف درهم[119] واشتهرت مدينة الطواويس — احدى مدن اقليم الصغد — بصناعة الثياب القطنية التى بلغت حدا جعل أهلها يصدرونها الى العراق ، كما اشتهرت مدينة زندية بالثياب القطنية الفاخرة المنسوبة اليها[120] ، كما اشتهرت مدينة وذار — فيما وراء النهر — بالثياب الوذارية القطنيـــة[121] ، وكانت المنســوجات القطنية تصنع أيضا فى بخارى[122] .

كذلك اشتهرت بغداد بانتاج الملابس القطنية والعمائم الرقيقة والمناديل القيصرية[123] وكانت ثيابها القطنية تتمتع بشهرة فائقة حتى قال النويرى : « من كان يريد الثياب الرقاق فليلحق بالعراق »[124] .

وكان ببلاد فارس مراكز لنسج الكتان ، وتعد كازرون من أكبر

(١١٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ .
رخصت أسعار الأنسجة القطنية عن نسيج الكتان حتى أن اسماعيل ابن احمد السامانى (٢٧٩ — ٢٩٥ هـ) منح كل قائد من قواده ثوبا من الكتان هدية قيمة . متز : جـ ٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(١١٧) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٤٧ .

(١١٨) لسترنج : ص ٣٥٠ ، المقدسى : ص ٣٢١ ، ٣٢٤ .

(١١٩) لسترنج : ص ٤٠٧ .

(١٢٠) لسترنج : ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(١٢١) لسترنج : ص ٥١٠ .

(١٢٢) فامبرى: تاريخ بخارى ، ص ٢٥ .

(١٢٣) الدمشقى : الاشارة الى محاسن التجارة ، ص ٢٦ .

(١٢٤) نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ٣٧٢ .

المدن الفارسية التى اشتهرت بصنع الثياب الكتانية حتى كانت تسمى « دمياط الأعاجم »[١٢٥] ، كما عرفت سيراف بأزر الكتان والفوط[١٢٦] ، وكانت أنواع الأقمشة بفارس تشابه الأنواع المصرية من الدبيقى والشرب والقصب ، مما يدل على وجود صلة قوية بين صناعة الكتان بمصر وفارس[١٢٧] .

وكان كتان مدينة كازرون يبل فى البرك ، ثم يفصل بعضه عن بعض ويغزل وتغسل خيوطه فى ماء نهر الرهبان ، ولهذا النهر خاصية تبييض خيوط الكتان ، ويخضع هذا النهر لاشراف الحكومة ولا يصرح بالغسل فيه الا للنساجين المكلفين بذلك[١٢٨] .

كذلك اشتهرت مدينة آمد (فى منطقة الجزيرة)[١٢٩] بانتاج المنسوجات الكتانية ، فكان يصنع بها الطيالس الكتانية والثياب الموشاة والمناديل ، كما اشتهرت الأبلة بصنع الثياب الكتانية الرفيعة[١٣٠] .

بلغت صناعة المنسوجات الحريرية فى فارس والعراق درجة كبيرة من الرقى ، ومن المراكز الهامة لهذه الصناعة اقليم خوزستان حيث نقلها اليه الساسانيون من بلاد الروم ، وكان يصنع بهذا الاقليم أنواع الحرير من ديباج وخز[١٣١] ، كما اشتهر اقليم طبرستان بصناعة الثياب الحريرية الثقال التى تدل على وجود صلة بينها وبين ما يصنع

---

(١٢٥) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .
(١٢٦) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٣٠ .
(١٢٧) المقدسى : ص ٤٤٢ .
، آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .
(١٢٨) آدم متز : ج ٢ ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
(١٢٩) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٤٥ .
(١٣٠) احسن التقاسيم ، ص ١٢٨ .
(١٣١) الخز : نسيج رقيق يصنع من الصوف والحرير .
محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، هامش ، ص ١٣٧ .

من هذا النوع بالصين[١٣٢] .

اشتهرت مدينة رامهرمز بثياب الابريسم الذى يحمل منها الى سائر الجهات[١٣٣] ، كما وجد هذا النوع من الحرير بوفرة فى اقليم مازندران ، لأن أهله كانوا يشتغلون بتربية دود القز ، وكانت مدينة جرجان تنتج هذا النوع من الحرير ، غير أن أحسن أنواع الحرير الأبريسمى وهو ما كانت تنتجه مدينة خجنده ، فقد وصفه ياقوت بقوله : « ولا يفضل عليه ابريسم البتة »[١٣٤] .

وكانت شيراز تنتج الخز والديباج[١٣٥] ، كما كان يصنع بساريه — احدى مدن طبرستان الحرير لكثرة ما يربى فيها من دود القز[١٣٦] ، وكان بمدينة « تستر » مصانع للديباج[١٣٧] كما كان يصنع بالأهواز فوط من القز تلبسها النساء[١٣٨] كذا كان فى بخارى مصانع كبيرة للحرير والديباج[١٣٩] ، واشتهرت فى عهد السامانيين باتقان صناعة الأقمشة الحريرية ذات النقوش الجميلة[١٤٠] ، كما اختصت مدينة

---

(١٣٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٣٧ .

(١٣٣) السترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٧٧ .

(١٣٤) معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، جـ ٢ ، ص ١١٢ بيروت .
، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(١٣٥) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٣١ .

(١٣٦) لسترنج : ص ٤١١ .

(١٣٧) ذكر القزوينى آثار البلاد ، ص ١٧٠ ، ١٧١ أن اشتهار « تستر » بنسيج الديباج والحرير والخز كان بسبب ما جلبه بعض الأكاسرة من اسرى الروم أرباب الصنائع الى تستر فى وقت من الاوقات وأسكنهم فيها الأمر الذى ترتب عليه ظهور صنائع الروم فيها .

(١٣٨) لسترنج : ص ٢٨ .

(١٣٩) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥ .

(١٤٠) عثر على قطعة من النسيج السامانى يرجع تاريخها الى منتصف القرن الرابع الهجرى وهى محفوظة الآن بمتحف اللوفر عليها كتابة نصها : « عز واقبال للقائد ابى منصور بختكين أطال الله بقاءه » ولعله القائد الذى عاش فى بلاط عبد الملك بن نوح .
زكى محمد حسن : الفنون الايرانية ، ص ٢٤٧ .

سرخس بتصنيع العصائب والمقانع[١٤١] المنقوشة بالذهب[١٤٢] .

كان لأهل الكوفة بالعراق شهرة واسعة فى صناعة النسيج وبخاصة الوشى والخز وقد امتدح ابن الفقيه الهمذانى مهارة أهل الكوفة واجادتهم هذه الصناعة بقوله : « ان للكوفيين مهارة خاصة فى صنع الوشى وصنع الخز »[١٤٣] ، كما اشتهرت الكوفة أيضا بصنع العمائم المنسوجة من الخز[١٤٤] ، والمناديل الحريرية التى تستخدم لتغطية الرأس وتعرف اليوم باسم الكوفية[١٤٥] .

كانت مدينة الأنبار مركزا هاما لنسج العباءات[١٤٦] ، كما كانت البصرة من بين مدن العراق التى اشتهرت بصناعة الخز والبز[١٤٧] كما كان يصنع بها الديباج ، حتى أن أهل البصرة كانوا يفتخرون بديباجهم على الكوفة والشام[١٤٨] .

وكان يصنع ببغداد المنسوجات الحريرية الفاخرة[١٤٩] والثياب العتابية التى كانت تصنع فى محلة العتابية[١٥٠] وتنسب اليها ، وهى

---

(١٤١) المقانع : أغطية للوجه تستخدمها النساء ، تاج العروس ، جـ ٥ ، ص ٤٨٨ .

(١٤٢) القزوينى : ص ٣٩٠ .

(١٤٣) مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٢ .

(١٤٤) المقدسى : ص ١٢٨ .

(145) Dozy : Dictionnaires des vetements Arabs. p. 394 (Amesterdam 1945).

(١٤٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٧ . الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٤٣ .

(١٤٧) المقدسى : ص ١٢٨ .

(١٤٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٢١٧ .

(١٤٩) الدمشقى : الاشارة الى محاسن التجارة ، ص ٢٤ — ٢٦ . ، الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

(١٥٠) العتابية : نسبة الى عتاب حفيد أمية جد الخلفاء الأمويين ، ويبدو أن أحفاده قدموا الى هذه المحلة وسكنوها فى زمن غير معروف . القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، لسترنج : بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، بغداد ١٩٣٦ م .

ثياب مخططة تحاك من خيوط القطن والحرير[١٥١] ، كما كان يصنع فى محلة التستريين بين دجلة وباب البصرة الثياب التسترية[١٥٢] .

وكانت تصنع الأكسية والثياب الصوفية فى النعمانية — احدى مدن العـراق[١٥٣] — كما ازدهرت فى مدينة تكريت صناعة المنسوجات الصوفية ، وقد وصفها المقدسى بأنها « معدن صناع الصوف »[١٥٤] واشـتهرت مدينـة آمـد (بمنطقة الجـزيرة) بصـنع الثيـاب الصوفية[١٥٥] .

كذلك بلغت صناعة السجاد ذروة الفن والابداع فى بعض مدن العراق[١٥٦] ويرجع السبب فى ازدهار هذه الصناعة الى توفر المواد الخام كالصوف والكتان والحرير ، ومن أشهر أنواع السجاد فى العهد البويهى الفروش العضدية التى عرفت بذلك نسبة الى الأمير عضـد الدولة[١٥٧] ، واشتهرت مدينة النعمانية بصناعة السجاد ، وكانت تقلد فى زخارفها ورسومها بسط الحيرة ، حتى أن مصنوعاتها من البسـط عرفت بالبسط الحيرية[١٥٨] .

كذلك اشتهرت فارس وبلاد ما وراء النهر بصناعة الملابس والفرش

---

(١٥١) المقدسى : ص ٣٢٣ ، ابن جبير : رحلته ، ص ٢١٢ ، تحقيق حسين نصار .

(١٥٢) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣١ ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، طبعة السعادة ، ١٩٠٦ م .
والتسترى : نوع من الحرير ينسب الى تستر أشهر مدن خوزستان .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ٥٠٩ .

(١٥٣) المقدسى : ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(١٥٤) المقدسى : ص ١٢٣ .

(١٥٥) المقدسى : ص ١٤٥ .

(١٥٦) ديماند : الفنون الاسلامية ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(١٥٧) الصابى : رسوم دار الخلافة ، ص ١٦ .

(١٥٨) وكانت الفرش المسماة بالطنافس تصنع فى أول الأمر فى مدينة الحيرة على حدود الروم حتى أن الطنافس التى كانت تصنع فيما بعد فى مدينة النعمانية كانت تنافس الطنافس الحيرية .
ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ١٨٦ .

الصوفية ، وكان للبسط الفارسية التى تصنع فى أصبهان شهرة خاصة منذ زمن بعيد(١٥٩) ، كما كان لبخارى شهرتها فى صناعة الأبسطة(١٦٠) . وكانت البسط الأرمينية تقدم على ما عداها من البسط(١٦١) كما كان يصنع فى طبرستان أكسية الصوف والسجاد والميازر(١٦٢) .

أما عن الستور ، فقد تفنن الصناع العراقيون فى صناعتها ، فجاءت آية فى الفن والروعة ، واحتوت قصور الخلفاء والأمراء على عدد وفير من ستائر الديباج المذهب المصور بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع(١٦٣) ، وكان عضد الدولة يفضل هذا النوع من الستائر فزين بها جميع أبواب بيوته وصحونها وممراتها ودهاليزها(١٦٤) وكانت هذه الستائر تصنع فى مناطق متعددة من العراق منها واسط ، وتسمى الستور الواسطية(١٦٥) .

ومن المدن التى اشتهرت بصناعة الستور الفاخرة الموصل وآمد(١٦٦) ونصيبين(١٦٦) وفى جنوب العراق اشتهرت مدينة ميسان بنسج الستائر الميسانية(١٦٨) ، وفى بلاد فارس اشتهرت « بصنا » — جنوب السوس — بعمل الستور التى كانت تصدر الى البلاد

---

(١٥٩) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٢٢ .
(١٦٠) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥ .
(١٦١) الثعالبى : لطائف المعارف ، ص ١١١ ، متز : ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
(١٦٢) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٠٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤١٠ ، ٤١١ .
(١٦٣) الصابى : رسوم دار الخلافة ، ص ١٦ .
، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
(١٦٤) الصابى : رسوم دار الخلافة ، ص ١٦ .
(١٦٥) المقدسى : ص ١٢٩ ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٥٣ .
(١٦٦) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٣٠ ، ٣٣ .
، الثعالبى : لطائف المعارف ، ص ١١١ .
(١٦٧) الثعالبى : ثمار القلوب ، ص ٤٢٨ .
(١٦٨) ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٥٣ .

المجـــاورة[١٦٩] •

عنى الخلفاء والأمراء بدور الطراز ، وتجلى الاهتمام بانشاء هذه الدور فى العهد البويهى ، ومنها : طراز الخاصة حيث كانت تصنع المنسوجات للخليفة والأقمشة التى كان يخلعها على كبار رجـــال الدولة وأفراد حاشيته • أما المصانع الاهلية (طراز العامة) فكانت تقوم بانتاج المنسوجات اللازمة لأفراد الشعب ، وهذه المصانع كانت تخضع أيضا للاشراف الحكومى ، وكثيرا ما أمـــر الخلفاء بصـــناعة منسوجات فاخرة لاهدائها الى الأمراء البويهيين أو الحكام الذين كانوا يخطبون ودهم وتربطهم بهم علاقات الصداقة — فذكر الصابى[١٧٠] أن الخليفة الطائع لله خلع على عضد الدولة البويهى خمسمائة ثوب أصنافا بين ثوب ديباج وملكى قيمته مائتا دينار ، وثوب أبيض قيمته نصف دينار ، وكانت أسماء الخلفاء تنسج على الأقمشة الثمينة بلحمة من خيوط الذهب أو الفضة أو الخطوط المتعددة الألوان تمجيدا لهم واشادة بذكرهم ودليلا على أنها صنعت فى زمنهم •

وقد طلب الخليفة الطائع الى ناصر الدولة الحمدانى بعد أن ولاه الموصل والجزيرة أن يطلب من ولاة الطراز (أى المشرفين عليها) بأن يشرفوا على الصنائع فيما يتخذونه من المناسج حتى يجودوه ، وأخذهم باثبات اسم أمير المؤمنين على ما يصنع من الاعلام والبنود وما ينسج من الكسى والفروش[١٧١] •

تعددت دور الطراز فى العراق فى العهد البويهى • وكان أشهرها دار الطراز فى بغداد[١٧٢] ، كما كان فى الموصل والجزيرة الفراتية دورا للطراز أقامهـــا أمراء بنى حمـــدان وبخاصـــة ناصر الدولة

---

(١٦٩) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ ، مصر ١٩٠٦ م •
، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٧٥ •
(١٧٠) رسوم دار الخلافة ، ص ١٠١ •
(١٧١) الصابى : رسائل الصابى ، جـ ١ ، ص ١٤٣ •
(172) Encyclopedia of islam Vol. IV; p. 790.

الحمدانى[١٧٣] ، كذلك انتشرت دور الطراز فى بلاد فارس وكان أشهر هذه الدور دار الطراز فى توج ، كما كان فى نسا دار للطراز انتجت من أنواع الثياب الوشى المذهب ، وكان فى شيراز دار للطراز انتجت الأكسية التى كانت تصنع من الخز والديباج[١٧٤] .

ومن الصناعات التى ازدهرت فى العراق صناعة الخزف والزجاج . واعتبر الخزف المحلى بزخارف من البريق المعدنى من أجود منتجات الخزف فى العالم الاسلامى[١٧٥] . ويتميز الخزف فى العراق بتنوع انتاجه ، وابتكار عماله لأساليب جديدة فى زخرفته منذ نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)[١٧٦] وكانت الكوفة احدى مراكز صناعة الخزف فى العراق . وقد نجح عمال الكوفة فى تطوير هذه الصناعة تطويرا كبيرا[١٧٧] كذلك اشتهرت مدينة الرقة بصناعة الخزف[١٧٨] ذى البريق المعدنى[١٧٩] وكان ببغداد عدد كبير من دور هذه الصناعة[١٨٠] ، وصنع من الخزف الأوانى على اختلاف أنواعها والمزهريات التى كانت تزين بزخارف جميلة ذات كتابات عربية وأزهار

---

(١٧٣) الصابى : رسائل الصابى ، جـ ١ ، ص ١٤١ .

(١٧٤) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٣١ .

(١٧٥) كانت صناعة البريق المعدنى من الابتكارات العظيمة التى اهتدى اليها الخزفيون المسلمون فى القرنين الثامن والتاسع الميلادى . ديماند : الفنون الاسلامية ، ص ١٧٥ .

(١٧٦) اختلف مؤرخو الفنون فى موطن صناعة الخزف ذى البريق المعدنى فنسبها البعض الى فارس والآخر الى مصر ونسبها الالمان من رجال الآثار الى العراق ويرجح الدكتور زكى حسن نشأة الخزف ذى البريق المعدنى فى العراق الا أنه من المحتمل أن يكون ذلك على يد خزفيين من فارس ، زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١٧٧) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٥٩ .

(١٧٨) أظهرت التنقيبات فى الرقة كميات كبيرة من الاوانى الخزفية بعضها مطلى والآخر غير مطلى ، سعاد ماهر : خزف الرقة ، ص ١١١ ، فصل من مجلة كلية الآداب ، جـ ٢ ، مجلد ١٦ سنة ١٩٥٤ م .

(179) Arthur lane : Islamic pottery from the Ninth to the fourteenth centuries A. D. p. p. 19-20.

(١٨٠) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٠٠ .

عليها طيور أو رسوم بعض الحيوانات[١٨١] .

كذلك ازدهرت صناعة الخزف فى بلاد ما وراء النهر فى ظـــل السامانيين ، وخاصة صناعة الأوانى الخزفية ، ولا غرو فان هذه البلاد أنتجت نماذج بديعة من الخزف ذى الزخرفة الكتابية وبخاصة فى سمرقند وبخـــارى[١٨٢] .

وكانت مدينة الشاش (طشقند) تنتج نوعا جيدا من الخزف[١٨٣] ، كما أنتجت آمل الخزف ذى الزخارف المرتبة فى مناطق مكونة من دوائر ذوات مركز واحد وتضم رسوم حيوانات فى أسلوب تخطيطى محور عن الطبيعة[١٨٤] كما اشتهرت السوس والرى وقم بانتاج الخزف ذى النقوش الملونة[١٨٥] وتميز انتاج نيسابور من هذا الخزف بكتاباته المنقوشة تحت الطلاء[١٨٦] . كذلك ازدهرت الصناعات الخزفية فى مدينة قاشان ، وكان أهلها يصدرون ما زاد عن حاجتهم الى سائر البلاد[١٨٧] ، كما تفوق أهل أصبهان فى صناعة التحف الخزفية[١٨٨] .

انتجت قاشان والرى نوعا من الخزف ذى دهان أزرق وتحته زخارف منقوشة باللون الأسود وقوام هذه الزخارف رسوم نباتية ومراوح نخيلية وزخارف شبه كتابية ، فضلا عن رسوم آدمية ، كما انتجت فيما بين القرنين الخامس والسابع بعد الهجرة نوعا من الخزف أخضر ناصع مائل الى الزرقة وعليه نقوش سوداء[١٨٩] .

كان لمدينة الرى المكانة الأولى فى استخدام الخزف ذى البريق

---

(١٨١) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٦٨ .
(١٨٢) الفنون الايرانية ص ٣١٥ .
(١٨٣) زكى محمد حسن : الفنون الايرانية ، ص ١٧٩ .
(١٨٤) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٦٩ .
(١٨٥) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٦٦ .
(١٨٦) فنون الاسلام ، ص ٢٦٦ .
(١٨٧) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ .
(١٨٨) آثار البلاد ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
(١٨٩) فنون الاسلام ، ص ٢٨٤ .

المعدنى فى شتى أنواع المنتجات الخزفية كالأوانى والمحاريب والمقاعد والموائد والتماثيل الآدمية والحيوانية ، وتتميز التحف الخزفية البديعة ذات البريق المعدنى فى مدينة الرى بوضوح رسمها وصفائه وبابداع تآليف زخارفها ، واتخذت الحروف الكوفية لتزيين حافة الآنية ، كما استعملوا الخط الفارسى ، وكانت الكتابات المجوفة الكبيرة تستعمل على الخصوص فى الآيات الكريمة على البلاطات التى تكسى بها جدران المحاريب منذ بداية القرن الرابع الهجرى(١٩٠) .

ومن الصناعات التى ازدهرت فى العراق فى تلك الفترة صناعة الزجاج(١٩١) وقد تعددت مراكز صناعته ومن أهمها بغداد التى يرجع ظهور صناعة الزجاج فيها الى عهد الخليفة المعتصم الذى أنشأ بهـا مصـانع الزجاج(١٩٢) ، وقد برع أهل بغـداد فى صـنع الأوانى الزجاجية(١٩٣) . وكان الزجاج العراقى معروفا خارج العراق حتى أن شهرته وصلت الأندلس وصنعت منه قناديل الكعبة(١٩٤) .

ووجدت فى مدينة الرى تحف زجاجية مختلفة الشكل والزخرفة ، ومن المرجح أنها ترجع الى القرنين الرابع والخامس بعد الهجـرة (١٠ — ١١ م) ثم ازدهرت هذه الصناعة وصارت تصنع منها التحف المختلفة الأشكال ، ونجح الصناع فى الوصول الى نوع من الزجـاج الأبيض المضغوط يقلدون به البللور الصخرى(١٩٥) واستعمل صناع

---

(١٩٠) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
(١٩١) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٤٧ .
(١٩٢) حتى : تاريخ العرب ، جـ ٢ ، ص ٩٩ ، ٤٢٥ .
(١٩٣) الهمدانى : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٣ .
، الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٠٠ .
وقد قيل انه كان ببغداد أربعة آلاف مصنع لصنع الزجاج .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، جـ ٤ ، ص ٣٩٧ .
(١٩٤) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٠٠ .
(١٩٥) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٦١٣ ، ٦١٤ .
شابه هذا النوع من البللور الذى كان يستعمل فى مصر خلال العصر الفاطمى ، فنون الاسلام ، ص ٦١٤ .

الزجاج فى فارس شتى أنواع الصناعة فى زخرفة المنتجات الزجاجية من ضغط وحفر وبروز وأسلاك ملفوفة ، وكانوا يصنعون التحف الزجاجية الصغيرة على شكل حيوان ، كما يظهر من سمكة صغيرة عثر عليها المنقبون فى مدينة الرى . أما موضوعات الزخرفة ، فكانت خليطا من الرسوم الهندسية والفروع النباتية والكتابات ورسوم الحيوان والرسوم الآدمية فى بعض الأحيان ، كما استخدم الصناع طلاء الزجاج بالمينا ، كما يظهر فى التحف التى عثر عليها فى شيراز وهمذان ونيسابور وسمرقند والرى وساوه(١٩٦) .

شاهد القرن الرابع الهجرى انقلابا عظيما فى صناعة الورق . ذلك أن القراطيس التى تستخدم للكتابة كانت تصنع من ورق البردى المصرى(١٩٧) . وظل هذا النوع من الورق سائدا فى مصر وغيرها من بلاد الدولة الاسلامية حتى حل محله فى أوائل القرن الرابع الهجرى الكاغد ، وهو نوع من الورق يصنع من الكتان والقنب ، نقلت صناعته من الصين الى سمرقند ومنها الى العراق(١٩٨) . ويحدثنا الثعالبى بأن « كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون عليها ،لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأوفق »(١٩٩) .

ومن المناطق التى اشتهرت بصناعة الورق فى بغداد محلة النصرية ومحلة العتابية ودار القز(٢٠٠) وعرفت كلها بانتاج الورق الفاخر(٢٠١)

---

(١٩٦) فنون الاسلام : ص ٦١٤ ، ٦١٥ .

(١٩٧) كان يصنع من ورق البردى القراطيس أو الطوامير ويبلغ طول الواحد منها ثلاثين ذراعا وعرضه شبر . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ .
جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية هامش ص ١٣٤ .

(١٩٨) آدم متز : جـ ٢ ، ص ٣٥٩ .

(١٩٩) لطائف المعارف ، ص ١٢٦ .

(٢٠٠) وتقع دار القزفى طرف الصحراء على مسافة ثلاثة أميال من بغداد ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٥٢٢ ، مصر ١٩٠٦ م .

(٢٠١) لسترنج : بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، ص ١٢١—١٢٣ .

ويذكر آدم متز(٢٠٢) أن انتاج العراق من الورق اكتسب شهرة في كافة أرجاء المشرق ومن المرجح أن جزءاً من هذا الانتاج كان يصدر الى الخـارج .

تقدمت الصناعات المعدنية في بلاد العراق — غير أنها اعتمدت في موادها الخام على ما يجلب اليها من البلاد المجاورة وخاصة بلاد فارس التى اشتهرت بأنها أكبر اقليم لاستخراج الحديد وصناعته ، كما كان بكرمان وكابل وفرغانة مناجم الحديد ، وقد أظهر أهالى هذا الاقليم براعة فائقة في المصنوعات الحديدية(٢٠٣) وكان النحاس الأصفر الذى يستعمل في طلاء أعلى المنائر يجلب اليها من بخارى وأصفهان(٢٠٤) ، كما وجد بكميات غير قليلة في مدينة « دمندان » باقليم كرمان ، ووجد بكميات أكبر في بلاد ما وراء النهر(٢٠٥) .

كانت منطقة المشرق الاسلامى تشتهر بمواردها من الثروة المعدنية كالذهب والفضة والحديد ، فتوافر الذهب في بلاد ما وراء النهر وبخاصة في كورة فرغانة(٢٠٦) ، وبلغ من وفرته في مدينة « طمغاج » أن اتخذ أهلها منه كثيرا من الأوانى والأدوات(٢٠٧) ، كذلك وجد الذهب في مدينة « قم » — الواقعة بين ساوه وأصفهان(٢٠٨) ، وكانت بنجهير — بنواحى بلخ — من أهم مواطن الفضة في الدولة الاسلامية ، وبلغ من كثـرة معدن الفضة فيها أنه كان لا يشترى فيهـا شيء بأقل من درهـم

---

(٢٠٢) الحضـارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٢٠٣) متز : جـ ٢ ، ص ٢٧١ ، جمال سرور : تاريخ الحضـارة الاسلامية ، ص ١٣٨ .

(٢٠٤) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص ٥٦ .

(٢٠٥) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٧١ ، جـ ٥ ، ص ٤٦ ، بيروت . ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٩٢ — ٦٠٣ .

(٢٠٦) معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٥ و٤٦ ، بيروت ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٦٠٣ .

(٢٠٧) آثار البلاد ، ص ٤١١ .

(٢٠٨) آثار البلاد ، ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

صحيح[٢٠٩] ، كما كانت الفضة أيضا (فى مدينة الفضة) فى باذغيس فى الطريق المار من هراة الى سرخس[٢١٠] .

واشتهر جبل البارز (فى اقليم كرمان) شرق جيرفت — بمعدن الحديد[٢١١] ، وبالقرب من مدينة صاهك (فى اقليم فارس) معدن الحديد حيث يعمل منها السيوف الصقيلة[٢١٢] كما كان بفرغانه وكابل مناجم الحديد ، وقد تميز حديد فرغانه بسهولة تشكيله[٢١٣] .

كانت بغداد من مراكز صناعة السيوف ، وقد وفد اليها كثير من صناع خراسان وزاولوا فيها هذه السناعة ، وبلغ من كثرة ما كان يصنع بهذه المدينة من الأسلحة أن أصبحت بها سوق لبيعها سميت بسوق السلاح ، كما اشتهرت الكوفة بصناعة السيوف التى تسمى بـ « السيوف الكوفيـــة »[٢١٤] .

تقدم فن الصياغة فى العراق تقدما كبيرا نتيجة لحياة البذخ والترف التى سادت بعض طبقات المجتمع العراقى ، وتجلت فى قصور بعض الخلفاء وأمراء بنى بويه وغيرهم من رجالات الدولة ، وكان فى بغداد سوق خاصة تعرف بسوق الصاغة[٢١٥] كما اشتهرت النعمانية بصناعة الذهب[٢١٦] .

لم يقتصر استعمال الذهب والفضة على صناعة الحــلى وانما وانما تعداها الى صنع الأدوات المنزلية ، فصنعت منه الأوانى الذهبية

---

(٢٠٩) معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ .
(٢١٠) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٥٦ .
(٢١١) بلدان الخلافة ، ص ٣٥٤ .
(٢١٢) بلدان الخلافة ، ص ٣١٤ .
(٢١٣) بلدان الخلافة ، ص ٥١٩ — ٥٣١ .
(٢١٤) المقدسى : ص ١٤١ ، الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٤٨ .
(٢١٥) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٤٩ .
(٢١٦) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٨ ، ص ٣٠١ ، مصر ١٩٠٦ م .

والفضية(٢١٧) ، وكان فى بغداد سوق عرف بسوق الذهب(٢١٨) جلب اليه الذهب والفضة من خراسان(٢١٩) وكرمان(٢٢٠) .

لقيت الصناعات الخشبية فى هذا العصر عناية فى بلاد العراق والمشرق الاسلامى واشتهرت مدينة الرى بين سائر المدن بجـودة صناعتها ، فكانت تستورد خشب الخلنج ذى الألوان المتنوعة والرائحة الطيبة من إقليم طبرستان فى شكل قطع خشبية مخروطة ثم يقـوم صناعها بتصنيعها أثاثا وأوانى(٢٢١) ، كذلك اشتهرت جرجان أيضا بالصناعات الخشبية كالنشاب والأوانى والأطباق ، وكانت تصدرها الى سائر البلاد(٢٢٢) .

وازدهرت باقليم سابور (من أعمال فارس) صـناعة الزيوت العطرية ، وكانت تتخذ من البنفسج والنيلوفر والنرجس والنارنج(٢٢٣) ، واشتهرت « جور » (جنوبى فارس) بما يصنع فيها من العطور وماء

---

(٢١٧) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ، ص ١٠١ .
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٧٧ .

(٢١٨) العمرى : غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد او دار السلام ، ص ٤٣٧ (مخطوط) .
، الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٤٩ .

(٢١٩) المقدسى : ص ٢٢١ .

(٢٢٠) الهمدانى : البلدان ، ص ٢٠٦ .

(٢٢١) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ١٤٥ بيروت ، آثار البلاد ص ٣٧٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٢٢٢) آثار البلاد ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ — ص ٥١٩ — ٥٢١ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٤٧٧ — ٤٧٩ ، لسترنج : ص ٤٩٢ ، ديمومبين : النظم الاسلامية ، ص ٢٥٣ — ٢٥٥ .

(٢٢٣) متز : جـ ٢ ، ص ٣٠٥ ، لسترنج : ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .
ومن الجدير بالذكر ان الكوفة استحدثت دهانا فاق ادهان سابور ومع ذلك فقد ظلت صناعة العطور من الصناعات الرائجة فى اقليم سابور .
ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ٢١٣ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ١٩١ .

الورد ، وخاصة ما يستخرج من الورد الأحمر الذى يكثر فى رساتيقها[٢٢٤] . وكان ماء الورد الجورى يحمل الى سائر البلدان وعلى الأخص الهند والصين وخراسان والمغرب والشام ومصر[٢٢٥] ، كما أحرزت آمل — قصبة طبرستان — شهرة واسعة فى انتاج العطور[٢٢٦] .

ومن بين الصناعات التى كان لها أهمية كبيرة فى حياة سكان العراق صناعة الصابون وكانت بغداد من المراكز الهامة لصناعة الصابون حيث كانت بها محلة خاصة لصناعته فى جهة الكرخ[٢٢٧] ، كما أن مدينة الرقة تعد من أعظم مراكز صناعة الصابون فى القرن الرابع الهجرى[٢٢٨] ، ويسمى الصابون المصنوع بها الصابون « الرقى »[٢٢٩] نسبة اليها ، وكان هذا الصابون يصنع على هيئة قطع جامدة ، كما اشتهرت مدينة أرجان (بفارس) بصناعة الصابون نظرا

جامدة ، كما اشتهرت مدينة أرجان (بفارس) بصناعة الصابون نظرا

لوفرة أشجار الزيتون[٢٣٠] .

ومن الصناعات التى اشتهرت بها بعض مناطق العراق صناعة السكر ، ومن مراكز صناعته الاقليم المحيط بالبصرة[٢٣١] ، حيث كانت تكثر به زراعة قصب السكر[٢٣٢] ومن أنواعه « السليمانى »[٢٣٣]

---

(٢٢٤) القزوينى : آثار البلاد ص ١٨١ ، لسترنج : ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٢٢٥) لسترنج : ص ٣٣٠ ، جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ، ص ١٨١ .

(٢٢٦) ديمومبين : النظم الاسلامية ص ٢٥٥ ، لسترنج : ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٢٢٧) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١ ص ٦٧ .

(٢٢٨) المقدسى : ص ١٤١ ، ١٤٥ .

(٢٢٩) حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٢٥ .

(٢٣٠) لسترنج : ص ٣٠٥ .

(٢٣١) البيهقى : المحاسن والمساوىء ص ٦٢٣ بيروت ١٩٦٠ .

(٢٣٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١٤ .

(٢٣٣) نسبة الى مدينة سليمانان من أعمال خوزستان ، ويطلق هذا الاسم على السكر عندما يغلى للمرة الثانية ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٢ ، ص ١٥ .

والفانيد(٣٣٤) والسنجرى(٣٣٥) والطبرزد(٣٣٦) .

وكانت مزارع القصب تكثر فى اقليم خوزستان ، واشتهرت مدينة جند يسابور بأنها من مراكز صناعة السكر حتى قيل أن عامة سكر خراسان والجبل منها(٣٣٧) وقد ذكر المقدسى(٣٣٨) أن « كل سكر تراه ببلاد الأعاجم والعراق واليمن فمن خوزستان » .

---

(٢٣٤) ويطلق على السكر اذا غلى للمرة الثالثة وصب فى قوالب على هيئة ثمرة الاناناس ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٢ ، ص ١٥ .

(٢٣٥) نسبة الى اقليم سنجر ، وهو السكر السلطانى ، دائرة المعارف ، جـ ١٢ ، ص ١٥ .

(٢٣٦) وهو ما يطلق على السكر اذا غلى للمرة الثالثة واضيف اليه فى هذه الغلوة عشر مقداره من اللبن فانه يعرف باسم سكر طبرزد أو (السكر المكنة) ، دائرة المعارف ، جـ ١٢ ، ص ١٥ .

(٢٣٧) لسترنج : ص ٨١ ٢، متز : جـ ٢ ، ص ٢٦١ .

(٢٣٨) أحسن التقاسيم ، ص ٤١٦ .

٢ — النشـــاط التجـــارى

(أ) المراكز التجـــارية :

١ — بغــــــداد :

كان لبغداد أهميتها كمركز من مراكز التجارة الداخلية والخارجية فقد حفلت هذ المدينة بالأسواق التى تركز معظمها فى الكرخ — جنوب بغداد — وكان لكل صنف من أصناف التجارة موضع خاص[١] وكانت السوق العظمى فى ربض الكرخ[٢] تضم أسواقا عديدة منها « دار البطيخ » وهو سوق لبيع الفاكهة[٣] ، وسوق دار القطن[٤] وسوق البزازين وقد بناه عضد الدولة ووقف عليه أوقافا كثيرة ، وســوق الوراقين وبه أكثر من مائة حانوت لبيع الكتب[٥] وسوق الطعــام وفيه تباع الحبوب ، ويقع عند مصب نهر الدجاج[٦] بنهر دجله[٧] وكان سويق الحمص يباع بمقادير كبيرة ، اذ قدر الخطيب البغدادى ما كان يبيعه رجل واحد من سويق الحمص المطحون فى كل سنة مائة وأربعين كرا[٨] وكان هناك فى بغداد أسواق للباعة الجائلين يأتون

---

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١ ، ص ٧٩ ، ابن الجوزى ، مناقب بغداد ، ص ١٣ ، ٦٤ .

(٢) وتمتد هذه السوق من قصر وضاح الى سوق الثلاثاء طــولا بمقدار فرسخين وعرضا بمقدار فرسخ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٢٣٣ ، تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، مناقب بغداد ، ص ١٣ .

(٣) تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٩٠ ويباع فى هذا السوق جميــع الفواكه والرياحين .
الثعالبى : ثمار القلوب ، ص ٤١ .

(٤) التنوخى : الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ .

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٢ ، ص ٣٨٤ .

(٦) نهر الدجاج : نسبة الى بائعى الدجاج حيث كانوا يجلسون على جانبيه .
الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، هامش ص ١٦٢ .

(٧) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ١١٣ .

(٨) تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ١١٩ .

من المدن المجاورة الى بغداد فى الصباح وينصرفون عنها فى المساء ومن هذه الاسواق سوق الزياتين على قنطرة الزياتين جنوب نهر المحول ، ثم سوق باعة الأشنان[٩] على قنطرة الأشنان ، وسوق الشوك على قنطرة الشوك على نهر عيسى ، ثم سوق الثلاثاء فى الجانب الشرقى من بغداد[١٠] .

وعند مصب نهر عيسى الأعظم بدجلة شيدت مخازن التجار وبالقرب منها أسواق كثيرة[١١] ، وفى موقع متوسط ما بين باب الكوفة وباب الشام أقيمت الأسواق الأربعة ، التى كانت مركزا لاحدى محلات بغداد المزدحمة بالسكان وتعرف باسم فارس عربى هو « شارسوق » أو « شهار سوق » أى جهار سوق ومعناها فى الفارسية الأسواق الأربعة[١٢] ، وتتصل بهذه السوق من جهة الغرب أسواق النصرية والعتابية ودار القز ، وقد اشتهر سوق العتابية بما كان يباع فيه من الثياب العتابية ، أما دار القز فهى ربض واسع اشتهر بصنع الكاغد[١٣] .

وليس أدل على نشاط أسواق بغداد من شدة الزحام الذى كانت تشهده تلك الأسواق ويؤيد ذلك قول المقدسى :[١٤] « والناس ببغداد يذهبون ويجيئون ويعبرون فى السفن وترى لهم جلبة وضوضاء » .

---

(٩) الاشنان : نوع من النبات يجفف ثم تغسل به الملابس أو اليدين ويستعمل بدلا من الصابون من قبل ذوى الدخل المحدود . حمدان الكبيسى : أسواق بغداد ص ٥٦ دكتوراه جامعة القاهرة .

(١٠) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١١١ ، ١١٣ ، ابن الجوزى : مناقب بغداد ص ١٨ .

(١١) لسترنج : بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، ص ٨٢ .

(١٢) بنى هذه الاسواق الهيثم بن معاوية احد قواد الخليفة المنصور وأقام بها الشوارع والدروب ومخازن السلع . تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٨٣ .

(١٣) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١١ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٧ ، ص ٥٤٢ .

(١٤) احسن التقاسيم ، ص ١٢٤ .

كذلك كانت بغداد مركزا هاما للتجارة الخارجية فى العراق ، وقد ساعد على ذلك موقعها الجغرافى اذ أنها ملتقى كثير من الطرق التجارية • فدجلة والفرات تصل بينها وبين الطرق البحرية فى الجنوب ، وبينها وبين أرمينية والشام فى الشمال والغرب ، على حين نجد طريق بغداد — خراسان الكبير جعلها مركزا لتجارة فارس وأواسط آسيا(١٥) •

ساعد موقع بغداد المتميز على تدفق السلع على أسواقها ، كما تدفقت اليها الأموال والميرة من الأمصار(١٦) ولم يلاق تجار بغداد صعوبة فى استيراد بضائعهم ، وتيسر لهم تزويد أسواق بغداد بالسلع التى كانت ترد اليهم عن طريق نهرى دجلة والفرات ، بالاضافة الى ما كان يرد اليها من بضائع الطرق البرية التى تأتى بها القوافل من بلاد الشام والموصل أو جزيرة العرب أو بلاد فارس(١٧) •

وكانت ترد على أسواق بغداد سلع الشرق التى تحملها مراكب الهند والصين الى البصرة والأبلة • ولذا كانت بغداد أشبه بحى تجارى يعرض فيه التجار أمتعتهم وسلعهم ويتفقون على الأسعار(١٨) •

٢ ــ البصــــرة :

كانت تلى بغداد فى الأهمية التجارية ، وهى مدخل العــراق الجنوبى وتقع فى ملتقى البحر والسهل والخصب والصحراء : « اذ هى

---

(١٥) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٢٠ •

(١٦) الجهشيارى (توفى سنة ٣٣١ هـ) : الوزراء والكتــاب ، ص ٢٨١ — ٢٨٨ •
، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٥٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ، المقدسى : ص ١٢٠ ، ١٣٨ ، ٢١٢ ، ٢٤٠ •

(١٧) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٤٤ •

(١٨) محمد كرد على : تاريخ الحضارة فى القرون الوسطى ، ص ٤٦ •
ويذكر آدم متز ان بغداد والاسكندرية هما اللتان تقرران الاسعار للعالم فى ذلك العصر فى البضائع الكمالية على الأقل •
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجــرى ج ٢ ص ٢٧٢ الطبعة الثانية ١٩٤٨ •

مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين »[١٩] قال عنها الجاحظ :[٢٠] « انها باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا » .

كان للبصرة سوق كبير يقام فى ثلاث نواح منها كل يوم ، ففى الصباح يجرى التبادل التجارى فى سوق خزاعة ، وفى الظهر فى سوق عثمان ، وفى المغرب فى سوق القداحين وكان كل من لديه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ثم يشترى ما يلزمه ويحــول الثمن على الصراف ، وبذلك لا يستخدم المشترى شيئا أثناء اقامته بالمدينة سوى صك الصراف[٢١] وكان « المربد »[٢٢] مركز تجارة البصرة لوقوعه عند باب البصرة الغربى ، مما جعله على اتصال وثيق بتجارة الجزيرة العربية[٢٣] .

تعد الأبله ميناء البصرة الذى يصلها بالخليج الفارسى[٢٤] ، وكانت السفن والزوارق النهرية تزدحم فى هذا الميناء ، وقد أكــد ناصر خسرو[٢٥] ذلك بقوله : « كان نهر الأبله مرصوفا (مزدحما) بصورة مستمرة ، وقد صرفت مبالغ كبيرة لانشاء أدراج صخرية على ضفافه لبمكن النزول الى مستواه المنخفض وقت الجزر تسهيلا لشحن البضائع وتفريغها وأنشىء بالأبله عدة أسواق وخانات لنزول المسافرين واقامة الوافدين اليها[٢٦] .

---

(١٩) المقدسى : ص ١١٧ .
(٢٠) التبصر بالتجارة ، ص ٣ .
(٢١) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٩٦ .
(٢٢) المربد : المكان الذى تربط به الأبل وهو أيضا المكان الذى يجمع فيه التمر .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ١٢ .
(٢٣) سعيد الأفغانى : أسواق العرب ، ص ٤٠٧ .
(٢٤) المقدسى ، ص ١١٧ .
، عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٣١ .
(٢٥) سفر نامه ، ص ٩٩ .
(٢٦) المقدسى : ص ١١٧ ، ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ٩٩ .

كان أهل البصرة من أنشط التجار فى الدولة الاسلامية بصفة عامة ، فجابوا بلادا كثيرة واصقاعا نائية طلبا للكسب والربح ، وقد أثنى ابن الفقيه الهمدانى[٢٧] • على نشاط البصريين فقال : « أبعد الناس نجعة فى الكسب بصرى وحميرى ، ومن دخل فرغانه القصوى والسوس الأقصى[٢٨] ، فلابد أن يرى فيها بصريا أو حميريا » وأشار ابن حوقل[٢٩] أيضا الى اتساع مجال النشاط التجارى فى البصرة على عهده فقال : « وأما ارتفاعها (ايرادها) وقتنا هذا من وجوه أموالها كلها وجباياتها من أعشارها ومصالحها وضمان البحر بلوازم المراكب فانه زاد وكثر وغلا وغزر » •

وكانت السفن التجارية تأتى الى البصرة محملة بسلع التجارة الشرقية وتعود بما تحمله من سلع العراق ، وتوج نشاط البصرة التجارى ظهور طبقة من كبار التجار الأثرياء الذين أجادوا استثمار الأموال واعداد الصفقات التجارية الكبرى ومستلزماتها من السلع والسفن[٣٠] •

أدى تركز النشاط التجارى فى البصرة الى تأثر بعض المراكز التجارية فى الخليج والتى لم تستطع الصمود أمام تطور مركز البصرة التجارى مثل « دارين »[٣١] بالبحرين كما ورثت البصرة نشاط الأبله[٣٢] اذ تحول نشاط الأبله الى البصرة وغدت ثغرا ثانويا لتجارة

---

(٢٧) مختصر كتاب البلدان ، ص ٥١ •

(٢٨) يعنى بذلك اقصى حدود الدولة الاسلامية شرقا وغربا •

(٢٩) المسالك والممالك ، ص ٢١٤ •

(٣٠) الدورى : مقدمة فى التاريخ الاقتصادى ، ص ٦٩ (بيروت ١٩٦٩ م) •

(٣١) كانت دارين فى صدر الاسلام مركزا هاما لتجارة السلع الشرقية ، فلم يلبث أن انتقل تجار دارين الى البصرة وحولوا نشاطهم وثرواتهم اليها •
صالح العلى : التنظيمات الاقتصادية والادارية فى البصرة ، ص ٢٥٨•

(٣٢) الابله : مدينة قديمة اشتهرت فى النقوش الاكادية باسم ابو لوم وعند اليونان باسم ابو لوجوس وقد تضاءل شانها قبل مجىء الفرس

البصرة ، وزاد عمران البصرة نتيجة تحول نشاط الموانىء القديمة المجاورة لها[٣٣] .

٤ — الكوفــة :

وتقع على الطرف الشرقى لبادية الشام على حافة الصحراء[٣٤] ، فهى ملتقى القوافل القادمةمن الجزيرة العربية والحجاز ، ومن مراكزها التجارية (الكناسة) وتقع عند الباب الغربى قرب البادية[٣٥] وكان موضعا لاناخة الأبل ونقل البضائع وتفريغها وفضلا عن ذلك كان يباع فيها الماشية[٣٦] .

أما أسواق الكوفة فكانت كثيرة وعامرة ، وتمتد من جسر الكوفة الى وسط المدينة ، وقد عقدت سقوفها بالأحجار والجص ، ومن أشهرها سوق البراذين ، وكانت تباع فيه البغال والحمير والابل ، ويقع هذا السوق بجانب سوق الحدادين[٣٧] .

وكانت الآلات الحديدية كالسيوف والرماح وغيرها تصنع فى سوق الحدادين ، وكانت الأغنام تباع فى سوق يقع شرق الكناسة على تخوم قبيلة مذحج[٣٨] ، وسوق لبيع الحنطة والسويق[٣٩] ، وسوق

الساسانيين الى الحكم ، ومن ثم أعاد بنائها كسرى اردشير فازدهرت الى أن تأسست البصرة نتضاءل شأنها ثانية وتبعد آثارها الآن بحوالى ٧٥ كيلو مترا عن شاطىء الخليج العربى فى المنطقة التى توجد بها الآن فى مدينة المحمرة فى اقليم عربستان فى ايران .

جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٢٠ ((بيروت ١٩٦٨ م) .

(٣٣) المقدسى : ص ١١٤ .

(٣٤) المقدسى : ص ١١٧ .

(٣٥) المقدسى : ص ١١٧ .

(٣٦) ماسينيون : خطط الكوفة ص ٢٢ ترجمة تقى المصعبى ، صيدا ١٣٦٥ هـ .

(٣٧) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٦٦ .

(٣٨) ماسينيون : خطط الكوفة ص ٣١ .

، الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٦٦ .

(٣٩) خطط الكوفة : ص ٣٦ .

البزازين لبيع المنسوجات والأقمشة على اختلاف أنواعها[٤٠].

أما سوق الصيارفة والسماسرة ، فكانت من أهم وأشهر أسواق الكوفة نظرا لأهميتها فى المعاملات التجارية والمالية ، وبجوار هذا السوق تقع حوانيت سماسرة العبيد ، ثم المكارية فى حوانيت الكناسه[٤١] وسوق الزياتين يباع فيه الزيت المستخرج من السمسم وبذور القطن والكتان ، وتقع هذه الأسواق قرب قصر الامارة[٤٢] .

٥ — واسط :

استقر عدد كبير من التجار فى مدينة واسط واستوطنوها ، لما تتميز به من خصائص هامة فكانت تقع فى منطقة وسط المسافة بين بغداد والبصرة والأهواز والكوفة فضلا عن أنها ملتقى طرق القوافل التجارية القادمة من هذه المناطق ، كما أن وقوعها على نهر دجلة جعل مينائها ترسو فيه السفن التجارية القادمة من جنوب العراق وشماله وعلى هذا فقد أقيمت فى هذه المدينة الأسواق التجارية لبيع وشراء مختلف البضائع والمنتجات . وقد أثنى المقدسى[٤٣] على جمال أسواقها ومن أشهرها سوق الخيول .

٦ — الموصل :

كانت الموصل قاعدة اقليم الجزيرة مركزا هاما للتجارة . وكانت تلتقى فيها الطرق التجارية الآتية من آذربيجان وأرمينية وجنوب العراق[٤٤] . وقد زاد موقعها على نهر دجلة من أهميتها التجارية وقال عنها ياقوت الحموى[٤٥] انها « باب العراق ومفتاح خراسان ورأس طريق آذربيجان » وكانت الموصل تمد العراق بالحبوب فى أوقات الشدة

---

(٤٠) خطط الكوفة : ص ٢٢ .
(٤١) خطط الكوفة : ص ٢٣ .
(٤٢) الطبرى : جـ ٧ ، ص ٦٥٦ .
(٤٣) أحسن التقاسيم ، ص ١١٨ .
(٤٤) ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ٢١٥ .
(٤٥) معجم البلدان : جـ ٤ ، ص ٦٨٣ ، بيروت .

وقد زار ابن حوقل الموصل سنة ٣٥٨ هـ فأعجب بأسواقها الواسعة وذكر أن بها لكل جنس من الأسواق الاثنين والأربعة والثلاثة ، كما يكون فى السوق المائة حانوت أو أكثر[٤٦] كما أثنى المقدسى[٤٧] على حسن أسواقها التى كان أكثرها مسقوفا ومنشآتها التجارية التى أعدت لسكنى الغرباء ، وكان بالموصل قيسارية للتجار وصفها ابن جبير[٤٨] بقوله : « كأنها الخان العظيم تنغلق عليها أبواب حديد ، وتطيف بها دكاكين بعضها على بعض ، وقد تجلى ذلك كله فى أعظم صورة من البناء والزخرفة التى لا مثيل له فما وجد فى البلاد قيسارية تعد لها » .

وكانت أسواق الموصل التى تقام عادة كل أسبوع تمون أسواق بغداد بالميرة والحبوب وتصدر اليها الدقيق والسكر والعسل والجبن وغيرها من السلع[٤٩] ، اذ أن أكثر صنوف التجارة فى أسواق الموصل من حاصلات أرضه[٥٠] .

أما فى المشرق فقد جرت العادة بأن تكون الحوانيت صفوفا فى مكان واحد كالدار التى بناها عضد الدولة البويهى بمدينة كازرون — وكانتمركز نسج الكتان — وبلغ دخلها كل يوم عشرة آلاف درهم[٥١] . وكانت تمور كازرون وثيابها القطنية تتمتع بشهرة فائقة فى كثير من البلاد[٥٢] .

٧ — أصبهان (أصفهان) :

وهى من المدن التى اشتهرت بأسواقها التى حفلت بالسلع الثمينة النادرة والأمتعة النفيسة الفاخرة مثل طرائف بغداد وخزوز (جمع خز) الكوفة وديباج الروم وتستر وبز مصر وقباطيها وجواهر

---

(٤٦) المسالك والممالك ، ص ٢١٥ .
(٤٧) أحسن التقاسيم ، ص ١٣٨ .
(٤٨) رحلة ابن جبير ، ص ٢١ .
(٤٩) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٧٠ .
(٥٠) المقدسى : ص ١٤٥ ، لسترنج ، ص ١٥٧ .
(٥١) أحسن التقاسيم ، ص ٤٣٤ .
(٥٢) أحسن التقاسيم ، ص ٤٣٤ .

البحرين وابنوس عمان ونوادر الصين وفراء خراسان وخشب طبرستان واكسية آذربيجان وأصوافها وفرش أرمينية وكذلك العقاقير والأدوية(٥٣) • وقد رأى ناصر خسرو أثناء اقامته بهذه المدينة فى أوائل سنة ٤٤٠ هـ سوقا من أسواق الصرافين به مائتا صراف(٥٤) •

كان لكل طائفة من تجار أصبهان سوق خاصة بتجاراتهم ، ولكل سوق سور وباب محكم وعبر ناصر خسرو عن اعجابه بهذه المدينة حين زارها بقوله :(٥٥) « انه لم ير فى كل البلاد التى تتكلم الفارسية مدينة أجمل ولا أكثر سكانا وعمرانا من أصبهان » •

٨ — كرمان :

وهى من المدن التى اشتهرت بتجارتها فقدذكر المقدسى أن فى كرمان تمورا وذرة ، وتحمل من كرمان التمور الى خراسان ، كما تحمل من هذه المدينة غلات ناحية « ولاشجرد »(٥٦) الى هرمز حيث تنقل فى السفن الى أقاصى البلدان(٥٧) •

٩ — نيسابور :

اشتهرت نيسابور من بين مدن اقليم خراسان بأسواقها • ومن أعظمها سوقان أحدها يعرف بالمربعة الكبيرة والآخر يعرف بالمربعة الصغيرة ، وهى أسواق مكتظة بالدكاكين وفيها خانات وفنادق يسكنها التجار ، وفيها التجارات كل صنف منها على حدة ، وتجارها أثرياء

---

(٥٣) المافروخى الاصفهانى : (من علماء القرن الخامس) ، محاسن اصفهان ، ص ٨٣ ، ٨٤ . طبعة اولى ، طهران .

(٥٤) سفر نامه : ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٥٥) سفر نامه : ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٥٦) ولاشجرد : مدينة تبعد خمسين ميلا جنوب غربى جيرفت فى اقليم كرمان .
لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٥٥ .

(٥٧) المقدسى : ص ٤٧٠ ، لسترنج : ص ٣٥٨ .

وتؤمها السابلة والقوافل كل يوم[٥٨] ، ويذكر لسترنج[٥٩] أن فى نيسابور اثنتان وأربعون محلة منها ما يكون فى نصف شيراز ودروبها المؤدية الى الأبواب زهاء الخمسين .

وكانت طرق الأسواق فى نيسابور عرضة للأمطار والأعاصير . فلما ولى أمر هذه المدينة أبو على بن العباس (من قبل السلطان محمود الغزنوى) استحث الناس على تسقيفها فاستجابوا له ، ولم يمض شهران حتى غطيت هذه الطرق بسقوف مقامة على ركائز من الخشب وقدرت تكاليف هذا العمل بمائة ألف دينار دفعها أرباب السوق[٦٠] .

١٠ — بلخ :

اشتهرت أسواق بلخ بالسمسم واللوز والجوز والزبيب والصابون والعسل وكان فى أطرافها معادن الرصاص والكبريت ، وكانت تحمل منها الجلود المدبوغة الى كثير من البلدان[٦١] . وكانت أسواق بلخ حول المسجد الجامع[٦٢] ، ويحمل اليها الأرز من أبشين وشورمين (فى بلاد غرجستان) وكذلك الزبيب[٦٣] كما غمرت أسواق بلخ بانتاجها من النارنج والنيلوفر وقصب السكر والأعناب التى تحمل الى سائر الجهات[٦٤] وتحدث المقدسى عن أسواق بلخ ورخص أسعارها[٦٥] . وكان سوق العشاق (بازار عاشقان) من الأسواق

---

(٥٨) ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ٣١٠ ، ٣١٢ .
، لسترنج : ص ٤٢٢ ، ٤٢٦ .
(٥٩) بلدان الخلافة ص ٤٢٦ نقلا عن المقدسى .
(٦٠) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
(٦١) المقدسى : ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٦٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٨ — ٢٨٠ ، لسترنج : ص ٤٥٨ .
(٦٣) المقدسى : ص ٣٠٩ — ٣٤٨ ، لسترنج : ص ٤٥٨ .
(٦٤) لسترنج : ص ٤٦٢ .
(٦٥) المقدسى : ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، لسترنج : ص ٤٦٣ .

التى أمر السلطان محمود الغزنوى بانشائها فى بلخ[٦٦] .

١١ — الاهواز : كانت الاهواز تحتل المركز الاول فى تجارة خوزستان ، ورغم ما عانته هذه المدينة من ثورة الزنج فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى الا أن عضد الدولة البويهى أعاد بناء قسم منها فى القرن الرابع الهجرى ، وأشار المقدسى الى البضائع التى كانت تصل الى الاهواز من الاطراف مما جعل هذه المدينة خزانة البصرة[٦٧] .

١٢ — الرى : وكانت من المراكز التجارية فى اقليم طبرستان ولها شهرة واسعة بما تصدره من أصناف النسيج ، وكان يرتفع منها خشب الخلنج ، وكان أهلها يصنعون من هذا الخشب الاطباق والقصاع والأوانى[٦٨] . هذا فضلا عما كانت تصدره الى البلاد المجاورة من الفواكه التى اشتهرت بكثرتها ورخصها كالتين والخوخ والعنب[٦٩] .

١٣ — بخارى : وكانت سوقا رئيسيا تلتقى فيها تجارة الصين وآسيا الغربية ، فضلا عما كانت تنتجه من الحبوب والفاكهة والقمح والحرير والخضاب (الحناء) وكلها لا نظير لها فى الجودة[٧٠] .

١٤ — سمرقند : تعد فرضة تجارية عظيمة لبلاد ما وراء النهر . وكان سوق سمرقند الكبير يعرف برأس الطاق ، ويتميز بأن معظم طرقه مفروشة بالحجارة ، ويزخر هذا السوق بالسلع التى ترد اليه من البلاد المجاورة ، ومن جملة ما اشتهر به الكاغد السمرقندى[٧١] .

١٥ — سيراف : كانت من أهم المراكز التجارية فى المشرق ، وتقع على الخليج الفارسى ، وتمر بها صادرات فارس ووارداتها ، كما

---

(٦٦) البيهقى : ص ٦٠١ .
(٦٧) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
(٦٨) لسترنج : ص ٢٦٢ .
(٦٩) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٧٦ ، لسترنج : ص ٢٦٢ .
(٧٠) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥ ، ٣٣ .
(٧١) المقدسى : ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، لسترنج : ص ٥٠٨ .

اتخذت مرسى للسفن التى تنقل تجارة العرب والفرس الى بلاد الصين[٧٢] وكانت البضائع تنقل فى سفن صغيرة من البصرة وغيرها من موانى الخليج الفارسى الى سيراف حيث تنقل الى السفن الكبيرة[٧٣] . ويرد اليها السلع النادرة والثمينة من الهند مثل العود والعنبر والكافور والجواهر والخيزران — والعاج والابنوس والادوية والتوابل[٧٤] ويصدر منها الفوط وأزر الكتان فضلا عن أنها كانت سوقا كبيرة للؤلؤ[٧٥] .

نافست سيراف البصرة فى القرن الرابع الهجرى حتى كادت تحتل المركز الرئيسى لتجار الخليج الفارسى مع الهند والصين وشرق أفريقيا وبلغت المكوس التى كانت تجبى من السفن فى سيراف أواخر القرن الثالث الهجرى نحو من مائتين وثلاثة وخمسين ألف دينار فى كل عام[٧٦] .

وأشار ابن حوقل الى أن أهالى سيراف استثمروا أموالهم فى البصرة نفسها ، فقد قابل (أى ابن حوقل) فى البصرة التاجر السيرافى أبو بكر أحمد بن عمر السيرافى ، وكانت أعماله التجارية متعددة . وقل أن يقلع مركب الى ناحية من نواحى الهند أو الزنج (شرق أفريقيا) أو الصين الا وهذا التاجر مشارك فيه ، وليس أدل على عظم ثراء هذا التاجر من قول وكيله لابن حوقل « ان هذا التاجر قد أصابه مرض خاف منه على نفسه من الموت ، فأوصى بثلث ماله ، لأنه لا وارث له ، فبلغت وصيته تسعمائة ألف دينار[٧٧] .

---

(٧٢) Heyd : Hist. du commerce de levant. Tom, 1, p. 72.
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٥٢ .

(٧٣) حورانى : العرب والملاحة ، ص ٢٠٧ .

(٧٤) التوابل : ويقال لها بالعربية بربهار . لسترنج ، ص ٣٣٠ .

(٧٥) بلدان الخلافة ، ص ٣٣٠ .

(٧٦) آدم متز : ج ٢ ، ص ٤٣٢ .

(٧٧) المسالك والممالك : ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

وكان معظم أهل سيراف[٧٨] يشتغلون بالتجارة وركوب البحر ، وقد روى الاصطخرى أن رجلا منهم ألف ركوب حتى ذكر أنه لم يخرج من السفينة نحوا من أربعين سنة ، وكان اذا قارب البر أخرج صاحبه لقضاء حوائجه فى كل مدينة ، واذا انكسرت السفينة التى يركبها تحول عنها الى أخرى[٧٩] .

١٦ — **مهرويان** : ويقع ميناء مهرويان على حد فارس الغربى بالقرب من فم نهر شيرين[٨٠] وكانت أول فرضة تصلها السفن الذاهبة إلى الهند بعد خروجها من البصرة وفيض دجلة .

وتعد مهرويان فرضة أرجان (فى اقليم فارس) وكانت فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) مدينـــة آهلة وأسواقها عامرة ، ويسميها الفرس « ماهى رويان » أو مهرويان . وينسج فيها الكتان ويحمل منها التمر ، غير أن الملاحة وسير السفن أهم مورد لأهلها[٨١] ووصفها ناصر خسرو[٨٣] فقال : « هى مدينة على ساحل البحـــر فى جانبه الشرقى ، أسواقها عامرة ، .... ويحفظ أهلها الماء فى حياض ، وبنى بها ثلاثة ربط ينزل فيها من قصد أرجان من المسافرين وتجارتها عظيمـــة » .

(ب) الاســـعار : تأثرت الاسعار بوفرة الانتاج وقلته ، ونظام الرى والآفات الزراعيـــة والفيضانات والكوارث الطبيعية ، واحتكار التجار لبعض المواد الغذائية .

---

(٧٨) من الجدير بالذكر انه حدث زلزال بسيراف سنة ٣٦٦ هـ أو ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م اضطر أهلها الى الهرب الى البحر وتهدم اكثر دورها .
Lamb : A visit to siraf p. 2 (J. R. A. S. V. 37 Part 1 1964)
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، هامش ص ١٥٣ ، لسترنج ، ص ٢٩٤ .
(٧٩) المسالك والممالك : ص ٨٣ .
(٨٠) وهو نهر طاب الحديث أو زهره — لسترنج ، ص ٣٠٨ .
(٨١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٠٩ .
(٨٢) سفر نامه : ص ١٠٠ .

وكان للأحداث السياسية وما تتعرض له البلاد من الفتن والاضطرابات والثورات أثر بالغ فى ارتفاع الاسعار ، فغلت الاسعار فى بغداد سنة ٣٢٣ هـ حتى بلغ ثمن الكر من الحنطة مائة وعشرين دينارا والشعير تسعين دينارا(٨٣) ، وارتفع سعر الكر من الدقيق من مائة وثلاثين الى مائة وستين دينارا سنة ٣٢٩ هـ(٨٤) ثم بلغ ثلاثمائة دينار سنة ٣٣٠ هـ(٨٥) ، وفى سنة ٣٣٢ هـ تكرر حدوث الغلاء(٨٦) حتى بيع القفيز الواحد من الدقيق الخشكار(٨٧) بنيف وستين درهما(٨٨) وفى سنة ٣٣٤ هـ بيع المكوك من الحنطة بخمسة وعشرين درهما ، والكر بعشرة آلاف درهم(٨٩) وفى سنة ٣٤٩ هـ غلا السعر ببلاد الموصل فبلغ الكر من الحنطة ألفا ومائتى درهم والكر من الشعير ثمانمائة درهم(٩٠) وفى سنة ٣٥٨ هـ بيع كر الحنطة بتسعين دينارا وعدم الخبز(٩١) وفى رجب سنة ٣٦٤ هـ زادت الاسعار وعدمت الاقوات وبيع الكر من الدقيق الحوارى بمائة ونيف وسبعين دينارا والتمر ثلاثة أرطال بدرهم ، وضاقت العلوفة فبيع حمل التبن بعشرة دراهم(٩٣) .

---

(٨٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٧٧ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ، ص ٢٥١ ، مصر ١٣٥٣ هـ .

(٨٤) مسكويه : تجارب الامم ، جـ ٦ ، ص ٨ ، ابن الأثير : جـ ٦ ، ص ٢٨١ .

(٨٥) الذهبى : دول الاسلام ، جـ ١ ص ١٤٩ ، حيدر اباد ، ١٣٦٤ هـ .

(٨٦) الصولى : الاوراق ، ص ٢٥١ .

، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٨٧) الخشكار : الدقيق الذى لم تنزع نخالته .

(٨٨) المنتظم : جـ ٦ ، ص ٣٣٥ .

، ابو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٩٦ .

(٨٩) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ٨٣ .

، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٩٠) ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ١٩١ ، مصر ١٢٩٠ هـ .

(٩١) المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٤٧ .

(٩٢) المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٧٦ .

وفى رجب سنة ٣٧٦ هـ زاد السعر فبيعت الكارة[٩٣] من الدقيق الخشكار بنيف وتسعين درهما[٩٤] ، وفى السنة التالية بيعت الكارة من الدقيق الخشكار بمائة وخمسة وستين درهما ثم زاد السعر فبلغ الكارة الخشكار مائتين وأربعين درهما ، وفى سنة ٣٧٨ هـ بيعت الكارة الدقيق بستين درهما[٩٥] وفى ذى الحجة من سنة ٣٨٣ هـ بلغ كر الحنطة ستة آلاف وستمائة درهم ، والكارة الدقيق مائتين وستين درهما[٩٦] .

استمر الغلاء سنة ٣٨٣ هـ فبلغ سعر كر الحنطة ٦٠٠ر٦ درهم[٩٧] ، وسعر الدقيق الخشكار (بنخالته) ثلاثة دنانير مطيعية سنة ٣٩١ هـ لكل ٢٤٠ رطلا أى أن الرطل يساوى ٢٥ر٠ من الدرهم ، ثم ارتفع السعر فبلغ ٤٠ر٠ من الدرهم للرطل[٩٨] ، وفى أوائل صفر سنة ٣٩٣ هـ غلت الاسعار وعدمت الحنطه ، وبلغ الكر من الحنطه مائة وعشرين دينارا[٩٩] ثم غلت الاسعار سنة ٣٩٧ هـ فكان سعر الكر من الحنطه ١٢٠ دينارا أى أن سعر الرطل ٩٦ر٠ درهم[١٠٠] .

وفى سنة ٤١٦ ظهر أمر العيارين فى بغداد فأحرقوا الكرخ وغلا السعر حتى بيع الكر من الحنطه بمائتى دينار[١٠١] ، وعم الغلاء سائر

---

(٩٣) الكارة : مكيال يتعامل به أهل العراق ويساوى تفيزين أو ١٦ مكوكا .
حمدان الكبيسى : أسواق بغداد ، ص ٢٠٧ ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة .
(٩٤) المنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٣٢ .
(٩٥) المنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٤١ .
(٩٦) المنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٧٢ .
(٩٧) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٥ ، الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٢٤٧ .
(٩٨) الصابى : تحفة الأمراء ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .
، الدورى : ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٩٩) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
(١٠٠) ابن الاثير : جـ ٩ ، ص ٧٦ ، الدورى : ص ٢٤٧ .
(١٠١) ابن الاثير : جـ ٩ ، ص ١٣٠ .

بلاد العراق سنة ٤٣٩ هـ حتى أكل الناس الميته ، وتبع ذلك وباء مات فيه كثير من الناس حتى خلت الاسواق[١٠٢] .

وفى سنة ٤٣١ هـ ارتفعت أسعار الخبز فى نيسابور وطوس ، فبلغ ثمن المن من الخبز ثلاثة عشر درهما وكان نادرا ، أما الشعير فلم يره أحد ، وهلك كثير من الناس والدواب من شدة القحط[١٠٣] .

(جـ) الرقابة على الاسواق (الحسبة) : كانت الدولة العباسية تشدد رقابتها على الأسواق ، وتتابع سير التعامل التجارى فيها ، وكان للخليفة موظفون يزودونه بكل ما يجرى فيها ، ويشترط فيهم الورع والتقوى[١٠٤] ، فضلا عن كونه مسلما بالغا حرا[١٠٥] عفيفا عارفا بالامور ، محنكا فطنا ، لا يميـل ولا يرتشى[١٠٦] ، وأن يكون قوله موافق لفعله ومواظبا على سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ومن شيمته الرفق ولين القول[١٠٧] .

ومن الامور التى يجب توافرها فى المحتسب إلمامه بوحدات الوزن والكيل والاذرع المستعملة فى الاسواق والتحقق من صحتها[١٠٨] واذا

---

(١٠٢) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٢٠٢ .

(١٠٣) تاريخ البيهقى : ص ٦٧١ — ٦٧٤ ، ٦٧٥ .

(١٠٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٧٤ ، جـ ٦ ، ص ٢٨٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٧ .

(١٠٥) ابن الرفعة : الرتبه فى الحسبة ورقة ١٤ ، الغزالى : احياء علوم الدين ، جـ ٢ ص ٢٨٨ ، ابن الاخوة ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، ص ٧ .

(١٠٦) ابن الرفعة : الرتبة فى الحسبة ، ورقة ١٤ أ .

، الغزالى : احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨ .

(١٠٧) الماوردى : الرتبة فى طلب الحسبة ورقة ٨ أ (مخطـوط) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٧ ، ٨ ، ابن الرفعة : الرتبة فى الحسبة ، ورقة ١٧ .

(١٠٨) الماوردى : الرتبة فى طلب الحسبة ، ورقة ٤٧ أ ، ٤٩ أ ، ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام ، ص ١٠ ، الشيزرى : ص ١٥ .

شك فى موازين أهل السوق ومكاييلهم جاز له أن يختبرها ويعايرها(١٠٩) .

بلغ من أهمية منصب المحتسب أن تنافس كبار رجال الدولة على توليه ، فسعى محمد بن ياقوت صاحب الشرطة فى بغداد الى تولى هذا المنصب فقلده الخليفة المقتدر الحسبة فى بداية عام ٣١٩ هـ ، غير أنه ما لبث أن صرف عنه بسعاية مؤنس القائد وولى بدلا منه ابراهيم بن محمد بن بطحا(١١٠) على أساس أن الحسبة لا يتولاها الا القضاة والعدول(١١١) .

وفى القرن الرابع الهجرى تعددت اختصاصات الحسبة فأصبح للمحتسب الاشراف على سوق الرقيق ودار الضرب(١١٢) ، وصار مسؤولا عن تنظيم جلوس الباعة فى أسواقهم بحيث جعل لأهل كل منهم سوقا يختص بهم(١١٣) ، كما كان عليه المحافظة على شكل الاسواق من حيث ارتفاع واتساع الدكاكين بحيث تسمح بوجود ممرات (أرصفة) يمشى عليها الناس(١١٤) . ولا يجوز لأحد من أهل السوق اخراج مصطبة دكانه عن سمت أركان السقايف الى الممر لأن فيه عدوان وتضييق على المارة(١١٥) .

---

(١٠٩) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٠ ، ابن الرفعة : الرتبة فى الحسبة ، ورقة ٤٥ ب . وله أن يأمر أصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الادهان والأوساخ .

الشيزرى : ص ١٨ ، ابن الرفعة : ورقة ٤٥ ب ، ابن الاخوة : ص ٨٠-٨٣ ، ٨٤ .

(١١٠) مسكويه : تجارب الامم ، ج ٥ ، ص ٢١١ ، ابن الاثير : ج ٦ ، ص ٢١٣ .

(١١١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٦ .

(١١٢) الدورى : نشوء الاصناف والحرف فى الاسلام ، ص ١٤٨ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الاول ١٩٥٩ م .

(١١٣) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١ .

(١١٤) الشيزرى : ص ١١ .

(١١٥) الشيزرى : ص ١١ ، ابن الرفعة : الرتبة فى الحسبة ، ورقة ٤٢ ب ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٧ .

كان المحتسب يلزم الباعة باتخاذ الارطال والاواقى من الحديد وختمها بخاتم الدولة[١١٦] • ويمنع استخدام الموازين من الحجارة[١١٧] واذا عجز البائع عن اتخاذ الصنجة من الحديد واستخدام صنجة من الحجر فعليه بتجليدها حتى لا نتحت من كثرة القرع[١١٨] •

وعلى المحتسب أن يمنع الجزارين من اخراج اللحم المذبوح خارج مصاطب حوانيتهم لئلا تتسخ ثياب المارة[١١٩] ، أما بالنسبة لأهل الحرف والصناعات ، فكان المحتسب يطلب من الحاكه العمل على جودة ما ينتجونه[١٢٠] ، كما كان لا يسمح لحائك بمزاولة عمله الا بعد أن يقيم ضامنا لئلا يسىء التصرف فى ثياب الناس[١٢١] •

وكان من واجبات المحتسب مراقبة الصيارفة وتفقد أعمالهم ، ومن خالف الشريعة فيما يتعلق بأمور الصرف عزره (عاقبه) وطرده من السوق[١٢٢] ، وعليه أيضا أن يمنعهم من ترويج الدراهم الزائفة وغش الناس بها[١٢٣] •

ولما اتسعت أعمال المحتسب وتعددت اختصاصاته ، جاز له

---

(١١٦) ترامى الى سمع اسماعيل بن احمد السامانى ذات يوم أن جباة الخراج فى الرى يطففون بموازين ثقيلة زائفة ، فبعث برسوله من فوره ليأتيه بتلك الأثقال فى حرز الى بخارى ويوقف الجابى عن عمله ويغلق ادارته حتى تصب الأثقال على حقيقتها وتعاد الى هناك •
ارمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٠٨ •
(١١٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٣ •
(١١٨) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٩ ويراعيها لئلا تتخذ من الخشب •
(١١٩) الماوردى : الرتبة فى الحسبة ، ورقة ٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩ أ ، الشيزرى : ص ٢٨ ، ابن عبدون : ثلاث رسائل فى الحسبة ، ص ٤٤ •
(١٢٠) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٢ •
(١٢١) الشيزرى : ص ٦٧ ، ٧٢ ، ابن الاخوة : ص ١٤١ •
(١٢٢) الشيزرى : ص ٧٤ ، ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام ، ص ٣٨ ، ابن الاخوة : ص ١٤٣ ، ١٤٤ •
(١٢٣) الأحكام السلطانية ، ص ٢٤١ ، اشليزرى : ص ٧٤ ، ٧٥ • ، ابن الأخوة : ص ١٤٤ •

الاستعانة بمساعدين يعاونونه فى أداء مهمته ، فجعل على كل صنعة عريفا من أهلهـــا خبيرا بصناعتهم ، ملما بأحوالهم ، وتعاملهم مـــع زبائنهم(١٢٤) فكان هناك عامل على سوق الغنم ، وعامل على دار البطيخ وآخر على دار القطن وغيرها(١٢٥) وكان لعامل السوق الحق فى معرفة أثمان ما يرد من سلع الى السوق المكلف بالاشراف عليه(١٢٦) .

ومن الجدير بالذكر أن التجار أنفسهم شاركوا فى مراقبة الاسعار ، ذلك أنهم أقاموا من قبلهم نقابة مسئولة عن مراقبة المعاملات التجارية ، ومنع الغش والتدليس وكان رئيسها ينتخب من بين الاعضاء ، كما كان أعضاء النقابة يسمون الأمناء(١٢٧) .

وكان للمحتسب ســلطة تنفيذية كالقاضى الا أن العقوبات التى يصدرها تسمى « بالتعزير »(١٢٨) . وتشمل الردع والجلد والتشهير والتوبيخ والنفى والضرب(١٢٩) .

(د) الطـــرق التجـــارية :

أولا — طرق التجارة الداخلية : كان للمواصلات دور هام فى تسهيل حركة التجارة فى داخلية البلاد . وكانت المواصلات النهرية فى بلاد العراق أنسب من المواصلات البرية وأسرع فى كثير من الأحيان ، ويعد نهر دجلة والفرات أهم ممرين يصلان الأجزاء العليا من العراق بالخليج الفارسى(١٣٠) .

وتفرع من دجلة والفرات سلسلة من القنوات ، وساعد على تنظيم

---

(١٢٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٢ ، ابن بسام : نهـــاية الرتبة ، ص ١٨ .
(١٢٥) الصابى : تحفة الأمراء ، ص ١٥٨ .
(١٢٦) تحفة الأمراء ، ص٢٤٥ .
(١٢٧) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .
(١٢٨) ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام ، ص ٣٨ .
(١٢٩) المقريزى : خطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .
(١٣٠) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٣٨ .

الملاحة عبرها عدد من الجسور ، من أشهرها جسر فى الجانب الشرقى من بغداد وآخر عند واسط[١٣١] وتجلت روعة الملاحة النهرية فى الجهة الجنوبية من بغداد عند حى الكرخ بين نهر الصراة ونهر عيسى الذى كان يأخذ مياهه من نهر الفرات ، وكانت تدخل فيه السفن القادمة من الرقـــة[١٣٢] .

وقد ساعدت الملاحة النهرية على نشـــاط حركة التجارة الداخلية حتى قيل أن عدد السفن التى اشتغلت بنقل الناس والتجارة فى العاصمة بلغ ثلاثين ألف سفينة ، وأن مكسب الملاحين فيها بلغ فى كل يوم تسعين ألف درهم[١٣٣] وكانت دار الخلافة تدفع رواتب للملاحين العاملين على سفنها النهرية ، بلغت فى أوائل القرن الرابع الهجرى نحو خمسمائة دينار فى كل شهر[١٣٤] .

ترتب على الفيضانات العديدة لنهرى دجلة والفرات ظهور مساحات شاسعة من المياه فيما بين واسط والبصرة عرفت باسم البطائح[١٣٥] ، وقد لعبت (البطائح) دوراً هاما فى الملاحة النهرية جنوب بغداد بسبب ما اختزن فيها من المياه ولاتساع رقعتها[١٣٦] ، فكانت السفن الكبيرة تلقى بحمولتها بعد اجتياز البصرة ودخولها منطقة البطائح — الى سفن أخرى أصغر وزوارق تتناسب مع اختلاف مســـتويات الميـــاه فى تلك البطائح[١٣٧] .

---

(١٣١) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ٢ ص ٣٩٣ .
(١٣٢) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٥٠ .
(١٣٣) الطبرى : جـ ٨ ، ص ٤٦٠ ، ٤٦١ ، الصولى : الاوراق ، ص ٢٤٣ .
، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ١ ص ١١٧ ، ابن الجوزى : مناقب بغداد ، ص ٢٤ .
(١٣٤) متــز : جـ ٢ ، ص ٣٩١ .
(١٣٥) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٢٤ .
(١٣٦) فقد بلغت مساحتها ثلاثون فرسخا فى ثلاثين فرسخا . ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٩٤ ، ١٨٥ .
(١٣٧) متز : جـ ٢ ، ص ٣٩٤ .

ولتأمين الملاحة فى داخل البطائح شقت وسط القصب الذى ينبت فى البطائح مجارى عرفت باسم « الأزقة » وأقيمت فى مواضع معينة منها أكواخ من القصب أشبه بالدكاكين لاقامة مراسى الزوارق وفى كل كوخ خمسة مسالح (للحراسة)[١٣٨] .

ساعدت البطائح على اتصال كل من بغداد والبصرة بالكوفة عن طريق النهيرات التى تمتد من الفرات . ويصف ابن حوقل هذه الشبكة النهرية فى قوله : « وبين بغداد والكوفة سواد مشتبه غير متميز ، تخترق اليه أنهار من الفرات ، فأولها مما يلى بغداد نهر صرصر (عليه مدينة صرصر) تجرى فيه السفن وعليه جسر من المراكب يعبر عليه ، ... ثم ينتهى على فرسخين الى نهر الملك وهو كبير أيضا أضعاف نهر صرصر فى غزر مائه ، وعليه جسر من سفن يعبر علبه ، ونهر الملك مدينة أكبر من صرصر عامرة بأهلها ، ... ثم ينتهى الى نهر سوار ، ... وليس للفرات شعبة أكبر منه ، وينتهى الى سائر سواد الكوفة ويقع الفاضل منه الى بطائح الكوفة »[١٣٩] . وتدخل هذه الشبكة النهرية لدجلة والفرات أعظم مراحلها وأوسعها عند البصرة نفسها[١٤٠] .

كان نهر دجلة يستخدم للنقل شمالا فى اتجاه معاكس لتيار الماء حتى مدينة الموصل ، وعلى الرغم من أن تياره كان قويا شمال تكريت فان القوارب والسفن التجارية كانت تسير فيه بمعدل فرسخين فى اليوم[١٤١] .

ولكثرة السفن التجارية الصاعدة والمنحدرة ما بين بغداد والبصرة[١٤٢] ، أو الصاعدة الى الموصل ، تطلب الأمر قيام مرفأ خاص

---

(١٣٨) الاعلاق النفيسة ، ص ١٨٥ .
(١٣٩) ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .
(١٤٠) وقد أحصى ابن حوقل نهيرات البصرة المستخدمة فى الملاحة والرى فزادت على مائة وعشرين الف نهر . جرت فيها الزوارق . المسالك والممالك ، ص ٢١٢ .
(١٤١) الصولى : الاوراق ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(١٤٢) الاوراق ، ص ٢٠٦ .

فى محلة باب الشعير — ترسو فيه السفن المحملة بالبضائع الواردة من الموصل أو البصرة[١٤٣] .

أما فى المشرق فكانت أنهار خوزستان صالحة لسير السفن وأكثر تجاراتها تنقل بين مدنها فى تلك الأنهار ومجتمع طرقها فى الأهواز ، وللقادم الى الأهواز من البصرة أن يقصدها بطريق المـاء فى النهـر العضدى[١٤٤] . وكان نهر جيحون فى القرن الرابع الهجرى يجرى فى مجرى واحد صالح للسفن حتى السـاحل الجنوبى لبحيرة خوارزم (آرال) ، كما كان نهر سيحون صالحا لسير السفن كنهر جيحون[١٤٥] .

كان هناك طرق بريه ، ربطت بغداد بمدن العراق ، ساعدت على نشاط الحركة التجارية الداخلية ومن هذه الطرق :

١ — **الطريق الجنوبى** : من بغداد الى البصرة مارا بدير العاقول ثم الى واسط والبطائح ومنها الى البصرة[١٤٦] .

٢ — **الطريق الشمالى** : من بغداد الى الموصل فثغور الجزيرة الفراتية مارا بعكبرا ثم القادسية فمدينة سر من رأى (سامرا) ثم مدينة الحديثة فالموصل ويبلغ طول هذا الطـريق سبعين فرسخا[١٤٧] ثم من الموصل الى نصيبين[١٤٨] ، ثم آمد فالرقه[١٤٩] ومن الرقة الى ثغور الجزيرة[١٥٠] .

٣ — **الطريق من الكوفة الى البصرة** : وكان يمر بمحاذاة حافة

---

(١٤٣) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .
(١٤٤) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٥ ، ٢٨١ .
(١٤٥) بلدان الخلافة ، ص ٥٢٠ .
(١٤٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٥٩ .
(١٤٧) المسالك والممالك : ص ٩٣ .
(١٤٨) المسالك والممالك ، ص ٩٥ .
(١٤٩) المسالك والممالك ، ص ٩٦ .
(١٥٠) قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٢٢٨ .
، الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٨٧ .

البطائح الجنوبية ويتراوح طول هذا الطريق بين ثمانين وخمسة وثمانين فرسخا[١٥١] .

٤ — الطريق من البصرة الى الأهواز : وكان على القادم من البصرة الى الأهواز أن يجتاز السبخة من عسكر أبى جعفر بازاء الأبله الى حصن مهدى ومنها الى الأهواز مارا بسوق الأربعاء[١٥٢]

٥ — الطريق من بغداد الى خراسان : ويبدأ من باب خراسان فى بغداد الشرقية ، ثم يمر على قناطر أقيمت على عديد من الأنهار حتى يصل الى حلوان حيث يدخل اقليم الجبال مارا بكرمانشاه فبلاد فارس : همذان ثم الرى فى الشمال الشرقى ، ثم يعتدل شرقا فيجتاز قومس وجبال طبرستان فى يساره حتى يدخل فى اقليم خراسان عند مدينة بسطام ومنها الى نيسابور ثم طوس فمرو ، الى ضفة جيحون عند آمل ، ثم يدخل اقليم الصغد فيمر ببخارى فسمرقند وعندها يتفرق فى اتجاهين ، يمضى أحدهما فى اتجاهه الأصلى حتى يصل الشاش (طشقند الحالية) ومنها الى مدينة أترار فى أسفل جيحون ، ويمضى الآخر من « زامين » الى اقليم فرغانه ونهر سيحون الأعلى حتى يصل الى « أوزكند » على تخوم صحراء الصين[١٥٣] .

ثانيا — طرق التجارة الخارجية : ارتبطت بلاد العراق والمشرق الاسلامى بغيرها من الأقطار العربية والاسلامية بعدة طرق من أشهرها :

١ — الطريق من بغداد الى المغرب : مارا بمدينة الموصل ثم نصيبين فالرقة فحلب ثم قنسرين فحماه ، فحمص فدمشق ، ومن دمشق

---

(١٥١) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١١١ .
(١٥٢) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٩٤ .
، المقدسى : ص ١٣٥ ، لسترنج ، ص ٢٨١ .
(١٥٣) بلدان الخلافة : ص ٢٢ — ٢٤ .
، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٩٥ .

يتجه الطريق نحو بحيرة طبريه ثم الى الرملة ثم الفسطاط فالاسكندرية ومنها يمتد الطريق الى المغرب(١٥٤) .

٢ — **الطريق من بغداد الى مكة والمدينة** : يمر هـذا الطريق بالكوفة ثم القادسية فالعذيب(١٥٥) ثم مكة فالمدينة المنورة(١٥٦) ، ويبلغ طول هذا الطريق من بغداد الى مكة حوالى ثمانمائة وسبعة وعشرين ميلا(١٥٧) . وتمتد على طول هذا الطريق الآبار والعيون والبرك(١٥٨) .

٣ — **الطريق البرى من غرب أوربا الى المشرق** : ويبدأ من بلاد الأندلس الى طنجه عبر مضيق جبـل طارق مجتازا المغرب الأقصى والأوسط والأدنى عن طريق افريقيه (تونس) حتى يصل الى مصر ثم يتجه الى بلاد الشام مارا بالرملة ودمشـق ثم الى العراق مارا بالكوفة وبغداد والبصرة ، ثم الى فارس مارا بالأهواز ثم الى كرمان والهند والصين(١٥٩) .

٤ — **الطريق التجارى بين بلاد الروس والمشرق** : يبدأ من شمال الروسيا متجها صوب المشرق عن طريق بحر قزوين ، فيسير فى بلاد فارس فى اتجاه الجنوب الغربى حتى يصل الى مدينة « مرو » قاعدة اقليم خراسان ومنها الى الصين ، ويحمل التجار الذين يأتون عن هذا الطريق جلود بعض الحيوانات والسيوف والشـمع والعسل ، وكان المسلمون يعاملونهم معاملة طيبة ويأخذون منهم الجـزية باعتبارهم

---

(١٥٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١١٧ .

(١٥٥) العذيب : تصغير العذب وهو الماء الطيب ، وهو ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية اربعة اميال . وهو منازل حاج الكوفة ، وقيل هو حد السواد .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٦ ص ١٣١ .

(١٥٦) ابن خرداذبه : ص ١٢٥ .

(١٥٧) ابن خرداذبه : ص ١٣٢ .

(١٥٨) ابن خرداذبه : ص ١٢٧ .

(١٥٩) ابن خرداذبه : ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

مسيحيين[١٦٠] . وقد زادت أهمية هذا الطريق التجارية بعد أن اعتنق أهل الفلجا الاسلام فى أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، كما أن السامانيين الذين حكموا خراسان وبلاد ما وراء النهر حافظوا على تخوم بلادهم ، كما ضمنوا للتجار الأجانب ربحا مناسبا ، ويرجع تاريخ سك معظم النقود التى اكتشفت فى شمال أوربا الى القرن الرابع الهجرى ، وكثير منها ينسب الى السامانيين ، وفضلا عما تقدم فانه كان من أثر المصاهرة التى قامت بين ملك الصين ونصر بن أحمد السامانى[١٦١] ، رواج التجارة بين الصين وبلاد السامانيين[١٦٢] .

٥ — الطريق التجارى الذى يسير من المنطقة الواقعة عند مصب نهر السند نحو داخل فارس مارا بولاية سجستان ، والى الشمال من هذا الطريق كانت قوافل البنجاب تنقل مقادير كبيرة من البضائع عبر هضاب أفغانستان وتوصلها الى كابل وغزنه وغيرهما . ومن هناك كانت القوافل تسير نحو خراسان غربا وبخارى شمالا[١٦٣] .

٦ — **الطريق البحرى مع بلاد الهند :** كان ميناء الديبل (جنوب كراتشى حاليا) على مصب نهر السند أول ميناء بشمال الهند تقابله الرحلات التجارية لسفن البصرة وسيراف والتى تتخذ من الديبل مركزا لبسط نشاطها على المراكز التجارية من بلاد السند وأهمها المنصورة[١٦٤] ،

---

(١٦٠) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٥٤ .
(١٦١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٩ .
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، هامش ص ١٤٩ .
(١٦٢) آدم متز : جـ ٢ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .
(١٦٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
(١٦٤) المنصورة : سميت بهذا الاسم نسبة الى منصور بن جمهور عامل بنى أمية .
المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٤٢ ويحمل من المنصورة الى العراق وباقى انحاء العالم الفيلة والعاج والعقاقير . ابن حوقل : المسالك والممالك : ص ٣٢٠ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٤٨١ ، الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ١٦٩ .

والملتان[١٦٥] وتقعان على نهر السند أيضا [١٦٦] .

وبعد مغادرة سفن سيراف والبصرة بلاد السند تقابلها أرض جوجرات (كجرات) وموانيها حيث تمضى بعض الوقت للقيام بعملية البيع والشراء والتزود بالماء العذب والمواد الغذائية من مينائى « تانه » و « بروص » الشهيرين (بالقرب من بومباى حاليا)[١٦٧] ، ثم تنطلق تلك الرحلات التجارية جنوبا على امتداد الساحل الغربى لشبه الجزيرة الهندية الذى اشتهر بساحل ملبار ، وكانت المتاجرة فى منتجات تلك الجهات تتم فى أمن وطمأنينة ، وشمل ذلك التجارة العربية الهندية[١٦٨] .

٧ — **الطريق البحرى مع الصين** : انطلقت الرحلات التجارية من البصرة وسيراف عبر مضيق هرمز قاصدة موانى ساحل عمان حيث تتوقف فى صحار ومسقط ، واشتهرت سفن هذه الرحلات باسم سفن الصين[١٦٩] .

وكانت السفن تسير فى طريقين من موانى عمان : أحدهما تتجه اليه مباشرة عبر المحيط الهندى الى كولم ملى (وهى كويلون الحالية) فى جنوب ساحل الهند الغربى (جنوب مالابار)[١٧٠] أما الطريق الثانى

---

(١٦٥) الملتان : وتعتبر مركزا للتجارة مع الاقسام الداخلية من الهند حيث يوجد معبدا يقصده من السند والهند الوف من الناس تحج اليه ، وتعد الملتان من ثغور المسلمين ، ولا سيما بعد ان اعتنق ملكها الاسلام أيام الخليفة القادر وذلك سنة ٣٨٢ هـ .

ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٥٩ مصر ١٣٥٣ هـ .

(١٦٦) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢٧٧ ، احسن التقاسيم ص ٤٧٩ .

(١٦٧) السيد أبى ظفر الندوى : أسطول كجرات ص ٨٦ ، ٨٧ مجلة ثقافة الهند اكتوبر ١٩٦٥ م دلهى .

(١٦٨) يذكر المؤلف الهندى بانيكار : ان العرب تاجروا بمنتهى الحرية فى جميع الموانىء الهندية ، وانطلقوا بسفنهم حتى بلغوا ساحل الصين .

بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ص ٣٢ ترجمة / عبد المعزيز جاويد القاهرة ١٩٦٢ م .

(١٦٩) حورانى : العرب والملاحة ص ١١٠

(١٧٠) حورانى : ص ٢٠٨

من مسقط وصحار فكان يسير بحذاء — الساحل مارا بالموانى الاسلامية فى بلاد السند مثل الديبل والمنصورة . وكانت السفن المتوسطة الحجم تسلك هذا الطريق ، وكانت هذه السفن تسير بازاء الساحل الغربى للهند حتى تلتقى مع سفن الطريق الأول عند كولم ملى ، التى صارت نقطة الابحار بعد ذلك الى الصين(١٧١) .

(هـ) العلاقات التجـارية :

١ — **مع الجزيرة العربية** : كانت التجارة بين العراق والجزيرة العربية نشطة وبخاصة فى موسم الحج اذ كان حجاج بيت الله الحرام يجلبون كثيرا من السلع بعد رجوعهم من الأراضى الحجازية ، بلغت قيمتها فى بعض الأحيان مليون دينار(١٧٢) .

وأسهم تجار الحجاز فى خفض أسعار الذهب فى بلاد العراق بما كانوا يجلبونه من ذلك المعدن الى تلك البلاد ، حيث كان الطلب عليه شديدا ، وأدى ذلك الانخفاض فى أسعار الذهب الى نشاط حركة التجارة الخارجية خاصة مع الهند . التى كانت تستعمل الذهب كوسيلة للتبادل التجارى(١٧٣) . وكان يجلب من شبه الجزيرة العربية الخيل والنعام ونجائب الابل والأدم(١٧٤) .

٢ — مع بلاد الشـام : كانت التجارة بين العراق وبلاد الشام نشطة ومنظمة حتى أن الخضروات كانت تجلب أحيانا من الشام الى

---

(١٧١) ابن خرداذية : المسالك والممالك ص ٦٢ .
حورانى : ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
(١٧٢) ذكر ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ١٨٨ ان ابا طاهر القرمطى استولى سنة ٣١١ هـ على امتعة وطيبا وغيرها من السلع قيمتها مليون دينار من الحجاج عند رجوعهم من الحج .
(١٧٣) حمدان الكبيسى : اسواق بغداد ص ١٤٣ رسالة دكتوراه — جامعة القاهرة .
(١٧٤) الأدم : جمع اديم وهو الجلد المدبوغ .
الجاحظ : التبصر بالتجارة ص ٢١ .

العراق دون أن يلحق بها أى تلف[١٧٥] ، وكان التفاح الشامى مطلوبا فى أسواق العراق ، وكان يرد بكثرة الى أسواق بغداد[١٧٦] ، وبلغ مقدار ما كان يجلب منه سنويا حوالى ثلاثين ألف تفاحة توضع فى أكياس خاصـــة من الجـــلد[١٧٧] ، كـــذلك كان يرد من بلاد الشــــام الزيت والزيتون[١٧٨] والزبيب الذى كان يحمل على الابل[١٧٩] .

وكانت السفن التجارية تأتى من بلاد الشام فى نهر الفرات ، ثم تسلك نهر عيسى حتى تصل بغداد وتحمل من سلع تلك البلاد المنسوجات الحريرية والقطنية والميازر[١٨٠] فضلا عن السكر والزجاج[١٨١] .

٣ — **مع مصر** : كان للمنسوجات المصرية شهرتها فى بلاد العراق ، وبلغ من شهرة دبيق أن أطلق العراقيون على احدى قرى بغداد اسم « دبقيه »[١٨٢] ، وكانوا يبيعون انتاج مصانعها على انها دبيقية لتروج فى السوق رواج منسوجات دبيق[١٨٣] .

كذلك كانت مصر تصدر الى العراق منسوجات من انتاج تنيس تزيد قيمتها عن عشرين ألف دينـــار ســـنويا ، وكان ذلك حتى ســـنة ٣٦٠ هـ / ١٩٧٠ م[١٨٤] . ولم ينقطع تجار العراق عن المجىء الى

---

(١٧٥) التنوخى (ت ٣٨٤ هـ) : نشوار المحاضرة جـ ٢ ص ٢٠٥
(١٧٦) الشابشتى : الديارات ص ٩٨ .
(١٧٧) الثعالبى : ثمار القلوب ص ٤٢٢ ، لطائف المعارف ص ١٥٦
(١٧٨) لطائف المعارف ص ١٥٧
(١٧٩) ثمار القلوب ص ٤٢٢
(١٨٠) الميازر جمع مئزر وهو قطعة من القماش التى يلف بها النصف الأسفل من الجسم . انظر دوزى : المعجم المفصل ص ٤٠ — ٤١ ترجمة / اكرم فاضل بغداد ١٣٩١ هـ .
(١٨١) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٣٦ .
، بدر الدين الصينى : العلاقات بين العرب والصين ص ٨٧
(١٨٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٤ .
(١٨٣) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص ٧٣ مصر ١٩٤٩ م .
(١٨٤) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٢ ، ١٥٣

مصر ، كما كانت الحال بالنسبة لتجار مصر ، فحمل تجار العراق الى مصر الثياب العتابيه وهى ثياب مصنوعة من الحرير والقطن(١٨٥) والخسروانى والتسترى وهو نوع من الحرير ينسب الى تستر أشهر مدن خوزستان(١٨٦) • وبلغ من اهتمام الحكومة الفاطمية بأمر تجار العراق(١٨٧) الذين يفدون اليها أنها أنشـأت وكالة خاصة لمبيتهم هم وتجار الشام(١٨٨) •

٤ — مع بلاد المغرب الأقصى : كان لتجار العراق علاقات تجارية مع بلاد المغرب الأقصى وشمال افريقيا ، وأهم ما كنوا يستوردونه منهم الذهب(١٨٩) ، كما استوردوا التمور واللبود والبزاة السود(١٩٠) وذكر ابن حوقل(١٩١) أنه كان فى سجلماسة بالمغرب الأقصى جالية كبيرة من التجار العراقيين من أهل البصرة والكوفة وبغداد •

٥ — مع بلاد الشرق الأقصى :

١ — مع الهند : حصل التجار على تسهيلات تجارية عظيمة

---

(١٨٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٢٣
، رحلة ابن جبير ص ٢١٢ •

(١٨٦) معجم البلدان ج ٢ ص ٣١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
ومن الجدير بالذكر ان مصانع النسيج المصرية كانت تستورد هذه الانواع من المنسوجات ثم تقوم بتقليدها ، وربما بلغ انتاج مصر من هذه المنسوجات ما يفوق النوع الأصلى •
راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ص ١٣٣ ، ١٣٤ •

(١٨٧) كان فى مصر بعض تجار العراق من اليهود ، ومنهم يعقوب بن كلس الذى ولى الوزارة فى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى وكان يهوديا بغداديا بدأ حياته فى القاهرة وكيلا للتجار . عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٥٥ •

(١٨٨) المقريزى : خطط ج١ ص ٤٥١

(١٨٩) البيرونى : الجماهر فى معرفة الجواهر ص ٢٣٧ ، ٢٣٨

(١٩٠) حمدان الكبيسى : أسواق بغداد ص ١٥١

(١٩١) المسالك والممالك ص ٦٠

أثناء رحلاتهم الى بلاد الهند وتمتعوا بحرية الاقامة فى الموانى الهامة حتى صار للمسلمين جاليات كبيرة على سواحل الهند تمارس شعائرها فى طمأنينة وحرية كاملة ويذكر المسعودى أنه رأى بصيمور (ميناء على ساحل الهند الغربى) فى أوائل القرن الرابع الهجرى نحوا من عشرة آلاف من أبناء الخليج بياسرة (أى مولودين بالهند) وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين(١٩٢) .

كان ملوك الهند يرحبون بتجار المسلمين وأشار المسعودى الى ذلك عند كلامه عن ملك البلهرا وملك الطافن(١٩٣) ، ومن بلد (ملك رهمى) يحمل التجار المسلمون العود والذهب والفضة والثياب الرقيقة(١٩٤) ، ثم يقصدون كولم ملى (كويلون) فى جنوب مالابار(١٩٥) للحصول على مابها من خشب الساج والفلفل والروائد(١٩٦) .

٢ — مع الصــين : كانت خانفو (كانتون) تعد من أكبر المراكز التجارية فى الصين(١٩٧) . حيث كانت حكومة الصين تنظم بها التجارة تنظميا دقيقا ، فكانت السفن الاسلامية اذا وصلت الى ميناء خانفو (كانتون) قام الصينيون بنقل ما يحملونه من سلع وبضائع الى مخازن الجمارك ، وتظل بهذه المخازن الى أن تدخل آخر سفينة تجارية ، وكانت الرسوم الجمركية التى تفرض على هذه السلع تصل الى ٣٠٪ وكانت الحكومة الصينية تشترى ما تحتاجه من هذه السلع بأثمان مناسبة(١٩٨) .

(١٩٢) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٢١٠
(١٩٣) مروج الذهب جـ ١ ص ١٧٠
(١٩٤) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٧١
، مقبول أحمد : العلاقات التجارية بين الهند والعرب من القرن العاشر قبل الميلاد الى العصر الحديث ص ١١١ ، ١١٢ مجلة ثقافة الهنــد . دلهى يوليو ١٩٦٠ م .
(١٩٥) حورانى : العرب والملاحة ص ٢٠٨ ، ٢١١
(١٩٦) القزوينى : آثار البلاد ص ٧٧ بيروت .
(١٩٧) سلسلة التواريخ ص ٣٤ ، حورانى : العرب والملاحة ص ١٢٦
(١٩٨) سلسلة التواريخ ص ٣٦

وكانت صادرات بلاد العراق وفارس الى الصين تشمل المنسوجات الغالية من التيل والقطن والصوف، والبسط الرائعة الكبيرة والصغيرة والمصنوعات المعدنية ، وخام الحديد وسبائك الذهب والفضة[١٩٩] والياقوت[٢٠٠] واللؤلؤ[٢٠١] وحملت السفن الاسلامية من الصين الأوانى الخزفية التى كانت تمتاز بالجودة[٢٠٢] ، كما حمل التجار من الصين النسائج الحريرية والديباج والقاشانى والشاى ومختلف المستحضرات الصيدلية[٢٠٣] . والسروج واللبود والدارصينى (القرفة) والمسك والعود[٢٠٤] ومن الجدير بالذكر أن طرائف سلع الصين التى كانت ترد الى أسواق العراق وخاصة بغداد كانت تلاقى رواجا واقبالا كبيرين رغم ارتفاع أسعارها[٢٠٥] .

ومن تجار سيراف الذين اشتهروا بالمتاجرة مع بلاد الصين أبو بكر أحمد بن عمر السيراق[٢٠٦] ومحمد بن بابشاد[٢٠٧] وابراهيم

(١٩٩) حورانى : ص ٢٠

(٢٠٠) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٤٧
وكان الزمرد يهرب الى بلاد الصين حيث كان التجار يخفونه فى بطانة ملابسهم وفى مقابض مظلاتهم ليتخلصوا من دفع الرسوم اللازمة .
Chau-Ju-Kua : Chu-fan-chi. p. 9 (Translated by FR. Hirth and W. W. Rockhill. St. Petersburg 1912 .

(٢٠١) بدر الدين الصينى : العلاقات بين العرب والصين ص ١١٨

(٢٠٢) تميزت أوانى الصين بتعدد استخداماتها فكان الاناء يستخدم فى الطبيخ مرة ومقلى وقصعه تارة أخرى ، كما كان للأزيار الصينى شهرتها ، وكان الاناء الصغيرة يوضع فى الاناء الكبير اقتصادا للمكان فى السفينة . الثعالبى : لطائف المعارف ص ٢٢١ . المقرزيى : خطط جـ ١ ص ٤١٥
Chau-Ju-Kua. p. 31.

(٢٠٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥٥٥ ترجمة / عادل زعيتر .

(٢٠٤) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٣٦ .
، بدر الدين الصينى : العلاقات بين العرب والصين ص ٨٨

(٢٠٥) Chau-Ju-Kua. p. 51.

(٢٠٦) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢٥٤

(٢٠٧) آدم متز : جـ ٢ ص ٤٣٣

ابن اسحق وكان من تجار الكوفة(٢٠٨) .

٦ — مع شرق افريقيا : شكلت التجارة مع بلاد شرق افريقيا ركنا هاما من أركان التجارة الشرقية ، لأن حاصلاتها كانت فى قائمة الصادرات التى حملتها سفن فارس والعراق حيث كان تجارها على معرفة بساحل افريقيا الشرقى ، وطبيعة سكانه والسلع التى يتاجرون فيها ، واتسع مجال رحلاتهم الى السواحل الشرقية من افريقيا(٢٠٩) .

اشترك تجار فارس والعراق فى نقل منتجات شرق افريقيا والتعاون فى تسويقها واستطاعوا احياء مراكز تجارية قديمة أصابها الركود نتيجة الاهمال(٢١٠) . وتشييد مراكز جديدة(٢١١) فى تلك الجهات(٢١٢) ، وامتد نشاط هؤلاء التجار الى أقاصى بلاد الزنج التى اشتهرت عندهم باسم « سفالة » وهى موزمبيق الحالية(٢١٣) .

وكانت السلع التى حملها تجار العراق وفارس الى بلاد الزنج تشمل المنسوجات القطنية والموشاة ، وكذلك التمور من البصرة وكرمان(٢١٤) ، وكانت الجلود وخاصة جلود النمور والحمر الوحشية(٢١٥)

---

(٢٠٨) بدر الدين الصينى : ص ١٩١ — ١٩٤

وقد ذكره ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٤٤ طبيعة وستنفلد . « ابراهيم بن اسحق الصينى ، كوفى كان يتاجر الى الصين فنسب اليها » .

(٢٠٩) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٠٧

(٢١٠) ومنها بلاد جافونى أو جنونى ، وهى بلاد بربرى والتى نعرفها اليوم باسم الصومال . حورانى : العرب والملاحة ص ٢٣٣ .

(٢١١) أسس جماعة من ابناء سيراف وشيراز مركزا تجاريا هاما اشتهر باسم مقدشو .

أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٣٧٨ ، القبطان جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية ص ٨٥ ترجمة / يوسف كمال ، القاهرة ١٩٢٧ م .

(٢١٢) أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٣٧٨

(٢١٣) حورانى : ص ١٢٨ — ١٣٥

(٢١٤) آدم متز : جـ ٢ ص ٤٣٠

(٢١٥) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٤

من السلع التى حملها التجار من بلاد الزنج(٢١٦) .

٧ — مع بلاد الروم : على الرغم مما ساد العلاقات السياسية بين بلاد الروم والخلافة العباسية من عداء الا أن ذلك لم يمنع من قيام علاقات تجارية . فكانت ترد من بلاد الروم سلع كثيرة منها الديباج الرومى المشهور(٢١٧) . والثياب الكتانية والأرز والزيتون(٢١٨) والنباتات ذات العطر الطيب والصمغ(٢١٩) .

وكان لتجار اليهود دورهم فى هذا المجال ، اذ كانوا يجلبون من الغرب الديباج والجلود والفراء والسمور والسيوف . وكان بعض هؤلاء التجار يعرجون على بغداد وهم فى طريقهم الى الهند والصين(٢٢٠) .

٨ — مع بلاد الروس : وكان لبلاد العراق علاقات تجارية مع الروس الذين كانوايحملون تجارتهم من جرجان الى بغداد ، وهناك يؤدون الجزية على اعتبار أنهم مسيحيون ، وكان هؤلاء التجار يتاجرون فى الخز وجلود الثعالب والسيوف(٢٢١) وأضاف ابن حوقل(٢٢٢) الى ذلك بأن تجار المسلمين كانوا يتاجرون مع « كوبايه » (كييف) مباشرة(٢٢٣)

---

(٢١٦) كانت تستخدم فى صناعة غطاء السروج وتجليد الكتب .
آدم متز جـ ٢ ص ٣٢٦ ، ص ٣٢٧ .

(٢١٧) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٥٠ — ١٥١

(٢١٨) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٣٧

(٢١٩) بدر الدين الصينى : العلاقات بين العرب والصين ص ٨٧

(٢٢٠) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٥٣ ، ص ١٥٤

(٢٢١) المسالك والممالك ص ١٥٤
، الهمذانى : مختصر كتاب البلدان ص ٢٧١ .

(٢٢٢) المسالك والممالك : ص ٣٩٢

(٢٢٣) كان تجار المسلمون يلقون معاملة طيبة فى بلاد البلغار منذ ان اسلم ملكها وارسل ابنه الى مكة والمدينة لاداء شعائر الحج ، ثم زار بعدها بغداد فلقى فيها حفاوة بالغة من الخليفة المقتدر ، وقد تركت هذه الزيارة اثرا طيبا فى نفس الأمير البلغارى ، انعكست على معاملة التجار المسلمين .
المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٥٤
، الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٣٣ — ١٣٥ .

وكان يحمل من هذه الأقاليم تجارات كبيرة وأنواع متعددة من البضائع منها السمور والسنجاب وفرو الثعالب والشـمع والنشاب والقلانس والسويف والدروع ، والرقيق من الصقالبة(٢٢٤) .

وكان أهل الخزر (بين القوقاز ونهر الفولجا) وسطاء فى التجارة بين البلاد الاسلامية وبين شرق أوربا ، وقد أقام فى هذه المنطقة عدد كبير من المسلمين(٢٢٥) الذين عملوا على توثيق العلاقات مع أهالى هذه المناطـق .

(و) **الصادرات والواردات** : اقتصرت صادرات العراق فى ذلك الوقت على المنتجات المحلية ، فكانت بغداد تصدر الأقمشة القطنيـة والمنسوجات الحريرية وخاصـة المناديل والأزر والعمائم والأدوات الزجاجية(٢٢٦) ، ومن الكوفة مناديل الخز الكوفية والوشى(٢٢٧) والتمور ، ومن واسط البسط والستور(٢٢٨) ومن ميسان الأنماط والوسائد والبسط والستور(٢٢٩) ، ومن البصرة كانت تصدر التمور بكميات كبيرة(٢٣٠) ، ومن حران القطن والعسل(٢٣١) ، ومن نصيبين الرصـاص والفواكه المقددة (المجففة)(٢٣٢) ومن الرقة الصابون والزيت(٢٣٣) ومن الموصل الستور والمسوح(٢٣٤) والحنطة والشعير(٢٣٥) .

(٢٢٤) الدورى : ص ١٥٢ .
(٢٢٥) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٢٩
(٢٢٦) المقدسى : ص ١٢٨
(٢٢٧) المقدسى : ص ١٢٨ ، ابن الفقيه : ص ٢٥٢
(٢٢٨) المقدسى : ص ١٢٩
(٢٢٩) الثعالبى : لطائف المعارف ص ١٣٢
(٢٣٠) المقدسى : ص ١٢٨ ، ١٤٥
(٢٣١) المقدسى : ص ١٤٥
(٢٣٢) المقدسى : ص ١٤٥
(٢٣٣) المقدسى : ص ١٤٥
الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٣٣ — ١٣٥ .
(٢٣٤) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ١٩٥
(٢٣٥) المقدسى : ص ١٤٥

كانت معظم واردات العراق من بلاد فارس . فيرد اليها الثياب التوزية (نسبة الى توز) والأكسية ، والأصواف[٢٣٦] ، ومن أرجان الصابون والفوط[٢٣٧] ، ومن سيراف العنبر والكافور والجواهر والخيزران والعاج والأبنوس والتوابل[٢٣٨] واللؤلؤ[٢٣٩] ، ومن نيسابور الثياب البيض الخفية[٢٤٠] ، ومن نسا ثياب القز والبسط والفوط[٢٤١] ومن عسكر مكرم (بنواحى خوزستان) كان يحمل السكر الى بغداد[٢٤٢] ومقانع القز والمناديل والثياب[٢٤٣] ومن أصفهان كان يرد البسط والستور والفضة[٢٤٤] ومن خراسان ثياب القطن والابريسم والفواكه ومعدن الفيروزج والحديد[٢٤٥] ومن مرو الطنافس والثياب المروية والقز والابريسم[٢٤٦] ، كما يرد من رساتيقها الشيرج والتوابل والعطور[٢٤٧] ، ويرتفع من بلخ البسمسم والأرز واللوز والجوز والزبيب والصابون[٢٤٨] ومن الرى الأسلحة والثياب[٢٤٩] ومن همذان البز والزعفران[٢٥٠] ومن « بم » (من مدن كرمان) الثياب القطنية والطيالسه والعمائم[٢٥١] ، ومن تستر الديباج

---

(٢٣٦) لطائف المعارف : ص ١٧٩ ، بدر الدين الصينى : العلاقات بين العرب والصين ص ٨٨ .
(٢٣٧) لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣٣١
(٢٣٨) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٦٢
(٢٣٩) المقدسى : ص ٤٤٢
(٢٤٠) الخفية رداء مصنوع من قماش مخطط بخطوط عريضة للغاية . دوزى : المعجم المفضل ص ١٣٨
(٢٤١) المقدسى : ص ٢٤٢
(٢٤٢) الثعالبى : ثمار القلوب ص ٤٢٦
(٢٤٣) المقدسى : ص ٤١٦ ، لسترنج : ص ٢٨١
(٢٤٤) الاعلاق النفيسة ص ١٥٣ ، ١٥٦
(٢٤٥) لسترنج ص ٤٧١ ، ٤٧٢
(٢٤٦) لسترنج : ص ٤٧١ ، ٤٧٢
(٢٤٧) لسترنج : بلدان الخلافة ص ٤٧٢
(٢٤٨) لسترنج : ص ٤٧٢
(٢٤٩) المقدسى : ص ٣٩٥ ، ٣٩٦
(٢٥٠) المقدسى : ص ٣٩٦
(٢٥١) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٩٩

والأنماط(٢٥٢) ومن الأهواز ونواحيها السكر والديباج والخز والأرز(٢٥٣) ، ومن سمرقند الكاغد(٢٥٤) والثياب السمرقنديه والقدور النحاسية والديباج(٢٥٥) ، ومن خوارزم القطن والصوف ، والشمع وخشب الخلنج والديباج المنسوج من الحرير والقطن والسيوف والدروع والقسى والأقفال(٢٥٦) ، ومن بخارى الثياب الرخوة والبسط(٢٥٧) ، ومن فرغانه السيوف والنحاس والحديد(٢٥٨) ، ومن أرمينية وآذربيجان اللبود والبراذع والفرش والبسط الرقاق والصوف(٢٥٩) ، والديباج والثياب الكتانية والصوفية والأكسية الرومية(٢٦٠) والوسائد الصوفية(٢٦١) ، ومن قزوين الأكسية والجوارب(٢٦٢) .

ومن مصر تحمل الثياب الرقاق والقراطيس والكتان(٢٦٣) والملابس الدبيقية(٢٦٤) ، وكان العراق يستورد من منسوجات مصر سنويا ما قيمته بين عشرين وثلاثين ألف دينار حتى سنة ٣٦٠ هـ(٢٦٥) . ومن الأندلس

---

(٢٥٢) الاصطخرى : ص ٦٤ ، المقدسى : ص ٤٠٥

(٢٥٣) الثعالبى : لطائف المعارف ص ١٣٢ ، القزوينى : آثار البلاد ص ١٥٣

(٢٥٤) المقدسى : ص ٣٢٦

(٢٥٥) المقدسى : ص ٣٢٥

(٢٥٦) الاصطخرى : ص ٣٠٤ ، ص ٣٠٥ ، المقدسى : ص ٣٢٥ ، لسترنج ص ٥٠٢ .

(٢٥٧) المقدسى : ص ٣٢٤

(٢٥٨) المقدسى : ص ٣٢٥

(٢٥٩) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ١٩٧

(٢٦٠) الثعالبى : ثمار القلوب ص ٤٢٨

(٢٦١) الاصطخرى : ص ١١٠

(٢٦٢) المقدسى : ٣٩٦

(٢٦٣) المقدسى : ص ٢٠٣

(٢٦٤) نسبة الى دبيق من أعمال تنيس وكان يعمل بها الرفيع من الثياب . الثعالبى : لطائف المعارف هامش ص ٢٢٧ .

(٢٦٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٢ ، ١٥٣

البز والأقمشة القطنية[٢٦٦] ، ومن الهند جلبت جلود النمور والياقوت الأحمر وخشب الصندل الأبيض والابنوس[٢٦٧] وخشب الساج[٢٦٨] والتوابل والكافور[٢٦٩] . ومن جزيرة سرنديب (سيلان) الياقوت والماس والبللور[٢٧٠] . ومن الصين الحرير والكاغد والسروج واللبود[٢٧١] والمسك والعود والكافور[٢٧٢] . ومن شرق افريقيا جلود النمور والحمر الوحشية[٢٧٣] . ومن بلاد الروم الديباج وأوانى الذهب والبراذين[٢٧٤] والثياب الكتانية والبسط[٢٧٥] . ومن بلاد الروس الخز وجلود الثعالب والسيوف[٢٧٦] والدروع [٢٧٧] .

---

(٢٦٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٧٠

(٢٦٧) المقدسى : ص ٢٣٩

(٢٦٨) ، (٢٦٩) الثعالبى : ثمار القلوب ص ٤٢٣ .

(٢٧٠) المسالك والممالك ص ٧٠

(٢٧١) ابن خرداذبه : ص ٧٠

(٢٧٢) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ١٩٨

(٢٧٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٧٠ .

(٢٧٤) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٤

(٢٧٥) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٣٢ .

(٢٧٦) ابن خرداذبة : ص ١٥٤ .

، الهمدانى : مختصر كتاب البلدان ص ٢٧١ .

(٢٧٧) الدورى : ص ١٥٢ .

٣ — المعاملات الماليـــة والتجارية

(أ) المكوس[1] والضرائب : كانت الضرائب تؤخذ فى العراق على البضائع المنقولة فى داخل البلاد برا وبحرا . وقد ذكر مسكويه[2] انه اتفق فى الصـــلح الذى تم بين معز الدولة بن بويه وناصر الدولة الحمدانى سنة ٣٣٥ هـ على أن يرسل ناصر الدولة الميرة الى بغـــداد ولا تؤخذ لها ضريبة » .

يذكر ابن رسته أنه كان بين بغداد والبصرة موقعين على ضفاف الأنهار ليتم تحصيل المكوس على البضائع المارة عبر النهر ، وكان نهر دجلة يغلق فى المساء حتى لا تجتازه السفن ليلا[3] ، ولا يسمح لهذه السفن بالمرور الا بعد دفع الضريبة ، وكانت هذه الضرائب باهظة وقد تحدث المقدسى[4] عما كان جاريا فى سنتى ٣٧٥ هـ ، ٣٨٧ هـ بقوله : « أما الضرائب فثقيلة كثيرة محدثة فى النهر والبر ، وفى البصرة تفتيش صعب وشوكات منكرة ، وكذلك بالبطائح تقوم الأمتعة وتفتش » . وبلغت ايرادات ضرائب المراكب فى البصرة حوالى مليونى درهم[5] .

وكان للقرامطة ديوان على باب البصرة ، وكذلك للديلم (البويهيين)

---

(١) المكوس : مفردها مكس وهى الضرائب التى فرضت فى العصـــور المختلفة خارجا عن العشور والزكاة والجزية ، وجزية اهل الذمة ، واصـــل كلمة مكس ارامى استعملها اليهود بمعنى واجبات أو دفع أو ضرائب وعرف المقريزى كلمة مكس بانه دراهم تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية وان أصل المكس فى اللغة الجباية .

Cahen (claude) : Dunees et commerce dans les ports Mediteranean de L'Egypt. p. 217 (Arabica. 7. 1967 .

، المقريزى : خطط جـ ٢ ص ١٢١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٥٣ .

(٢) تجارب الامم جـ ٦ ص ١٠٨ .

(٣) وذلك بان يشد حبل بين سفينتين بعرض النهر فلا يمكن لسفينة عبوره الا بعد دفع الرسوم . ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١٨٥ (ليدن ١٨٩١ م) .

(٤) أحسن التقاسيم ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٥) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ٢٤٤ .

ديوان آخر . ولا يفتح الا ساعة من النهار (أى وقت محدد) ، واذا رجع الحاج مكسو (أخذوا ضريبة) أحمال الادم والجمال الاعرابية ، وكذلك بالكوفة وبغداد . ويؤخذ من الحاج للحمل الواحد ستون ، ومن حمل البز (نوع من النسيج الحريرى) مائة درهم ومائة بالبصرة والكوفة(٦) .

كانت تفرض ضرائب بالبصرة على البضـــائع التى ترد اليها فى السفن من خارج العراق ، وتسمى محلات جباية المكوس بالمراصد(٧) أو المآصر ، وان كان لفظ المآصر يطلق على الضريبة نفسها ، وبلغت قيمة الضرائب العائدة من السفن القادمة الى البصرة عام (٣٠٦ هـ) ٢٢ر٥٧٥ دينار ، وبلغت سنة ٣٣٩ هـ ٢٠٠ر٠٠٠ دينار(٨) .

كان لا يسمح للتجار الأجانب بمزاولة نشاطهم فى بلاد العراق فى العهد البويهى الا بعــد أداء الضريبة على ما يحملونه من بضـــائع ، ويمنحون مقابل ذلك ترخيصا بالاقامة فى البلاد لمدة عام(٩) .

حاول معز الدولة البويهى تخفيف عبء الضرائب عن كاهل أهل بغداد عندما أمر حاجبه سبكتكين سنة ٣٦٣ هـ برفع ما كان يؤخذ منهم من ضرائب الغنم المجلوبة والأمتعـــة التى يأخذها الحجيج صادرة وواردة(١٠) .

كان أهل العراق يؤدون ضرائب على بيع الدواب كالخيل والحمير والبغال سنة ٣٧٣ هـ عندما أمر عضد الدولة بفرض هذه الضريبة وزاد

---

(٦) المقدسى : ص ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٧) الخوارزمى : مفاتيح العـــلوم ص ٣٠٧ .
(٨) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
وكانت قيمة الضريبة التى تؤخذ على السفن القادمة الى البصرة من البحر ٥ر٢ ٪ من التاجر المسلم من قيمة بضاعته اما التجار الهنود والصينيون فكانوا يدفعون ١٠ ٪ من قيمة بضائعهم . الدورى : ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
(٩) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ص ٢٦٢ .
(١٠) الصابى : رسائل الصابى ج ١ ص ٣٢٥ .

على ذلك فمنع عمل الثلج والقز وجعلها متجرا خاصا[١١] ، كما فرضت فى بغداد عشر الثمن على المنسوجات الحريرية والقطنية المصنوعة فى هذه المدينة وضواحيها ، ثم ألغيت هـذه الضريبة فترة من الزمن ، ولما جاء صمصام الدولة سنة ٣٧٥ هـ أعادها ، لكنه لم يلبث أن اضطر الى الغائها[١٢] ، ثم أعادها فى سنة ٣٨٩ هـ الوزير أبو نصر سابور وأخذت على الابريسمات والقطنيات فى بغداد ، ورغم ثورة سكان محلة العتابية ومحلة باب الشام فقد أصر هذا الوزير على ابقائها ويذكر الصابى[١٣] أن هذا الرسم « ثبت ورتبت فى جبايته ناظرون ومتولون وأفرد له ديوان فى دار البركة ، ووضعت الختوم على جميع ما يقطع فى المناسج ويباع ويحمل ، واستمرت الحال على ذلك الى آخر أيام عميد الجيوش أبى على[١٤] سنة ٣٩٠ هـ ثم أسقطه وأزال رسمه » .

كذلك فرضت الضرائب فى عهد عضد الدولة على الطواحين والأرحاء ، وقاسى الناس منها حتى جاء صمصام الدولة فأزال ما قرره عضد الدولة على الأرحاء والطواحين وأجرى الناس على رسومهم القديمة[١٥] .

وفى الجزيرة استولى الحمدانيون على جميع الطواحين وكان واردها مبلغا كبيرا فبلغ فى نصيبين سبعة عشر ألف دينار[١٦] ، وفى الحديثة حوالى خمسين ألف درهم سنويا[١٧] .

---

(١١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ١١٥ مصر ١٣٥٣ هـ .
(١٢) ابن الاثير : جـ ٧ ص ١٢٨ .
، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٢٧ .
(١٣) تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ص ٣٦٨ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ .
(١٤) هو مؤيد الملك ابو على الحسين بن الحسن فوض اليه بهاء الدولة أمور الاعمال وتقليد العمال وتحصيل الاموال .
الصابى : تحفة الأمراء ص ٤٦٧ .
(١٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الامم ص ٧١ ، ٧٨ .
(١٦) ابن حوقل : ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
(١٧) ابن حوقل : ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

كانت تؤخذ ضرائب على الأسواق والحوانيت ففي سنة ٤٢١هـ أحدث أبو منصور بختيار[١٨] في البصرة ضرائب جديدة[١٩] ، وقد أثارت ضريبة الملح تذمر الناس وشكواهم وكانت تؤخذ على مقدار ما يباع من الملح في أسواق بغداد ، فعمل أبو طاهر جلال الدولة على الغائها سنة ٤٢٥ هـ ، وقد أشار ابن الجوزي[٢٠] الى الظروف التي أدت الى الغاء هذه الضريبة فقال : « وفي هذه الآونة خاطب الدينوري الزاهد الملك البويهي (يعني الأمير جلال الدولة البويهي) في ازالة ضريبة الملح وأعلمه ما يتطرق على الناس من الأذى بذلك ، فأمر بذلك وكتب به منشورا وقرىء في الجوامع وكتب على أبوابها بلعن من يتعرض لاعادة هذه الجباية ، وكان وارد هذه الضريبة يبلغ ألفي دينار سنويا » .

كذلك فرضت ضرائب على دور الضرب ، وبلغ مقدار ما حصل منها ببغداد وسامرا وواسط والبصرة والكوفة في أوائل القرن الرابع الهجري (٣٠٦ هـ) حوالي ٣٧٠ر٦٠ دينارا[٢١] .

كان مال الجهبذة من بين الضرائب التي عرفت في العهد البويهي ، فجاء في عهد الخليفة الطائع لله ناصر الدولة بن حمدان حين ولاه الجزيرة والموصل وما جاورها « وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه واستجادة نقده على عياره واستعمال الصحة في قبض ما يقبضون واطلاق ما يطلقون »[٢٢] وكانت هذه الضريبة سببا في ارهاق الناس وتذمرهم .

ولا شك أن نظام الضرائب المتعددة يتميز بغزارة الحصيلة من حيث أنه يصيب جميع نواحي النشاط الاقتصادي ، غير أنه قد يترتب

---

(١٨) أبو منصور بختيار بن على كان نائبا لأبي كاليجار في البصرة .
ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ١٥٢ ، ١٥٣ مصر ١٢٩٠ هـ .
(١٩) شملت هذه الضرائب معظم اوجه المعاملات في الاسواق .
ابن الاثير : ج ٩ ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٢٠) المنتظم ج ٨ ص ٧٨ .
(٢١) الزبيدي : العراق في العصر البويهي ص ٢٥٤ .
(٢٢) الصابي : رسائل الصابي ج ١ ص ١١١ .

على التغالى فى تعدد الضرائب زيادة نفقات الجباية وارهاق الناس[٢٣] .

(ب) المكاييل والموازين والمقاييس :

١ — **المكاييل** : تنوعت وحدات الكيل فى الأسواق ولعل أبرزها الصاع[٢٤] وهو الوحدة الأساسية للكيل ويساوى ثمانية أرطال كوفية[٢٥] ، والجريب[٢٦] وهو عيار سعته ٢٩٫٥ لتر أو ما يساوى ٢٢٫٧١٥ كيلوجرام[٢٧] والكيلجة وتساوى ⅓ ثلث مكوك أو ما يعادل خمسة أرطال[٢٨] أو ستمائة درهم[٢٩] ، والكر وهو مكيال بابلى الأصل وكان يساوى من حيث الأساس ٣٠ ثلاثين كاره[٣٠] تساوى = ٦٠ قفيزا[٣١] وكل قفيز يساوى ثمان مكاكيك وفى أواخر القرن الثالث الهجرى كان الكر الكبير الوافى فى بغداد والكوفة ستين قفيزا ، وكل قفيز ثمانية مكاكيك وكل مكوك ثلاثة كيالج والكيلجة وزن ستمائة درهم[٣٢] ،

---

(٢٣) ابراهيم فؤاد على : الموارد المالية فى الاسلام ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ معهد الدراسات الاسلامية ١٩٧٠ م .

(٢٤) الصاع الشرعى يساوى اربعة امداد عند اهل المدينة .
الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ١٤ (ليدن ١٩٦٨ م) .

(٢٥) مفاتيح العلوم ص ١٤ ويذكر ابو يوسف : الخراج ص ٣١ انه يساوى خمسة ارطال وثلث .

(٢٦) وهو من المقاييس ومقداره اربعة اقفزة والقفيز مائة واربع واربعين ذراعا .
الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ص ٣١ ، ٣٢ (هامش) .

(٢٧) ، (٢٨) حمدان الكبيسى : اسواق بغداد ص ٢٠٦ دكتوراه — جامعة القاهرة .

(٢٩) مفاتيح العلوم ص ١٥ .

(٣٠) الكارة : مكيال يتعامل به اهل العراق خصوصا ويساوى قفيزين او ١٦ مكوكا .
حمدان الكبيسى : اسواق بغداد ص ٢٠٦ .

(٣١) مفاتيح العلوم ص ١٥ .

(٣٢) مفاتيح العلوم ص ١٥ .
وكان وزن الكيلجة بواسط والبصرة مائة وعشرون قفيزا وكل قفيز اربعة مكاكيك وكل مكوك خمسة عشر رطلا وكل رطل مائة وثمانية وعشرون درهما .
مفاتيح العلوم ص ١٥ .

أما الكر بواسط والبصرة فكان مائة وعشرين قفيزا وكل قفيز أربعة مكاكيك والمكوك خمسة عشر رطلا وكل رطل مائة وثمانية وعشرين درهما(٣٣) .

وكان القفيز من مكاييل الأشياء اليابسة(٣٤) ويساوى ثمان مكاكيك والمكوك مقدار صاع(٣٥) ونصف(٣٦) وهو ثلاث كيلجات أى ما يعادل وزنا من الحنطة مقداره (٥ر٦٢٥ كيلوجرام) ومتوسط سعة المكوك ٧ر٥ لتر ، أما المد فهو مكيال مقداره رطلان أو رطل وثلث(٣٧) .

٢ — **الموازين** : كان الرطل أساسا يساوى اثنى عشر أوقية والأوقية اثنا عشر درهما(٣٨) . وكان الرطل البغدادى يساوى ١٣٠ درهما(٣٩) أى ما يعادل ٤٠٦ر٢٥ جرام ، واختلفت الأرطال(٤٠) تبعا لما يوزن بها ، فكان الرطل الذى يوزن به الفحم والحطب والخشب غير الذى يوزن به العود والكافور والراوند والأدهان النفيسة والطيب(٤١) .

---

(٣٣) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ١٥ .

(٣٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ص ١٧ .
E. ncy. of Islam : Art : Kafiz.
وهو أيضا مقياس للارض مقداره مائة وأربعين ذراعا .

(٣٥) الصاع عند أهل الكوفة يساوى أربعة امداد أو ما يساوى ثمانية أرطال .
الكرملى : النقود العربية ص ٤٠ (هامش) .

(٣٦) الشيزرى : ص ١٧ .

(٣٧) أو ملء كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمى مدا .
الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ١٤ .

(٣٨) المقريزى : اغاثة الامة ص ٤٩ .
وزنة الدرهم خمسون حبة وخمسا حبة من الشعير .
الكرملى : النقود العربية ص ٣٨ .

(٣٩) كان رطل واسط والبصرة مائة وثمانية وعشرون درهما .
مفاتيح العلوم ص ١٥ .

(٤٠) كان رطل نصيبين يساوى أربعمائة وعشرين درهما ، ورطل الرى ثلثمائة درهم .
ايليا المطران : مقالته فى المكاييل والموازين ص ٥ ، المقدسى : ص ٣٩٧ .

(٤١) ايليا المطران : مقالته فى الموازين والمكاييل ص ٥ (مخطوط) .
وكان رطل اللبن بالموصل ستون رطلا .

استتبع اختلاف الأرطال تفاوت القناطير ، وكان القنطار من حيث الأساس يساوى مائة رطل(٤٢) وفى بعض الأحيان يساوى مائة من وكان المن يساوى رطلين(٤٣) .

٣ — **المقاييس** : كان الذراع أهم وحدات قياس الأطوال المستعملة فى الأسواق وكان الذراع الأصلى أو الشرعى أربعة وعشرين أصبعا(٤٤) ويسمى أيضا بالذراع المرسلة(٤٥) أو الذراع المأمونى(٤٦) ، وهناك ذراع يستخدم فى قياس البز والتجارة يعرف بالذراع السوداء(٤٧) أما ذراع المساحة ، فيقدر بذراع وربع بالمرسل(٤٨) .

(ج) العملة المتبادلة : كانت العملة من وسائل المعاملات

---

(٤٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ص ١٥ .

(٤٣) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ١١ .

، ابن الرفعة : كتاب الايضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان ص ١٤ (مخطوط) أى ما يساوى مائتين وستين درهما . ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٤٥٥ .

بينما يساوى من أصفهان ثلاثمائة درهم ، ومن اقليم الجبال أربعمائة ومن الرى ستمائة درهم .

المقدسى : احسن التقاسيم ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٤٤) المقدسى : ص ٦٥ .

(٤٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٥ ليدن ١٨٩٤ م .

(٤٦) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار فى ممالك الامصار جـ ١ ص ٢٣ . تحقيق احمد زكى ، دار الكتب ١٩٣٤ م .

(٤٧) وأول من وضعها الخليفة هارون الرشيد ، قدرها بذراع خادم كان على رأسه .

الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٦ ، ابن الرفعة : الرتبة فى الحسبة ورقة ٤٧ ب .

(٤٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٥ وهو بذلك ٣٢ أصبعا أى ما يساوى ٦١٫٦ سم .

محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية فى الدولة الاسلامية ص ٣٠٧ دار المعارف ١٩٦٩ م .

التجارية التى يحتاج اليها الناس فى تقدير مختلف أنواع السلع[٤٩] ، ولم تكن المعاملات فى أنحاء الدولة الاسلامية موحدة ، ففى البلاد التى كانت خاضعة للدولة الرومانية الشرقية ثم استولى عليها العرب كالشام ومصر ، شاع استعمال الدنانير الذهبية . أما فى بلاد فارس فعملتها الجارية الدراهم الفضـــية ، وكذلك الحال فى العراق[٥٠] وقد أخذت العملة الذهبية تنتشر فى شرق الدولة الاسلامية منذ بداية القرن الرابع الهجرى ، فدخلت بغداد وصار حساب الحكومة بالدنانير[٥١] ، ومع ذلك ظلت بعض البلاد الاســـلامية تتعامل بالدراهم الفضية فيقـــول الاصطخرى[٥٢] : « ان نقود أهل بخارى الدرهم ولا يتعاملون بالدينار فيما بينهم » .

وفى القرن الرابع الهجرى لم يكن سعر صرف الدراهم بالدنانير ثابتا ، بل كان فى هبوط وصعود ، فكان ســـعر الدينار فى سنة ٣٣٠ هـ يساوى عشر دراهم ، ويرجع هذا التدهور فى سعر الدينار الى أن « بجكم » (أمير الأمراء) ضرب دنانير أكثر فيها من نسبة المعـــدن الرخيص[٥٣] مما كان سببا فى بعض الاضطرابات المالية ، ثم جاء ناصر الدولة ابن حمدان فى نفس العام فعمل على تحسين الوضع المالى بتخليص الدنانير وضربها على عيار صحيح ، كما ضرب دنانير سماها « الابريزية » من أجود عيار ، وبيع الدينار فيها بثلاثة عشر درهما[٥٤] .

ومن الجدير بالذكر أن سياسة الخلافة العباسية المعادية للدولة الفاطمية فى مصر انعكس أثرها على العملة ، فحاولت الخلافة العباسية

---

(٤٩) الدمشقى : الاشارة الى محاسن التجارة ص ٥ .
(٥٠) يحيى بن آدم : كتاب « الخراج » ص ٧١ ، ٧٢ .
، جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ١٦١ .
(٥١) آدم متز : جـ ٢ ص ٣١٧ .
(٥٢) المسالك والممالك ص ١٧٥ .
(٥٣) الصولى : أخبار الراضى والمتقى ص ١٢٦ .
(٥٤) مسكويه : تجارب الامم جـ ٦ ص ٣١ .
، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٠٣ .

فرض نوع من الحصار الاقتصادى على مصر ، وذلك حينما أمر الخليفة العباسى القائم بأمر الله سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م بترك التعامل بالدنانير المصرية ، وأمر الشهود ألا يشهدوا فى كتاب ابتياع ولا ايجار ولا مداينة تذكر فيها الدنانير المغربية ، فعدل الناس عن هذه العملة الى غيرها[٥٥] .

وكان من أثر تلك السياسة أن قلت كمية الذهب الواردة الى العراق ، لأنه كان يستورد على الأغلب من مصر ، بالاضافة الى أن الرخاء الذى عم مصر فى العهد الفاطمى جعل أكثر الذهب يستعمل فيها ولا يبقى الا القليل للتصدير فارتفع سعر الدينار وهبط سعر الدرهم[٥٦] .

وكان لأمراء بنى بويه دور فى فساد العملة وعدم نقاء عيارها ، الأمر الذى أدى الى حدوث أزمات اقتصادية . ومن أمثلة ذلك أن ركن الدولة بن بويه ضرب دنانير سنة ٣٤٠ هـ أطلق عليها (الدنانير الركنية) كان نصفها من النحاس ، ثم صارت نحاسا[٥٧] وكان هذا الدينار يساوى ثلث الدينار المعتاد[٥٨] ، وفى سنة ٣٨٢ هـ شغب الجنود الديالمه وتمردوا على الأمير البويهى بهاء الدولة لفساد العملة الذهبية ، فنهبوا دار الوزير أبى نصر سابور[٥٩] مما اضطر بهاء الدولة الى اخراج ما فى خزائنه من أوانى الذهب والفضة فكسرت وضربت دنانير ودراهم خالصة[٦٠] .

---

(٥٥) ابن الاثير : الكامل جـ ٩ ص ٣٠٨ ، آدم متز : جـ ٢ ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٥٦) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ٢٢٥ .

(٥٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٤٠ .

(٥٨) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ٢١٧ .

(٥٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٧٢ ، ابن الاثير : جـ ٧ ص ١٦١ مصر ١٣٥٣ هـ .

(٦٠) أبو شجاع : ذيل تجارب الامم ص ٢٥٣ .

ولتسهيل المعاملات التجارية ضربت أجزاء للدرهم من النحاس[٦١] كالقيراط[٦٢] والحبه والدانق[٦٣] ، ويذكر مسكويه[٦٤] أن سعر الرطل من الخبز بيــع سنة ٣٣٨ هـ بـــ ٠٫٠٥ من الدرهم كما بيع رطل الحنطة بـــ ٢٫٧ درهم ورطل الشعير سنة ٣٤٩ هـ بـــ ١٫٦ درهم .

وكان العباسيون يضربون أنواعا من الدنانير كبيرة الحجم والوزن فى مناسبات كثيرة اما للكنز (للاختزان) واما للصله والاهداء ، وكان الواحد منها يزن مائة مثقال[٦٥] ففى المحرم سنة ٣٨٧ هـ ضرب الوزير الصاحب بن عباد البويهى دينارا وزنه ألف مثقال أهداه الى فخــر الدولة على بن ركن الـــدولة[٦٦] ، ونقش على أحد جانبيه أبياتا من الشــعر[٦٧] ، وعلى الجانب الآخر سورة الاخلاص ولقب الخليفة الطائع لله ولقب فخر الدولة واسم جرجان لأنه ضرب فيها[٦٨] .

كذلك ضرب سيف الدولة الحمدانى دنانير الصلات نقش عليها

---

(٦١) ولم يكن يشترط ذكر اسم الخليفة عليها ، بل ترك للامـــراء والحكام حرية التصرف فيها .
محمد باقر : العملة الاسلامية فى العهد الاتابكى ص ٤٨ ، ص ٩٨ بغداد ١٩٦٦ م .

(٦٢) القيراط : اختلف وزنه بحسب البلاد ، ويساوى فى العراق نصف دانق .
ايليا المطران : مقالته فى المكاييل والاوزان ص ٣ (مخطوط) .

(٦٣) ويســاوى ١/٦ سدس درهم . ابن الرفعة : كتاب الايضـــاح والتبيان فى معرفة الكيل والميزان ص ٨ (مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٢ رياضة تيمـــور) .

(٦٤) تجارب الامم جـ ٦ ص ١٢٥ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٤٧ .
، الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ٢١١ .

(٦٥) ناصر الدين النقشبندى : الدينار الاسلامى فى المتحف العراقى جـ ١ ص ٣٤ بغداد ١٩٥٣ م .

(٦٦) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٦ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
، ابو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٦٧) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى جـ ١ ص ٣٠٨ .

(٦٨) مع أن الاهداء كان بالرى .
آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

سمه وصورته ، وكانت قيمة الدينار الواحد تساوى عشرة دنانير[٦٩] ، كما ضرب ناصر الدولة عشرة دنانير تزن خمسمائة مثقال أهداها الى أبى اسحق الصابى[٧٠] وأجاز الوزير البويهى أبو الفضل بن العميد أحد الشعراء بدراهم ودنانير قيمة كل منها خمسة أضعاف قيمة النقـود العـادية[٧١] .

أما فى بلاد المشرق الاسلامى ، فقد ضرب السامانيون سكتهم على نمط الدينار العباسى وذكر عليه أسماء الخلفاء العباسيين مع الحـكام السامانيين ، وذلك فى مدن الشاش (طشقند) ونيسابور وسمرقند ، وقد ضربت أول عملة ذهبية باسم اسماعيل بن أحمد سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م[٧٢] ، كذلك ضرب نصر بن أحمـد بمدينة المحمدية (الرى) الدنانير باسمه منذ سنة ٣١٤ الى سنة ٣٣١ هـ[٧٣] ، كما ضرب نوح بن نصر بهذه المدينة دينارا سنة ٣٣٣ هـ[٧٤] .

استمر أمراء السامانيون فى ضرب نقودهم التى انتشرت انتشارا واسعا ، حتى أن معظم النقود العربية التى اكتشفت فى شمال أوربا وترجع الى القرن الرابع الهجرى كان أكثر من ثلثيها للسامانيين[٧٥] .

---

(٦٩) يوسف غنيمة : النقود العباسية ج ١ ص ١٣٣ مجلة سومر ١٩٥٣ م .

(٧٠) معجم الأدباء ج ١ ص ٣٣٩ .

(٧١) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٢٦ .

(٧٢) ناصر الدين النقشبندى : الدينار الاسلامى لملوك الطوائف ج ٢ المجلد الثالث ص ٢٩٦ مجلة سومر سنة ١٩٤٧ م .

(73) Miles (George) The numismatic History of Rayy. p. p. 143 - 153.

ذكر على الدنانير التى ضربها نصر بن أحمد اسم كل من الخلفـاء العباسيين الذين عاصرهم المقتدر بالله والراضى بالله والمتقى لله .

(74) Miles : opt cit, p. 153.

على الوجه الاول لهذا الدينار سورة الاخلاص وعلى الوجه الآخـر محمد رسول الله — المستكفى بالله . نوح بن نصر .

(٧٥) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٧٤ الطبعة الثانية ١٩٤٨ م .

وضرب الغزنويون عملتهم فى غزنه منذ سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م[٧٦]، كما ضربوا نقودهم فى نيسابور، وقد أورد لنا زامباور دينارا ضرب سنة ٤٠٨ هـ فى هذه المدينة وعليه ألقاب السلطان[٧٧] محمود الغزنوى التى منحها له الخليفة القادر بالله العباسى وهى يمين الدولة وأمين الملة، وفى سنة ٤١٢ هـ ضرب فى نيسابور دينارا زاد فيه على ألقابه السابقة لقب نظام الدولة، وفى سنة ٤١٥ هـ ضرب دينارا فى نيسابور أيضا زاد فيها لقب أبو القاسم[٧٨] .

وضرب الغزنويون دنانيرهم فى الرى، ويظهر ذلك على دينار ضرب على عهد السلطان محمود سنة ٤٢٠ هـ[٧٩]، كما ضرب هذا السلطان فى نفس السنة دينارا عليه ألقابه واسم الخليفة القادر وألحق به اسم ابنه مسعود[٨٠] ولما ولى السلطان مسعود بعد وفاة أبيه سنة ٤٢١ هـ ضرب دينارا بنيسابور سنة ٤٢٣ هـ منقوشا عليه ألقابه[٨١] .

---

(٧٦) سك بلكاتكين عملته لاول مرة فى غزنة سنة ٣٥٩ هـ فى عهد تبعيته للسامانيين . لين بول : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة جـ ٢ ص ٥٨٨ تعريب أحمد السعيد سليمان .

(٧٧) يذكر المؤرخون أن محمودا كان أول حاكم تلقب بالسلطان واضفوا عليه وعلى اخلافه هذا اللقب ولكن المسكوكات لا تؤيد دعوى هؤلاء المؤرخين، فكان أول من لقب على المسكوكات بلقب سلطان هو ابراهيم الذى ولى سنة ٤٥١ هـ . لين بول : تاريخ الدول الاسلامية جـ ٢ ص ٥٨٩ .

(٧٨) Zambaur : Numismatische Zeitschrift. p.p. 126-128.

ويظهر هذا اللقب ايضا عن دينار ضرب فى بلخ سنة ٤٠٧ هـ .

(٧٩) على الوجه الاول لهذا الدينار : عدل لا اله الا الله لا شريك له وعلى الوجه الثانى محمد رسول الله — القادر بالله — وعلى جانبيه أمين الدولة محمود وأمين الملة .

Miles : The Numismatic History of Rayy. p. 187.

(٨٠) Miles : Opt Cit. p. 187.

(٨١) ناصر دين الله / حافظ عباد الله .

Zambaur : Opt Cit. p. 129.

(د) **دور الضرب** : دار الضرب هي التى تضرب فيها السكة[٨٢] أو العملة حيث يسبك فيها ما يحمل اليها من الذهب[٨٣] وقد عنى البويهيون عناية فائقة بمراقبة دور الضرب[٨٤] . فيذكر ياقوت[٨٥] أن القاضى التنوخى كان قاضيا وناظرا لدار الضرب فى بغداد . وقد منع البويهيون سك النقود خارج دور الضرب الحكومية حرصا على سلامة عيار العملة وعدم فسادها[٨٦] وأحكمت الرقابة على دور الضرب وشدد الأمراء والولاة فى ضرورة أن ينوط العيار فى دور الضرب بمن يجمع الى ديانته فقها وميع ورعه فهما بتصفية عين الدرهم والدينار من كل خبث وتخليصهما من كل غش ودنس وضربهما على الامام[٨٧] الذى يضرب عليه العين والورق (الذهب والفضة) بمدينة السلام ، ومنع التجار الذين يوردون الذهب والفضة الى دور الضرب من تجاوز ذلك وأن ينقش اسم أمير المؤمنين على ما يضرب من السكة[٨٨] .

ولم يقتصر الأمر على هذه الاجراءات ، بل عمد البويهيون الى

---

(٨٢) السكة : لفظة كانت اسما للطابع أى الحديدة المتخذة لذلك ، ثم صارت تطلق على اثرها وهى النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم وهى علامة السلطان ثم صارت تطلق اخيرا على القيام على ذلك وهى الوظيفة . ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٧ بولاق ١٣٢٠ هـ .

(٨٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٣١ .
، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٨ .

(٨٤) التنوخى : الفرج بعد الشدة جـ ١ ص ٢٢ .

(٨٥) معجم الأدباء : جـ ١٤ ص ١٢٣ .

(٨٦) أبو يعلى : الاحكام السلطانية ص ١٦٥ .

(٨٧) المراد بالامام أصل الدرهم والدينار من حيث الشكل والوزن والعيار .
عباس المعزاوى : تاريخ النقود العباسية ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٨٨) جاء ذلك فى عهد الخليفة الطائع الى الامير البويهى فخر الدولة على بن ركن الدولة سنة ٣٦٦ هـ ، وفى العهد الذى كتبه هذا الخليفة ايضا الى ناصر الدولة الحمدانى فى نفس السنة حين ولاه الموصل وديار بكر والثغور الشامية وغيرها .
الصابى : رسائل الصابى جـ ١ ص ١١٣ ، ١٤١ .

توقيع العقوبات على المخالفين لهذه التعليمات فيذكر التنوخى[٨٩] أن معز الدولة البويهى أمر بقتل رجل من الأهواز يعرف بابن كروم لأنه ضرب دنانير رديئة وأنفذها الى البصرة ليشـــترى بها الدواب ، فلم يتعامل بها ، ولما علم معز الدولة بذلك أمر بقتله ٠

وحرصا على جودة العيار ونقاء العملة سمح للتجار وغيرهم من الناس أن تضرب لهم الدنانير والدراهم فى دور الضرب الحكومية[٩٠] مقابل دفع ضريبة تسمى ثمن الحطب أو أجرة الضرب[٩١] ٠ تبلغ درهما واحدا عــن كل مائة درهم ، وقد اختلفت هــذه الضريبة باختــلاف المــدن[٩٢] ٠

وجرت العادة أن يسلم الناس الى الجهابذة أصحاب المصارف كميات الذهب والفضة ويحصلون على نقود مقابلها بعد خصم نسبة معينة من قيمتها ، ويقوم الجهابذة بالاتصال بدور الضرب لسك عملات جديدة لحسابهم[٩٣] ٠

تعــددت دور الضرب فى بلاد العراق والمشرق ، وظلت النقــود الرسمية للدولة تحمل أسماء دور الضرب الثلاثة بغداد[٩٤] والبصرة[٩٥] ،

---

(٨٩) جامع التواريخ (نشوار المحاضرة) جـ ١ ص ٧٢ طبعة مصر نشر مرجليوث ٠

(٩٠) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٢٢ ، أبو يعلى : الاحــكام السلطانية ص ١٦٥ ٠

(٩١) الكرملى : النقود العربية ص ١٤ ، النقشبندى : الدينــار الاسلامى جـ ١ ص ١٦ ٠

(٩٢) الكرملى : ص ٣٦ ذكر الاسعد بن مماتى ان اجرة الضرب بدار الضرب المصرية بالقاهرة عن كل الف دينار تؤخذ ثلاثين دينار ٠ قوانين الدواوين ص ٣٣٢ ٠

(٩٣) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ٢٣٣ ٠

(٩٤) أورد مايلز عملة ذهبية ضربت بمدينة السلام (بغداد) سنة ٢٢٧هـ وسنة ٢٢٩ هـ ٠

(95) Miles : opt cit. p. p. 72, 84.

والكوفة[٩٦] ، وكان بسامرا[٩٧] دار للضرب أنشأها الخليفة المعتصم ظلت تعمل حتى سنة ٣٣٠ هـ[٩٨] ، وكان بحران دار للضرب[٩٩] ، كما ضربت النقود بنصيبين[١٠٠] والموصل[١٠١] والرافقه[١٠٢] وواسط[١٠٣] وسنجار[١٠٤] والرحبه[١٠٥] .

كذلك كثر عدد دور الضرب فى المشرق الاسلامى . ومن أشهرها دار الضرب بمدينة المحمدية (الرى) وكانت أكبر دار للضرب فى اقليم الجبال . وقد وجد اسمها على كثير من النقود العباسية[١٠٦] ، كما كان هناك دار للضرب بمدينة « دستوا » فى نفس الاقليم[١٠٧] كذلك كان

---

(96) Miles : opt cit. p. 96.

(٩٧) ضربت الدنانير الذهبية بسامرا منذ سنة ٢٢٦ هـ وبعد ذلك بسنتين ضربت بها الدراهم حينما أصبحت عاصمة العباسيين .

توقف ضرب الدنانير بهذه الدرا سنة ٢٩١ هـ والدراهم سنة ٣٣٠ هـ .

Miles : opt cit. p. 36.

(98) Kirkman : The Mints. p. 18 (Sumer, V, I, II, 1945).

(٩٩) ضربت النقود فيها لأول مرة سنة ٢٨٤ هـ .

Miles : Rare istamic coins. p. 41.

(١٠٠) لأول مرة سنة ٢٩٢ هـ

Miles : opt cit. p. 43.

(101) Miles : opt cit p. 43.

وقد عثر مايلز على ديناران يرجع تاريخ سكهما الى سنة ٢٦٣ هـ .

(١٠٢) أورد مايلز ديناران ضرب أحدهما سنة ٢٩٥ هـ والآخر سنة ٣٠١ هـ ، كما ضربت بها الدراهم الفضيه منذ سنة ٢٠٤ هـ .

Miles : opt cit. p. p. 44, 47, 86, 98.

(١٠٣) أورد مايلز درهمان فضيان ضربا بواسط سنة ٢٨٩ ، ٣٠١ هـ .

Miles : opt. p. 93.

(104) Miles : opt cit. p. 93.

(١٠٥) ضربت بهذه الدار الدراهم الفضية سنة ٣٢٣ هـ .

, Miles : opt cit. p. 104.

(١٠٦) لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٤٩ .

(١٠٧) بلدان الخلافة : ص ٢٥٢ .

« ببنجهير »[١٠٨] فى اقليم سجستان[١٠٩] دار للضرب فى أيام الصفاريين والسامانيين وجاء اسمها فى بعض النقود بصورة « بنجير »[١١٠] وقد أخذت هذه الدار اسمها من جبل الفضة القريب منها[١١١] كذلك بمدينة زرنج فى اقليم سجستان دار للضرب[١١٢] ، كما كان بمدينة هراة دار للضرب[١١٣] .

وكان بالأهواز (فى اقليم خوزستان) دار للضرب[١١٤] ، كذلك كان بتستر دار للضرب[١١٥] وضربت الدنانير فى دار الضرب بمدينة الكرج منذ سنة ٢٩٥ هـ[١١٦] ، كما كان بجنابه دار للضرب[١١٧] ، واستمرت دار الضرب فى همذان تؤدى عملها خلال القرن الرابع الهجرى[١١٨] ، وكان فى أصبهان دار للضرب[١١٩] .

---

(١٠٨) فى افغانستان حاليا : لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣٨٩ .

(١٠٩) يذكر ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ٢٠٧ انه ظهر فى ارض سجستان معدن الذهب كانوا يحفرون فيه آبارا ويخرجون من التراب الذهب الاحمر .

(110) Codrinaton (O) : A Manual of Musulman Numismatic p. 145. (London 1909).

(١١١) بلدان الخلافة ص ٣٨٩ .

(١١٢) ضربت بها الدراهم الفضية سنة ٢٠٥ هـ .
Miles : Rare Islamic Coins. p 73;

(١١٣) كانت هذه الدار تعمل منذ سنة ١٩٥ هـ .
Miles : opt cit. p. 65.

(١١٤) يذكر مايلز أن هذه الدار ضربت بها الدنانير والدراهم منذ أيام الخليفة المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ .
Miles : opt cit. p. p. 40 52, 88, 89.

(115) Miles : p. 48, 51.

(116)Miles. p. 44.

(117) Miles. p. 92.

(١١٨) أورد مايلز عملة نادرة ضربت بهذه الدار سنة ٣١٣ هـ وسنة ٣١٥ هـ .
Miles : opt cit. p. p. 49, 99.

(١١٩) عثر مايلز على دينار ان ضربا بأصبهان فى سنة ٢٩٣ هـ ويعتبرهما من الدنانير النادرة لهذه المدينة التى لم تنتشر نقودها الذهبية قبل سنة ٣٠٠ هـ .
Miles : opt cit. p 43.

وكان بشيراز أكبر دار للضرب باقليم فارس[١٢٠] ، كما ضربت النقود فى نيسابور باقليم خراسان[١٢١] ، وأنشىء بجرجان أيضا دار للضرب[١٢٢] ، كما كان بمدينة بلخ دار للضرب[١٢٣] .

وفى بلاد ما وراء النهـر كان بمدينة الشـاش (طشقند) دار للضرب[١٢٤] ، كما كان بسمرقند دار للضرب[١٢٥] ، وكان بايلاق دار لضرب العين والورق (الذهب والفضة) حيث توفرت معادن الفضة فى جبال ايلاق على حد فرغانه[١٢٦] .

لم يكن ضرب الدراهم والدنانير فى دور الضرب يتم طوال السنة ، وانما كان العمل فى هذه الدور وبخاصة فى المشرق الاسلامى فى مواسم معينـة[١٢٧] وبلغ عدد دور الضرب فى عهـد العباسيين مائة وخمسين

---

(١٢٠) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٥٦ .
أورد مايلز دراهم فضية ضربت فى هذه الدار سنة ٣٠٠ هـ ، ٣٠٦ ، ٣١٧ هـ .
Miles : Rare islamic Coins .p. p. 93, 96,99.

(١٢١) لسترنج : بلدان الخلافة ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
كانت هذه الدار تعمل منذ النصف الثانى من القرن الثانى الهجـرى حيث أورد مايلز دينارا ضرب فيها يرجع تاريخه الى سنة ١٩٣ هـ .
Miles : opt cit. p 69.

(١٢٢) ابن الاثير : جـ ٩ ص ٢٠ ، آدم متز : جـ ١ ص ٢٠٣ .

(١٢٣) أورد مايلز دينارا ضرب فى بلخ سنة ١٩٦ هـ .
Miles : opt cit. p 65.

(١٢٤) أورد مايلز درهمين فضين ضربا فى هذه الدار سنة ٢٣٢ ، ٢٧٦ هـ .
Miles : opt cit. p. p. 78, 87.

(١٢٥) كانت هذه الدار تعمل منذ أواخر القرن الثانى الهجرى حيث أورد مايلز دينارا ضرب بها سنة ١٩٥ هـ ودرهما فضيا ضرب بها سنة ٢٠٢ هـ.
Miles : opt cit. p. p. 64, 71.

(١٢٦) لسترنج : بلدان الخلافة ص ٥٢٦ .

(١٢٧) من الامور التى كانت تصاحب النيروز افتتاح الخراج وتولية العمال والاستبدال وضرب الدراهم والدنانير . حمدان الكبيسى : أسواق بغداد ص ٢٠٤ .

دارا[١٢٨] .

(هـ) السفاتج والصكوك : ارتبطـت الصرافة ارتباطا وثيقا بالحركة التجارية حيث كانت تقام للصرافة سـوق عقب كل سـوق تجارية ، فيسوى التجار حساباتهم مع بعضهم البعض ، وتحرر الوثائق بالرصيد الباقى على أن تدفع فى السوق التالى[١٢٩] .

كانت المعاملات المالية الضخمة تتطلب وسائل للدفع مأمونة من الضياع خفيفة الحمل وبعيدة عن متناول اللصوص . ومن هذه الوسائل السفاتج والحوالات[١٣٠] . وهو نظام فارسى الأصل دخـل العالم الاسلامى حيث وفد تجار الفرس الى بغداد فى العصر العباسى الأول واستخدموا هذا النظام المالى المتبع عندهم منذ أمد بعيد[١٣١] .

وكان الناس يدخلون السوق ويودعون لدى الصراف ما معهم من دنانير ويأخذون سفتجه أى خطاب اعتماد بهذا المبلغ ، ثم يشترون ما يريدون ممن يشاءون من التجار ولا يدفعون شيئا ، وانما تقيد أثمان ما يشترونه فى السفتجه وفى دفتر التاجر ، وفى نهاية اليوم أو الأسبوع تكون المقاصـة فيدفع الصراف الى التجار أثمان ما اشـتراه التاجر

(١٢٨) كانت دور الضرب فى بداية أمرها تابعة لبلدان عديدة من جراء البعد وصعوبة المواصلات ، وهذه تكاثرت وتعددت ومالـت الى التدقم أيام الدولة العباسية . ويصح أن نقول أن أماكن الضرب قاربت المائة والخمسين أو زادت عليها ، وكان ذلك حتى عهد الخليفة الناصر العباسى . عباس العزاوى : تاريخ النقود العراقية ، ص ١٩ بغـداد ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .

(١٢٩) مصطفى عبد الله الهمشرى : الاعمال المصرفية والاسلام ص ٢١ رسالة ماجستير — جامعة القاهرة .

(١٣٠) السفاتج : مفردها سفتجة وهى كلمة فارسية معناها ورقة مالية أو خطاب ضمان يبعثه صاحب المال لوكيله بان يدفع مالا قرضا يأمن به من خطر الطريق .

الثعالبى : ثمار القلوب ص ٥٤٥ .

(131) Nardi : Industry and commerce under the Abassids. p. p. 28—29 (J. E. S. H. O. IX. 1956)

ويخصمها من السفتجه ويعطى للتاجر الباقي . وكان التجار يفضلون ذلك حتى تكون أموالهم فى أمان(١٣٢) .

وكثر استعمال السفاتج فى القرن الرابع الهجري حيث لجأ التجار الى استعمالها ، وكان يتولى كتابتهما الجهابذة(١٣٣) ، والصرافون بقيمـة المبـالغ التي يأخذونها منهـم قابلة للصرف فى أى بلد من عملائهم(١٣٤) . وصار للسفاتج قيمة المال واستخدمها الأفراد فى مبيعاتهم ومعاملاتهم(١٣٥) .

وكان بعض السفاتج يجدد موعد استحقاقها فيذكر التنوخى(١٣٦) (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) أن « رجلا من بغداد استلم سفتجه من الدينور بأجل أربعين يوما على تاجر بغدادى » بينما كان بعض هذه السفاتج الواردة من الأقاليم يصرف فى أى وقت . وكانت السفاتج الواردة من الأقاليم بأجل تبقى فى بيت المال حتى يحين موعد استحقاقها . واذا صرفت السفاتج ذات الموعد المحدد قبل ميعادها فان التاجر أو الصراف لابد أن يأخذ عمولة قدرها دانق ونصف عن كل دينار ، وبعضهم يأخذ درهما عن كل دينار(١٣٧) .

وكان لصاحب السفتجه اذا حان موعد صرفها أن يسحب نقوده دفعة واحدة أو على دفعات ، فقد أورد التنوخى (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) حكاية على لسان صراف من البصرة فقال « أورد رجل غريب سفتجه

---

(١٣٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٩٦ .

(١٣٣) الجهابذة : كانوا اما من التجار أو الصيارفة أو المشتغلين بالأعمال المالية .

عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٥٩ .

(١٣٤) التنوخى : الفرج بعد الشدة جـ ٢ ص ٢٦٣ .

، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ص ١٣٠ .

(135) Kremer : The Orient under the caliphs p. 416.

، التنوخى : الفرج بعد الشدة جـ ٢ ص ٣٣ .

(١٣٦) التنوخى : جامع التواريخ (نشوار المحاضرة) جـ ٢ ص ٣٠ .

(١٣٧) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ٢٢٥ .

بأجل . فكان يتردد الى أن خلت (حل ميعاد صرفها) ثم قال : أودعها عندك وآخذها متفرقة ، فكان يجيء كل يوم فيأخذ بقدر نفقته الى أن نفذت »[١٣٨] .

كانت العمليات التجارية يتم الدفع فيها أحيانا بالسفاتج دون حاجة الى نقل النقود أو البضائع[١٣٩] ، كما كان بمقدور التاجر أن يشترى بضاعته ويقترض ثمنها من بيت مال الاقليم الذى هو فيه بسفاتج يردها اليه . وكان لابد لكل سفتجه لكى تكون صالحة من توقيع أو ختم صاحبها للصراف أو التاجر المحولة عليه والا فلا يتم صرفها[١٤٠] .

كذلك كانت الصكوك[١٤١] تستعمل كوسيلة من وسائل دفع المال . والصك أمر بدفع مبلغ معين من النقود الى الشخص الوارد اسمه فيه ، وقد استخدمت الصكوك منذ صدر الاسلام ، حيث كانت الأرزاق والرواتب تدفع بها أحيانا . فكان عمر بن الخطاب أول من صك وختم أسفل الصكاك[١٤٢] .

زاد استخدام الصكوك فى القرنين الرابع والخامس الهجرى (العاشر والحادى عشر الميلادى) فكان الشخص يرسل الصك الى

---

(١٣٨) التنوخى : نشوار المحاضر ج ٨ ص ١٣١ .
(١٣٩) مسكويه : تجارب الامم ج ٥ ص ٤٣ .
(١٤٠) ذكر مسكويه ج ٦ ص ٨٣ فى حوادث سنة ٣٣٤ هـ أنه حينما « زاد ابن شيرزاد الاتراك والديلم من أرزاقهم زيادات كثيرة فاشتدت الاضاقة ، فانفذ الى ناصر الدولة يطالبه بحمل المال ويطمعه فى رد الامارة اليه ، فحمل اليه دقيقا وسفاتجا بخمسمائة الف درهم فلم يكن لها موقع » .
(١٤١) كلمة صك : هى الاصل الحالى لكلمة شيك وهو فى الاصل سند الدين .

Goitien : Bankers and Accounts from the Eleventh century. A. D. P. 29 (J. E. S. H. O Vol. IX Part I—11 1966)

واستخدمها الفرس بصيغتها الفارسية « جك » لا بصيغتها العربية ثم انتقلت الى غرب أوربا . بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ص ١٣١ .
(١٤٢) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ٢٢٦ .

التاجر واسم السلع التى يريدها وثمنها وعليه توقيعه ، فيرسل له التاجر ما يريد ويحتفظ بهذه الصكوك ، ثم يسلمها له ويتقاضى منه ثمن ما أخذ من بضائع(١٤٣) .

لم يكن التعامل بهذه الصكوك مقصورا على أفراد الشعب ، بل كانت الحكومة أيضا تتعامل بها ، وكانت الصكوك الحكومية عادة تختم بخاتم الخلافة(١٤٤) . وفى بعض الأحيان كانت الصكوك تكتب وتصرف على بيت المال أو على التجار والصرافين(١٤٥) ، كما جرت العادة أن يوقع على الصك شاهدان من العدول(١٤٦) ، وفى بعض الأحيان يوقع عليه ضامن بالمبلغ ويكون مسئولا عن تسديد قيمته فى حالة عجز المدين(١٤٧) .

أدى التعامل بالسفاتج والحوالات والصكوك الى ظهور طبقة ليس لها اشتغال الا بشئون المال . وهم الجهابذة والصيارفة الذين اكتسبوا ثقة الناس فى التعامل ، فكان الناس يودعون أموالهم من الذهب والفضة عند الصراف ، الذى كان يعطى كل من يودع عنده مقدارا من الذهب وثيقة يثبت فيها ما تسلمه من مال ، ثم تطور الأمر فأصبح الناس يتعاملون بهذه الوثائق فى البيوع ووفاء الديون وتصفية الحسابات(١٤٨) وقام الجهابذة فى ذلك العصر مقام البنوك(١٤٩) ، فكانوا

---

(143) Goitien : Bankers and Accounts p. 26 (Jesko. Vol, IX. Part 1—11, 1966).

(١٤٤) ابن خلدون : المقدمة جـ ٢ ص ٨١٢ ، ٨١٣ .

(145) Goitien : opt cit. p. 26.

(١٤٦) ذكر ابن حوقل : انه رأى بأوذغشت صكا باثنين وأربعين ألف دينار بين اثنين من أهل سجلماسة وقد شهد عليه العدول . المسالك والممالك ص٤٢ .

ولا يكون للدائن فى هذه الحالة آية حقوق قبل المدين الا اذا عجز الضامن عن دفع مبلغ الدين .

(147) Kremer : The orient under the caliphs p. 415.

(١٤٨) مصطفى الهمشرى : الاعمال المصرفية والاسلام ص ٢١ ، ٢٢ ماجستير — جامعة القاهرة .

(١٤٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٦٣ .

يقومون بالاحتفاظ بما ويدع لديهم من أموال لتكون تحت طلب مودعيها ، وتحويل العملات المختلفة الى العملة الموحدة ، ونقل الأموال من مكان الى آخر نظير أجر يدفع سنويا(١٥٠) .

وكان يتولى أعمال الصيرفة فى بادىء الأمر النصارى واليهود ، ثم اشتغل بها بعض المسلمين فظهر منهم عدد غير قليل ، ولما كان الاسلام قد حرم الربا فان الصيارفة المسلمين كانوا يجمعون بين الصيرفة والتجارة . فصاروا يبيعون ما لديهم من بضائع وسلع بسعر أعلى بكثير من سعر السوق ويكون الدفع مؤجلا (البيع بالأجل)(١٥١) .

كذلك اشتهرت الكوفة بأنها مركز كبير للصيارفة والأعمال المالية ، وكان للصيارفة الذين يقومون بتحويل النقود ومبادلتها نشاط كبير فى هذه المدينة(١٥٢) ، كما كان هناك نشاط صيرفى ملحوظ فى مدينة بغداد(١٥٣) ، والمدائن والبصرة التى نشطت فيها العمليات التجارية مما أدى الى ازدياد عدد مصارفها(١٥٤) ، ورأى ناصر خسرو فى أصبهان سوقا من أسواق الصرافين به مائتا صراف(١٥٥) كما كانت بخارى مركزا هاما للصيرفة يستبدل فيه سكان آسيا الشرقية والغربية سكتهم بوساطة أهلها(١٥٦) .

---

(١٥٠) الهمشرى : ص ٢٢ ، ٢٣ .
(١٥١) الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ٢٠٥ .
(١٥٢) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٧١ .

(153) Lewis : B : The Islamic gold. p. 20, in the Economic Hist Review New York 1957.

(154) Samadi : Social and Economic Aspect. p. 245, Islamic Culture. V. 29.

(١٥٥) سفر نامه ص ١٠٢ ، ١٠٣ .
(١٥٦) فامبرى : تاريخ بخارى ص ٢٥ .

الباب الخامس

مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية

١ — الحالة الاجتماعيـــة :

(أ) عناصر الســـكان

(ب) الطـــوائف الدينيـــة

(جـ) طـــوائف المجتمـــع

(د) الموسيقى والغناء والمجالس الاجتماعية

٢ — الحياة العلمية والأدبيـــة :

(أ) مراكز الثقـــافة الاســـلامية

(ب) أشهر العلماء والأدباء وأثرهم فى الحركة الفكرية

(جـ) أشهر العلماء والكتاب الذين صنفوا فى العلوم النقلية

(د) أشهر العلماء الذين صنفوا فى العلوم العقليـــة

البـــاب الخامس

مظاهر الحيـــاة الاجتماعية والثقافيـــة

(أ) عناصر السكان : حوت بلاد العراق والمشرق الاســـلامى كثيرا من العناصر الجنسية منها العنصر العربى الذى أخذ يفقد مكانته بعد ظهور العنصر التركى فى خلافة المعتصم(١) ، بل ضعف شأنه نتيجة لاستبداد الأتراك بأمور الخلافة منذ أوائل القرن الثالث الهجرى(٢) .

والى جانب العنصر العربى ، كان هناك الفرس ، وقد تجلى أثر هذا العنصر فى بلاد العراق منذ مســـتهل الدولة العباســـية فى الحياة السياسية والاجتماعية ، فكان له أطماع قومية يعمل على تحقيقها ، مما جعل العباسيين يسيئون الظن به ويعملون على اضعاف نفوذه ، أما من الناحية الاجتماعية فتأثر المجتمع الاسلامى فى العراق بكثير من عاداتهم وتقاليدهم ، ومظاهر ترفهم وبذخهم(٣) .

أدت سيطرة البويهيين على بلاد العراق الى دخول عنصر الديلم الى هذه البلاد بأعداد كبيرة ، وكانوا قبل ذلك يسكنون المنطقة التى تطل على بحر قزوين فى ركنه الجنوبى الغربى ، ويحده من الشرق اقليم طبرســـتان ، ومن الجنوب ناحيـــة قزوين ، ومن الغرب جـــزء من آذربيجان(٤) .

---

(١) Khud Bakhsh : Politice in Islam. p. 116 (Lahoür-N-Ashraf 1954).

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ٧ ص ٢٢٥ ، ص ٣٢٤ — ص ٣٣١

(٣) فقد ظهر ذلك واضحا فى عدة نواح منها بناء القصـــور ، واحياء المجالس الغنائية والانغماس فى الشراب ، وكذلك ايضا فى ادوات الطعام التى كانت تصنع للخلفاء والوزراء من الذهب والفضة والبللور .

(٤) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٢٠٤

ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢٦٧

والديلم كما ذكرهم الصابى[٥] نوعان : قدماء العهود ، ووافدون على هؤلاء القدماء ، وقد هاجروا الى هذه البلاد بعد أن قام نزاع بينهم وبين مجاوريهم من القبائل الأخرى[٦] فرحلوا تباعا الى هذه المنطقة وكانوا أول من استوطنوها ، وانقسموا قسمين : ديلم وجيل[٧] ولم يلبث أن امتزج بهم كثير من العجم منذ بداية الفتح الاسلامى ، وصارت نواحيهم من ديار الاسلام ، واختلطوا بعناصر من خراسان والرى وقزوين والجبل وأصبهان ، وتم الامتزاج فيما بين هذه العناصر[٨] . وأصبح الديلم بمرور الزمن شعبا مستقلا له مقوماته الخاصة وشخصيته المتميزة التى استطاع المحافظة عليها .

وانقسم الديلم الى عدة قبائل ، كل قبيلة تسيطر على ناحية من النواحى ، فكانت قبيلة شيزيل آوندان تسيطر على ناحية « لياهج »[٩] التى تقع الى الشرق من مصب نهر سفيد رود ، ويقول الصابى[١٠] عن هذه القبيلة : « أنهم أسلاف مولانا الملك شاهنشاه عضد الدولة » .

أما الناحية الجنوبية لهذه البلاد (جنوب لياهج) فيقيم بها آل جستان ، وكانت رياسة الديلم فيهم من أوائل القرن الرابع الهجرى[١١] ، وذكر صاحب التدوين فى أخبار قزوين[١٢] اسم قبيلة آل مسافر وآل ليجز أيضا ، ويبدو أن هذه القبائل كان يغير بعضها على بعض ، وتحتل القبيلة المنتصرة منها ناحية القبيلة الأخرى حتى تهاجمها قبيلة أخرى فتجليها الى مكان آخر[١٣] .

(٥) المنتزع من التاجى فى أخبار الدولة الديلمية ورقه (١) فيلم بدار الكتب رقم ٢٣٥ .
(٦) ذكر القلقشندى : ان مساكنهم كانت بالناحية الشمالية من نجد بجوار بنى تميم .
صبح الأعشى جـ ١ ص ٣٤٨ .
(٧) المنتزع من التاجى ورقة (١)
(٨) المنتزع من التاجى ورقة (١)
(٩) المنتزع من التاجى ورقة (٣)
(١٠) المنتزع من التاجى ورقة (١)
(١١) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢٦٨
(١٢) لأبى القاسم عبد الكريم بن محمد : مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٤٨
(١٣) المنتزع من التاجى ورقة (٥) .

ومن أبرز مميزات الديلم الكرم والشجاعة • وليس أدل على كرمهم أنه لا يوجد لديهم خبازون أو قصابون لئلا يعتمد عليهم الغريب[١٤] ، وكان السخاء والشجاعة من المميزات التى تؤهل صاحبها للرياسة عليهم[١٥] • ويشيد بهم المقدسى بقوله[١٦] : انهم « رجال فى القتال ، وعندهم جلادة وسياسة » •

كان الديلم باستعدادهم الحربى وصبرهم وثباتهم فى ميادين القتال وعزمهم وتصميمهم أفضل من الفرس والأتراك ، مما حدا بأمراء النواحى الى استخدامهم فى جيوشهم ، ووصلوا بفضل كفاءتهم الى مراكز القيادة ، والسيطرة على كثير من البلاد •

كان عامة الديلم اكره (عمال) وفلاحين[١٧] ، ولم يكونوا متحضرين كبقية الشعوب المجاورة لهم ويقول حمزة الأصفهانى[١٨] : « وكانت الفرس تسمى الديلم أكراد طبرستان » نظرا لانعزالهم فى بيئتهم ، ويقول عنهم الرافعى[١٩] : « وجيل الديلم مشهورين بالقسوة وغلظ الطبع ، والتضحية بالنفس ، وعدم الانقياد لأحد ، ويضرب بهم المثل فى ذلك » كما كانت لهم لهجة خاصة تستمد أصولها من اللغة الفارسية[٢٠] ، أما أوصافهم الخلقية فالغالب عليهم النحافة ، وخفة الشعر[٢١] ، حسان اللحى والوجوه[٢٢] ، ومن عاداتهم اطالة شعر رؤوسهم[٢٣] •

---

(١٤) مقدمة المنتزع من التاجى .
(١٥) الصابى : المنتزع من التاجى ورقة (١) .
(١٦) أحسن التقاسيم ص ٣٥٣ ، ص ٣٦٠ ، ص ٣٧١ .
(١٧) الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتاخرة ص ٢٤٠
(١٨) تاريخ سنى ملوك الارض ص ٢٠٨ كلكته ١٨٦٦ م .
(١٩) التدوين فى أخبار قزوين ورقة (٢) (مخطوط) .
(٢٠) يذكر ناصر خسرو : سفر نامه ص ٣ فى معرض حديثه عن أحد العلماء : « أنه يتكلم الفارسية بلهجة الديالمة » .
(٢١) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٢٠٥
(٢٢) المقدسى : ص ٣٦٨
(٢٣) التنوخى : نشوار المحاضرة ص ٨٨ .

أما الأتراك الذين ظهروا فى الدولة الاسلامية فى القرن الثالث الهجرى[٢٤] ، بجانب العرب والفرس فلم يكن لهم مدنية وحضارة قديمة ، بل كانوا أشبه بالبدو ، غير أن صفاتهم العسكرية التى غرستها فيهم بيئتهم القبلية التى كانوا عليها قبل مجيئهم للعراق ساعدتهم على التفوق فى الناحية العسكرية ، فتولوا المناصب الكبرى فى الجيش ، كما أدى اتصـــافهم بالشجاعة والاقدام[٢٥] الى تقريبهم من قلوب الخلفاء وتفضيلهم على العرب والفرس ، فكون هؤلاء طبقة أرستقراطية فى الدولة[٢٦] ، ما لبثت أن ازداد نفوذها وخاصة بعد منحهم الاقطاعات الواسعة وأصبحوا سادة فى بلاد العراق[٢٧] .

لم يترك الأتراك فى الدولة الأثر الذى تركه الفرس ، فقد جاءوا بعاداتهـــم وتقاليدهم لا بحضـــارتهم وثقافتهـــم ، لكنهم تحضروا فى العراق . وتمت هذه العملية ببطء حتى انهم كثيرا ما كانوا يحتاجون الى مترجم ليكون واسطة فى التعبير عن رأيهم[٢٨] . فقد كان أمير الأمراء « بجكم » يحسن فهم العربية ، لكنه لا يجيد نطقها وكان يقول : « أخاف أن أتكلم بالعربية فاخطىء فى لفظى والخطأ من الرئيس قبيح . فلذلك أدع الكلام »[٢٩] .

وهناك فرع آخر من الأتراك وهم الأتراك الشرقيون (القره خانيون) فى آسيا الوسطى وهى المنطقة التى بسط السامانيون نفوذهم عليها من أوائل القرن الثالث الهجرى حتى نهـــاية القرن الرابع ،

---

(٢٤) أخذ عدد الأتراك فى الازدياد فى بداية القرن الثالث الهجرى حيث كون منهم الخليفة المعتصم جيشا منظما ، وأمعن فى شرائهم حتى بلغت عدتهم ثمانية آلاف مملوك وقيل ثمانية عشر الفا .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٣ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٢٣٤ .

(٢٥) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤنسة ج ١ ص ٧٤ .

(٢٦) Lane Poole : Turkey. p. 5.

(٢٧) Khuda Bakhsh : Politice in islam. p. 163.

(٢٨) احمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٤٥

(٢٩) الصولى : أخبار الراضى بالله والمتقى بالله ص ١٩٤

ويرجع اتصال الأتراك الشرقيين بالسامانيين فيما وراء النهر الى مستهل القرن الرابع الهجرى(٣٠) .

أخذ الاسلام ينتشر بين صفوف هؤلاء الترك(٣١) بعد أن تخلى السامانيون عن سياسة بناء الأسوار فى وادى سيحون والتى كانت تحول بينهم وبين عدوان الكفار من البـدو الأتراك(٣٢) ، وكان لهذا التطور أثره على علاقة أتراك التركستان بالاسلام ، اذ عبر كثير من سكان ما وراء النهر فى جماعات متتابعة الى مناطق المراعى والى داخل المناطق الصحراوية ، حيث أنشأوا مدنا صغيرة فى شكل مستعمرات سكانية استقروا بها ، وبدأوا منها نشاطهم الاقتصادى ، وصاحب هذا النشاط الاقتصادى نشاط ملحوظ فى الدعوة الى الاسلام ، قام بالدور الرئيسى فيه المتصوفة والمدارس التى أنشأها السامانيون لهذه الغـاية(٣٣) ، مما كان له أثره فى تعرف الأتراك على الاسـلام — والدخول فيه(٣٤) .

ونظرا لما تميزت به عقائد الاسلام من بساطة تناسب طبيعتهم البدوية البسيطة ، فضلا عما اتسم به الاسلام من سمو روحى وتفوق مادى وحضرى أدركوا أثرهما فى سـلوك مواطنيهم الذين سـبقت هجرتهم ، مما شجعهم على الهجرة اليهم والاقامة بين ظهرانيهم فى المدن التى استعمروها وفى المراعى وفى داخل الصحراء(٣٥) .

---

(٣٠) Barthold : Turkestan down to the Mongol invasion p. 256.

(٣١) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ص ٥٧ ، الأنجلو القاهرة ١٩٥٨ م .

(٣٢) فامبرى : تاريخ بخارى ص ٢٤

(٣٣) أشار بارتولد الى أن الصوفية كانوا يذهبون الى الصحارى لادخال الأتراك فى الاسلام ونجحوا فى ذلك الى حد بعيد . تاريخ الترك فى آسيا ص ٦٩ .

(٣٤) عن دور التجارة فى نشر الاسلام بين البدو من الترك انظـر بارتولد : تاريخ الترك ص ٧٠ .

ولنفس المؤلف : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٢٠ .

(٣٥) محمد حلمى محمد احمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ٨٦ — ص ٨٩ مكتبة الشباب ١٩٧٥ م .

وعلى الرغم من الجهود التى بذلها بعض الأمراء السامانيين فى نشر الاسلام بين الأتراك الشرقيين ، فان ذيوعه فى صفوف القبائل التى كانت تعيش عند مناطق الحدود مع بلاد الدولة الاسلامية كان بطيئا ، على حين نجـد أنه كان أكثر انتشـارا بين أتراك آسـيا الوسطى(٣٦) ، وليس أدل على ذلك من أنه فى سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م اعتنق الاسلام نحوا من مائتى ألف أسرة تركية(٣٧) .

ويعد السلاجقة من العناصر التركية ، وهم من قبائل الغز(٣٨) ، وهى مجموعة من القبائل التركمانية التى بلغ عددها أربعا وعشرين قبيلة ، ينتسب السلاجقة الى احداها(٣٩) ، وقد أخذت هذه القبائل تفارق موطنها الأصلى وهو أقصى سهول التركستان على شكل موجات خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى ، واستقروا فى أول أمرهم فى بلاد ما وراء النهر(٤٠) ، ويرجع السبب فى رحيل قبائل الغز(٤١) ، من بلاد التركستان الى ما وراء النهر الى ضيق رقعة أراضيهم وقلة مراعيهم(٤٢) ، فضلا عن التنازع واستمرار الحروب فيما بينهم(٤٣) .

---

(٣٦) الخلافة والدولة ص ٨٩ — ص ٩٠ .
، وانظر كذلك توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٤٣ — ص ٢٤٥ .

(٣٧) مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ ص ١٨١ .
Barthold : Tudkestan ddown. p. 254
Barthold : Four studies. Vol, 1 p.p. 98 - 100.

(٣٨) كانت هذه القبائل تسمى بالتقوز أو الغوز أو الأوغوز
بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ص ١٠١ .

(٣٩) وهى قبيـلة « قنـق » . بارتولد : تاريخ الترك ص ١٠٦ ، الحسينى : أخبار الـدولة السلجوقية ص ٢ ،ص ٣ ، دائرة المعـارف الاسلامية : مادة سلجوق .

(٤٠) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ص ١٠٦ — ص ١٠٧ ، براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ٢٠٩ — ص ٢١٠ .

(٤١) الراوندى : راحة الصدور ص ١٤٥ .

(٤٢) الراوندى : راحة الصدور ص ١٤٥

(٤٣) تاريخ الترك ص ١٠٠ — ص ١٠١ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران ص ١٦ — ص ١٧ .

انتقـل السلاجقة الى أراضى الـدولة الاسلامية حيث جاوروا السامانيين والخانيين والغزنويين ، واعتنقوا الاسلام على المذهـب السنى[٤٤] ، وكان لدخول السلاجقة فى الاسلام أثر كبير فى التقريب بينهم وبين السامانيين الذين عهدوا اليهم بالدفاع عن أراضيهم ضد غارات الأتراك غير المسلمين ، وفى مقابل المراعى التى أعطيت لهم[٤٥] ، كما سـاعدوهم أثناء نزاعهم مع القرخانيين ، مما جعـل السامانيين يسمحون لهم بالمرور عبر أراضيهم ، للاقامة على مقربة من شاطىء نهر سيحون حيث اتخذوا مدينـة « جنـد » بالقرب من بخارى — مقرا لهم[٤٦] .

ومن العناصر التى دخلت الدولة الاسلامية ، الروم ، وقد أدت الحروب المتصـلة بين المسـلمين والبيزنطيين[٤٧] الى أسر عدد كبير منهم[٤٨] ، وقد اشتغل مماليك الروم فى قصـور الخلفاء ورجالات الدولة ، وكان الخليفة المقتدر يملك عددا كبيرا من مماليك الروم[٤٩] .

وكان للروم فى بغـداد حى يسـمى دار الروم[٥٠] فى منطقـة الشماسية شمال بغداد ، وقد أقيم لهم بهذا الحى كنيسة على مذهب النسطورية ودير يسمى دير الروم[٥١] ، وكان لبعض الروم الذين استوطنوا الدولة الاسلامية نشاط أدبى وعلمى كابن الرومى الذى

---

(٤٤) الحسينى : اخبـار الـدولة السلجوقية ص ٢ — ص ٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١٣ ، بارتولد : تاريخ الترك ص ١٠٨ .

(٤٥) تاريخ الترك ص ١٠٠ — ص ١٠١

(٤٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٧٦ ، الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص ٢ — ص ٣ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ١٧١ — ص ١٧٢ .

(٤٧) Joseph Hell : The Arab civilization. p. 77 (Translated form German by khuda Bakhsh).

(٤٨) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٤١

(٤٩) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٠٠ تحقيق / محمد حامد الفقى — مطبعة السعادة ١٣٤٩ هـ .

(٥٠) Hitti : Hist. of the Arabs. p. 355.

(٥١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٧٢ .

ينتمى الى أصل رومى واسمه على بن العباس بن جريج ، وله فى الشعر ميزات قلما اجتمعت لغيره من شعراء العرب ، وأبو الفتح بن جنى الذى نبغ فى النحو والصرف ، وكان أبوه جنى مملوكا روميا لسليمان ابن فهد الأزدى(٥٢) .

وكان الأكراد يسكنون فى الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من الجزيرة الفراتية ، وأكثرهم رعاة أو فى مرحلة الرعى ، واستقر بعضهم فى قرى قرب الموصل ، ومن أشهر قبائلهم فى القرن الرابع الهجرى حميد وهذيانى وحكارى(٥٣) .

وقد احتفظ الأكراد بالنظام العشائرى فى حياتهم الاجتماعية ، وهم يتصفون بشدة البأس والشجاعة وعدم الخضوع أو الانقياد الا لزعمائهم(٥٤) .

ومن عناصر السكان أيضا الرقيق ، وكان بالعراق نوعان من الرقيق : الأسود والأبيض ، فالاول يجلب من ساحل افريقيا الشرقى(٥٥) . والثانى الأبيض ويشمل الترك والروم(٥٦) ، وكان هناك أسواق للرقيق ببعض المدن الكبرى مثل سمرقند ، التى اشتهرت بأنها أكبر سوق للرقيق الأبيض ، فكان يأتى اليها رقيق تركستان وما وراء النهر . وقد اتخذ أهلها تربية الرقيق وتهذيبهم صناعة يعيشون منها(٥٧) .

وكانت قصور الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة تأوى الكثير من الرقيق ، وعلى الأخص الجوارى ، الذين كانوا أجناس متنوعة تختلف فى الطباع والعادات واللغات . ولم ينظر الخلفاء العباسيون

---

(٥٢) احمد امين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ٦٧ — ص ٦٨ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٧٢ .
(٥٣) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ٢٠
(٥٤) سعيد حماده : النظام الاقتصادى فى العراق ص ٢٦
(٥٥) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ٦٤
(٥٦) احمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٣٠
(٥٧) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٦٨ — ص ٢٧٠

الى الأرقاء نظرة امتهان وازدراء بدليل أن كثيرا منهم كانوا أبناء أمهات وقعن فى أيدى آبائهم عن طـريق الاسترقاق ، بل أن بعض الخلفاء وكبار رجال الـدولة كانوا يتخذون الاماء من غير العرب ويفضلونهم أحيانا على العربيات الحرائر(٥٨) .

وقد تجلت فى ذلك العصر ظاهرة تعليم الجـوارى الغناء الذى انتشر انتشارا عظيما ولما كان الناس يحرصون على التغنى بالشعر العربى الفصيح ، لذلك صار الجوارى يتعلمن الأدب مع الغناء وكانت قيمة الجارية ترتفع كلما زادت حصيلتها من الشعر والأدب والنبوغ فى الغناء(٥٩) ، يقول أبو حيان التوحيدى(٦٠) : ان عدد الجوارى اللاتى يحترفن الغناء فى جانبى بغداد بلغ حسب احصائه أربعمائة وسـتين جـارية .

وقد تأثر الانتاج الأدبى بكثرة الرقيق ، فألف ابن بطلان الطبيب كتابه العلمى فى تجارة الرقيق(٦١) وتبعه غيره ، فذكروا أوصاف الرقيق من كل جنس ، وحاول بعضهم وضع قواعد للجمال ، كما تكلم بعضهم فى الألوان وحسنها(٦٢) .

(ب) الطوائف الدينيـة :

١ — **الأشراف :** ظهر فى الدولة الاسـلامية نوع من الشرف لا يزال باقيا الى عصرنا هذا ، وذلك فى أقرباء النبى وأهل بيته بصفة

---

(٥٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ١٠٦ ، ج ٣ ص ٦١٢ .

(٥٩) الصولى : الاوراق ص ٥ ويذكر أن ابن رائق اشترى جارية مغنية بـ ٠٠٠ر١٤ دينار . الصولى : أخبار الراضى والمتقى ص ١٠١

(٦٠) الامتـاع والمؤانسة : ج ٢ ص ١٨٣ ، جمال سرور : تاريـخ الحضارة الاسلامية ص ١٧١ .

(٦١) ابن بطلان : أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادى (٤٥٥ هـ) شرى الرقيق وتقليب العبيد تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٤ م .

(٦٢) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٢٨ — ص ١٣٠ ، جمال سرور : ص ١٧٧ .

عامة ، وقد أطلق عليهم الأشراف أو أهل البيت[٦٣] ، وكانوا يأخذون بوصفهم قرابة رسول الله راتبا معينا من الحكومة الاسلامية ، وقد حرمت عليهم الصدقة ومواليهم[٦٤] .

وتشمل طبقة الأشراف بنى هاشم من العباسيين والعلويين ، وكان لبنى هاشم من العباسيين والطالبيين نقيب واحد حتى القرن الرابع الهجرى ، ثم صار لكل فريق منهم نقيب ، ويرجع السبب فى ذلك الى تزايد نفوذ العلويين فيذكر ابن الجوزى[٦٥] أنه فى سنة ٣٥٤ هـ قلد الخليفة المطيع أبو أحمد الحسين بن موسى نقابة الطالبيين : ويتبين من كتاب التقليد أن النقيب كان يقضى فى النزاع بين الطالبيين وسائر رعية الخليفة . فقد جاء فيه : « فان تظلم اليك بعض رعية أمير المؤمنين وشكا أحد من الطالبيين ، فخذه بمساواة خصمه وأمنعه من الاستطالة عليه ... ، وأعمل فى أمرهما بما كان من يتولى هذه النقابة يعمله قبلك ، سالكا سبيلهم غير متجاوز رسمهم ليقع القضاء بينهم موقعه ويصل ذى الحق الى حقه »[٦٦] .

ويحدثنا الماوردى[٦٧] عن النقـابة على ذوى الأنساب الشريفة بقوله : « ولاية هذه النقابة تصح من أحد ثلاث جهات : أما من وجه الخليفة المستولى على كل الأمور ، وأما ممن فوض اليه الخليفة تدبير الأمور كوزير التفويض وأمير الاقليم ، وأما من نقيب عام الولاية ...

---

(٦٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٧٦ .

(٦٤) انظر رسائل الجاحظ نشرفان فلوتن ص ٢ آدم متز : ج ١ ص ٢١٢ ، جمال سرور : ص ١٧٦ وكان الهاشميون الى جانب ما يجرى لهم من راتب خاص يقدمون فى تولى مناصب مشرفه يصيبون فيها المال ، فكانت تسند اليهم امامة كثير من المساجد ، كما تولوا مناصب القضـاء وامارة الحج .

(٦٥) المنتظم ج ٧ ص ٢٣

(٦٦) الصـابى : رسائل الصابى ج ٣ ص ١٥٣ ، جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ١٧٧

(٦٧) الأحكام السلطانية ص ٩٢

فاذا أراد المولى أن يولى على الطالبين نقيبا أو على العباسيين نقيبا يختار منهم أجلهم بيتا وأكثرهم فضلا وأجزلهم رأيا ، فيولى عليهم لتجتمع فيهم شروط الرياسة والسياسة فيسرعون الى طاعته برياسته وتستقيم أمورهم بسياسته » .

وكان عهد تعيين النقيب يقرأ بحضور الخليفة وحضور القضاة والشهود والأشراف وكبار رجال الدولة(٦٨) . وقد جرت العادة أن يخلع على النقيب بسواد بحضرة الخليفة بالنسبة للنقباء العباسيين ، أما نقيب الطالبيين ، فلأول مرة خلع عليه بسواد فى سنة ٤٠٣ هـ عند تقليد الشريف الرضى الموسوى(٦٩) .

وكانت امارة الحج تسند الى شريف العباسيين أو الطالبيين(٧٠) . بتقليد من الخليفة وكانت هـذه الوظيفـة تدر على صاحبها أرباحا وفيرة(٧١) . وقد يجمع النقيب بجانب النقابة وظيفة القضاء فيقوم بالنظر فى الأحكام(٧٢) ويعين بعهد من الخليفة ففى سنة ٣٦٣ هـ عين هاشمى لولاية القضاء فى بغـداد(٧٣) . وقد يجمع النقيب بين عدة وظائف كما حدث فى سنة ٣٩٤ هـ اذ قلد بهاء الدولة البويهى أبا أحمد الموسوى قضاء القضاء والحج والمظالم ونقابة الطالبيين وكان التقليد له بشيراز فكتب له عهد على جميع ذلك ولقب بالطاهر الأوحد ذى المناقب لكن الخليفـة القادر بالله العباسى رفض أن يأذن له بتولى القضاء لأن تعيين القضاء من اختصاصه(٧٤) .

---

(٦٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٨٦
(٦٩) ابن الأثير : جـ ٧ ص ٢٨٦
(٧٠) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٥٣ ، المسعودى : مروج الذهب : جـ ٤ ص ٣١٦ — ص ٣٢٧ .
(٧١) آدم متز : جـ ١ ص ٢٦٧
(٧٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٦٦
(٧٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٦٤
(٧٤) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ٣٣٣ .

٢ — **أهـل الـذمة** : حوت بلاد العراق والمشرق أعدادا كثيرة من أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وقد تمتع هؤلاء بكثير من ضروب التسامح الدينى ، فأقاموا شعائرهم الدينية فى أمن ودعة ، وشاركوا المسلمين فى وظائف الدولة وفى ممارسة المهن الحرة • ولم يتدخل الخلفاء العباسيون بصورة عامة فى شئونهم الدينية الا فى بعض الفترات حيث وضعت القيود على الألبسة وبناء البيع ، الا أن تنفيذ هذه القيود لم يطبق تطبيقا تاما ، ويذكر بعض المؤرخين[٧٥] : « أن النصارى الذين عاشوا فى ظل المسلمين لم يصبهم قط ما أصاب المسلمين فى أسبانيا » •

لم ينفصل المسلمون عن النصارى الا فى ممارسة الطقـوس الدينية ومناطق السكن فكان النصارى يقيمون فى بغداد بمحلة الشماسية ولهم حى خاص يسـمى دار الروم[٧٦] أقاموا فيه كنيسـة على مذهب النسـطورية ودير يسـمى دير الروم[٧٧] ، وسـكنوا أيضـا مدينـة تكريت[٧٨] بين الموصل وبغداد ، كما أقاموا فى مدينة الرها[٧٩] •

وكان فى بغداد وحدها فى أوائل القرن الرابع الهجرى ما بين أربعين وخمسين الفا من النصارى ، غير أن نصارى الرها وتكريت كانوا أكثر عددا[٨٠] • أما اليهود فبلغ عددهم فى العراق حوالى سنة ٥٨١ هـ على حسب تقدير الرحالة بنيامين التطيلى ستمائة ألف ، كما

---

(٧٥) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٤

(٧٦) Hitti : Hist. of the Arabs. p. 355.

(٧٧) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٧٢

يذكر آدم متز : أن الأديرة المسيحية كانت منتشرة فى كل أجزاء بغداد حتى كادت لا تخلو منها ناحية ، ومن هذه الأديرة دير قنى ويقع على مسافة ستة عشر فرسخا من بغداد ، فيه مائة قلاية لرهبانه ، وحول كل قلاية بستان فيه جميع الثمار والنخل والزيتون ، وعيده الذى تجتمع الناس اليه عيد الصليب .

الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٤ ، ص ٥٧ .

(٧٨) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٠٥

(٧٩) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢١ ، ابن حوقل : صـورة الأرض ص ٢٠٤ .

(٨٠) ابن حوقل : المالك والممالك ص ١٥٦

ذكر هذا الرحالة أنه كان ببغداد اذ ذاك نحو ألف يهودى وفيهـا درب يسمى درب اليهود ، كما أقام اليهود أيضا فى مدن أخـرى كالحلة والكوفة والبصرة[٨١] ، وكلما تقدمنا شرقا زاد عدد اليهود ففى همذان مثلا بلغ عددهم ثلاثين ألفا ، وفى أصبهان خمسة عشر ألفا وفى شيراز عشرة آلاف وفى غزنه ثمانين ألفا وفى سمرقند ثلاثين ألفا[٨٢] ، ويذكر المقـدسى[٨٣] : « أن بخراسان يهـود كثيرين ونصـارى قليلين » ويقول[٨٤] عن بلاد الجبل « واليهود به أكثر من النصارى » .

كان للنصارى رئيسان يعين كل منهما بعهد خاص من الخليفة ، أحدهما يطلق عليه الجاثليق[٨٥] النسطورى[٨٦] (أى رئيس المسيحيين الشرقيين)[٨٧] وثانيهما بطـريق اليعاقبة[٨٨] أما اليهـود فلهم رئيس خاص يلقب أحيانا بلقب ملك ، تكون رئاسته بالوراثة ويستمد سلطانه من كتاب عهد يوجه اليه من الخليفة[٨٩] ، وكان من مراسم توليتـه أن « يمتطى صهوة جواده وعليه حلة ثمينة ، ويسير معـه الفرسان من المسلمين واليهود عندما يخرج لمقابلة الخليفة »[٩٠] .

ولم يكن فى التشريع الاسلامى ما يمنع أهل الذمة من العمل ، فرسخت قدمهم فى الصنائع التى تدر الارباح الوافرة ، فكانوا صيارفة

---

(٨١) انظر رحلة بنيامين التطيلى ص ١٣٥ ، ص ١٤٦ ، ص ١٥٠ ترجمة عزرا حداد .
(٨٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٦١٢
(٨٣) أحسن التقاسيم ص ٣٢٣
(٨٤) أحسن التقاسيم ص ٣٩٤
(٨٥) بابو اسحاق رفائيل : أحوال نصارى بغداد ص ٤٨ .
(٨٦) Hitti : Hist. of the Arabs. p. 355.
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٧٨ .
(٨٧) حسن ابراهيم حسن : ج ٣ ص ٦١٢
(٨٨) آدم متز : ج ١ ص ٦٠
(٨٩) بنيامين التطيلى : الرحلة ص ١٣٧ .
(٩٠) بنيامين : ص ١٣٧

وتجارا وأصحاب ضياع وأطباء[٩١] . كما عمل اليهود خياطين وصباغين وأساكفة وخرازين[٩٢] • وقصابين وقصارين وحجامين[٩٣] •

وتمثلت موارد رئيس اليهود المسمى بالجالوت أو الملك[٩٤] مما يدفعه له أهل ملته من الضرائب التى كان يأخذ نصفها ويرسل النصف الآخر لبيت مال الدولة ، بخلاف ما كانت عليه الحال بالنسبة الى النصارى الذين كانوا يؤدون الضرائب لبيت المال مباشرة[٩٥] •

ومن بين الطوائف الدينية التى كانت تقيم فى الدولة الاسلامية المجوس[٩٦] • وقد اعترف بهم فى القرن الرابع الهجرى أهل ذمة الى جانب اليهود والنصارى • وكان لهم رئيس دينى يمثلهم فى قصر الخلافة اسوة بغيرهم من طوائف أهل الذمة ، ويدفع له أبناء نحلته الضرائب ، وقد كثر عددهم فى العراق وجنوبى فارس[٩٧] • وليس أدل على رعاية حكام المسلمين لهم من أنه لما وقعت فى سنة ٣٦٩ هـ فتنة بينهم وبين عامة شيراز من المسلمين ، نهبت فيها دور المجوس وقتل منهم جماعة ، أنزل عضد الدولة العقاب بكل من اشترك فى هذه الفتنة[٩٨] ، كما أن المقدسى يقول انه لم ير فى شيراز غيارا على مجوسى يميزه عن غيره ، وأن الأسواق تزين فى أعيادهم[٩٩] •

---

(٩١) آدم متز : جـ ١ ص ٥٢

(٩٢) آدم متز : جـ ١ ص ٥٣

(٩٣) متز : جـ ١ هامش ص ٥٣

(٩٤) بنيامين التطيلى : الرحلة ص ١٣٧

(٩٥) متز : جـ ١ ص ٥٨
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٧٨ .

(٩٦) المجوس : هم أتباع زرادشت اتخذوا من بيوت النار معابد لهم . وظهرت هذه العبادة فى فارس ثم انتقلت الى العراق . المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٤٣ .

(٩٧) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٢٦

(٩٨) انظر ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٣٦ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة ص ١٧٩ .

(٩٩) جمال سرور : ص ١٧٩

واستعانت الدولة الاسلامية أحيانا بالنصارى فى وظائف الدولة ففى سنة ٣٠٣ هـ عين كل من بنان النصرانى كاتبا لرئيس ديوان الدار ومالك بن الوليد النصرانى رئيسا لهذا الديوان ، وابن القنـائى وأخيه لبيت المال[١٠٠] . كذلك استخدم الوزير « الحسن بن القاسم ابن وهب » النصارى فى وظائف كتابية[١٠١] .

وفى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى تقلد النصارى بعض المناصب الكبرى فى الدولة ، فاتخذ عضد الدولة ، نصر بن هرون وزيرا له وقد أذن له فى عمارة البيـع والأديرة واطلاق الأمـوال لفقراء النصـارى[١٠٢] .

كذلك الطوائف الدينية منفصلة عن بعضها ، فلم يقع تزاوج بين المسلمين وغير المسلمين[١٠٣] ، كما أنه لا يجوز للمسيحى أن يتهـود ولا لليهودى أن يتنصر ، واقتصر التغيير فى الدين على الدخول فى الاسلام[١٠٤] ، ولم يكن النصرانى يرث اليهودى ولا اليهودى يرث النصرانى ، كما لم يكن النصرانى أو اليهودى يرث المسلم ولا المسلم يرث غير المسلم يهوديا كان أم نصرانيا ، وأن ترد تركة من مات من أهل الذمة ولم يخلف وارثا من أهل ملته فقد ورد فى حديث الرسول « لا يتوارث أهل ملتين » ، كما قال : ان السنة جرت بأن أهل كل ملة يورثون من هو منهم اذا لم يكن له وارث من ذوى رحمه[١٠٥] .

وبلغ من تسامح الخلفاء أنهم كانوا يشاركون أهل الذمة من النصارى فى الاحتفال بأعيادهم[١٠٦] ، وكانت أعياد النصـارى على نوعين : دينية كعيد رأس السنة[١٠٧] ، وأعياد خاصة يحتفل بها بعض

---

(١٠٠) الشابشتى : الديارات ص ٧٩
(١٠١) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ص ١١٤ — ص ١١٥
(١٠٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٣٤
(١٠٣) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ٢٠٣
(١٠٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٥٦ — ص ٥٧
(١٠٥) هلال بن الصابى : تحفة الأمراء ص ٢٤٧ — ص ٢٤٨
(١٠٦) الشابشتى : الديارات ص ٦٩ — ص ٧٠
(١٠٧) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٨٨

الأديرة دون غيرها ، وتقام الاحتفالات فى مثل هذه الأعياد ، ويشترك النساء والرجال وهم فى أجمل زى ويرتلون الأناشيد الدينية ، ويخرج الرهبان والكهنة فى موكب دينى(١٠٨) .

وكان لباس أهل الذمة خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى يتميز على لباس المسلمين ، فكان اليهود يرتدون البراطيل الطويلة ، على حين اتخذ النصارى البرانس أول الأمر ، ثم لبسوا القلانس الطويلة(١٠٩) ، ومن أراد أن يلبس قلانس مثل قلانس المسلمين فليجعل عليها زرين(١١٠) (جمع زر) ، أما العمامة فيجب أن تكون عسلية اللون(١١١) .

٣ — المجـــوس :

كان يقيم بالعراق كثير من المجوس(١١٢) ، الا أن عددهم فى فارس كان أكبر حيث أنها تعتبر مهد المجوسية ، ومما هو جدير بالذكر أنه فى أثناء القرن الرابع الهجرى اعترف للمجوس بأنهم أهل ذمة الى جانب اليهود والنصارى ، وكان لهم رئيس يمثلهم فى قصر الخلافة(١١٣) .

(جـ) طـوائف المجتمـع :

١ — العلمـاء :

كانت بغداد مركزا للعلم والعلماء منذ مستهل القرن الثالث الهجرى حتى أواخر عهد بنى بويه(١١٤) . وكان للعلماء منزلة كبيرة لدى الخلفاء ورجالات الدولة وطبقة العامة(١١٥) .

---

(١٠٨) مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ص ٤٠ بغداد ١٩٧٠ م .
(١٠٩) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٨٤
(١١٠) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ٤١
(١١١) الطبرى : جـ ٧ ص ٣٥٤
(١١٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٥٤
(١١٣) آدم متز : جـ ١ ص ٤٦
(١١٤) احمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٣ ص ٢٢١
(١١٥) الأصفهانى : الأغانى جـ ٩ ص ٢٨٥

ولم يكن العلماء يشتغلون بمهنة أخرى سوى العلم ، الا العدد القليل منهم(١١٦) . كما أن غالبيتهم كانوا فى رغد من العيش نظـرا لرعاية الخلفاء لهم والأمراء . فقد اهتم الأمير البويهى عضد الدولة بالنهوض بالآداب والعلوم ، كما كان لبعض وزراء بنى بويه أثر كبير فى ازدهار الحركة العلمية والأدبية(١١٧) .

وكان للعلماء تأثير كبير فى الحياة الاجتماعية ، فقد انتهز البعض منهم تدهور الوضع الاجتماعى فأخذوا يثيرون العامة ضد السلطة الحاكمة وعلى رأسهم جماعة اخوان الصفا(١١٨) ، ومنهم من لعب دورا كبيرا فى توجيه العامة كأبى حيان التوحيدى(١١٩) ، ومنهم من دفـع العامة الى القتال باثارة مذهب ضد آخر كالحنـابلة الذين عرفوا بتعصبهم وتعديهم على خصومهم من أهل المذاهب الأخرى ، مما أقلق بال الحكومات فى العراق وخاصة خلال القرن الرابع الهجرى(١٢٠) .

تميز العلماء عن غيرهم من سائر أفراد الشعب فى الملبس ، فأرتدى القضاة والفقهاء المبطنة والطيلسان الاسود والدراعة السوداء(١٢١) والقلانس المستديرة التى ظلت مستعملة حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، ثم أبدلت بالعمائم السوداء المصقولة(١٢٢) . وكانوا يلبسون الصوف الأبيض ولا يلبسون الحرير أو الملون الا فى بيوتهم(١٢٣) .

٢ — التجـــار :

وكان أغلبهم يدين بالاسلام ، وأقلية من أهل الذمة وبخاصـة

(١١٦) المكى (أبو طالب محمد بن على) : قوت القلوب ج ٢ ص ١٦٨ — القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
(١١٧) احمد أمين : ظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٥٥
(١١٨) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ٧٧
(١١٩) احمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ٢٣٢
(١٢٠) ابن الأثير : الكامل ج ١ ص ٢٤٨
(١٢١) الأصفهانى : الأغانى ج ٢ ص ٣٩٠
(١٢٢) هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة ص ٩١
(١٢٣) محمد العرنوس : القضاء ص ١٢١

اليهود[١٢٤] ، وهم نوعان : الأول التجار الموسرون ذوى الثراء الواسع الذى يصل الى ملايين الدنانير[١٢٥] وهؤلاء لهم ارتباط بالخليفة وحاشيته ورجال الدولة[١٢٦] . والنوع الثانى هم باعة المواد الاستهلاكية لسد حاجات الناس اليومية والذين يعيشون بالكاد من ثمن ما ينتجون[١٢٧] .

اتسع نفوذ التجار نتيجة ازدياد الترف والبذخ لدى رجال الحكم وعلى رأسهم الخليفة[١٢٨] وتمكنوا من تحقيق أرباح خيالية مكنت أحدهم وهو عبد الله بن الجصاص الجوهرى من تكوين ثروة ضخمة[١٢٩] ، حتى أن الخليفة الراضى حين وقعت له أزمة مالية سنة ٣٢٢ / ﻫ ٩٣٣ م لم يجد من يلجأ اليه سوى ابن الجصاص[١٣٠] ، وازداد نفوذ هذا التاجر حتى أنه هدد الوزير ابن الفرات بأن يدفع للخليفة مالا ليستوزر غيره ، وذلك لكى يتغاضى عن مخالفات ارتكبها فأذعن الوزير[١٣١] .

استطاع كثير من التجار أن يجنى ثروة كبيرة من التجارة ، لذلك ارتفع مستوى معيشتهم وأمتلكوا القصور ، فكان تجار سيراف يقيمون فى مساكن عالية تتكون من عدة طوابق مبنية من خشب الساج ، وكانوا يبالغون فى الانفاق على مبانيهم حتى أن أحدهم أنفق على داره ثلاثين

---

(١٢٤) الدورى : نشوء الأصناف والحرف فى الاسلام ص ١٣
(١٢٥) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ص ٤٨ ، مسكويه : ج ٥ ص ٣٥ ، التنوخى : نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢٥ ، ابن الجوزى : اخبار الحمقى والمغفلين ص ٣٤ ، ص ٣٧
(١٢٦) نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٦٨
(١٢٧) السبكى : طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٠٢ — ص ١٠٣
(١٢٨) نشواز المحاضرة ج ٨ ص ٦٨
(١٢٩) فقد بلغ قيمة عقد واحد من العقود التى يمتلكها الجوهرى بمائتى الف دينار .
ابن الجوزى : المنتظم ج ٦ ص ٢١٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٥٦
(١٣٠) الصولى : الأوراق ص ١٦
(١٣١) الصابى : تحفة الأمراء ص ٣٠ ، ص ١١١ .

ألف دينار(١٣٢) ، وكانت هذه القصور تزود بأجمل الفرش والأثاث ، وأقيمت فيها الولائم الكبيرة التى تحتوى على فاخر الطعام ، كما عقدت مجالس المنادمة ، وأمتلكوا الجوارى اللاتى يجدن فن الغناء(١٣٣) .

استطاع بعض التجار الوصول الى منصب الوزارة مثل حامد بن العباس الذى ولى الوزارة فى عهد الخليفة المقتدر بالله سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م(١٣٤) ، وعلت مكانتهم عند رجال الحكم وعلى رأسهم الخليفة(١٣٥) ، وكان الوزير على بن الفرات اذا زاره أحد التجار يأمر بعض غلمانه ليوصله الى داره اكراما له ، كما كان يوصى بانجاز معاملاتهم(١٣٦) .

ورغم تلك المكانة اتى وصل اليها التجار فى بلاد العراق ، الا أن ذلك لم يمنع من تعرضهم فى بعض الأحيان للمصادرات من قبـــل الحــكومة ، التى كانت تســتولى على أموالهم قبل وصـــولها الى الأسواق(١٣٧) . كذلك كانت تجارتهم تواجه الأخطار من هجمـــات العيارين والشطار والعامة على الأسواق ، وكان التجار يتعاونون فى صد هجماتهم(١٣٨) .

٣ — أرباب الحرف والصناع والزراع :

لم يعن العرب المسلمون بالحرف والصناعات فى بادىء أمرهم ، لكن اختلاطهم بأهالى البلاد التى دخلت فى حوزة الدولة الاسلامية ،

---

(١٣٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٧٨

(١٣٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٢٢٧ ، التنوخى : المستجاد من فعلات الأجواد ص ٥٥ ، ص ٥٦ ، ص ٥٨ .

(١٣٤) الصابى : تحفة الأمراء ص ٢٢٠ — ص ٢٢١ ، آدم متز : جـ ١ ص ١٢٨

(١٣٥) الصولى : الأوراق ص ٢٣٤

(١٣٦) الصابى : تحفة الأمراء ص ١١٢ ، ابن الجوزى : اخبار الحمقى والمغفلين ص ٣٥ — ص ٣٦

(١٣٧) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٢٧ ، ص ١٣٤ ، ص ١٧٠

(١٣٨) شمس الدين الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ١٤٦

جعلتهم يقبلون على الاشتغال بها ، غير أن الصناع وأصحاب الحرف ، لم يحققوا من الارباح ما كان يحققه أغلب التجار[١٣٩] ، وكان متوسط أجر العامل حتى القرن الرابع الهجرى درهما ونصف درهم فى اليوم لصانع الزجاج[١٤٠] ، وازداد الراتب فى القرن الرابع الهجرى درهما[١٤١] ٠

أما الزراع وهم الذين يشتغلون فى فلاحة الأراضى وأصحاب الملكيات الزراعية البسيطة ، فكان دخلهم أقل من دخل أصحاب الصناعات والحرف ، فقد أضر التغلب البويهى بهم لجهل بنى بويه بشئون الزراعة واتباعهم سياسة مخربة كان من آثارها أن « فسدت المشارب وبطلت المصالح وحلت المصائب بالمزارعين ورقت أحوالهم فمن هارب وعاطل الى مظلوم صابر لا ينصف أو مستريح الى تسليم ضيعته الى المقطع حتى يأمن شره وظلمه »[١٤٢] ٠

لاقى المزارعون فى العهد البويهى كثيرا من عسف أصحاب الاقطاعات ، فضلا عما فرض عليهم من ضرائب ٠ ولم يتغير وضعهم السىء الا فترة حكم عضد الدولة ، الا أنها كانت فترة قصيرة الأمد ، فلم تؤد الى تحسين ثابت لاوضاعهم ٠

٤ ـ العامة :

تشكلت هذه الطائفة من جميع الأجناس ، ولم يكن لهم مكانة فى المجتمع ، فقد وصفهم بعض الكتاب بالجهل فى الأمور الدينية[١٤٣] وفى النواحى الثقافية[١٤٤] ، وأطلق عليهم عدة تسميات منها

---

(١٣٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥ ص ١٣١
(١٤٠) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ١ ص ١٣٤
(١٤١) التنوخى : الفرج بعد الشدة جـ ٢ ص ١٥٥
(١٤٢) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٩٧
(١٤٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٣ ص ٧٦
(١٤٤) مسكويه : تهذيب الأخلاق ص ١٢١ ٠ مطبعة مدرسة والدة عباس ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ٠

السفلة الغوغاء[١٤٥] .

هناك جماعة من العامة أطلق عليهم العيارون[١٤٦] والشطار[١٤٧] ، تميزت حركاتها بالطابع الثورى وبخاصة ضد السلطة الحاكمة وأصحاب الأموال[١٤٨] . وكانت تضم بين صفوفها مختلف الأجناس[١٤٩] والطوائف[١٥٠] ، وكان لهم تنظيم مدنى يشمل النواحى الادارية الداخلية ، ويجتمعون فى مكان بعيد عن الانظار ، ولهم طقوس ومراسيم لابد من أدائها لمن أراد الدخول فى تنظيمهم ، ولهم لباس يتميزون به عن بقية الناس ، فيئتزرون بالمئزر فى أوساطهم ويتشحون بالازار[١٥١] ويلبسون السراويل[١٥٢] .

بدأ ظهور العيارين والشطار فى هيئة جماعة لها تنظيم عسكرى أثناء دفاعهم عن بغداد سنة ١٩٦ هـ فى الفتنة بين الأمين والمأمون[١٥٣] ، ثم فى حصار بغداد الثانى سنة ٢٥٠ هـ أثناء الحرب بين المستعين والمعتز[١٥٤] . وأصبحت لهم خلال القرن الثالث الهجرى قوة كبيرة منظمة أخذت تزداد وتهدد المجتمع وبخاصة فى النصف الثانى من القرن

---

(١٤٥) المسعودى : مروج الذهب جـ ٥ ص ٨٧ . الطبعة الأوربية .

(١٤٦) العيار : الكثير المجىء والذهاب فى الأرض ابن منظور : لسان العرب جـ ٥ ص ٣٠١ .

وقيل هو الذكى الكثير التطواف ، والعرب تمدح بالعيار وتذم به فيقال : غلام عيار نشيط فى المعاصى ، وغلام عيار نشيط فى طاعة الله عز وجل . الزبيدى : تاج العروس جـ ٣ ص ٤٣٤ .

(١٤٧) المسعودى : مروج الذهب جـ ٦ ص ٤٦٢ — ص ٤٦٣ الطبعة الأوربية ، ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٣٧٨ .

(١٤٨) الدورى : نشوء الحرف والأصناف ص ٣٦

(١٤٨) الدورى : نشوء الحرف والأصناف ص ٣٦

(١٤٩) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٢٠ .

(١٥٠) الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ١٠

(١٥١) التنوخى : الفرج بعد الشدة جـ ٢ ص ١١٢ — ص ١١٤

(١٥٢) مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية فى العراق ص ٥٥

(١٥٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣١٥

(١٥٤) الطبرى : جـ ٧ ص ٤٣٤ ، ص ٤٩٠

الرابع الهجرى[١٥٥] حيث احترف بعض أفرادها السرقة ، وجعلوا غايتهم نهب الحوانيت والأسواق وبيوت الاغنياء ، وصاروا بذلك مصدرا للشغب وعدم استتباب الأمن[١٥٦] ويقول مسكويه[١٥٧] : « ان العيارين أهل شغب وحملة سلاح ويتقاتلون بالسكاكين » .

لم يتورع العيارون والشطار عن الاشتراك فى المؤامرات ضد الخلافة ، فنهبوا دارها سنة ٣٢٦ هـ[١٥٨] . ورغم جهود الأمير عضد الدولة البويهى فى مواجهة حركتهم سنة ٣٦٤ هـ[١٥٩] . الا أنه لم يتيسر له القضاء عليها .

وفى أوائل القرن الخامس الهجرى ظهر البرجمى العيار الذى استبد ببغداد من سنة ٤٢١ — ٤٢٥ هـ وبلغ من عجز السلطة تجاهه أن العامة ثاروا بالخطيب فى صلاة الجمعة وقالوا له اما أن تخطب للبرجمى والا فلا تخطب لسلطان ولا غيره[١٦٠] .

وكان البرجمى قد تعهد سنة ٤٢٥ هـ بحفظ الأمن ، وكان يجبى الضرائب فى الأسواق وارتفاع المواخير والقيان نفسه[١٦١] ويقول عنه ابن الأثير[١٦٢] : « وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة لم يعرض الى امرأة ولا الى من يستسلم اليه » .

وفى أواخر العصر البويهى أخذت الدولة تستعين بالعيارين ففى سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م تقلد أبو محمد النسوى النظر فى المعونة ولقب الناصح واستحجب وخلع عليه ،واستدعى جماعة العيارين فأقاموا

---

(١٥٥) التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ١٦٠
(١٥٦) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٣٢
(١٥٧) تجارب الأمم جـ ٥ ص ٦٩
(١٥٨) الصولى : الأوراق ص ٨٩
(١٥٩) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٧٩
(١٦٠) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٧
(١٦١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٧٨
(١٦٢) ابن الأثير : جـ ٨ ص ٧ — ص ٨

أعوانا وأصحاب مسالح[١٦٣] .

وانتشر العيارون بكثرة فى بغداد بشكل خاص ، ومع وجود بعض العيارين ممن يحمل روح الفتوة ومبادئها السامية . الا أن سوء الأوضاع وانهيار الوضع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى أدى الى أن تصطبغ هذه الحركة بصبغة اللصوصية والعدوان . مما يدل دلالة واضحة على الانهيار الذى أصاب الدولة العباسية والحكم البويهى فى العراق[١٦٤] .

(د) الموسيقى والغناء والمجالس الاجتماعية :

١ — مجالس الطرب والغناء :

أخذ العباسيون نظام مجالس الطرب والغناء التى انتشرت فى عهدهم عن الفرس[١٦٥] . وكان لاهتمام الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة أثر كبير فى تطور الغناء والموسيقى فى العصر العباسى ، ومن أشهر المغنين الذين أسهموا فى ذلك التطور ابراهيم الموصلى ، الذى أبدع فى وضع الألحان وكتب ابنه اسحق رسالة مطولة فى الغناء صحح فيها أنغامه واحتفظ بالغناء القديم فيذكر أبو الفرج الاصبهانى[١٦٦] أنه « هو الذى صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق به أحد بعده » .

استمر اهتمام الخلفاء العباسيين بمجالس الطرب والغناء على الرغم من الضعف الذى تعرضت له دولتهم منذ أوائل القرن الثالث الهجرى . فكانت لهم مجالس يحضرها الشعراء والأدباء والمغنون والموسيقيون . وكان الخليفة المعتمد مشغوفا بالطرب فيذكر

---

(١٦٣) المنتظم جـ ٨ ص ٤٩

(١٦٤) حسين امين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص ٣٣ — ص ٣٤ .

(١٦٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٩٥

(١٦٦) كتاب الأغانى جـ ٥ ص ٣٦٨ — ص ٣٦٩

المسعودى[١٦٧] أنه دخل عليه يوما جماعة من ندمائه ، فسأل عبد الله ابن خرداذبه عن نشأة الموسيقى والغناء وما طرأ عليها من تغيير ، فقال : « انها على ثلاثة أوجه : ضرب محرك ينعش النفس ، وضرب شجن وحزن ، وضرب يكون فى صفاء النفس ولطافة الحسن » وكان لابن خرداذبة معرفة جيدة بتاريخ الموسيقى وتطورها فشرح للمعتمد أنواع الآلات الموسيقية والفرق بين الغناء والموسيقى عند الروم والفرس والهنود والعرب ، فسر المعتمد وخلع على ابن خرداذبة وعلى من حضره من ندمائه[١٦٨] .

ويبدو واضحا تأثر العباسيين بالفرس والروم فى الموسيقى والغناء فيقول المسعودى[١٦٩] أنه « لم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أولع بالملاهى والطرب من العرب » . وكانت آلات الموسيقى التى عزفوا بها العود[١٧٠] والطنبور[١٧١] .

---

(١٦٧) مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٧ — ص ١٦٢

(١٦٨) انظر رسالة ابن خرداذبة التى نشرها الأب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعى تحت عنوان مختار من كتاب اللهو والملاهى لابن خرداذبه المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١ م .

(١٦٩) مروج الذهب : ج ٤ ص ١٦٠

(١٧٠) العود : قالوا ان أول من صنعه نوح عليه السلام ، وقيل أن أول من صنعه جمشيد ملك الفرس وأسماه البربط . عبد الكريم العلاف : الطرب عند العب ص ١١١ وأن النضر بن الحارث بن كلده أول من غنى من العرب على العود بألحان الفرس وذلك حين وفد على كسرى بالحيرة ثم قدم مكة فعلم أهلها ، وأول من عمل العود بالمدينة (سائب خاثر) وغنى بالعربية الغناء الثقيل .

أحمد تيمور : الموسيقى والغناء عند العرب ص ٥ ، ص ١٠٥ المطبعة الأولى ١٩٦٣ م .

(١٧١) الطنبور : صنفان : الطنبور الخراسانى ويستعمل فى خراسان والطنبور البغدادى وكل منهما يخالف الآخر أما البغدادى فهو يجانس العود وقريب منه يستخرج منه النغم بقسمة الأوتار التى تستعمل فيه وأكثر الأحيان يستعمل فيه وتران فقط عبد الكريم العلاف الطرب عند العرب ص ١٣١ .

« المزامير[١٧٢] والدفوف[١٧٣] .

ويرجع انتشار الغناء فى هذا العصر الى كثرة الجوارى ، وكان أغلبهن من الروميات والفارسيات ، وقد اهتم النخاسون بتعليمهن الأدب والشعر والغناء والموسيقى لبيعهن فى الاسواق بأثمان باهظة[١٧٤] ، وقد أحصى منهن فى القرن الرابع الكرخ ببغداد ٤٦٠ جارية[١٧٥] .

وكان معظم القيان اللاتى يحترفن الغناء ببغداد فى أوائل القرن الرابع الهجرى من الجوارى وقليل منهم من الحرائر . وكان الجوارى يغنين من وراء ستار ، واذا ما أقيم حفل خاص وأرادوا اكرام ضيف غنت المغنيات فى هذا الحفل أمام الستار[١٧٦] ، ويروى أن أبا الحسن على بن الفرات حضر وجماعة من كتابه للشراب فى دار سليمان بن وهب ، كما حضر هذا الحفل من المغنيات بين يدى الستار ومن ورائها مالا يحصى كثرة[١٧٧] . وكان الأغنياء يتخذون فى بيوتهم أماكن واسعة توضع فيها الأرائك فيجلسون عليها ليلا لسماع الغناء[١٧٨] .

---

(١٧٢) المزامير : وهى انواع منها الشياع وهو مزمار الراعى والشبابه وهى الارغول والجادم (بوق هندى) مثل البوق وهو طويل ومطلى بدواء الصينيات (الكروم) وطوله ثلاثة أو اربع اذرع وراسه دقيق بقدر ما يلتقمه الرجل ويذهب صوته مدى ميل ، والشبور وهو بوق اليهود .

احمد تيمور : الموسيقى والغناء عند العرب ص ١١٧ ، ص ١٢٠

(١٧٣) الدفوف : وهى نوعان منها الصغير المستخدم فى الافراح والكبير الذى يستخدم فى النواحة والأحزان وتعرف باسم الدرادك .

أحمد تيمور : ص ١١٣ .

(١٧٤) الصولى : الأوراق ص ١٠١ يذكر آدم متز جـ ١ ص ٢٢٥ انه فى حوالى سنة ٣٢٥ هـ اشترى ابن رائق جارية سمراء معروفة بحسن الغناء بثلاثة عشر الف دينار واعطى من دله عليها الف دينار .

(١٧٥) ابو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ١٨٦

(١٧٦) متز : جـ ١ ص ٢٢٥ طبعة ثانية ، جـ ٢ ص ٢٠٧ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٩٦ — ص ١٩٧ .

(١٧٧) هلال بن الصابى : تحفة الأمراء ص ١٩٢

(١٧٨) أحمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢١

وكانت مجالس الطرب والغناء تقام فى الاعياد والمواسم كالنوروز والمهرجان فيذكر المسعودى[١٧٩] أن الخليفة الراضى أمر فى ليلة المهرجان باحضار الجلساء فى مجلس بقصر التاج المطل على دجلة وأجاز فى ذلك اليوم من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب ويروى المسعودى[١٨٠] أيضا أن الأمراء شاركوا فى هذه الاحتفالات فقد أقام الأمير « بجكم » فى ليلة المهرجان مجلسا غنائيا فاق به مجلس الخليفة الراضى[١٨١] .

وكانت تقام حفلات فى بيوت الجوارى اللاتى يحترفن الغناء ، ويدعى اليها كثير من ذوى المكانة فى الدولة لسماع الغناء ، كما كانت نساء الطبقة الراقية تدعو الجوارى المغنيات الى بيوتهن لاحياء حفلات غنائية وتوزع عليهن الجوائز والهدايا[١٨٢] . وهناك حفلات موسيقية اقتصرت على النساء فقط كانت تسمى بنوبات الخاتون[١٨٣] .

ولم تختلف مجالس الغناء عن مجالس الشراب لأن العادة جرت أن يحضر الندماء[١٨٤] مجالس الغناء التى كان يقدم فيها أحيانا الشراب ، ومثل هذه المجالس تكون صبغتها غنائية[١٨٥] . فيروى البيهقى[١٨٦]

---

(١٧٩) مروج الذهب : ج ٤ ص ٢٦٢

(١٨٠) مروج الذهب : ج ٢ ص ٥٣٠ (المطبعة البهية ١٣٤٦ هـ) .

(١٨١) يذكر السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٧ أن الخليفة القاهر أمر سنة ٣٢١ هـ بتحريم القيان والخمر وقبض على المغنيين وكسر آلات اللهو وأمر ببيع المغنيات من الجوارى ومن الغريب أن هذا الخليفة كان مولعا أشد الولع بالشراب وسماع المغنيات .

(١٨٢) النويرى : نهاية الأرب ج ٥ ص ١١١ — ص ١١٢ ، ص ٦٦ ، ص ٦٧

(١٨٣) سيد امير على : الحضارة الاسلامية ص ٣٨٦

(١٨٤) شرح الراوندى : راحة الصدور ص ٥٦٣ — ص ٥٦٦ ، ص ٥٧٨ ، ص ٥٧٩ المنادمة وآدابها والشروط التى يجب توافرها فى المنادم. من حسن الوجه وطيب لاخلق وتحصيل انواع العلوم والالمام بمختلف الفنون ومعرفة التاريخ والأدب والشعر وما الى ذلك .

(١٨٥) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٣٧

(١٨٦) تاريخ البيهقى ص ٦٥٦ — ٦٠٧

أن السلطان مسعود الغزنوى أمر باعداد حفل عظيم فى عيد الاضحى سنة ٤٢٩ هـ دعا اليه أركان الدولة والموالى والحشم وأجلسوهم على الموائد وأنشد الشعراء الشعر ، وعلى أثرهم أخذ المطربون فى الطرب والغناء ، ودارت كؤوس الشراب ، فأصبحوا سكارى ، ... وكان معظم شراب اسلطان مسعود مع الندماء ، وقد أمر للشعراء بالصلات ، وأمر للمطربين بخمسين ألف درهم وقال لهم « اشبعونا طربا ولهوا » .

وفى مجلس شراب آخر عقده السلطان مسعود سنة ٤٣٢ هـ فى باغ فيروزى — (حديقة النصر) جىء بالشراب ووضعت الكؤوس وخمسون من القنانى الكبيرة فى وسط السرادق ، ودارت الكؤوس وقال السلطان لندمائه فلنراع العدل ولنشرب جميعا معا حتى لا يظلم أحد ، فشرب كل واحد نصف من وأخذت الخمر بألبابهم ، وعلا غناء المطربين[١٨٧] .

وكان يراعى فى مجالس الغناء والشراب أن يجلس الندماء والمغنون حسب مراتبهم ، وكان لطبقة المغنين ترتيب خاص فى الجلوس ، اذ قسموا الى ثلاث مراتب تبعا لمقدرتهم الغنائية . فالطبقة الأولى تشمل كبار المغنين والثانية تضم من هم أقل درجة من الطبقة الأولى والمرتبة الثالثة أصحاب المعازف والطنابير أى الموسيقيين[١٨٨] .

ومن الطبيعى أن يكون للعامة دور فى مجالس الطرب والغناء ، فكان بعض العامة من المسلمين يحضرون حفلات تتناسب مع مستوى معيشتهم[١٨٩] . كما شاركوا المسيحيين فى حفلات الغناء التى أقيمت فى أديرتهم فى بعض مواسمهم الدينية[١٩٠] ، فضلا عن الحفلات

(١٨٧) تاريخ البيهقى ص ٧٢٤

(١٨٨) مليحة رحمه الله : الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ص ٩٤ .

(١٨٩) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ١ ص ١٤

(١٩٠) الشابشتى : الديارات ص ٣٠ — ص ٣١

التى كانت تقام فى أماكن النزهة(١٩١) والتى يشترك فى احيائها المغنون والمغنيات(١٩٢) .

٢ — **المجالس الاجتماعية :**

لم تقتصر المجالس فى قصور الخلفاء والامراء وكبار رجـــال الدولة على سماع الموسيقى والغناء والطرب ، ولكن كانت تعقد المجالس الاجتماعية حيث يجتمع العلماء والأدباء للمناظرة والمناقشة ، وتنافس الأمراء فى ذلك بعد استقلالهم(١٩٣) .

وكثيرا ما تدور فى هذه المجالس المناقشات بين الشـــعراء حول موضوع الشعر وقائله(١٩٤) ، وتروى لنا كتب الأدب والتاريخ كثيرا عن مجالس الوزير أبى محمد الحسن المهلبى التى تميزت بما قيل فيها من الشعر والقصص الأدبية كان من ثمارها كتاب الأغانى لابى الفرج الاصفهانى هذا عدا مجالس العلماء ، نخص بالذكر منها : مجلس أبى سليمان المنطقى وهو من أوسع علماء بغداد نظرا وأعمقهم فكرا ، وابن أبى عامر . وقد نقل الينا أبو حيان التوحيدى فى كتبه الموضوعات التى كان يبحثها العلماء فى مجالسهم ، وذكر أنه يعقد فى بيت أبى سليمان المنطقى مجلس تبحث فيه فى كل يوم مسألة ، تارة لغوية ، وطورا أدبية ، وكثيرا ما تكون فلسفية(١٩٥) . وكان لابن سعدان وزير صمصام الدولة مجلس جمع ابن زرعة الفيلسوف ومسكويه صـــاحب تهذيب الاخلاق ، وأبا الوفاء المهندس الرياضى الكبير ، وابن حجاج الشاعر وأبا حيان التوحيدى ، الذى كان له من السمر مع هذا الوزير ما جمعه

---

(١٩١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٢٤٩
(١٩٢) مليحة رحمة الله : ص ٩٥
(١٩٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٩٨.
(١٩٤) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ١ ص ٥٠ — ص ٥١ دون التنوخى كتابه نشوار المحاضرة بحيث يدون تاريخ الأحداث التى تدور فى المجالس الاجتماعية وعلى السنة الرواه والتى لم تدون فى الكتب . أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٤٠ — ص ٢٤١ .
(١٩٥) ظهر الاسلام جـ ٢ ص ١٨ ، ص ٣٠

فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » وألف له رسالة « الصداقة والصديق » — وكان ابن سعدان يباهى بمجلسه هذا ويفخر به على مجالس الكبراء الآخرين أمثال المهلبى وابن العميد وابن عباد فيقول فى أصحابه هؤلاء : « ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ... وان جميع ندماء المهلبى لا يفون بواحد منهم ، وان جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم ، وأن ابن عباد ليس عنده الا أصحاب الجدل »(١٩٦) .

وكان الأمير عضد الدولة يؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الامراء ويقول شعرا كثيرا . ووصف الصاحب بن عباد بعض شعره فى قوله : « وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك وعليها رواء الصدق وفيها سيما العلم ، وعندها لسان المجد ولها صيال الحق »(١٩٧) .

وكان الصاحب بن عباد يزين مجلسه بالعلماء والأدباء وكان يقول لهم فى مجلسه : « نحن بالنهار سلطان وبالليل اخوان »(١٩٨) وذكر أبو بكر الخوارزمى : « أنه كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء ، ويحاضر بالأوصاف والتشبيهات ولا يحضر شىء من الطعام والشراب وآلاتهما الا وأنشد فيها لنفسه أو لغيره شعرا حسنا »(١٩٩) .

٢ — مجالس القصاص :

كان القصاص يعقدون عادة مجالسهم فى المساجد لرواية القصص الدينية وارشاد الناس وحثهم على اتباع الطريق القويم بذكر آيات الله وأخبار السلف الصالحين(٢٠٠) ، وكان للقصاص فى الغالب صبغة دينية حتى القرن الثانى الهجرى(٢٠١) ، اذ كانت مهمتهم تتمشى مع مبادىء الاسلام(٢٠٢) ، واستمرت طبقة القصاص ومجالسهم فى صدر

---

(١٩٦) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٥٦
(١٩٧) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٢١٦
(١٩٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٧٩
(١٩٩) بدوى طبانه : الصاحب بن عباد ص ٣٣
(٢٠٠) السبكى : معيد النعم ص ١١٣ — ص ١١٧
(٢٠١) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٦٧ — ص ٣٦٨
(٢٠٢) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٢٠

الاسلام(٢٠٣) تهدف الى تفسير الشريعة الاسلامية للمستمعين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى(٢٠٤) .

وكان من بين القصاص بعض القضاة(٢٠٥) وخطباء على جانب كبير من الثقافة ، وأدباء من أصحاب البلاغة والفصاحة(٢٠٦) .

وجاء بعد هذه الطبقة طبقة أخرى أقل معرفة وثقافة من سابقتها فى الأمور الدينية(٢٠٧) وأصبحت غايتهم الكسب المادى واللعب بعقول الناس(٢٠٨) وبخاصة فى القرن الثالث الهجرى حيث بدأت الروح الاخلاقية العالية تختفى من المجتمع(٢٠٩) . وظل الحال على ذلك حتى القرن الرابع الهجرى حيث انخفض المستوى العلمى لطبقة القصاص وصارت تقص على الناس القصص الدينية والاساطير والنوادر فى المساجد والطرق ، فالتف العامة حولهم(٢١٠) . وزاد عدد المستمعين اليهم رجالا ونساء وأصبحت مجالسهم عامرة سواء فى المساجد أو الطرقات أو الأسواق ، بل فى المقابر(٢١١) ، وكان القاص يرفع صوته بالدعاء ويمد يده لأخذ المال من العامة(٢١٢) مما أضعف مكانته بين الناس .

وكان من أثر هبوط المستوى العلمى لهؤلاء القصاص أن لجأوا الى سرد البدع ورواية الاخبار الكاذبة التى لا سند لها فى الدين(٢١٣) . ومنهم من كان ينشد شعرا غزليا أو ينوح على الموتى ويصف ما يلاقونه

---

(٢٠٣) متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ١٤١
(٢٠٤) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٦٧ — ص ٣٦٨
(٢٠٥) ابن الجوزى : صفة الصفوة جـ ٢ ص ١١٦
(٢٠٦) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٦٧
(٢٠٧) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٥٢
(٢٠٨) المكى : قوت القلوب جـ ١ ص ١٤٩
(٢٠٩) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٦٧
(٢١٠) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٣ ص ١٢٣ ، آدم ميتز : جـ ٢ ص ٧٨ — ص ٧٩ .
(٢١١) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٣٦٦
(٢١٢) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٢٢
(٢١٣) المكى (ابو طالب) : قوت القلوب جـ ١ ص ١٤٩

من البلاء[٢١٤] ، أو يشرح بعض العبارات دون أن يكون ملما باللغة العربية وقواعدها[٢١٥] .

وفى سنة ٣٦٧ هـ منع الأمير عضد الدولة البويهى القصاص من الظهور فى المساجد وغيرها من الأماكن لأن أحاديثهم كانت سببا فى اثارة الناس[٢١٦] . كما قام الخليفة القادر بالله العباس سنة ٤٠٨ هـ بمناهضة القصاص بسبب اثارتهم الفتن الداخلية[٢١٧] ، واتخذت اجراءات شديدة للقضاء على هذه الفئة التى استطاعت أن تسيطر على عقول العامة[٢١٨] .

٣ — مجالس الوعاظ :

وكانت تعقد فى المساجد ، وكان الواعظ يقوم مقام المدرس ويحضر حلقته جميع أفراد المجتمع دون تمييز فيشرح لهم المسائل الشرعية ويجيب على الأسئلة التى توجه اليه من الذين يحضرون حلقته[٢١٩] . وقد حافظت مجالس الوعاظ على سمعتها الطيبة طيلة القرنين الأول والثانى بعد الهجرة ، لأن عامة الناس كانت لا تزال متمسكة بآداب الدين ، لأن الوعاظ كانوا مثقفين ولهم المام كبير بأمور الشريعة الاسلامية يؤهلهم لارشاد الناس الى الطريق الدينى السليم[٢٢٠] . غير أن هذه المجالس لم تحتفظ بمكانتها فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة اذ تعرض لها الجهال من العوام والنساء فانصرفوا عن الاشتغال بالعلم واهتموا بالكسب المادى ، وظهرت البدع

---

(٢١٤) الغزالى : احياء علوم الدين ج ٢ ص ٣٣١
(٢١٥) ابن الجوزى : اخبار الظراف والمتماجنين ص ٩٠
(٢١٦) ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ٨٧ — ص ٨٨
(٢١٧) الذهبى : العبر فى خبر من غبر ج ٢ ص ٦٥ — ص ٦٦
(٢١٨) مليحة رحمه الله : الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ص ٩٨ — ص ٩٩ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٩
(٢١٩) آدم متز : ج ٢ ص ١١١
(٢٢٠) البيهقى : المحاسن والمساوىء ص ٣٣٨ — ص ٣٤٤

على اختلاف أنواعها وانتشرت الخرافات على ألسنة الوعاظ[٢٢١] . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل ان بعض الوعاظ لم يكونوا على درجة كبيرة من الثقافة[٢٢٢] كما أن فريقا منهم لبس الثياب الفاخرة ، وخلعوا ثياب الزهد مثل الواعظ محمد بن أحمد الشيرازى[٢٢٣] وكذلك ابن سمعون الواعظ الذى كان مترفا فى حياته[٢٢٤] .

ونظر بعض الوعاظ الى الوعظ على أنه مهنة للكسب أكثر منها مهنة للارشاد ، ومن ثم انحطت القيمة الثقافية للوعظ[٢٢٥] . واتخذ الوعاظ مجالسهم فى أماكن متعددة غير المساجد[٢٢٦] . وفضلا عما تقدم فان الوعاظ أصبحوا خطرا يهدد سلامة المجتمع باثارتهم الفتن بين أهل السنة والشيعة[٢٢٧] .

وكانت السلطة الحاكمة تطلب الى الوعاظ أحيانا معاونتها على تحقيق اتجاهاتها وبخاصة فى الشئون الداخلية ، فقد طلب الخليفة الراضى سنة ٣٢٣ هـ من الوعاظ أن يقوموا بنشر قراراته ضد الحنابلة فى مجالس وعظهم[٢٢٨] ، كذلك أمر معز الدولة البويهى الوعاظ أن يهيئوا الناس للاحتفال باليوم العاشر من المحرم سنة ٣٥٢ هـ[٢٢٩] ، وكذلك الخليفة القادر بالله الذى استعان بالوعاظ حين قامت الفتنة بين أهل السنة والشيعة اذ طلب منهم أن يقوموا بدورهم الى جانب الحكومة سنة ٤٠٨ هـ[٢٣٠] .

---

(٢٢١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٢٠ — ١٢١
(٢٢٢) الغزالى : احياء علوم الدين جـ ٢ ص ٣٣١
، ابن الجوزى : اخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٦
(٢٢٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ١٣٤
(٢٢٤) المنتظم : جـ ٧ ص ١٩٨
(٢٢٥) اخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٦
(٢٢٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٨٩
(٢٢٧) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٠٠
(٢٢٨) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٢٤٨
(٢٢٩) الثعالبى : ثمار القلوب ص ١١٥
(٢٣٠) الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٩٨

وكان من أثر عقد مجالس الوعاظ فى ذلك العهد خارج المساجد أن تزايد عدد المستمعين اليهم من العامة(٢٣١) ، ولم تكن الدولة غافلة عن تصرفات الوعاظ ، فكانت تمنع الذين ينحرفون عن أداء مهمتهم من الوعظ(٢٣٢) ، وقد حث بعض العلماء كالغزالى(٢٣٣) على منع النســاء من حضور مجالس الوعاظ خشية أن يؤدى ذلك الى الفتنة . كما أن هؤلاء العلماء حثوا الوعاظ على الظهور أمام الناس بمظهر يتجلى فيه الورع والوقار وأن يتزيوا بزى الصالحين(٢٣٤) .

---

(٢٣١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ١٩٩ — ص ٢٠٠

(٢٣٢) ، (٢٣٣) ، (٢٣٤) الغزالى : احياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٢٩ ، ص ٢٣١ ، ص ٢٣٢ .

٢ ــ الحياة العلمية والأدبية

أ) مراكز الثقافة الاسلامية :

كان لاتساع رقعة الدولة الاسلامية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية لم يشـــهدها الشرق من قبـــل[١] • وانتشرت الثقافة الاسلامية انتشارا يدعو الى الاعجاب ، بفضل تشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء ورجال العلم ، وقد أسهمت الدول التى استقلت عن الخلافة العباسية فى نشاط الحركة الفكرية ، وزخر بلاط أمرائها بالعلماء والشعراء والأدباء[٢] ، كما تميزت عدة مدن بقـــوة الحركات العلمية والأدبية مثل البصرة والكوفة وبغداد فى العراق ، وأصبهان والرى فى فارس وبخارى وسمرقند فى بلاد ما وراء النهر ، وغزنه حاضرة الدولة الغزنوية[٣] •

بغـــــداد :

أصبحت بغداد أم مدائن الشرق وكعبة العلوم والآداب فى ذلك العصر ، وازدهرت فيها الفنون المختلفة ، وانتشرت منها الى ســـائر أنحاء العالم الاسلامى[٤] • وكان بها لجميع المذاهب الاسلامية أنصار ، ولكن أكبر مذهبين كانا بها فى القرن الرابع الهجرى هما الحنـــابلة والســـنية[٥] •

اتخذت مجالس العلم فى مساجد بغداد طريقة الاملاء ، وكانت تعتبر أعلى مراتب التعليم[٦] ، والتى اتبعها كثير من المتكلمين واللغويين

---

(١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢٠٥
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٥١٧
(٣) جمال سرور : ص ٢٠٦
(٤) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٨٢ ، ص ١٤٠ ، ص ١٦٨ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٣٧٢
(٥) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٢٦
(٦) المزهر : للسيوطى ج ٢ ص ١٩٩ (مصر ١٩٣٥ م) ، آدم متز : ج ١ ص ٢٥٣

فى القرن الثالث الهجرى . فيحكى أن الجبائى المعتزلى أملى مائة وخمسين ألف ورقة وما رؤى ينظر فى كتاب الا يوما فى زيج الخوارزمى[٧] ، وأملى أبو على القالى خمس مجلدات ، وكان المستملى يكتب أول القائمة « مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا فى يوم كذا »[٨] . وكان العلماء يملون كتبهم على تلاميذهم فى المسجد ، فيروى أبو عمر المطرز (المتوفى عام ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) أنه أملى كتابه « الياقوت فى اللغة » على عدة جلسات فى جامع المنصور ببغداد[٩] .

وكان الفقهاء أكثر العلماء تلاميذا فى بغداد ، لأنهم يعلمون العلم الذى يؤهل صاحبه لتولى المناصب التى يتعيش منها ، فقد كان أبو حامد الاسفرائينى المتــوفى عام ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م امام أصحاب الشافعى حتى قيل انه أفقه وأنظر ، وكان يدرس بمسجد عبد الله ابن المبارك ببغداد ، وكان يحضر مجلسه ما بين ثلاثمائة وسبعمائة فقيــه[١٠] .

كان تغيير طريقة التعليم سببا فى ايجاد نوع جديد من المؤسسات العلمية فى بغداد ، ذلك أنه لمــا انتشرت طريقة التدريس ، نشــأت المدارس ، ولعل من أسباب ذلك أن المساجد لم يكن يحسن تخصيصها للتدريس بما يتبعه من مناظرة وجدل قد يخرج بأصحابه أحيانا عن الأدب الذى تجب مراعاته للمسجد ، فالقرن الرابع الهجرى هو الذى أظهر هذه المعاهد الجديدة التى بقيت الى أيامنا[١١] .

---

(٧) المعتزلة : لابن المرتضى ص ٤٧ ، متز : جـ ١ ص ٢٥٣

(٨) آدم متز : جـ ١ ص ٢٥٣

(٩) ابن النديم : الفهرست ص ٧٦
، آدم متز : جـ ١ ص ٢٤٥

(١٠) طبقات السبكى جـ ٣ ص ٢٥ ويذكر ابن الاثير : جـ٩ ص ١٨٣ العدد أربعمائة طالب ، آدم ميتز جـ ١ ص ٢٥١ وكان عدد الطلبة يعرف باحصاء محابرهم التى يضعونها امامهم السبكى جـ ٣ ص ١٧٠ ، متز : جـ ١ ص ٢٥٤

(١١) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٥٤

وحوت بغداد أعدادا كبيرة من المدارس أدركها ابن جبير فذكر أن ببغداد وحدها نحو ثلاثين مدرسة كبيرة ،« ما منها مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها ••• ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة ، تتصير الى الفقهاء المدرسين بها ، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم • ولهذه البلاد أمر فى هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد »[١٢] فكيف اذن بمدارس بغـداد الغربية وبالمدارس الصغيرة والمساجد التى لا يأخذها التقدير فضلا عن الاحصاء كما يقول ابن جبير[١٣] ومعظمها يجرى فيها التدريس •

ومما ساعد على نمو الحركة العلمية والأدبية وازدهارها فى بغداد وشجع على الاشتغال بمختلف العلوم والآداب والفنون وجود عدد من المكتبات الزاخرة بشتى أنــواع الكتب التى تناولت موضوعات مختلفة فى العلوم النقلية والعقلية • وجد بعضها فى دار الخــلافة والبعض الآخر فى مختلف المدارس والمساجد ، فضلا عن المكتبات التى يملكها الأفراد ، فقد كان بعض أهل الخير يهبون كتبهم خاصة الدينية منها للمساجد والمدارس أو يوقفونها على القراء فيها[١٤] • ومن أقدم هذه المكتبات دار الحكمة التى قيل أن الرشيد هو الذى وضع أساسها وعمل المأمون من بعده على امدادها بمختلف الكتب والمصنفات التى تحوى كل العلوم التى اشتغل بها العرب[١٥] •

وقد أثبتت هذه الدار أنها أهم مجمع أسس لنشر الثقافة بين

---

(١٢) رحلة ابن جبير ص ٢٢٨ ، ريچاردكوك : بغداد مدينة السلام ج ١ ص ١٩١ — ص ١٩٢ •

(١٣) الرحلة ص ٢٢٩

(١٤) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ١٧ ص ٦٥ — ص ٦٦ ، فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٥٠١ — ص ٥٠٢

(١٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢١٢

جمهور المسلمين . وكانت الترجمة منذ عهد المأمون من أهم أعمالها الرئيســـية[١٦] ، ولم يمض وقت طويل حتى تيسر للطلاب العرب الاطلاع على كثير من مؤلفات علماء وفلاسفة اليونان منقولة الى اللغة العربية[١٧] .

وفى سنة ٣٨٣ هـ أسس أبو نصر بن سابور بن أردشير وزير الأمير بهاء الدولة البويهى دارا عامة للعلم فى الكرخ غربى بغداد ، ونقل اليها كتبا كثيرة[١٨] ، فكان بها مائة نسخة من القرآن منسوخة بأيدى أفضل النساخين[١٩] ، بالاضافة الى عشرة آلاف وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم معظمها بخطوط أصحابها[٢٠] ، وأسند أمر الاشراف عليها الى الشريفين أبى الحسين محمد بن الحسين بن أبى شـــيبة وأبى عبد الله محمد بن أحمد الحسنى يعاونهما القــاضى عبد الله الحسين هارون الضبى والشيخ أبى بكر محمد بن موسى الخوارزمى[٢١] . وقد استمرت هذه الدار بعد وفاة مؤسسها سنة ٤١٦ هـ[٢٢] الى أن احترقت عند مجىء طغرلبك الى بغداد سنة ٤٥١ هـ[٢٣] .

---

(١٦) Hitti. Hist. of the Arabs. p. 310.

(١٧) انظر دى لاسى أوليرى : علوم اليونان وسبل نقلها الى العربية ص ٢٢٥ — ص ٢٢٧

، جمال سرور : ص ٢١٢ ، وظلت هذه المكتبة قائمة حتى استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦ هـ . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاســـلام السياسى جـ ٢ ص ٣٤٣ .

(١٨) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٧٢

(١٩) يذكر ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٣ انها كانت بخطوط بنى مقله .

(٢٠) المنتظم جـ ١٠ ص ٣ ، آدم متز : جـ ١ ص ٣٢

(٢١) المنتظم جـ ٧ ص ١٧٢ ، متز : جـ ١ ص ٣٣

(٢٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١٣١ يذكر المعرى فى رسالة الغفران انه وهو فى بغداد كان يزور مكتبة ابن أردشير وكان على المكتبة فتاة سوداء تقوم على اعارة الكتب للمترددين على هذه الدار . أحمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٢٣) المنتظم : جـ ١٠ ص ١٣١

واتخذ الشريف الرضى لطلبة العلم الذين يدرسون عليه دارا سماها دار العلم ، وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه ، وكان لخزانة الكتب مفاتيح بعدد الطلبة ، ومن تلامذته الذين كانوا يتلقون العلم فى تلك الدار مهيار بن مرزويه الديلمى[٢٤] . وأبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠ هـ)[٢٥] .

وحكى عن على بن يحيى المنجم — وكان ممن جالس الخلفاء — أنه كانت له خزانة كتب عظيمة فى ضيعته سماها خزانة الحكمة . وكان يقصدها الناس من كل بلد ، يقيمون فيها ويتعلمون والكتب مبذولة لهم والصيانة مشتملة عليهم والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى ، وقد قدم اليها أبو معشر المنجم من خراسان وتعلم فيها علم النجوم[٢٦] .

وكان لحبشى بن معز الدولة مكتبة ضخمة ، وذكر كل من مسكويه[٢٧] وابن الأثير[٢٨] أنه صودر سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م لأنه أراد عصيان أخيه أمير بغداد (عز الدولة بختيار) فكان من جملة ما أخذ منه خمسة عشر ألف مجلد سوى الأجزاء وما ليس بمجلد . وتحدث مسكويه[٢٩] عن الدار التى أنشأها عضد الدولة ببغداد فذكر أنه أفرد فيها لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه ، فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة ، وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم ، فعاشت

---

(٢٤) وقد اسلم على يد الشريف الرضى سنة ٣٩٤ هـ .
الخطيب البغدادى : تاريخ بغدادى جـ ١٣ ص ٢٧٦ ، وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٤٤٤

(٢٥) ذكر عبد المحسن الأمينى : الغدير جـ ٤ ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ عددا من تلاميذه .

(٢٦) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢٢١

(٢٧) تجارب الأمم جـ ٦ ص ٣١٤

(٢٨) الكامل : جـ ٨ ص ٤٣١ ، آدم متز : جـ ١ ص ٢٤٦

(٢٩) تجارب الأمم : جـ ٦ ص ٤٠٨

كان من أهم مفاخر البصريين « المربد »(٣٤) الذى أنشأه العرب سوقا ليقضوا فيه شئونهم ، وقد أصبح فى الاسلام صورة معدلة لعكاظ فى الجاهلية • فكان يجتمع فيه العرب للبيع والشراء ، ويتناشدون فيه الأشعار(٣٥) • وقد استمر المربد فى العصر العباسى قائما ، لكنه صار يؤدى غرضا آخر يختلف عما كان يؤديه فى العصر الأموى ، ذلك أن العصبية العربية ضعفت فى العصر العباسى ، كما ازداد نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم • وبدأ الناس فى المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هى أقرب الى حياة الفرس منها الى حياة العرب ، وفضلا عن ذلك فان الموالى الذين دخلوا الاسلام لم يكن كثير منهم يجيدون العربية ، بل فشا اللحن بينهم وأفسدوا على العرب لغتهم ، ومن ثم صار المربد يؤدى غرضا يتفق والحياة الجديدة فقصده الشعراء واللغويون ليأخذوا عن أهله ما يقوى ملكتهم الشعرية ، كما وفد اليه اللغويون والنحويون ليصحوا أقوالهم وقواعدهم(٣٦) •

احتفظت البصرة بمكانتها العلمية حتى القرن الرابع الهجرى ، فكثر بمسجدها حلقات العلماء والأدباء ، ففى حوالى سنة ٣٠٠ هـ كان ابن كيسان النحوى يبدأ مجلسه بأخذ القرآن والقراءات ، ثم بأخذ أحاديث الرسول عليه السلام « فاذا قرىء خبر غريب أو لفظة شاذة أبان عنها وتكلم عليها وسأل أصحابه عن معناها » • وكان يجوز

---

(٣٤) المربد : يقع فى الجهة الغربية من البصرة على البادية بينه وبين البصرة ثلاثة أميال وكان سوقا للابل ، ثم صار محلة عظيمة يسكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٨ ص ١٢ •

(٣٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٠٨

(٣٦) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٨٠ — ص ٨١
ينسب الى المربد جماعة من الرواة منهم : « سماك بن عطية المربدى البصرى » روى عنه حماد بن زيد حديثه فى الصحيحين ، وأبو الفضل عباس بن عبد الله بن الربيع بن راشد مولى بنى هاشم المربدى والقاضى ابو عمرو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمى البصرى •
ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ١٢ — ص ١٣ •

هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع أهلها وكانوا أشــــتاتا ، وكان البيمارستان (المستشفى) العضدى الذى أنشأه عضد الدولة ملتقى طلاب العلم حيث كانوا يتلقون فيه دروسهم ومحاضراتهم النظرية فى علوم الشريعة فضلا عن تطبيق ما يدرسه طلاب الطب[٣٠] .

وبالاضافة الى المكتبات كانت هناك حوانيت الوراقين ، وهى دكاكين صغيرة تقام بجوار المساجد لبيع الكتب التى كانت تنســـخ باليد ، وكان بعض هذه الدكاكين من السعة بحيث تعرض فيها أنواع كثيرة من الكتب ، ويجلس فيها بعض المتأدبين وذوى التجارب الواسعة من العلماء ، وقد ساعدت مع دور الكتب على رفع مستوى الثقافة[٣١] .

وهكذا يتجلى لنا كيف غدت بغداد مركزا هاما للثقافة الاسلامية ، وكعبة يحج اليها العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والمتصوفة من مشرق البلاد الاسلامية ومغربها ، وكيف تنوعت دور العـــلم ومعاهد الثقافة ، فوفد اليها علماء أجلاء من مصر والشام وخوارزم وبلاد ما وراء النهر وفارس ومنبج وواسط ، ونالوا حظا من وظائف الدولة وخيراتها وفازوا بالشهرة والمجد المؤثل الذى نشدوه من رحيلهم الى بغـــداد[٣٢] .

البصـــــرة :

يرجع تأســـيس البصـــرة الى عهد عمر بن الخطـــاب ، ولم يكد يمضي عشرون عاما على انشاء هذه المدينة حتى عظم شأنها وصارت من أهم مراكز العالم الاسلامى[٣٣] .

---

(٣٠) ابن جبير : الرحلة ص ٢٢٥

(٣١) عهد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ١٩٤ — ص ١٩٥ .

(٣٢) انظر ياقوت : معجم الادباء جـ ٢٠ ص ١٦ — ص ١٨ (مصر ١٩٣٦ م) ابو شامه الذيل ص ١٠ ، ابن رافع السلامى : تاريخ علماء بغداد ص ١٦٤ — ص ١٦٥ ، ابن القفطى : تاريخ الحكماء ص ٢١٤ .

(٣٣) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٠٧

للسامع فى المجلس أن يقف ويسأل(٣٧) .

ازدهرت الحياة العقلية فى البصرة ، فظهر بها اخوان الصفا واتخذوها مركزا لنشاطهم وهى جماعة سرية تتألف من طبقات متفاوتة ، ولهم فروع فى كثير من البلاد وكان منهم زيد بن رفاعة ، وأبو سليمان محمد بن معشر البستى ويعرف بالمقدسى وأبو الحسن على بن هارون الزنجانى ، وقد وصف أبو حيان التوحيدى هذه الجماعة فى كتابه الامتاع والمؤانسة بقوله : « وكانت هذه الجماعة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله ذلك أنهم قالوا أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى تطهيرها الا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا أنها متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الاسلامية فقد حصل الكمال(٣٨) ويقول براون(٣٩) : « ان هذه الطائفة استطاعت أن تتم ما بدأه المعتزلة وخاصة فيما يتعلق بالتوفيق بين العلم والدين » .

صنف جماعة اخوان الصفا اثنتين وخمسين رسالة عالجت موضوعات فى الرياضة والفلك والجغرافيا والموسيقى والاخلاق والفلسفة ، كما ضمت الى جانب ذلك كل المعلومات والمعارف التى يطلب من الرجل المثقف الالمام بها(٤٠) .

وكانت البصرة موضع اهتمام البويهيين ، فأنشأ أبو على بن سوار الكاتب — أحد رجال حاشية عضد الدولة — دار كتب بها ،

---

(٣٧) ياقوت : الارشاد جـ ٥ ص ٢٧٢ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٥٥ .

(٣٨) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٣٣ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٠٩

(٣٩) Literary Hist. of persia, V. 11. p. 292.

(٤٠) Hitti : Hist of the Arabs. p. 373.

وجعل فيها أجراء على من قصدها ولزم القراءة فيها[٤١] ، كذلك أمر أبو كاليجار المرزبان الأمير البويهى وزيره منصور بن شـاه مروان بانشاء دار للكتب فى البصرة جلب اليها أنفس الكتب[٤٢] .

الموصــــل :

كانت الموصــل من مراكز الثقافة الاســلامية ، فقد حفـلت أرجاؤها بعديد من معاهد العلم والثقافة على اختلاف أنواعها ، فبنيت المساجد ، وأقيمت المدارس ، وزخرت هذه المساجد والمدارس بالمكتبات النافعة ، كما كانت الربط أنسب معهد لدراسة التصوف وعلومه والتأليف والتصنيف ، فضلا عن كونها مأوى لعلماء المسـلمين القادمين الى الموصل من الأقطار الاسلامية لطلب العلم أو نشره[٤٣] ، وكان بالموصل الى جانب ذلك مؤسسات علمية أخرى ، فيحكى عن أبى القاسـم جعفر ابن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه الشافعى (المتوفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م) أنه أسس دارا للعلم فى بلده زودها بخزانة كتب من جميع العلوم ، لا يمنع أحد من دخولها ، واذا جاءها غريب يطلب الأدب وكان معسرا أعطاه ورقا وورقا (أى منحه مالا) وكان ابن حمدان الموصلى يجلس فى هذه الدار اذا ما عاد من سفره ، ويجتمع اليه الناس ليملى عليهم من شعره وشعر غيره ، ثم يملى حكايات مستطابة وطرفا من الفقه وما يتعلق به[٤٤] .

أصــبهان والــرى :

كانت أصــبهان والــرى من بين مراكز الثقـافة فى شرق الدولة

---

(٤١) المقدسى : ص ٤١٣ ، ابن النديم : الفهرست ص ١٣٩ ، آدم متز : جـ ١ ص ٣٤٩ .

(٤٢) ابن الجــوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٧٢ الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ص ٢٦٤

(٤٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٤ ص ٤٢١ — ص ٤٣٩ .

(٤٤) الارشاد لياقوت جـ ٢ ص ٤١٠ ، آدم متز : جـ ١ ص ٢٤٨ ، معجم الأدباء لياقوت : جـ ٦ ص ٢٥٩ .

الاسلامية وبخاصة فى عهد البويهيين ، الذين اندفعوا فى تأثير الأدب العربى اندفاعا تاما مع أنهم من أصل فارسى ، وأغلب وزرائهم كابن العميد وابن عباد من الفرس(٤٥) .

حفلت الرى بالعلماء ، كما كان بها المجالس والمدارس ، لا يخلو المذكر من فقه ولا الرئيس من العـلم ، ولا الخطيب من الأدب(٤٦) والغلبة فيها للحنفيين ، وبها حنابلة كثيرون(٤٧) ، أما أصفهان فأهل سنة وجماعة وأدب وبلاغة ، أخرجت كثيرا من المقرئين والفقهـاء والأدباء(٤٨) .

نبغ فى هاتين المدينتين كثير من المحدثين والفقهاء والنحـاة والفلاسفة والأدباء ، فأشتهر من المحدثين والفقهاء أبو بشر محمد بن أحمد الدولابى(٤٩) الرازى (نسبة الى الرى) وله مؤلفات فى الحديث والتاريخ اعتمد عليها المحدثون وتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، ومن أئمـة الحديث فى أصفهان أبو محمد عبد الله بن حيان الاصفهانى ، وله كتاب السنة وفضائل الأعمال توفى سنة ٣٦٧ هـ(٥٠) .

كذلك ظهر بالرى بعض نوابغ العلماء نخص منهم بالذكر : أبا بكر محمد بن زكريا الرازى وهو من أكبر فلاسفة المسلمين ، بل تفوق فى الطب النظرى ، والعملى والكيمياء ويقول عنه ابن خلكان :(٥١) « انه كان امام وقته فى علم الطب متقنا لهذه الصناعة عارفا بأوضـاعها

---

(٤٥) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٧٣
(٤٦) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٣٩١ ، احمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢١٩ .
(٤٧) المقدسى : ص ٣٩٥ ، ص ٣٩٦ ، ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٢٠
(٤٨) المقدسى : ص ٣٨٩ ، ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٢٠
(٤٩) نسبة الى دولاب وهى قـرية بالرى . جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية هامش ص ٢١٧
(٥٠) ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٤٥ ، جمال سرور : ص ٢١٩
(٥١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٠٣ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢١٨ — ص ٢١٩ .

وقوانينها ، تشد اليه الرحال لأخذها عنه وصنف فيه الكتب النافعة » وبلغ عدد مؤلفاته أكثر من مائتى كتاب . وكانت أكثر اقامته بالرى ، وتنقل فى بلاد كثيرة وأقام فترة عند السامانيين حيث اتصل بمنصور ابن اسحق بن أحمد السامانى وألف له كتابه « المنصورى فى الطب » ويعد أشهر كتبه وقد جمع فيه بين العلم والعمل(٥٢) .

وكانت الرى من حواضر البويهيين ، وقد أقام بها ركن الدولة ابن بويه ، كما ان ابنه عضد الدولة كان يقيم بها أحيانا وأحيانا بشيراز ، وقد تقدمت الحركة الأدبية فى الرى بعد أن اتخذها أبو الفضل بن العميد وزير ركن الدولة مركزا له(٥٣) .

تشبه ابن العميد بالبرامكة ففتح بابه للشعراء والأدباء وكان يشاركهم فى كل ما يعلمون الا الفقه وتفوق فى علوم كثيرة منها الهندسة وعلوم الفلسفة والطبيعة وله مذهب فى الكتابة عماده التأنق فى اختيار الالفـــاظ(٥٤) . وقيل فيه بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد(٥٥) . وبلغ من اهتمام ابن العميد باقتناء الكتب أنه أنشأ مكتبة عظيمة كانت أعز شىء لديه ، وعين مسكويه قيما عليها ويذكر مســكويه أن هذه المكتبة كانت كثيرة (الكتب) ، فيها كل علم وكل نوع من أنواع الحكم والآداب ما يحمل على مائة بعير ، حتى انه لمـــا نهبت داره سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م قال ابن العميد لمسكويه بعد أن اطمأن على سلامة هذه المكتبة : « ان سائر الخزائن يمكن أن تعوض أما هذه الخزانة لا عوض عنها »(٥٦) . وكان ابن العميد فضلا عما نبغ فيه من العلوم عالما فى النحو والعروض والاشتقاقات والاستعارات ، وحفظ

---

(٥٢) وفيات الأعيان : جـ ٢ ص ١٠٣ ، جمال سرور : ص ٢١٩

(٥٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢١٩

(٥٤) جمال سرور : ص ٢١٩

(٥٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٧٤
، جمال سرور : ص ٢١٩

(٥٦) تجارب الأمم جـ ٦ ص ٢٨٦ وما بعـــدها ، آدم ميتز : جـ ١ ص ٢٤٦ .

الدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام[٥٧] .

وكان اسماعيل بن عباد كاتبا عند أبى الفضل بن العميد ، وتتلمذ له وصحبه وسمى الصاحب من أجل ذلك[٥٨] ، وظل ابن عباد يكتب لابن العميد بالرى ، ثم وقع عليه الاختيار ليكون كاتبا لمؤيد الدولة ابن ركن الدولة البويهى فى أصبهان ، وتقلد الوزارة لمؤيـد الدولة ولاخيه فخر الدولة الى أن توفى سنة ٣٨٥ هـ[٥٩] .

ويعد الصاحب اسماعيل بن عباد من أشهر رجال الأدب فى عصره ، وقد ذكر ابن خلكان[٦٠] انه اجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ، وصنف كثيرا من الكتب ، وكان بمكتبة الصاحب كثير من المصنفات حتى أن نوح الثانى بن منصور الأول السامانى لمـا كتب اليه يستدعيه الى حضرته ليوليه وزارته كان من جملة اعتذاره قوله : « كيف يحسن لى مفارقة قوم بهم ارتفع قدرى وشاع بين الأنام ذكرى ، ثم كيف لى بحمل أموالى مع كثرة أثقالى ، وعندى من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعمائه جمل أو أكثر »[٦١] . وكان فهرس كتبه يقع فى عشرة مجلدات[٦٢] .

مما تقدم يتبين لنا كيف ظهرت فى هذا القسم من فارس حركة أدبية وعلمية رائعة بفضل عضد الدولة والوزيرين ابن العميد وابن عباد ، اذ كان كل منهم فى امارته أو وزارته عالما وأديبا ، فعضد الدولة الى جانب ملكه الواسع كان مثقفا ثقافة عالية . وكان قصره محط

---

(٥٧) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢١٩
(٥٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٩٣ ، جمال سرور : ص ٢٢٠ .
(٥٩) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ ص ١٧٢ — ص ١٧٣ .
(٦٠) وفيات الأعيان : ج ١ ص ٩٤
، جمال سرور : ص ٢٢٠
(٦١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٩ ص ٧٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٩٤
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٢٠
(٦٢) آدم متز : ج ١ ص ٢٤٦

رجال العلم والأدب فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ومنها كتاب « الايضاح والتكملة » فى النحو الذى صنفه الشيخ أبو على الفارسى وكتاب « التاجى فى أخبار بنى بويه لأبى اسحاق الصابى[٦٣] أما ابن العميد وابن عباد فقد جمعا بين عظمة المنصب ودراسة الأدب ، واستخدما كل ذلك فى النهوض بالآداب والعلوم[٦٤] .

نيســـابور :

كان لاقليم خراسان عاصمتان هما مرو وبلخ فلما جاء الطاهريون اتخذوا نيسابور عاصمة ، وليس فى خراسان مدينة أصح هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة من نيسابور[٦٥] . وقد عمرت فى أيام الطاهريين وكبرت وعظمت أموالها ، وأتى اليها الكتاب والأدباء وأقاموا فيها ، كما وفد اليها العلماء والفقهاء ، وقد أخرجت نيسابور كثيرا من العلماء ، وبرز فيها كثير من الفقهاء[٦٦] .

اشتهرت نيسابور بمسجدها ذى الأربع رحبات ، الذى بناه عمرو الصفار ، ويقوم سقفه على أساطين الاجر ، ويدور صحنه على ثلاثة أروقة ، وزودت حيطانه بالقرميد الذهب[٦٧] . وكان يحضر مجلس أبى الطيب الصعلوكى مفتى نيسابور ، بهذا المسجد أكثر من خمسمائة طالب سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م[٦٨] .

شهد القرن الرابع الهجرى ظهور المدارس كمؤسسات تعليمية الى جوار المساجد . وكانت نيسابور مهد هذه المعاهد ، ويقول الحاكم النيسابورى المؤرخ الثقة (توفى سنة ٤٠٦ هـ) صاحب تاريخ نيسابور ،

---

(٦٣) Amedroz : Three years of Buwihid of Baghdad. p. 779 (J. R. A. S. 1901).
، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ١١٢

(٦٤) احمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٤٧ ، ص ٢٥٢

(٦٥) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٢٤ ، ص ٤٢٦

(٦٦) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٣١٣ — ص ٣١٤

(٦٧) لسترنج : بلدان الخلافة ص ٤٢٦

(٦٨) آدم متز : ج ١ ص ٢٥٢

ان أول مدرسة بنيت بنيسابور هى التى بنيت لمعاصره أبى اسحق الاسفرائينى (المتوفى سنة ٤٠٦ هـ)(٦٩) ، أما المدرسة التى بنيت لابن فورك (المتوفى سنة ٤٠٦ هـ) فهى أحدث عهدا من تلك المدرسة بقليل ، وكان كل من الاسفرائينى وابن فورك أشعريا متحمسا(٧٠) ، وبنى أبو بكر البستى لأهل العلم مدرسة على باب داره ووقف عليها جملة من ماله الكثير ، فقد كان من كبار الائمة وأولى الرياسة بنيسابور ، كما كان أيضا من كبار المدرسين والمناظرين وتوفى سنة ٤٢٩ هـ(٧١) .

مـــرو :

تعد هذه المدينة من أعظم مراكز الثقافة فى المشرق الاسلامى ، وقد اشتهرت فضلا عن مدارسها الكثيرة بمكتباتها الحافلة بأنواع العلوم والآداب ، فكان فى كل جامع كبير مكتبة لأنه كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع(٧٢) ، ويقال ان خزانة الكتب بمــرو كانت تحوى كتب يزدجرد لأنه حملها اليها وتركها(٧٣) .

---

(٦٩) آدم متز : جـ ١ ص ٢٥٤

، يقول المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٦٣ ان اول من حفظ عنهم انه بنى مدرسة فى الاسلام اهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية التى بنيت للبيهقى (المتوفى ٤٥٤ هـ) ويقول الذهبى ان اول المدارس النظامية التى امر ببنائها نظام الملك كانت ببغداد .

آدم متز : جـ ١ هامش ص ٢٥٤ .

(٧٠) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٣٧٥ ، آدم متز : جـ ١ ص ٢٥٤

(٧١) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٥٤ — ص ٢٥٥

(٧٢) ابن خلكان : جـ ١ ص ٥٥ ، آدم متز : جـ ١ ص ٢٤٣

ويذكر ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٣١٤ انه كان فيها ثلاث مساجد للجمعات .

(٧٣) ابن طيفور : بغداد ص ١٥٧ ، آدم متز : جـ ١ ص ٢٤٣

استمرت مكتبات مرو وعظمت حتى ادركها ياقوت الحموى قبل غزو التتار وتغنى بمكتباتها وذكر انه قضى ثلاث سنين بمرو وكان بها على عهده اثنا عشر خزانة باحداها نحو اثنى عشر الف مجلد ، وكانت سهلة التناول ، وكان فى عهدة ياقوت مائتا مجلد واكثر بغير رهن ، وجمع منها مادة كتابه معجم البلدان .

ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٥ ص ١١٣ — ص ١١٥

، آدم متز : جـ ١ هامش ص ٢٤٣

سجستان :

وعاصمتها « زرنج » وأغلب أهلها على مذهب الحنفية ، وكان فيها كثير من الخوارج يظهرون مذهبهم ، ويفتخرون به عند المعاملة ، فيقول الرجل عند مماكسته (أى أخذ المكوس منه) : « أنا من الخوارج لا تجد عندنا الا الحق » وينسب اليها كثير من العلماء منهم أبو سعيد السجزى القاضى الحنفى (المتوفى سنة ٣٧٣ هـ) . وكان خلف بن أحمد أمير سجستان من أهل العلم والفضل والسياسة والملك ، سمع الحديث بخراسان والعراق ، وكان من أعماله العظيمة أنه جمع العلماء بسجستان وحملهم على تصنيف كتاب فى التفسير ، وقد أنفق على العلماء مدة اشتغالهم فيه عشرين ألف دينار ، وتم هذا العمل الضخم فى مائة مجلد(٧٤) .

بخارى وسمرقند :

كانت بخارى وسمرقند من أهم مراكز الثقافة الاسلامية فى بلاد ما وراء النهر وقد نافست هاتان المدينتان نيسابور ، أهم مراكز الثقافة الفارسية ، ومرو حاضرة اقليم خراسان ، وكان لبخارى وسمرقند القدح المعلى فى علوم البلاغة والنحو والشعر والطب والحديث وغير ذلك(٧٥) .

وصف القزوينى مكانة بخارى العلمية والأدبية بقوله : « ولم تزل بخارى مجمع الفقهاء ومعدن الفضلاء ومنشأ علوم النظر ، وتوارث رؤساؤها تربية العلم والعلماء كابرا عن كابر يرتبون وظبقه أربعة آلاف فقيه ، ولم تر مدينة كان أهلها أشد احتراما لأهل العلم من بخارى »(٧٦) .

---

(٧٤) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٣٧٥ ويذكر العتبى أن نسختها بنيسابور موجودة فى المدرسة الصابونية .

(٧٥) ابن الساعى : الجامع المختصر جـ ٩ ص ٢٠٢ ، اليافعى : مرآة الجنان جـ ٤ ص ٣١ ، فامبرى : تاريخ بخارى ص ١٨٠ — ص ١٨١

(٧٦) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥١٠ طبعة بيروت .

جذبت بخارى كثيرا من العلماء والأدباء ، فتلقى العلم بها أبو على الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا (٣٧٠ — ٤٢٨ هـ) وقد انتقل اليها مع أسرته أيام نوح الثانى بن منصور السامانى ، وأتم بها جميع علومه وظهر نبوغه فى الطب وهو فى السابعة عشر من عمره فاستدعى لمداواة الأمير نوح السامانى ، فلما نجح فى معالجته قربه اليه وأغدق عليه الأموال وسمح له بالتردد على مكتبته الزاخرة بالمؤلفات[٧٧] . وقد وصفها ابن خلكان[٧٨] بقوله : « كانت عديمة المثل ، فيها من كل فن من الكتب المشهورة وغيرها مما لا يوجد فى سواها ، ولا سمع باسمه ، فضلا عن معرفته » . ومن مصنفات ابن سينا كتاب « الشفاء فى الحكمة والنجاة » والاشارات وهو يتعلق بعلوم الطبيعة والرياضيات وكتاب القانون فى الطب وغير ذلك مما يفاوت مائة مصنف بين مطول ومختصر[٧٩] .

وكان من بين من شجع الحركة الأدبية فى بخارى فى عهد السامانيين أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير نصر بن أحمد السامانى ، وقد وصفه ياقوت[٨٠] بأنه « كان حسن النظر لمن أمله وقصده معينا لمن أمه وأعتمده » كذلك كان لأبى على محمد بن البلعمى وزير منصور الأول ابن نوح السامانى (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ) أثر كبير فى النهوض بالحركة العلمية والأدبية فى بخارى ، فقد ترجم مختصرا لتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى الى اللغة الفارسية حوالى سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م[٨١] .

وكانت سمرقند أيضا مركزا هاما للعلوم فى عهد السامانيين ، وأخرجت بعض رجال الحديث والفقه م نأمثال أبى حاتم محمد بن

---

(٧٧) براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ١٢٢ — ص ١٢٣
(٧٨) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٥٢ — ص ١٥٣
(٧٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٢٢ — ص ٢٢٣
(٨٠) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٧ ص ١٥٧
(٨١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية جـ ٢ ص ١١٦
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٢٣

حيان التميمى السمرقندى الذى ولى قضاء سمرقند ورحل اليه الناس لأخذ العلم عنه وتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، كما نبغ بهذه المدينة من المحدثين والفقهاء أبو الليث نصر بن محمد السمرقندى الملقب بامام الهدى . وقد توفى سنة ٣٧٣ هـ(٨٢) .

غزنـــه :

لمـــا ظهر الغزنويون ، وجدوا أمامهم فى فارس وما جاورها مراكز ثقافية نشطة كان العلماء يؤمونها فى العهد البويهى والعهد السامانى ، غير أن هذه المراكز ما لبثت أن تصدعت وانهارت نتيجـــة للتطورات السياسية فى المنطقة وذهاب القائمين عليها ثم آلت اليهم(٨٣) .

لم يكن لحكام غزنه الأتراك ثقافة عالية أو حضارة عريقـــة يحملونها معهم الى العالم الاسلامى(٨٤) ، لكن ذلك لم يفت فى عضدهم ، ولم يضعف عزيمتهم لاستكمال عناصر دولتهم فتبنوا ثقافة اللغتين العربية والفارسية ، ورغم أن نشاط سبكتكين — مؤسس الدولة — انحصر فى الجانب العسكرى ، الا أنه قرب اليه بعض الأدباء مثل أبى الفتح البستى(٨٥) .

بدأت غزنه تأخذ مكانتها كحاضرة ثقافية فى عهد ابنه السلطان محمود الذى تثقف ثقافة عالية وبخاصة فى العلوم الدينية(٨٦) ، واستطاع محمود الغزنوى متأثرا بروح عصره ومستعينا بالثـــروة الضخمة التى آلت من فتوحاته فى بلاد الهند أن يجعل من غزنه عاصمة حضارية ترث ما خلفته المراكز السالفة ، وتشد اليها العلماء

---

(٨٢) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٦٤ — ص ٢٦٥

(٨٣) انظر براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ١١٧ ترجمة / ابراهيم الشواربى .

(٨٤) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٨ المكتبة المحمودية .

(٨٥) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٦٧ وما بعدها .

(٨٦) العتبى : جـ ٢ ص ٢٣٩

والشعراء والأدباء ويذكر ابن الأثير أن يمين الدولة محمود الغزنوى عاد من غزوة قشمير (كشمير) وقنوج وغيرها من بلاد الهند ، وكان السبى فى هذه الغزوة كثيرا ، وأمر ببناء جامع غزنه ، فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه ، وأنفق ما غنمه فى هذه الغزوة فى بنائه(٨٧) .

كذلك لم يتوان ممحود الغزنوى فى انشاء دور العلم فأضاف الى المسجد الجامع بغزنه « مدرسة فيحاء ، وأضا فاليها مكتبة ، حوت ، تصانيف الائمة الماضيين من علوم الأولين والآخرين ، منقولة من خزائن الملوك .. يرتادها الفقهاء والعلماء للتدريس والنظر فى علوم الدين « وأجرى لهم » جراية وافرة ومعيشة حاضرة »(٨٨) .

سار السلطان محمود الغزنوى على سيرة معاصريه من حكام المسلمين فى تقريب الكتاب والمؤرخين اليه ، فمن الأدباء الذين اختصوا به : أبو الفتح على بن محمد البستى الذى اشتهر بجودة شعره ونثره ، وكان من قبل كاتب الرسائل فى ديوان أبيه سبكتكين ثم انتقل الى خدمته وتوفى فى بخارى منفيا سنة ٤٠٠ هـ(٨٩) . ويدل ما وصل الينا من شعره ونثره على سعة ثقافته ، وعلى انه استفاد كثيرا من اشتغاله بالكتابة للسلاطين والأمراء كذلك كان لأبى النصر محمد بن عبد الجبار العتبى مؤرخ الدولة الغزنوية مكانة كبيرة عند محمود الغزنوى ، فقد ألف كتابا سماه « اليمينى » نسبة الى لقب محمود بن سبكتكين الذى منحه اياه الخليفة القادر بالله العباسى وهو « يمين الدولة » ، ويعد كتاب العتبى أكبر مصدر فى تاريخ الدولة الغزنوية ، فقد تضمن الحديث عن سبكتكين وتأسيس دولته وتاريخ ابنه محمود والوقائع التى حدثت فى أيامه الى سنة ٤٠٩ هـ/ ١٠١٨ م(٩٠) .

وبلغ من اهتمام السلطان محمود الغزنوى بتشجيع الحركة العلمية

---

(٨٧) الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٩٩
(٨٨) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ٩٩ ، ص ٣٠٠
(٨٩) براون : تاريخ الادب فى ايران ص ١١٤
(٩٠) انظر العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٦٧ — ص ٧٢

أن بعث فى طلب جماعة من رجال العلم والفلسفة ، فكان من بين الذين وفدوا اليه أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الذى نشأ فى خوارزم ، اذ ولد بها سنة ٣٦٢ هـ وتوفى بغزنه سنة ٤٤٠ هـ[٩١] .

قضى البيرونى بداية حياته فى رعاية أمير خوارزم ، وتجلى نبوغه فى كثير من العلوم وبخاصة الرياضة والفلك ، وزار حوالى سنة ٣٩٠ هـ بلاط شمس المعالى قابوس بن وشمكير أمير طبرستان الذى عرف بتشجيع العلماء وأهدى اليه أول كتاب له المسمى « الآثار الباقية عن القرون الخالية » وهو يبحث فى التواريخ التى كانت تستعملها الامم ونظم الطوائف والجماعات المختلفة والاحتفال بالاعياد القومية[٩٢] .

ولما اتصل البيرونى بمحمود بن سبكتكين ، أخذ فى دراسة جغرافية بلاد الهند وعلومها ودياناتها وعقائدها وألف فى ذلك كتبا لا يزال يعتمد عليها فى معرفة بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى الهند الى الوقت الحاضر من أهمها كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل ومرذولة » قارن فيه بين رياضيات الهند وفلسفة اليونان ، وقد استقى البيرونى معلوماته عن الهند من المراجع السنسكريتية الهندية مباشرة . ويلاحظ أنه لا يعترض ولا ينقد مطلقا حين يشرح العقائد الدينية[٩٣] .

استعان السلطان محمود بالعلماء والأدباء فى مناصب الدولة ، فعين الأديب أحمد حسن الميمندى فى ديوان الرسائل ، ثم اختاره وزيرا بدلا من أبى العباس الاسفرائينى الذى كان قليل البضاعة فى صناعة الأدب « حتى كسدت فى عصره سوق البيان[٩٤] » ، ولما أعجب محمود الغزنوى بالفقيه أبى نصر التبانى أسند اليه منصب قاضى

---

(٩١) ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٨٦ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٢٥

(٩٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٥٨٦

(٩٣) بارتولد : الحضارة الاسلامية ص ٧٩ — ص ٨٠

(٩٤) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ١٧٠ ، ص ١٧١

قضاة ختلان[٩٥] .

ولما تولى السلطان مسعود الحكم اقتفى خطوات أبيه فى تشجيع الثقافة ، وتفوق عليه فى اغداق الأموال ، حتى بلغ حد الاسراف ، ففى أحد المجالس منح الشاعر الزينبى العلوى خمسين ألف درهم حملت الى منزله على ظهر فيل ، وأعطى الشاعر العنصرى ألف دينار ، وأمر للشعراء الغرباء بعشرين ألف درهم وللمطربين والمضحكين بثلاثين ألف درهم[٩٦] .

وكان مسعود كثير الاحسان الى العلماء فقصدوه وصنفوا له التصانيف الكثيرة[٩٧] فصنف له البيرونى كتابيه « القانون المسعودى » و« الزيج المسعودى » وأهداهما اليه ، فأجازه السلطان بأموال كثيرة فردها بعذر الاستغناء عنها[٩٨] ، كما أهدى البيرونى كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر » الذى ألفه فى الأحجار الكريمة الى السلطان مودود ابن مسعود[٩٩] .

استمرت غزنه على ازدهارها كمركز من مراكز الثقافة الاسلامية ، الى أن تعرضت الدولة الغزنوية لهجمات الغوريين الذين تمكنوا من دخول غزنه واحراقها ودمروا آثار آل سبكتكين ، وكان علاء الدين الغورى يشترى مدائحهم بالذهب ويخفيها فى الخزائن[١٠٠] فكان هذا سببا فى فقدان الكثير من آثارهم الأدبية .

(ب) أشهر العلماء والأدباء وأثرهم فى الحركة الفكرية :

كان هناك نوعان من الدراسة اشتغل بها المسلمون : دراسة دينية

---

(٩٥) البيهقى : ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧
(٩٦) البيهقى : ص ٣٠٢
(٩٧) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٨٢
، أبو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ١٦٥
(٩٨) انظر ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٧ ص ١٨٠ — ص ١٨١
(٩٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٢٦
(١٠٠) نظامى عروضى : جهار مقاله ص ٢٦

حول القرآن والحديث ودراسة دنيوية حول الطب والفلسفة والكيمياء والمنطق والرياضيات والتاريخ والجغرافيا . وقد عبر ابن خلدون[١٠١] عن هذين النوعين تعبيرا صادقا فقال : ان العلوم صنفان صنف طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره ، وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه . والأول يشمل العلوم الحكمية الفلسفية وهى التى يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها . والثانى يشمل العلوم النقلية الوصفية وهى مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعى ولا مجال فيها للعقل الا فى الحاق الفروع من مسائلها بالاصول . وزاد ابن خلدون[١٠٢] على ذلك فقال : ان العلوم العقلية والطبيعية مشتركة بين الأمم لأن الانسان يهتدى اليها بطبيعة فكره « وأما العلوم النقلية كلها فمختصة بالملة الاسلامية وأهلها » وتشمل العلوم النقلية : علم التفسير ، وعلم القراءات وعلم الحديث والفقه وعلم الكلام والنحو واللغة والأدب . أما العلوم العقلية فتشمل الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والطب والكيمياء والرياضيات والتاريخ والجغرافيا[١٠٣] .

(أ) أشهر العلماء والكتاب الذين صنفوا فى العلوم النقلية :

يعد ابن جرير الطبرى (توفى ٣١٠ هـ) من أشهر مفسرى القرآن ، ويمتاز تفسيره الذى يقع فى ثلاثين مجلدا بتحرى الدقة فى النقل عن الرسول والصحابة ، ويقول جولد تسيهر[١٠٤] عن كتاب الطبرى انه دائرة معارف غنية فى التفسير بالمأثور ، وكان ابن جرير

---

(١٠١) العبر : ج ١ ص ٣٦٣
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٠٥
(١٠٢) العبر : ج ١ ص ٣٦٤
(١٠٣) جمال سرور : ص ٢٠٥ — ص ٢٠٦
، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٣١٨ طبعة خامسة .
(١٠٤) المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن ص ٨٦ ص ٨٧ .
ترجمة : على حسن عبد القادر . القاهرة ١٩٤٤ م .

لا يروى من الاسرائيليات والنصرانيات الا بقدر ، وينص فى كثير من الأحيان على أن هذه الأشياء لا قيمة لها وأن الجهـــل بها ليس ضــــارا[١٠٥] .

كذلك ألف الطبرى كتابا فى علم القراءات يقع فى ثمانية عشر مجلدا ، اشتمل على القراءات المعروفة والشاذة ، وتحرى الدقة فى نقدها ، فكان يجمع الروايات ويمحصها ويفندها ويخرج منها برأى خاص ، وكان يهتم عند التفسير بالمعنى الواضح الذى لا يصح العدول عنـــه[١٠٦] .

ومن مفسرى المعتـــزلة أبو مسلم محمد بن بحر الاصـــفهانى (المتوفى سنة ٣٢٢ هـ) ويقع تفسيره فى أربعة عشر مجلدا ، وابن جرو الأســـدى (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ) وقد قيل انه كتب فى تفسير البسملة مائة وعشرين وجها ، ومن هؤلاء أيضا الشريف العـــلوى المعروف بـــ « علم الهدى » المرتضى أبى القاسم على بن طاهر المتوفى سنة ٤٣٦ هـ) ، وكان يعقد مجالس يفسر فيها القرآن والحديث واللغة ، وطبعت هذه المجموعة تحت اسم « أمالى المرتضى »[١٠٧] .

وكان أبو الحسن الدارقطنى[١٠٨] (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ) من أكبر محدثى القرن الرابع ، وقد اجتمع له مع علم الحديث والمعـــرفة بالقراءات والنحو والفقه والشعر مع الامانة والعدالة وصحة العقيدة ما جعل الحاكم أبى عبيد الله يقول فيه : « ما رأى الدارقطنى مثـــل

---

(١٠٥) كالسؤال عن المائدة التى نزلت من السماء على عيسى ، هل كان عليها طعام أم لا ؟ واذا كان عليها طعام فما هو ؟ وهكذا . فيقول : العلم بذلك غير نافع . أحمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٣٨ — ص ٣٩ .

(١٠٦) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٥٢٥

(١٠٧) جولد تسيهر : المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن ص ١١٣ — ص ١١٥

، احمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٤٠

(١٠٨) نسبة الى دار القطن وهى محلة ببغداد . وظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٥

نفســـه »[١٠٩] .

وكان محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله الكاتب المعروف بالمزربانى محدثا حدث عن البغوى ، وابن الانبارى ونفطويه ، وصنف كتبا كثيرة ، وكان أشياخه يحضرون عنده فى داره فيسمعهم ويسمع منهم ، وكان عضد الدولة يجتاز على داره فيقف ببابه حتى يخرج اليه فيســـلم عليه[١١٠] .

واشتهر فى الفقه أحمد بن عمرو بن سريج القاضى بشـــيراز ثم ببغداد . ألف نحو أربعمائة كتا بوتوفى سنة ٣٠٦ هـ ، ومن بعده قام أبو اسحق المروزى زمنا طويلا ينشر مذهب الشافعى وتوفى ســـــنة ٣٤٠ هـ ، كما يعد أبو الحسن على بن حبيب البصرى من أكبر فقهاء الشافعية . تولى القضاء فى بلاد كثيرة واستوطن بغداد وألف « الحاوى » وهو من أهم الكتب فى الفقه الشافعى وله كتابه المشهور « الأحكام السلطانية » شرح فيه مناصب الدولة من الناحية الدينيـــة كالامامة وشروطها والوزارة وأقسامها والقضاء والحسبة وولاية الخراج ، وله كتاب آخر فى قانون الوزارة وسياسة الملك وله كتاب أدب الدنيا والدين فى الاخلاق على الاصول الدينية . توفى ببغداد سنة ٤٥٠ هـ[١١١] .

ومن علماء المذهب الحنفى فى العراق أبو الحسن عبيد الله الكرخى رئيس الحنفية فى العراق فى عصره (توفى سنة ٣٤٠ هـ) صنف المختصر ، وشرح الجامع الصغير والجامع الكبير لمحمد بن الحسن[١١٢] وكان من أكبر تلاميذ الكرخى أبو بكر الجصاص البغدادى (توفى سنة ٣٧٠ هـ) رأس المذهب بعد الكرخى وألف الكتب الكثيرة على مذهب أبى حنيفة ،

---

(١٠٩) ابن الجوزى : المنتظم : جـ ٧ ص ١٨٤
(١١٠) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٧٧
(١١١) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٥
(١١٢) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٣ ، جـ ٢ ص ٥٤ — ص ٥٥

ومن تآليفه كتابه العظيم « أحكام القرآن »(١١٣) ، ثم أبو الحسين القدورى رئيس الحنفية فى العراق فى زمنه وقد ألف كتبا كثيرة وصل الينا منها المختصر المشهور ، وشرح مختصر الكرخى ، وصنف كتاب التجريد وهو يشتمل على الخلاف بين أبى حنيفة والشافعى(١١٤) .

واشتهر من فقهاء المالكية فى العراق أبو اسحق اسماعيل بن اسحاق بن حماد ، تفقه عليه أهل العراق من المالكية ، ثم أبو على الحسن بن أحمد البغدادى المشهور بابن القصار وكتابه « مسائل الخلاف المشهور عند المالكية » توفى سنة ٣٩٨ هـ(١١٥) .

أما عن الحركة الفقهية فى المشرق فمن أكبر رجال الشافعية محمد بن على القفال الشاش وكان يعد امام عصره فيما وراء النهر وناشر مذهب الشافعية فيه ، وله كتب فى الفقه والاصول ، توفى سنة ٣٦٥ هـ ، وأبو بكر بن الحسين البيهقى(١١٦) الحافظ الشافعى رحل الى كثير من البلاد ثم عاد الى بلده ، وأخذ فى التصنيف وأكثر حتى قالوا انها تبلغ نحو ألف جزء ومن تآليفه « السنن الكبير » و« السنن الصغير » و« دلائل النبوة » و « مناقب الشافعى » و« مناقب ابن حنبل » وطلب الى نيسابور لنشر العلم بها فأجاب وتوفى بها سنة ٤٥٨ هـ ، كما اشتهر من الحنفية الامام أبو منصور الماتريدى(١١٧) ، ومن مصنفاته « التوحيد » وأوهام المعتزلة ، ومآخذ الشرائع فى الفقه والجدل فى أصول الفقه . توفى سنة ٣٣٣ هـ(١١٨) .

وكان حكام غزنه يولون العلوم الدينية معظم اهتمامهم . ومن

---

(١١٣) ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٣

(١١٤) ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٤ ، جـ ٢ ص ٥٥

(١١٥) ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٤

(١١٦) نسبة الى بيهق بالقرب من نيسابور .
ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٦٤ .

(١١٧) نسبة الى ماتريد او ماتوريد وهى محلة بسمرقند .
أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٦٥ .

(١١٨) ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥

المصنفات التى ألفت فى عهدهم « التفريد فى الفروع » : وهو منسوب الى السلطان محمود بن سبكتكين ، ويقع فى نحو ستين ألف مسألة[١١٩] ، كما صنف القاضى أبو محمد الناصحى الكتاب المسعودى فى الفقه الحنفى للسلطان مسعود[١٢٠] . وكان الناصحى قاضى قضاة بخارى فى عهد السلطان محمود ، وشيخ الحنفية فى عصره . توفى سنة ٤٤٧ هـ[١٢١] .

واشتهر فى علم اللغة أبو جعفر أحمد بن محمد اسماعيل المرادى المصرى المعروف بالنجاس . رحل الى بغداد ، وأخذ عن أبى الحسن على بن سليمان الأخفش الأصغر وأبى اسحاق الزجاج وابن الانبارى ونفطويه ومن مؤلفاته « تفسير أبيات سيبويه » وكتاب « التفاحة فى النحو » وكتاب « الوقف والابتداء » و« شرح المعلقات السبع » و« طبقات الشعراء »[١٢٢] ، وألف أبو على القالى البغدادى (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ) معجما واسعا فى اللغة ، كما ألف كتاب « البارع فى اللغة » وكتاب « الأمالى » فى اللغة والأدب[١٢٣] .

وكان أبو الحسين أحمد بن فارس الرازى (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ)

---

(١١٩) أبى الوفاء القرشى : الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ج ٢ ص ١٥٧ حيدر أباد ١٣٣٢ هـ ، حاجى خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ٣٢٧ .

(١٢٠) عبد الحى هندى : نزهة الخواطر ج ١ ص ٧٥

(١٢١) الكفوى (محمود بن سليمان) : كتائب اعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار ورقة ١٦٨ الوجه الاول (مخطوط بدار الكتب رقم ٨٤ م) .

(١٢٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٥٣٨

(١٢٣) طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦ م ويقع فى ثلاثة مجلدات تشمل الطرف والنوادر والتنبيه . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٥٣٩ .

اماما فى اللغة وله كتاب « المجمل » وكتاب « حلية الفقهاء »[١٢٤] ، ويعد اسماعيل بن حماد الجوهرى (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) أشهر علماء اللغة فى القرن الرابع الهجرى وله كتاب « الصحاح فى اللغة » وقد اقتصر فيه على الالفاظ الصحيحة ورتبها على طريقة الكتب اللغوية التى جاءت بعده مثل « لسان العرب » ، و« القاموس المحيط » ، وسهلت هذه الطريقة على الناس الكشف عن الكلمات وذاعت بعده فى تأليف المعاجم فى الشرق والغرب[١٢٥] .

ومن أوسع علماء بغداد ثقافة فى علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والشعر والعروض ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى (المتوفى سنة ٣٦٨ هـ) وكان بينه وبين أبو الفرج الأصفهانى ما جرت العادة بمثله من التنافس بين العلماء والأدباء فقال عنه أبو الفرج الاصفهانى[١٢٦] :

لست صدرا ولا قرأت على صد
ر ولا علمك البكى بشاف

لعن الله كل نحو وشعر
وعروض يجىء من سيراف

وقد تتلمذ لأبى سعيد أبو حيان التوحيدى ، كما كان بعض الامراء وكبار رجال الدولة فى الامصار الاسلامية يبعثون اليه — وهو

(١٢٤) ابن خلكان : ج ١ ص ٤٩ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٢٩ — ص ٣٣٠ ومن كتب ابن فارس كتاب الصاحبى نسبة الى الصاحب بن عباد ، وهو يحتوى على بحوث قيمة فى اصل اللغة العربية وخصائصها واختلاف لغاتها باختلاف قبائلها الى غير ذلك . احمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٥٤ .

(١٢٥) تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٥٣٩ ، ظهر الاسلام ج ٢ ص ٨٥

(١٢٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦٢ — ص ١٦٣ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢١٦

فى بغـــداد — يسألونه ليوضح ما أشكل عليهم ، ومن هؤلاء الأمير نوح بن نصر السامانى الذى كتب اليه سنة ٣٤٠ هـ كتابا خاطبه فيـــه بالامام وسأله مسائل تزيد على أربعمائة مسألة معظمها ألفاظ لغوية ، وبعث اليه البلعمى وزير اسماعيل بن أحمد السامانى رسالة ســـأله فيها عن مائة وعشرين مسألة أكثرها فى القرآن والحديث(١٢٧) ، ولأبى سعيد تصانيف كثيرة أكبرها شرح كتاب سيبويه ووصل الينا من كتبه « أخبار النحويين البصريين »(١٢٨) .

وعلى رأس علماء اللغة أبو على الفارسى (المتوفى سنة ٣٧٧ هـ) وكان عضد الدولة يعتز فى مجلسه بأنه تلميذ أبى على الفارسى فى النحو ويقول « أنا غلام أبى على فى النحو »(١٢٩) . ولم يكن عضد الدولة يغفل النحو أو ينساه حتى وهو فى ميدان القتال ، حيث كان يصطحب أبا على الفارسى معه ويسأله فى بعض مسائله(١٣٠) . ويقال ان أبا على الفارسى لـمـا عمل الايضاح له استقصره وقال : ما زدت على ما أعرف شيئا وانما يصلح هذا للصبيان ، فمضى الفارسى وصـــنف التكملة « فلما وقف عضد الدولة عليها قال : غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو »(١٣١) .

وكان ابن جنى الموصلى (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) تلميذ أبى على الفارسى . وهو صاحب كتاب « الخصائص » الذى يعد أعظم الكتب فى أصول اللغة والنحو(١٣٢) ، وينسب اليه ابتداع مبحث جديد فى علم

---

(١٢٧) جمال سرور : ص ٢١٦ — ص ٢١٧
(١٢٨) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٤٢ — ص ٢٣٤
(١٢٩) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٧ ص ٢٧٥
، اليافعى : مرآة الجنان جـ ٢ ص ٤٠٦ حيدر اباد ١٣٣٧ هـ
(١٣٠) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ ص ٢٣٧ ، مرآة الجنان جـ ٢ ص ٤٠٦
، السيوطى : بغية الوعاة ص ٤٩٦ تحقيق / ابو الفضل ابراهيم مطبعـــة الحلبى ١٩٦٤ م .
(١٣١) السيوطى : بغية الوعاة جـ ١ ص ٤٩٦
(١٣٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٥٣٩

اللغة وهو المسمى بالاشتقاق الأكبر[١٣٣] ويقول الثعالبى[١٣٤] فى ابن جنى « هو القطب فى لسان العرب واليه انتهت الرياسة والأدب » .

ومن خير ما أخرجت بغداد فى هذا العصر ابن النديم وهو محمد بن اسحق النديم . كان وراقا وعالما ، وقد ضمن كتابه « الفهرست » جميع الكتب العربية المنقولة من الامم المختلفة والمؤلفة فى جميع أنواع العلوم ، وتحدث عن مصنفيها وذكر طرفا من تاريخ حياتهم ، فكان الكتاب على هذا النمط أجمع كتاب لاحصاء ما ألفه الكتاب الى قرب نهاية القرن الرابع الهجرى وأشمل وثيقة تبين ما وصل اليه المسلمون فى حياتهم العقلية والعلمية فى ذلك العصر ، وقد كتبه بأسلوب موجز بعيد عن اللغو والمقدمات متحريا الدقة والامانة . ونص المؤلف على أنه ألف كتابه سنة ٣٧٧ هـ[١٣٥] .

ويعتبر أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابى الحرانى (٣٢٠ — ٣٨٤ هـ) من أشهر رجال الأدب فى هذا العصر . وقد ولد ببغداد ، وذكر الثعالبى[١٣٦] : « أنه أوحد العراق فى البلاغة ومشهود له بالبراعة فى صناعته ، وقد تقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هـ ، واستمر يتقلده فى عهد معز الدولة وابنه عز الدولة بختيار ، وأثار كراهة عضد الدولة برسائله اللاذعة على لسان بختيار فحقد عليه واعتقله بعد أن ولى الامارة بالعراق على أثر مقتل بختيار سنة ٣٦٧ هـ . ثم أطلقه فى سنة ٣٧١ هـ بشفاعة بعض أصدقائه ، وأمره أن يضع له فى أخبار بنى بويه كتابا سماه « التاجى » ، وقيل أن عمال السوء سعوا بالصابى عند عضد الدولة وأوغروا صدره وأثاروا سخطه عليه ، على الرغم من أنه أكب على تأليف هذا الكتاب ، وأخذ يتأنق فى تصنيفه ، وقد رفع الى عضد الدولة أن صديقا للصابى دخل عليه فرآه فى شغل شاغل من

---

(١٣٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٣٠
(١٣٤) يتيمة الدهر ج ١ ص ٨٩
(١٣٥) احمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٤٤ — ص ٢٤٥
(١٣٦) يتمية الدهر ج ٢ ص ٢١٨

التعليق والتسويد والتبديل والتبييض فسأله عما يعمله فقال : أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها ، فأمر عضد الدولة بأن يلقى تحت أرجل الفيلة ، فاكب نصر بن هارون ومطهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف ، على الأرض يقبلونها بين يديه ويستشفعون اليه فى أمره ، فقبل شفاعتهم وأبقاه معتقلا »[١٣٧] .

وكان الصاحب اسماعيل بن عباد (٣٢٦ — ٣٨٥ هـ) وزير فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى فى أصبهان والرى من أشهر رجال الأدب فى عصره ، وقد وصفه الثعالبى[١٣٨] وصفا شائقا فى هذه العبارة فقال : « هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان » ، وذكر ابن خلكان[١٣٩] انه « اجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره » . وكان الصاحب متبحرا فى العلوم الشرعية واللسانية والأدبية ، وكان عالما بالتوحيد والأصول ، وكان علمه باللغة واسعا[١٤٠] . وقد صنف كثيرا من الكتب منها كتاب فى اللغة فى سبعة مجلدات أسماه « المحيط »[١٤١] وكتاب الكافى فى الرسائل وكتاب الأعياد وفضائل النيروز وكتاب الامامة ذكر فيه فضائل على بن أبى طالب وأثبت امامة من تقدمه وكتاب الوزراء وكتاب الكشف عن مساوىء شعر المتنبى[١٤٢] ، وكتاب نهج السبيل فى الأصول وكتاب أخبار أبى

---

(١٣٧) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٢١ — ص ٢٢٢

كان الصابى متمسكا بدين الصابئة رغم انه عرض عليه منصب الوزارة مقابل أن يسلم ، وكان حسن العشرة ويحفظ القرآن . وكان الصاحب بن عباد يعرف قدره ويصله بعطاياه ويقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر اربعة ، وقد عد ابى اسحق الصابى منهم . يتيمة الدهر : ج ٢ ص ٢١٩ — ص ٢٢٣

(١٣٨) يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٦٩ — ص ١٧٠ ، احمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٤٩

(١٣٩) وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٥

(١٤٠) ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٤٩

(١٤١) ذكر ياقوت أنه فى عشر مجلدات : معجم الادباء ج ٦ ص ٢٦٠

(١٤٢) وفيات الاعيان ج ١ ص ٧٥

العيناء ، وكتاب نقض العروض ، وكتاب تاريخ الملك واختلاف الدول وكتاب الزيدية ، وكتاب ديوان شعر وكتاب « الروزنامجة » وكتاب « الوقف والابتداء »(١٤٣) .

ومن الأدباء والكتاب الذين اشتهر ذكرهم فى القرن الرابع الهجرى ، أبو حيان التوحيدى(١٤٤) وقد اعتبره بعض الباحثين الناطق بلسان الثقافة العربية فى هذا القرن(١٤٥) ، وقد جمع بين التراث اليونانى والثقافة العربية مما أهله للقيام بدور حضارى هام فى عصر كثرت فيه المجالس الأدبية والندوات الفكرية ، فقد تردد التوحيدى على مجالس وزراء كثيرين من أمثال المهلبى وابن العميد والصاحب بن عباد وابن سعدان والمدلجى(١٤٦) .

كان انتاج أبو حيان التوحيدى خصبا وافرا . وقد أورد ياقوت الحموى فى معجمه(١٤٧) ثبتا بأسماء بعض كتب أبى حيان ، فخص بالذكر منها كتاب الامتاع والمؤانسة(١٤٨) .

---

(١٤٣) ابن الانبارى : نزهة الالباد فى طبقات الادباء ص ٤٠٠ ، بدوى طبانه : الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم ص ٣٢٦ — ص ٣٢٧ .

(١٤٤) كان ابوه فيما يقال — تاجرا يبيع نوعا من التمر المعروف باسم « التوحيد » ولم يعرف عنه انه تزوج أو رزق أولادا . ياقوت : معجم الادباء جـ ١٥ ص ١٩ ، زكريا ابراهيم : ابو حيان التوحيدى اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء ص ١٦ ، ص ١٩

(١٤٥) أحمد أمين : مقدمة البصائر والذخائر ص ج . القاهرة ١٩٥٣ م .

(١٤٦) زكريا ابراهيم : ابو حيان التوحيدى ص ٦ — ص ٧ .

(١٤٧) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ٧ — ص ٨ .
، زكريا ابراهيم : ابو حيان التوحيدى ص ٨٧ — ص ٨٨ .

(١٤٨) حققه الاستاذان احمد امين ، وأحمد الزين فى ثلاثة أجزاء صدرت سنوات ٣٩ ، ٤٢ ، ١٩٤٤ م ،وقد انفرد الكتاب بايراد وثيقتين هامتين . الأولى منهما هى النص الذى كشف لنا عن مؤلفى اخوان الصفا ، وقد نقله عن القفطى . والثانية هى المحاورة الممتعة التى دارت بين أبى سعيد السيرافى ومتى بن يونس القنائى حول المفاضلة بين النحو العربى والمنطق اليونانى . مقدمة الكتاب ص ف وانظر ايضا ابن القفطى : أخبار الحكماء ص ٥٩ . ١٣٢٠ هـ .

وكان أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى (٣٥٠ — ٤٢٩ هـ) من أوفر كتاب القرنين الرابع والخامس الهجرى انتاجا[١٤٩] ، ومن أشهر تصانيفه كتاب « يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر » تناول فيه شعراء عصره ومن سبقهم ورتبهم بحسب أوطانهم[١٥٠] ، وقسمه أربعة أقسام وكل قسم موزع على عشرة فصول[١٥١] .

تناول الثعالبى فى كتبه معارف شتى كانت سائدة فى عصره ، وبالرغم من الطابع العام لميدان تأليفه هو الأدب ، فقد ألف فى النقد والبلاغة بفروعها والتاريخ والمجتمع والموسوعات ، ولقد ظلت كتب الثعالبى معينا للقدماء والمحدثين ينهلون ما طاب لهم ليصدروا بصورة وافية عن أدب عصره وعاداته وأخلاقه مصورة بأسلوب سلس وألفاظ خالية من التعقيد والتكلف[١٥٢] .

ومن رجال الأدب المعروفين بالانشاء نظما ونثرا « أبو الفتح البستى » وقد ضمه اليه سبكتكين والد محمود الغزنوى عندما تم له الاستيلاء على مدينة بست[١٥٣] ، وقد أفاد افادة كبيرة من مزاولته الكتابة للسلاطين والأمراء واحتكاكه بالأحداث السياسية والمشاكل الاجتماعية ، وتوفى فى بخارى منفيا بأمر السلطان محمود بن سبكتكين[١٥٤] .

---

(١٤٩) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٦ ص ١٩٣ .
(١٥٠) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٦ ص ١٩٣ — ص ١٩٤ .
(١٥١) كان الثعالبى يعتز بهذا الكتاب حتى انه يقول ان من تقع لديه نسخة لقراءتها او لنسخها ، يجب أن يحتفظ بها وذكر ياقوت فى معجم الأدباء جـ ٦ ص ٤١ انه رأى نسخة من اليتيمة بيعت بثلاثين دينار نيسابورية ، « وكان الكتاب محل ثقة الكتاب والمؤرخين الا أن من عيوبه اغفال الوفيات ، ولو عنى بذلك الثعالبى لأدى للتاريخ حقا من أوجب الحقوق » زكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع جـ ٢ ص ١٩٠ .
(١٥٢) محمود عبد الله الجادر : الثعالبى ناقدا وأديبا ص ١٧١ — ١٧٢ .
(١٥٣) ، (١٥٤) براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ١١٤ ، أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٨٥ — ص ٢٨٦ .

ومن أدباء العصر الغزنوى الفردوسى الحسن بن على الطوسى(١٥٥). ومن أشـــهر مؤلفاته الشاهنامه(١٥٦) التى تعتبر من معـــالم الأدب الفارسى ؛ لما اتسمت به من دقة واستيعاب وتغن بالبطولة لم تعرف بلاد فارس لها مثيلا(١٥٧) .

٢ — أشهر العلماء الذين صنفوا فى العلوم العقلية :

كان أبو سليمان المنطقى محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى من أكبر فلاسفة بغداد وشيخ رجال الفكر فى بغداد(١٥٨) ، وكان مجلســـه فى بيته مدرسة فكرية تثار فيها أدق المسائل ويدلى كبار العلماء بآرائهم ولأبى سليمان الكلمة الأخيرة فيما يقولون ، وقد أورد أبو حيان التوحيدى فى كتابه « المقابسات » والامتاع والمؤانسة محاضر هذه الجلسات وغيرها مما كان يدور بين العلماء فى بغداد منها ما رواه ، عن المناقشة التى جرت بين أبى سعيد السيرافى النحوى وبين متى ابن يونس القنائى فى المنطق اليونانى والنحو العربى سنة ٣٢٠ هـ فى بغداد وشهدها كثير من العلماء ورسول الأخشيد بمصر ورســـول الســـامانيين(١٥٩) .

---

(١٥٥) محمد عوفى : لباب الألباب ج ٢ ص ٣٢ — ٣٣ .

(١٥٦) الفها بناء على أمر من السلطان محمود الغـــزنوى ، والشاهنامة : اسطورة من الشعر الروائى حول موضوع بطولى تتدخل فيه قوة خارقة غير انسانية فى حركتها المستمرة يتجاوز فيها الوصـــف والخطب والحوار صور الشخصيات داخل اطارها الروائى ، لا يخلو من الاستطراد وعوارض الاحداث .

Lagrand Encyclapedia Tom, 26, p. 113.

، محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن ص ١٤٣ . القاهرة ١٩٦٢ م .

(١٥٧) براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ١٦٨ وان كان براون يرى انها لا يمكن أن توضع بين روائع الشعر الاسلامى مثل المعلقات العربية المنظومة .

(١٥٨) الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٣٣ ، احمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٢٩ .

(١٥٩) ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٣٠ .

ومن أشهر فلاسفة هذا العصر الطائفة التى تعرف باسم « اخوان الصــفا »[١٦٠] ، وكانت كما يقول براون[١٦١] : موضع عطف بنى بويه ، وتعتبر رسائل اخوان الصــفا أشبه بدوائر معارف أخذت من كل مذهب فلسفى بطرف ، وتدل فى الوقت نفسه على أن مؤلفيها نالوا حظا موفورا من الرقى العقلى[١٦٢] . ومن أكبر علماء اخوان الصفا زيد ابن رفاعة[١٦٣] وأبو سليمان محمد بن معشر البستى[١٦٤] ، ويعرف بالمقدسى ، وأبو الحسن على بن هارون الزنجانى[١٦٥] .

ومن أشهر فلاسفة هذا العصر أبو نصر محمد بن طرخان الفارابى (المتوفى سنة ٣٣٩ هـ)[١٦٦] وترجع شهرته الى شروحه الكثيرة لمؤلفات أرسطو حيث لقب « المعلم الثانى » تمييزا له عن أرسطو « المعــلم الأول » كما يمتاز برسائله الكثيرة فى علم النفس والالهيات ، كما كتب عدة رسائل للتوفيق بين آراء أرسطو وأفلاطون ، كذلك نشرت له رسالة آراء أهل المدينة الفاضلة[١٦٧] وتقع فى أربعة وثلاثين فصلا وتبين مدى

---

(١٦٠) اخوان الصفا : جمعية سرية نشأت بالبصرة وكان لها فروع فى كثير من البلاد ، وضعت لنفسها منهجا دقيقا . فكانت ترسل الى من تتوسم فيه الخير من كل البلاد للدخول فى جماعتهم وخاصة من الشباب وكان اعضائها يرتبون حسب سنهم ومداركهم ثلاث طبقات .
احمد امين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ١٤٥ — ١٤٧ .

(١٦١) Browne : Lit. Hist of persia, Vol 1, p. 292.

(١٦٢) وتتألف دوائر معارف اخوان الصفا من احدى وخمسين رسالة . حسن ابراهيم حسن ج ٣ ص ٥٦٤ .

(١٦٣) ظهر الاسلام ج ٢ ص ١٤٥ .

(١٦٤) نسبة الى بست وتقع بين سجستان وهراة معجم البلدان ج ٢ ص ١٧٠ .

(١٦٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٠٩ . وقد ظن البعض أن من بين اخوان الصفا ابا العلاء المعرى وابا حيان التوحيدى وابن الراوندى . ظهر الاسلام ج ٢ ص ١٤٥ — ١٤٦ ويضيف اليهم براون ابن سينا الفيلسوف المشهور .

(١٦٦) سمى بذلك لمولده فى محلة وسيج فى اقليم فاراب ببــلاد ما وراء النهر .

(١٦٧) طبعة مصر سنة ١٣٢٣ هـ .

تأثر الفارابى بأفلاطون[١٦٨] •

ومن أشهر المشتغلين بالفلسفة فى بغداد يحيى بن عدى النصرانى المتوفى سنة ٣٩٤ هـ) وكان رئيس المناطقة فى زمانه ، أخذ العلم عن بشر بن متى وعن الفارابى ، وكان كثير الانتاج بما ينقل عن السريانية الى اللغة العربية ، ألف مقالات كثيرة فى المنطق والالهيات[١٦٩] •

وبعد أبو على أحمد بن يعقوب مسكويه من طبقة الفلاسفة[١٧٠] ، وقد تبحر فى الاخلاق الفارسية ، وفى الاخلاق اليونانية لثقافته بها ، صحب أولا الوزير المهلبى • وقد مكنته هذه الصحبة من معرفة الطبقة الارستقراطية وطبقة الأدباء ، ثم اتصل بعضد الدولة ، وكان خازنا لمكتبته وكاتما لاسراره ، ورسوله الى نظرائه ، وقد ألف فى الاخلاق كتبا كثيرة منها كتاب « تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق »[١٧١] وكتاب « الفوز الأصغر » وكتاب « جاويدان خرد » (أى العقل الخالد)[١٧٢] الى غير ذلك من كتب تدور كلها حول الأخلاق •

ومن فلاسفة بلاد ما وراء النهر أبو زيد أحمد بن سهل البلخى • ولد ببلخ ورحل الى العراق ومكث بها ثمان سنين يأخذ العلم والفلسفة ، ثم عاد الى بلاده ينشر فيها علمه وفلسفته حتى لقب بجاحظ خراسان ،

---

(١٦٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ هامش ص ٥٦٦ .

(١٦٩) ظهر الاسلام ج ٢ ص ٢٣١ .

(١٧٠) ظهر الاسلام ج ٢ ص ١٧٦ ويذكر رضا زاده شفق أنه كان من اصل مجوسى وكان زرادشتى المذهب . تاريخ ادبيات ايران ص ٢٠١

(١٧١) ظهر الاسلام ج ٢ ص ١٧٦ — ١٧٧ ، رضا زاده شفق : تاريخ ادبيات ايران ص ٢٠١ .

(١٧٢) وهو كتاب الفه العلماء القدماء بالفارسية يشتمل على حكم وآداب عنى به مسكويه فأتم ترجمته التى بدأ بها الحسن بن سهل ولخصه ، وقد اختار فيه حكما للفرس وحكما لليونان وحكما للعرب الى غير ذلك . ظهر الاسلام ج ٢ ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

وألف نحو ستين كتابا فى علوم مختلفة(١٧٣) . منها كتاب أقسام العلوم وشرائع الأديان ، وكتاب السياسة الكبير والصغير وحدود الفلسفة ، وما يصح من أحكام النجوم وكتاب الرد على عبدة الأوثان ، وكتاب أخلاق الأمم ، وتوفى ببلخ سنة ٣٢٢ هـ فى عهد السعيد نصر بن أحمد السامانى(١٧٤) .

ويعد أبو على الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا (٣٧٠ — ٤٢٨ هـ) من فلاسفة هذا العصر ، وقد أحيا آثار أرسطو وأفلاطون فى الفلسفة وأبقراط وجالينوس فى الطب ، ولهذا ذاع صيته فى هاتين الناحيتين فى العصور الوسطى(١٧٥) .

وألف ابن سينا فى المنطق والفلسفة مقتفيا أثر أستاذه أبى نصر الفارابى ، وتأثر بأرسطو ، وكان يحاول ما استطاع أن يوفق بين فلسفته وعقيدة أهل السنة(١٧٦) ، ومن تصانيف ابن سينا كتاب الشفاء فى الحكمة والنجاة(١٧٧) والاشارات(١٧٨) ، والقانون ، وغير ذلك مما يقارب بمائة مصنف بين مطول ومختصر(١٧٩) .

وفى الطب يعتبر أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (المتوفى سنة ٣١١ هـ) أشهر أطباء عصره ، وكان فى حداثة سنه مولعا بالغناء ، ثم أقبل على دراسة الطب بعد أن جاوز الاربعين فنبغ فيه وألف

---

(١٧٣) ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٦٧ .
(١٧٤) نفس المرجع واطفحة .
(١٧٥) Browne : Lit. Hist of persia, Vol, 1. p. 106.
، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٥٦٦ .
(١٧٦) دى بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٨١ .
، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٥٦٧ .
(١٧٧) و هويتعلق بعلوم الطبيعة وما وراء الطبيعة والرياضيات ويقع فى ثمانية عشر جزءا . براون : تارخ الأدب فى ايران ص ١٢٢ ، رضا زاده : تاريخ أدبيات ايران ص٢٠٢ .
(١٧٨) الاشارات فى المنطق والحكمة . ورد عند رضا زاده بهذا الاسم ص ٢٠٢ .
(١٧٩) ابن خلكان : وفيات الأعيا نجـ ١ ص ١٥٣ .

فى الطب كتبا كثيرة منها كتاب « الحاوى »(١٨٠) ، وكتاب « الجامع » وهو أيضا من الكتب النافعة وكتاب الاعصاب(١٨١) وقد اتصل بمنصور ابن اسحق بن أحمد بن نوح السامانى فألف له كتابه « المنصورى فى الطب » الذى يعد أشهر كتبه ، وهو على صغر حجمه من الكتب المختارة ، جمع فيه بين العلم والعمل(١٨٢) .

وممن نبغ فى علم النجوم أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخى ، وكان فى بدء حياته من أصحاب الحديث ، ثم اشتغل بعلم النجوم ونبغ فيه بعد أن بلغ السابعة والاربعين ، وكان أبو معشر كما يقول ابن خلكان(١٨٣) « امام وقته فى فنه ، وله التصانيف المفيدة فى علم النجامة » ومن أشهر كتبه فى علم النجوم : كتاب المدخل الكبير والمدخل الصغير ، وكتاب هيئة الفلك واختلاف طلوعه ، وكتاب السهمين وأعمار الملوك والدول ، وكتاب تفسير المنامات من النجوم(١٨٤) .

وضرب أبو الريحان البيرونى (المتوفى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) بسهم وافر فى علم النجوم ومن مؤلفاته كتاب « القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم »(١٨٥) وقد أهداه للسلطان مسعود الغزنوى كما ألف كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية »(١٨٦) وهو يبحث

---

(١٨٠) ويسمى الجامع المختصر لصناعة الطب مقسم اثنى عشر قسما ويقع فى مقدار ثلاثين مجلدا ، وهو عمدة الأطباء فى النقل منه والرجوع اليــه .

ابن النديم : الفهرست ص ٤١٧ .

(١٨١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٨ .

(١٨٢) وفيات الأعيان : ج ٢ ص ٧٨ .

، راجع كتاب ابن النديم : الفهرست ص ٤١٧ — ٤١٩ تجد كل مؤلفاته فى الطب والمنطق والفلسفة والهندسة والكيمياء .

(١٨٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ١١٢ .

(١٨٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٩ — ٣٩٠ .

(١٨٥) Hitti : History of the Arabes. p. p. 376 - 377.

(١٨٦) براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ١٢١ .

فى التقاويم وكيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض وفيه جداول مفصلة للأشهر الفارسية والعربية والهندية والتركية ، وتحدث عن أعياد هذه الأمم ومواسمها •

ومن أشهر الرياضيين أبو الوفا محمد بن محمد بن اسماعيل بن العباس البوزجانى[١٨٧] ، ولد فى نيسابور سنة ٣٢٨ هـ ووفد على العراق وهو فى العشرين من عمره • ومن مؤلفاته : كتاب ما يحتاج اليه العمال والكتاب فى صناعة الحساب وكتا بتفسير كتاب الخوارزمى فى الجبر والمقابلة[١٨٨] •

كذلك زخر هذا العصر بطائفة من المؤرخين ، نذكر منهم مسكويه صاحب كتاب « تجارب الأمم وتعاقب الهمم »[١٨٩] ويتناول جزء من هذا الكتاب الكلام على الحوادث المتممة لتاريخ الطبرى ، ولا يكتفى مسكويه فى تاريخه بذكر الحوادث بل يعنى بالشئون الاجتماعية وخاصة الأحوال الاقتصادية عناية كبيرة ، وبذلك خطا خطوة جديدة نقل بها دراسة التاريخ من سرد الحوادث الجافة الى معالجة الشئون الاجتماعية والعمرانية[١٩٠] •

وقد أسهب مسكويه فى تاريخ الصدر الأول من أيام بنى بويه ، ولم يغفل أن يمدنا بتاريخ الأحوال الخارجية للعباسيين ، وقد ذيل ظهير الدين محمد بن الحسين الروذراورى وزير الخليفة العباسى المقتدى (٤٧٦ — ٤٨٧ هـ / ١٠٨٢ — ١٠٩٣ م) المعروف بأبى شجاع تاريخ مسكويه بتاريخه الذى تناول فيه الكلام على المدة بين سنتى ٣٦٩ — ٣٨٩ هـ وتلاه هلال الصابى فى تاريخه الذى ذيل أمدروز

---

(١٨٧) ، (١٨٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ •

(١٨٩) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيا تايران ص ٢٠١ •
نشره هـ . ف . أمدروز فى جزءان طبعة القاهرة ١٣٣٢ — ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ — ١٩١٥ م وترجمه الى الانجليزية د. س. مرجليوث (اكسفورد ١٩٢١ م) ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٧٧٤ •

(١٩٠) تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٥٨٥ •

كتاب الوزراء الى سنة ٣٩٣ ﻫ ونقله عنه مرجليوث[١٩١] .

وألف هلال بن الصابى كتاب « التاجى »[١٩٢] فى أخبار بنى بويه تحقيقا لرغبة عضد الدولة ، كما ألف كتاب « رسوم دار الخلافة » وهو من الكتب الهامة فى دراسة النظم الاسلامية[١٩٣] . كذلك اشتهر أبو الريحان البيرونى فى تصنيف بعض الكتب التاريخية ، منها كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية »[١٩٤] الذى أهداه الى شمس المعالى قابوس بن وشمكير أمير طبرستان[١٩٥] . ويتناول الكلام على نظم الطوائف والجماعات والاحتفال بالأعياد القوميـــة والتواريخ التى تستعملها الأمم والاختلاف فى الشهور والسنين والتقاويم عند الأمم وأسسها[١٩٦] ، كما ألف كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل ومرذولة » ويعرف باسم « تاريخ الهند »[١٩٧] .

ويعتبر أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى (المتوفى سنة ٤٢٨ ﻫ / ١٠٣٦ م) مؤرخ الدولة الغزنوية الكبير وقد سمى كتابه « تاريخ اليمينى »[١٩٨] نسبة الى يمين الدولة لقب السلطان محمود

---

(١٩١) وقد طبعت هذه الكتب الثلاثة فى القاهرة سنة ١٣٣٣ ﻫ — ١٣٣٤ ﻫ . ونشر أمدروز الجزء الثامن من كتاب التاريخ وألحقه بكتاب تحفة الامراء بيروت ١٩٠٤ م .

(١٩٢) مخطوط مصور على فيلم بدار الكتب رقم ٢٣٥ .

(١٩٣) نشر ميخائيل عواد . بغداد ١٣٨٣ ﻫ / ١٩٦٤ م .

(١٩٤) طبعة ادوارد سخاو الذى ترجمه الى الانجليزية بعنوان :
Chronolgy of Ancient Nation (London 1879).
، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ هامش ص ٥٨٦ .

(١٩٥) ، (١٩٦) احمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٨٩ ، تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٥٨٦ .

(١٩٧) نشر نسخته العربية وترجمتها . ادوارد سخاو .

(١٩٨) توجد منه نسخة بدار الكتب بخط فارسى جميل جدا مذهبة الحواشى تقع فى ٣٧٢ صفحة . جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغـــة العربية ج ٢ ص ٢٧٣ ومن شروحه كتاب الفتح الوهبى للشيخ المنينى الدمشقى . نشر بالقاهرة فى جزئين سنة ١٢٨٦ ﻫ .

الغزنوى . وقد ألف العتبى كتابه هذا فى تاريخ الدولة الغزنوية ، تحدث فيه عن سبكتكين وابنه محمود ، كما سجل صفحات من تاريخ السامانيين فى أواخر أيام دولتهم ، وكذلك ملوك الترك الخانيين ، ولا يزال هذا الكتاب مصدرا لتاريخ الغزنويين ، وقد صاغه فى أسلوب مسجوع على نحو ما فعله معاصره أبو منصور الثعالبى[١٩٩] ، ولذلك وقع بين الكتب الأدبية والتاريخية[٢٠٠] .

وكان أبو الفضل محمد بن الحسين البيهقى[٢٠١] نائب رئيس ديوان الرسائل فى عهد السلطان مسعود الأول من الذين نبغوا فى كتابة التاريخ . ومن مؤلفاته « تاريخ البيهقى » وقد ضاع أكثره ولم يصل الينا سوى جزء من تاريخ السلطان مسعود ، وقد بلغ البيهقى فى هذا الكتاب درجة عالية من الكتابة التاريخية وكان مثالا للحيدة العلمية ، والمؤرخ الناقد ، وتاريخه مفصل مسهب مدعم بالوثائق ولا يخلو من القصص والحكايات[٢٠٢] .

وقد ألف البيهقى كتابه سنة ٤٥١ هـ وتوفى سنة ٤٧٠ هـ ، ويظهر من هذا الكتاب تمكن البيهقى من اللغة الفارسية[٢٠٣] ، وقدم لنا صورة واضحة عما جرى فى البلاط الغزنوى فى عصره ، وكيف كانت تدار أمور الدولة ، كما بين بصفة خاصة جانبا من العلاقات السياسية بين الدولة الغزنوية وجيرانها خانات الترك ، وتحدث عن السلاجقة منذ ظهورهم حتى انتصارهم على السلطان مسعود الغزنوى فى داندانقان سنة ٤٣١ هـ .

---

(١٩٩) أحمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٨٦ .
، جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٧٣ .
(٢٠٠) ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٨٦ .
(٢٠١) ولد سنة ٣٨٥ هـ فى قرية حارث آباد فى ولاية بيهق .
رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات ايران ص ٢٠٤ .
(٢٠٢) البيهقى ص ١٨٢ .
(٢٠٣) رضا زاده : تاريخ أدبيات ايران ص ٢٠٤ .

ومن المؤرخين الذين عاصروا الدولة الغزنوية أبو سعيد عبد الحى أبن الضحاك بن محمود الكرديزى ، وقد ألف كتاب « زين الأخبار » أرخ فيه الأحداث منذ بدء الخليقة حتى نهاية عصر مودود بن مسعود الغزنوى (٤٣٢ — ٤٤٠ هـ) وهو مكمل لبعض ما لم يذكره ، البيهقى بالنسبة للأحــداث التاريخية وخاصة فى العــلاقات بين الغزنويين والسلاجقة وعلاقات الغزنويين بخانات الترك[٢٠٤] .

ومن جغرافيى القرن الرابع الهمدانى (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ / ١٩٧٣ م) وقد ألف كتابه « صفة جزيرة العرب »[٢٠٥] ، . وكان أبو الحسن على المسعودى — (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) من كبار الرحالين ، وقد زار كل أرجاء العالم تقريبا ، فزار بلاد فارس والهند وجزيرة سرنديب (سيلان) وصحب التجار الى بحار الصين ، كما زار زنزبار وسواحل أفريقيا الشرقية والسودان وقام برحلات فى اقليم بحر قزوين وآسيا الصغرى[٢٠٦] وبلاد الشام وفلسطين وزار مصر فى عهد الأخشـــيد سنة ٣٣٠ هـ فوصفها وصفا دقيقا[٢٠٧] .

وألف أبو اسحق الاصطخرى الفارسى الذى عاش فى القـــرن الرابع الهجرى كتاب الأقاليم ، ووضحه بالخرائط ، كما ألف كتابه

---

(٢٠٤) اعتمدنا فى بحثنا على النسخة الفارسية التى عنى بمقابلتها وتصحيحها عبد الحى حبيبى وهو من منشورات ايران . وقد أعارنى اياها الدكتور ابراهيم الدسوقى شتا أستاذ الأدب الفارسى المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة . والذى راجع الترجمة التى قمت بها من هذا الكتاب .

(٢٠٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٥٨٧ .

(٢٠٦) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ٣٦ .

(٢٠٧) وصف المسعودى اهرامات مصر كما وصف المبانى والبــلاط وطبقات الشعب وحالة السكان وتحدث عن نظام الرى وقطع الســـدود وليلة الغطاس . كما نبه على اهمية البحث عن الآثار المصرية فى وصـــفه ما قام به المصريون من أعمال البحث والتنقيب عن الآثار .

مروج الذهب : ج ١ ص ٢١٢ — ٢١٣ ، ٢٢٨ — ٢٢٩ .

« المسالك والممالك » الذى وصف فيه نتائج مشاهداته فى الأقاليم التى زارها ، ونقل كثيرا من كتاب صور الملوك لأبى زيد البلخى ، واعتمد على ما دونه بوزرج بن شهريار (أحد أهالى رامهرمز) الذى كتب كتابه « عجائب الهند » باللغة العربية مستعينا فى ذلك بمشاهداته وما نقله عن غيره من الرحالة[٢٠٨] ، ثم جـاء ابن حوقل فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وراجع كتاب « المسالك والممالك » للاصطخرى وزاد عليه وأخرجه بنفس الاسم[٢٠٩] .

ومن الرحالة الجغرافيين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى (٣٣٦ — ٣٨٧ هـ) الذى ألف كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » وله قيمة عظيمة من الناحيتين التاريخية والجغرافية ، فقد ضمنه مشاهداته فى جزيرة العرب والعراق والشام ومصر والمغرب وبلاد فارس والهند ، وكان فى حديثه عن الأقاليم والبلاد التى زارها يعتمـد على ملاحظاته واختبـاره الشخصى أكثـر منه على الكتب المدونة[٢١٠] .

ويعتبر الرحالة الفارسى ناصر خسرو (المتوفى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م) من أشهر الرحالين فى القرنين الرابع والخامس . فقد أودع كتابه « سفر نامه »[٢١١] (أو كتاب الرحلة) مشاهداته فى بلاد الفرس والعراق ، وفى بلاد الحجاز ، والشام وفلسطين ومصر التى زارها أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وأقام فيها نحو

---

(٢٠٨) Browen : Lit. Hist. of persia. Vol, 1 p. 368..

(٢٠٩) نشره دى غويه فى المجموعة الجغرافية (ليدن ١٨٧٢ م) .

(٢١٠) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، ظهر الاسلام : جـ ٢ ص ٢١٢ — ٢١٤ .

(٢١١) نقله الى العربية الدكتور يحيى الخشاب . القاهرة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤٥ م .

سنتين (٤٣٩ — ٤٤١ هـ) ؛ ووصف لنا ثروة البلاط الفاطمى وأبهته وما كانت عليه القاهرة من يسر ورخاء . ووصف مراحل الطـــرق ء نطريق عيذاب[٢١٢] ؛ كما أوضح لنا أنواع المعاملات الماليـــــة والتجارية المستخدمة فى مصر كالصكوك ـــ ؛ والسفاتج والتى استخدمها هو شخصيا فى مصر والعراق وفارس[٢١٣] .

(٢١٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٧١ — ٧٢ .
(٢١٣) سفر نامه : ص ٧٤ ، ٩٦ .

الخاتمــــة

ظهر البويهيون فى وقت كانت الخلافة العباسية تعــانى فيه من استبداد الأتراك وازدياد نفوذ الأمراء • وكان نجاح البويهيين فى تكوين قوة سياسية لهم فى بلاد فارس ما مهد لهم السبيل لدخول بغــداد سنة ٣٣٤ هـ •

ظن الخلفاء العباسيون أنهم سينعمون بالأمن والطمأنينة فى ظل بنى بويه ، غير أن البويهيين عاملوهم بقسوة ، ونكلوا بهم ، ولم يحملوا لهم أى احترام ، ذلك أن بنى بويه كانوا شيعة على المذهب الزيدى ، الأمر الذ ىأدى بهم الى التفكير فى نقل الخلافة العباسية الى أحد العلويين أيام معز الدولة البويهى ، لولا تحذير خواصه من عاقبة ذلك •

شارك البويهيون الخلفاء العباسيين فى مظاهر سيادتهم الدينيــة والسياسية ، فصارت اسماؤهم تذكر مع الخليفة فى الخطبــة ، كما نقشت أسماؤهم وألقابهم على السكة مع أسماء الخلفاء ، بل تجرأوا ونقشوا اسم الخليفة بدون ألقابه ، كما ضربت الطبول على أبواب دورهم فى أوقات الصلاة ، كما حاولوا الاعتداء على حق الخليفة فى تعيين القضاة وأمراء الحج والمظالم ، فقلد الأمير بهاء الدولة البويهى النقيب أبا أحمد الموسرى والد الشريف الرضى نقابة العلويين بالعراق سنة ٣٩٤ هـ

وكان من نتائج تشيع بنى بويه قيام الصراع بين أنصارهم من الشيعة وبين أهل السنة ، فحدثت كثير من المصادمات والفتن ، كما انتشرت الدعوة الفاطمية فى كثير من مدن العراق ، فأقيمت الخطبة للخليفة الحاكم بأمر الله فى الموصل والأنبار والقصر والمدائن والكوفة والجامعين ، الأمر الذى أد ىبالخليفة العباسى القادر بالله أن يتصدى لمقاومة التيار الشيعى الذى ساد فى بلاد العراق ، فأصدر محاضر

الطعن فى نسب الفاطميين سنة ٤٠٢ هـ ، كما استتاب الشيعة والمعتزلة عن المقالات المخالفة للسنة ونهاهم عن الكلام فيها وتدريسها ، ولم يكتف بذلك ، بل عزل جميع أئمة المساجد من الشيعة وعين مكانهم أئمة من أهل السنة ، غير أن جهود الخليفة القادر لم تفلح فى القضاء نهائيا على النفوذ الفاطمى فى بلاد العراق •

وعلى الرغم من سيطرة بنى بويه على مقاليد الأمور فى بلاد العراق ، فانهم لم يتخلوا عن بلاد فارس • وظلت تجمع أمرائهم فى أول الأمر روابط المحبة والاخاء والطاعة ، غير أن الأمر لم يلبث أن تبدل بعد وفاة معز الدولة البويهى وتولية ابنه عز الدولة بختيار ، فقام الصراع بينه وبين ابن عمه عضد الدولة ، بسبب طمع عضد الدولة فى بلاد العراق • وظل هذا الصراع علما على أبناء البيت البويهى ، الأمر الذى أدى الى تفككهم وعدم توحدهم ، حتى أنه لما ظهر السلاجقة لم يستطيعوا تجميع قوتهم فى مواجهتهم ، مما سهل عليهم دخول بغداد واسقاط حكم آخر أمرائهم الملك الرحيم سنة ٤٤٧ هـ •

ظهر السامانيون فى بلاد خراسان وما وراء النهر وأسسوا دولتهم التى دانت بالتبعية للخلافة العباسية • ورغم أنهم كانوا يدينون بالمذهب السنى ، فقد حاولت الخلافة الفاطمية نشر نفوذها فى بلادهم ، وذلك عندما تمكن داعى الفاطميين أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفى من جذب الأمير السامانى نصر الثانى بن أحمد (٣٠١ — ٣٣١ هـ) اليه بمعاونة كبار رجال الدولة السامانية ، وأدخله فى الدعوة الفاطمية ، وأرسل كتابا الى عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى فى بلاد المغرب يعترف فيه بسلطته الروحية ويذعن له باطاعة •

عانت الدولة السامانية من تصارع أمرائهم على السلطة ، فضلا عن الأخطار الخارجية التى تمثلت فى أطماع القره خانيين والغزنويين فى أراضيها ، الأمر الذى أدى فى النهاية الى زوال حكمها •

ظهر الغزنوين فى أول الأمر كحكام تابعين للدولة السامانية ، غير أنهم لم يلبثوا أن استقلوا عن دولة السامانيين ، وجعلوا عاصمتهم غزنه ، وأخذوا يتوسعون شرقا فسيطروا على بست وقصدار ، ودخل حاكم سجتان خلف بن أحمد وحكام بلاد الغور (غرستستان) فى طاعتهم .

وجد الخلفاء العباسيون فى الغزنويين نصيرا لهم فى مواجهة سيطرة بنى بويه . خاصة عندما أعلن محمود الغزنوى أن فتوحه تتم بناء على رغبة الخليفة العباسى ، كما جد هذا الأمير بتشجيع من الخليفة العباسى فى القضاء على الخارجيين على المذهب السنى فى البلاد التى كان يفتحها ، كما فشلت كل المحاولات التى قامت بها الخلافة الفاطمية فى استمالته اليها .

اتفق الغزنويون وخانات التركستان منذ أن تم لهم القضاء على الدولة السامانية ، على عدم تعدى كل منهم على أملاك الآخر . فكان نهر جيحون الحد الفاصل بين أملاكهم ، غير أن الصراع لم يلبث أن نشب بينهم ، بسبب أطماع الخانات فى بلاد الغزنويين مما أسفر عن وقوع صدام مسلح بين الطرفين ، انتهى بعقد اتفاقية صلح بين السلطان محمود ويوسف قدرخان وابنه أرسلان خان ، وذلك لمواجهة الثوار الترك الخارجين على أمراء التركستان وعلى الدولة الغزنوية من أمثال على تكين وبور تكين أمراءء بلاد ما وراء النهر .

ظهر السلاجقة خلال هذه الأحداث ، فطلبوا من السلطان محمود الغزنوى السماح لهم بالعبور خلال أراضى دولته والاستقرار قرب جند يسابور ، فسمح لهم بذلك ، وعظمت قوتهم منذ نهاية عهد السلطان محمود حتى أواخر عهد السلطان مسعود الذى انشغل بفتوح الهند ، وأهمل تزايد قوة السلاجقة الذين أخذوا فى الاغارة على نواحى بلاده واستقطاع أجزاء منها ، ثم التقوا مع مسعود فى موقعة حاسمة انتهت بهزيمته فى داندانقان سنة ٤٣١ هـ .

كانت موقعة داندانقان بداية النهاية بالنسبة للغزنويين فبدلا من أن يجمعوا قوتهم لمواجهة حاسمة مع السلاجقة والقضاء عليهم ، ينسحب السلطان مسعود الى الهند ومعه خزائنه ، فقبض عليه أنصار أخيه محمد وسجنوه ، وكان من أثر ذلك أن قام الصراع بين أفراد البيت الغزنوى ، فحاول كل أمير السيطرة على شئون الحكم ، الأمر الذى أدى الى تسرب الضعف الى الدولة الغزنوية ، وزوالها على يد شهاب الدين الغورى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م •

تجلى فى هذا العصر تيارات حضارية مختلفة • ففى الناحية الاقتصادية اهتمت الدولة الاسلامية بالزراعة ، فشقت الترع وسدت البثوق وأقيمت الجسور والقناطر ، فازدهرت الزراعة وتعددت محاصيلها ، غير أن جهل المقطعين البويهيين بأمور الزراعة أدى الى ضعف انتاجها •

وتقدمت الصناعة فى ذلك العصر ، وغدت كثير من المدن مراكز هامة للانتاج الصناعى ، وتبع تقدم الزراعة والصناعة ازدهار مراكز التجارة الداخلية والخارجية • وظهرت المدن ذات الأسواق التى زخرت بمختلف أنواع السلع ، ونشطت حركة التبادل التجارى بين بلاد العراق والمشرق وبين مختلف دول العالم المعاصرة •

واهتمت الدولة بفرض الرسوم والضرائب • وجعلت لها مراكز لتحصيلها فى الموانى والأسواق • وساعد الاهتمام بضبط العملة ونقائها على سهولة ويسر التعامل التجارى ، وسكت أنواع مختلفة من العملات فى العراق وبلاد المشرق ، ولم تختلف النقود التى ضربها السامانيون والغزنويون عن النقود التى ضربت فى حاضرة الخلافة ، فحملت كل منها اسم الخليفة العباسى والى جواره اسم أمير البلاد ، كما تعددت دور الضرب فى بلاد العراق والمشرق •

وكانت المعاملات المالية الضخمة تتطلب وسائل للدفع مأمونة من

الضياع ، خفيفة الحمل ، وبعيدة عن متناول اللصوص ، ومن هـــذه الوسائل السفاتج والصكوك التى كثر استخدامها فى القرن الرابع الهجرى .

أما عن الحياة الاجتماعية ، فقد تأثرت بعناصر السكان والطوائف ، كما تجلى الاهتمام بمجالس الطرب والغناء ، فضـــلا عن المجالس الاجتماعية ، ومنها مجالس القصاص والوعاظ .

وكان من مظاهر تقدم الحضارة فى بلاد العراق والمشرق فى تلك الفترة ، تعدد مراكز الثقافة الاسلامية التى حوت المكتبات ودور العلم ، كما أخرجت كثير من المدن طائفة كبيرة من العلماء والأدباء ، صنفوا كتبا فى مختلف العلوم .

المصـــادر والمراجـــع

مرتبة حسب حروف الهجاء لأســماء المؤلفين

أولا ــ المخطوطات العربيـــة :

أحمـــد دده المولـــوى .

١ ــ جـــامع الـــدول :
مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٩٥

ايليا المطـــران :

٢ ــ مقالة ايليا المطران فى المكاييل والموازين
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٩٩ رياضة تيمور

جبرائيل حنوش :

٣ ــ مختصر المستفاد فى تاريخ بغداد (أو منتجع المرتاد فى تاريخ بغداد) نسخة من ١٥٥ ورقة مأخوذة بالميكروفيلم عن المتحف العراقى (معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٩٨٤ تاريخ) .

الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد :

٤ ــ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام :
الجزء الثامن عشر مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ

٥ ــ ســـير أعـــلام النبـــلاء :
المجلد العاشر ــ الجزء الثانى ــ مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٩٥ ح .

ابن الرفعة : أبو العباس أحمـــد .

٦ ــ كتاب الايضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان .
مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٢ رياضة تيمور .

٧ ــ الرتبـــة فى الحســـبة :
مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٥٥١ .

سبط بن الجوزى .

٨ — مــرآة الزمــان :

مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ .

السمعانى : عبد الكريم بن محمد .

٩ — الأنســـاب :

مخطوط بمكتبة دار العــلوم رقم ٨٣٦٧

الصابى : هلال بن المحســن .

١٠ — المنترع من التاجى فى أخبار الدولة الديلمية .

فيلم بدار الكتب رقم ٢٣٥ .

العينى (ت ٨٥٥ هـ) بدر الدين محمد .

١١ — عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان :

مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ

أبو القاسم عبد الكريم بن محمد .

١٢ — التدوين فى أخبار قزوين :

مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٤٨

الكفوى : محمود بن سليمان .

١٣ — كتاب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار :

مخطوط بدار الكتب رقم ٨٤ م

الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) أبو الحسن على بن محمد .

١٤ — الرتبة فى طلب الحسبة :

مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٢٤

النويرى (ت ٧٣٢ هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .

١٥ — نهاية الأرب فى فنون الأدب :

مخطوط بدار الكتب الجزء الثالث والعشرين رقم ٥٥١ معارف عامة والجزء الرابع والعشرين رقم ٦٩٩ .

ثانيا — المصـــادر العربية :

ابن الأثير (٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبى الكرم .
١٦ — الـكامل فى التـاريخ :
القاهرة ١٢٩٠ هـ ، ١٣٥٣ هـ

ابن الأخوة (ت ٧٢٩ هـ / ١٠٦٧ م) محمـد بن محمـد بن أحمد القرشى .

١٧ — معالم القربه فى أحـكام الحسـبة :
عنى بنقله وتصحيحه ليفى روبان
مطبعة دار الفنون (كمبرج ١٩٣٧ م)
الأزرقى الفارقى (مولده ٥١٠ هـ / ١١١٦ م — ١١١٧ م)
أحمد بن يوسف على بن الأزرقى الفارقى .

١٨ — تاريخ ميافارقين :
تحقيق / بدوى عبد اللطيف
دار الكتاب اللبنانى — بيروت

الأصبهانى (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) أبو الفرج .
١٩ — كتـاب الأغـانى :
(٢١) جزءا القاهرة ١٩٢٧ — ١٩٣٦)
الاصطخرى (ت ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م) أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارس الاصطخرى المعروف بالكرخى .

٢٠ — المسـالك والممالك :
تحقيق / محمد جابر عبد العال الحينى
(القاهـرة ١٩٦١ م)
الأصفهانى (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) حمزة بن الحسين .

٢١ — تاريخ سنى ملوك الأرض :
(كلكته ١٨٦٦ م ، مطبعة الحياة — بيروت ١٩٦١)

ابن أبى أصيبعة (ت ٦٦٧ هـ / ١٢٧٠ م) أبو العباس أحمد ابن القاسم بن خليفة موفق الدين .
٢٢ — عيون الأنباء فى طبقات الأطباء :
تحقيق / نزار رضـــا
بيروت ١٩٦٥ م .

ابن بسام (عاش فى القرن الثامن الهجرى) محمد بن أحمد .
٢٣ — نهاية الرتبه فى طلب الحســبه :
تحقيق الدكتور / حسام السامرائى
مطبعة المعارف — بغداد ١٩٦٨ م

البندارى (توفى فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى) الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى .
٢٤ — مختصر تاريخ دولة آل سجلوق :
مطبعة الموسوعات ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م

البيرونى (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) أبو الريحان محمد أحمد .
٢٥ — الآثار الباقية عن القرون الخالية :
نشر ادوارد سخاو ١٨٧٦ م وأعادت طبعه مطبعة المثنى ببغداد سنة ١٩٢٣ م .
٢٦ — الجماهر فى معـــرفة الجواهر :
حيـــدر أباد ١٣٥٥ هـ

التنوخى (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٣ م) المحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم .
٢٧ — نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (جامع التواريخ) :
نشر مرجليوت القاهرة ١٩١٨ — ١٩٢١ م .
٢٨ — الفرج بعد الشـــدة :
جزءان القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م

التوحيدى (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) أبو حيان التوحيدى البغدادى .

٢٩ — الامتاع والمؤانسة :

تحقيق / أحمد أمين وأحمد الزين

مصر ١٩٣٩ ، ٤٢ ، ١٩٤٤ م

ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٠ م) تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام .

٣٠ — الحسبة فى الاسلام :

القاهرة ١٣١٨ هـ

الثعالبى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل .

٣١ — لطائف المعارف :

تحقيق / ابراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفى

مصر ١٩٦٠ م .

٣٢ — ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب :

تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم مصر ١٩٦٥ م

وتحقيق/ محمد أبو شادى مصر ١٣٢٦ هـ

٣٣ — يتيمة الدهر :

القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م

ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد .

٣٤ — رحلة ابن جبير :

تحقيق/ حسين نصار ١٩٥٥ م ، وطبعة ليدن ١٩٠٧ م

الجهشيارى (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) أبو عبد الله محمد بن عبدوس .

٣٥ — الوزراء والكتاب :

حققه مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى

مطبعة البابى الحلبى القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ — ١٢٠١ م) جمال الدين
أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن .
٣٦ — المنتظم فى أخبار الملوك والامم :
حيدر أباد الدكن ١٣٥٧ هـ ، ١٣٥٨ هـ .
٣٧ — صفة الصفوة :
حيدر أباد ١٣٥٥ هـ .
٣٨ — مناقب بغـــداد :
تحقيق/ محمد بهجت الأثرى بغداد ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م.
الحسينى (عاش فى القرن السابع الهجرى) على بن السيد
أحمـــد .
٣٩ — أخبار الدولة السجوقية :
نشر محمد اقبال — لاهور — جامعة البنجاب ١٩٢٣ م .
ابن حوقل (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) أبو القاسم محمد بن
حوقل البغدادى الموصلى .
٤٠ — المسالك والممالك نشر دى غويه — ليدن ١٨٧٣ م .
٤١ — صورة الأرض . ليدن ١٩٦٧ م :
ابن خرداذبه (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) أبو القاسم عبد الله بن
أحمـــد .
٤٢ — المســـالك والممالك :
وملحق به كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر
ليدن ١٨٨٩ م ، ١٩٦٧ م .
٤٣ — المختار من كتاب اللهو والملاهى لابن خرداذبه :
نشر الأديب أغناطيوس اليسوعى — المطبعة الكاثوليكية —
بيروت ١٩٦١ م .

الخطيب البغـــدادى (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ — ١٠٧١ م)
الحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى .
٤٤ — تاريخ بغداد أو مدينة السلام :
مصر ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م .

ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م) عبد الرحمن
ابن محمد .
٤٥ — المقــدمة : بولاق ١٣٢٠ هـ .
٤٦ — العبر وديوان المبتدأ والخبر : بولاق ١٢٨٤ هـ .

ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس
أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر الشافعى .
٤٧ — وفيات الأعيــان :
جزءان طبعة بولاق ١٢٨٣ هـ ، المطبعة الميمنية مصر ١٣١٠ هـ .

الخوارزمى (توفى ٤٠٧ هـ / ١١٠٣ م) أبو عبد الله محمد
ابن أحمد بن يوسف الكاتب .
٤٨ — مفاتيح العــلوم : القاهرة ١٣٤٤ هـ / ليدن ١٩٦٨ م .

الدمشقى (من علماء القرن الخامس الهجرى) أبو الفضــل
جعفر بن على الدمشقى .
٤٩ — الاشارة الى محاسن التجارة . مطبعة المؤيد ١٣١٨ هـ .

الدواداری (ألفه سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٠ م) أبو بكر عبد الله
ابن أيبــك .
٥٠ — كنز الدرر وجامع الغرر :
الجزء السادس : الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية
تحقيق/ صلاح الدين المنجد القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م — ١٣٤٨ م) شمس الدين
أبو عبد الله محمد بن أحمد .
٥١ — دول الاســلام : حيدر أباد ١٣٣٧ هـ ، ١٣٦٤ هـ .
٥٢ — العبر فى خبر من غبر : الجزء الثالث تحقيق/ فؤاد سيد
الكويت ١٩٦٠ — ١٩٦٣ م .

ابن رسته (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) أبو على أحمد بن عمر .
٥٣ — الأعلاق النفيسة : ليدن ١٨٩١ م .

السيوطى (٩١١ هـ / ١٦٠٥ م) عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين •
٥٤ — تاريخ الخلفاء : مطبعة الحلبى مصر ١٣٠٥ هـ •
٥٥ — بغية الوعاة : تحقيق أبو الفضل ابراهيم مطبعة الحلبى ١٩٦٤ م •

أبو شجاع (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروزراورى
— ذيل تجارب الامم •
تصحيح هـ • ف • امدروز — مطبعة الكردى ١٣٣٤ هـ/١٩١٦ م •

الشهرستانى (٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم •
٥٦ — الملل والنحل :
القاهرة ١٣١٧ هـ •

الشيرزى (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) عبد الرحمن بن نصر •
٥٧ — نهاية الرتبة فى طلب الحسبة :
تحقيق/ السيد الباز العرينى القاهرة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م •

الصابى (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) أبو الحسين هلال بن المحسن •
٥٨ — تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء :
مطبعة الآباء اليسوعيين — بيروت ١٩٠٤ م •
٥٩ — رسوم دار الخلافة :
نشر ميخائيل عواد بغداد ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م •
٦٠ — رسائل الصابى :
نشر/ شكيب أرسلان لبنان — بعبدا ١٨٩٨ م •

الصولى (٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) أبو بكر محمد بن يحيى •
٦١ — أخبار الراضى بالله والمتقى لله :
نشر/ ج هيورث • دن مطبعة الصاوى ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م •
٦٢ — الأوراق : القاهرة — مطبعة الحلبى ١٩٥٨ م •

ابن طباطبا (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ — ١٣١٠ م) محمد بن على بن طباطبا .

٦٣ — الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية
مطبعة الموسوعات ١٣١٧ هـ .

الطبرى (توفى ٣١٠ هـ / ١٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى .

٦٤ — تاريخ الامم والملوك :
المطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ مكتبة خياط — بيروت ١٩٦٥ م .

ابن عبد ربه (٣٤٩ هـ / ٩٤٠ م) شهاب الدين أحمد بن محمود المروانى الاندلسى .

٦٥ — العقد الفريد :
تحقيق/ محمد سعيد العريان القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

ابن عبدون : محمد بن أحمد .

٦٦ — رسالة فى القضاء والحسبة :
(ضمن ثلاث رسائل فى الحسبة) تحقيق/ ليفى بروفينسال
مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للاثار الشرقية القاهرة ١٩٥٥ م .

ابن العبرى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ — ١٢٨٧ م) جريجوريوس أبى الفرج بن هرون الطبيب الملطى .

٦٧ — تاريخ مختصر الدول :
تحقيق الآب صالحانى اليسوعى — المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٨٩٠ م .

العتبى (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى .

٦٨ — تاريخ اليمينى : جزءان القاهرة ١٢٨٦ هـ .
وبه شرح الشيخ أحمد بن على الحنفى المنينى المتوفى سنة ١١٧٢ هـ وسماه الفتح الوهبى على تاريخ أبى نصر العتبى .

العمرى (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله .

٦٩ — مسالك الابصار فى ممالك الأمصــار :
الجزء الاول نشر/ أمحد زكى دار الكتب ١٩٢٤ م .
ابن العميد (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) الشيخ المكين جرجس بن العميــد .
٧٠ — تاريخ المسلمين . ١٦٢٥ .
الغزالى (٥٠٥ هـ / ١١١١ م) الامام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمــد .
٧١ — احياء علوم الدين : مطبعة الحلبى ١٩٣٩ م .
أبو الفدا (ت ٧٣٢ ق / ١٣٣١ م) اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حمــاة .
٧٢ — تقويم البلدان : باريس ١٨٣٠ م .
٧٣ — المختصر فى أخبار البشر المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ .
ابن الفقيه (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ — ٩٠٣ م) أبو بكر أحمد بن محمد الهمدانى .
٧٤ — مختصر كتاب البلدان : ليدن ١٣٠٣ هـ ، ١٨٨٥ م
القرطبى (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ — ٩٧٧ م) عريب بن سعد الكاتب .
٧٥ — صلة تاريخ الطبرى المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٠٢ هـ .
القرمانى (١٠١٩ هـ / ١٦٠١ — ١٦١١ م) أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقى .
٧٦ — أخبار الدول وآثار الأول .
بهامش الجزء الثانى من كتاب الكامل فى التاريخ طبعة مصر ١٢٩٠ هـ ، وبغداد ١٣٥١ هـ .
القزوينى (٦٢٨ هـ / ١٢٨٣ م) أبو عبد الله زكريا الانصارى .
٧٧ — آثار البلاد وأخبار العباد : بيروت ١٩٦٦ م .
ابن القفطى (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) جمال الدين على بن يوسف ابن ابراهيم .
٧٨ — إخبار العلماء بأخبار الحكماء .

مصر ١٣٢٠ هـ ، ليبسك ١٣٢٢ هـ / ١٩٣٠ م •

القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد •

٧٩ — صبح الأعشى فى صناعة الانشاء : القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٧ م •

الكتبى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ — ١٣٦٣ م) محمد بن شاكر بن أحمد الحلبى •

٨٠ — فوات الوفيات : القاهرة ١٢٩٩ هـ ، مطبعة السعادة مصر ١٩٥١ م •

ابن كثير (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى •

٨١ — البداية والنهاية : ١٤ جزءا مطبعة السعادة ١٩٢٣ م •

المافروخى (من علماء القرن الخامس الهجرى) مفضل بن سعد ابن الحسين المافروخى الاصفهانى •

٨٢ — محاسن أصفهان : طبعة أولى — طهران •

الماوردى (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) القاضى أبو الحسن على ابن حبيب البصرى •

٨٣ — الأحكام السلطانية والولايات الدينية •
مطبعة الوطن ١٢٩٨ هـ •

أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٩٦ م) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى •

٨٤ — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة •
دار الكتب ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م •

المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) أبو الحسن على بن الحسين ابن على •

٨٥ — مروج الذهب ومعادن الجوهر •
المطبعة الازهرية ١٣٠٣ هـ المطبعة البهية ١٣٤٦ هـ •

مسكويه (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) أبو على أحمد بن محمد .
٨٦ — تجارب الأمم : نشر هـ. ف. أمدروز مصر ١٩١٤ م .
٨٧ — تهذيب الأخلاق : مطبعة والدة عباس ١٣٢٦ هـ / ١٠٩٨ م .

المقدسى (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعى البشارى .
٨٨ — أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم : ليدن ١٩٦٧ م .

المقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على .
٨٩ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : بولاق ١٢٧٠ هـ .
٩٠ — اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الخلفاء .
تحقيق/ جمال الدين الشيال دار الفكر العربى ١٣٦٧ هـ .
تحقيق/ محمد حلمى محمد أحمد ١٩٧٧ م .
٩١ — السلوك لمعرفة دول الملوك :
الجزء الأول — القسم الأول تحقيق/ محمد مصطفى زيادة مصر ١٩٥٦ م .
٩٢ — اغاثة الامة بكشف الغمة :
تحقيق / محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال القاهرة ١٩٤٠ م .

ابن مماتى (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) الأسعد بن مماتى .
٩٣ — قوانين الدواوين : تحقيق/ عزيز سوريال عطية القاهرة ١٩٤٣ م .

ابن النـــديم (ت ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م) محمد بن اسحق الكاتب .
٩٤ — كتاب الفهرست : القاهرة ١٩٤٨ م .

النويرى (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ — ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب .
٩٥ — نهاية الأرب فى فنون الأدب :
١٨ جزءا دار الكتب القاهرة ١٣٤٩ — ١٣٦٩ هـ / ١٩٢٩ — ١٩٤٩ م .

الهمذانى (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) ممحد بن عبد الملك بن ابراهيم
ابن محمد •

٩٦ — تكملة تاريخ الطبرى:
تحقيق/ البرت يوسف كنعان المطبعة الكاثوليكية — بيروت

ابن الوردى (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ — ١٣٥٠ م) زين الدين عمر •

٩٧ — تاريخ ابن الوردى :
جمعية المعارف ١٢٨٥ هـ •

ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو
عبد الله الحموى الرومى •

٩٨ — معجم البلدان :
مطبعة السعادة ١٩٠٦ م ، بيروت ١٩٥٧ م •

٩٩ — معجم الأدباء :
القاهرة ١٩٣٦ م •

ثالثا — المراجع العربية الحديثة :

١٠٠ — ابراهيم فؤاد على :
الموارد المالية فى الاسلام ، معهد الدراسات الاسلامية ١٩٧٠ م•

١٠١ — أحمد أمين :
ظهر الاسلام ، الجزء الاول الطبعة الثالثة والجزء الثانى
الطبعة الاولى •

١٠٢ — أحمد تيمور :
الموسيقى والغناء عند العرب
لجنة نشر المؤلفات التيمورية — القاهرة ١٩٦٣ م •

١٠٣ — أرشيباد لويس :
القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط
ترجمة/ أحمد عيسى •

١٠٤ — أرنولد : (سير توماس) :
الدعوة الى الاســلام
ترجمه الى العربية : حسن ابراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ،
اسماعيل النحراوى مكتبة النهضة العربية .
١٠٥ — بارتولد : فاسيلى فلاديمروج
تاريخ الترك فى آسيا الوسطى
مكتبة الانجلو ١٩٥٨ م .
ترجمة/ حمزة طاهر مصر ١٩٦٦ م .
١٠٦ — تاريخ الحضارة الاسلامية :
ترجمة / أحمد السعيد سليمان
١٠٧ — بانيكار :
آسيا والسيطرة الغربية
ترجمة/ عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩٦٢ م .
١٠٨ — بدر الدين الصينى :
العلاقات بين العرب والصين النهضة المصرية ١٩٥١ م .
١٠٩ بدوى طبـــانه :
الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم
سلسلة أعلام العرب — وزارة الثقافة والارشاد القومى .
١١٠ — براون : ادوارد جرانفيل :
تاريخ الأدب فى ايران من الفردوس الى السعدى
ترجمة/ ابراهيم أمين الشواربى
مطبعة السعادة ١٩٥٤ م .
١١١ — البراوى : ابراهيم راشد البراوى :
حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين
١٩٤٨ م .

١١٢ — بندلى جـوزى :
من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام
مطبعة بيت المقدس — القدس ١٩٢٨ م .
١١٣ — جب — هاملتون جب :
دراسات فى الحضارة الاسلامية
تحرير ستانفورد شود ووليم بولك ترجمة / احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمود وليد مؤسسة فرانكلين — بيروت — نيويورك ١٩٦٤ م .
١١٤ — جروهمان : (أدولف) :
أوراق البردى العربية فى دار الكتب العربية
الجزء السادس ترجمة/ عبد العزيز الدالى
دار الكتب ٩٧٤ ١م .
١١٥ — جواد على :
المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام بيروت ١٩٦٨ م .
١١٦ — جوستان لوبون :
حضارة العرب ترجمة/ عادل زعيتر .
١١٧ — جيان : القبطان جيان :
وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية
ترجمة/ يوسف كمال القاهرة ١٩٢٧ م .
١١٨ — جولدتسيهر : اجنتس
المذاهب الاسلامية فى تفسير القــرآن
ترجمة/ على حسن عبد القادر القاهرة ١٩٤٤ م .
١١٩ — حتى : فيليب
تاريخ العرب « مطول » الطبعة الثانية ١٩٠٣ م .
١٢٠ — حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الاسلام السياسى
الجزء الثالث الطبعة الأولى ، الجزء الثانى الطبعة الخامسة ١٩٥٩ م مكتبة النهضة المصرية .

١٢١ — الدولة الفاطمية ١٩٥٨ م مكتبة النهضة المصرية .

١٢٢ — حسن أحمد محمود :
الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى
دار النهضة العربية ١٩٦٨ م .

١٢٣ — حسين أمين :
تاريخ العراق فى العصر السلجوقى
بغداد ١٩٦٥ م .

١٢٤ — حورانى : جورج فضلو حورانى :
العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل
العصور الوسطى
ترجمة / السيد يعقوب بكر . مكتبة الأنجلو المصرية .

١٢٥ — خاشع المعاضيدى :
دولة بنى عقيل فى الموصل
بغداد الطبعة الاولى .

١٣٦ — الدورى : عبد العزيز الدورى

١٢٦ — دراسات فى العصور العباسية المتأخرة
بغداد ١٩٤٥ م .

١٢٧ — تاريخ العراق الاقتصادى
بغداد ١٩٤٨ م .

١٢٨ — مقدمة فى التاريخ الاقتصادى
بيروت ١٩٦٩ م .

دوزى : رينهارت :

١٢٩ — المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب :
ترجمة/ أكرم فاضل
مطبعة دار الحرية — بغداد ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

دى بور : ت . ج .

١٣٠ — تاريخ الفلسفة الاسلامية :

نقله الى العربية/ محمد عبد الهادى أبو ريده
القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م ٠
ديماند (م ٠ س)
١٣١ — الفنون الاسلامية :
ترجمة/ أحمد عيسى
دار المعارف ١٩٥٨ م ، مكتبة النهضة ١٩٥٨ م ٠
الريس : محمد ضياء الدين الريس
١٣٢ — الخراج والنظم المالية فى الدولة الاسلامية :
دار المعارف ١٩٦٩ م ٠
زامباور (فون ٠ أ)
١٣٣ — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى :
أخرجه/ زكى محمد حسن ، حسن أمحد محمود
جزءان القاهرة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ م ٠
الزبيدى : محمد حسين الزبيدى
١٣٤ — العراق فى العصر البويهى :
بغداد الطبعة الاولى ٠
زكريا ابراهيم
١٣٥ — أبو حيان التوحيدى أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء :
الهيئة المصرية للكتاب طبعة ثانية ١٩٧٤ م ٠
زكى محمد حسن
١٣٦ — فنون الاسلام : القاهرة ١٩٤٨ م ٠
١٣٧ — الفنون الايرانية : دار الكتب ١٩٤٦ م ٠
سعيد حمادة
١٣٨ — النظام الاقتصادى فى العراق : بيروت ٠
سعيد الافغانى
١٣٩ — أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام :
المطبعة الهاشمية — دمشق ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م ٠

سـيد أمير على

١٤٠ — مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى :
تعريب/ رياض رأفت القاهرة ١٩٣٨ م ٠

صالح أحمد العـلى

١٤١ — التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة :
مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥٣ م ٠

١٤٢ — عبد الكريم العلاف : الطرب عند العرب
بغداد ١٩٦٣ م طبعة ثانية ٠

عبد النعيم حسـنين

١٤٣ — سلاجقة ايران والعراق :
مكتبة النهضة المصرية الطبعة الاولى ١٩٥٩ والثانية ١٩٧٠ م ٠

العزاوى : عباس العزاوى

١٤٤ — تاريخ النقود العباسية ٠
بغداد ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ٠

فامبـرى : أرمينيوس

١٤٥ — تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر :
ترجمة/ أحمد محمود الساداتى ، القاهرة ١٩٦٥ م ٠

فون كريمـر

١٤٦ — الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ٠
تعريب/ مصطفى طه بدر دار الفكر العربى ٠

كريستينسن

١٤٧ — ايران فى عهد الساسانيين : ترجمة يحيى الخشاب
القاهرة ١٩٥٧ م ٠

الكرملى : انستاس مارى

١٤٨ — النقود العربية وعلم النميات : القاهرة ١٩٣٩ م ٠

لسترنج (جى)
١٤٩ — بلدان الخلافة الشرقية :
ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد
بغداد ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م •
١٥٠ — بغداد فى عهد الخلافة العباسية
ترجمة بشير فرنسيس بغداد ١٩٣٦ م •
لين بول (ستانلى)
١٥١ — طبقات سلاطين الاسلام
ترجمه للفارسية عباس أقبال وترجمه عن الفارسية مكى طاهر
بغداد ١٩٦٨ م •
ماسينيون
١٥٢ — خطط الكوفة
ترجمة تقى المصعبى صيدا ١٣٦٥ هـ •
متز : آدم
١٥٣ — الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
جزءان مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٠ — ١٩٤٧ م ترجمة / محمد عبد الهادى أبو ريدة
محمد باقر :
١٥٤ — العملة الاسلامية فى العهد الأتابكى بغداد ١٩٦٦ م •
محمد جمال الدين سرور :
١٥٥ — تاريخ الحضارة الاسلامية دار الفكر العربى ١٩٧٦ م •
١٥٦ — سياسة الفاطميين الخارجية دار الفكر العربى ١٩٧٦ م •
محمد كامل حسين •
١٥٧ — طائفة الاسماعيلية : تاريخها • نظمها • عقائدها
مكتبة النهضة العربية الطبعة الاولى ١٩٥٩ م •
محمد كرد على :
١٥٨ — تاريخ الحضارة فى القرون الوسطى •
١٥٩ — أمراء البيان القاهرة ١٩٣٣ م •

محمد مختـــار :
١٦٠ — التوفيقات الالهامية بولاق ١٣١١ هـ .
محمود طه أبو العـــلا :
١٦١ — دراسات فى جغرافية العالم الاسلامى
الطبعة الثانية — دار المعارف .
١٦٢ — محمود عبد الله الجادر .
الثعالبى ناقدا وأديبا بغداد ١٩٧٦ م
مليحـــة رحمة الله :
١٦٣ — الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد
الهجـــرة مطبعة الزهراء بغداد ١٩٧٠ م .
النقشبندى : ناصر الدين النقشبندى
١٦٤ — الدينار الاسلامى فى المتحف العراقى بغداد ١٩٥٣ م .
١٦٥ — دائرة المعارف الاسلامية .

رابعـــا : الكتب الفارســية :

البيهقى (ت ٤٥٨ / ١٠٦٦ م) أبو الفضل محمد بن الحسين
الكاتب البيهقى :
١٦٦ — « تاريخ مســعودى »
المعروف بتاريخ البيهقى
ترجمه الى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت .
أمير خواند : محمد بن خاوند شاه بن محمود :
١٦٧ — روضة الصفا نسخة فى مجلد طبع برلين .
بداونى : عبد القادر بن ملوك شاه بدوانى
١٦٨ — منتخب التواريخ كلكته ١٨٦٨ م .
الجوزجانى : القاضى منهاج سراج الجوزجانى
١٦٩ — طبقات ناصرى
تصحيح وتعليق / عبد الحى حبيبى جزءان فى مجلدين
كابل ١٣٤٢ ش هـ .

حمد الله المستوفى : حمد الله بن أبى بكر بن أحمد بن نصر المستوفى القزوينى

١٧٠ — تاريخ كزيدة نشر براون لندن ١٩١٠ م .

خواند أمير : غياث الدين بن همام الدين

١٧١ — حبيب السير فى أخبار البشر بومباى ١٨٥٧ م .

الراوندى : محمد بن على بن سليمان الراوندى

١٧٢ — راحة الصدور وآية السرور

ترجمه الى العربية/ ابراهيم أمين الشواربى ، وعبد النعيم حسنين ، وفؤاد عبد المعطى الصياد .

رضا زادة شفق :

١٧٣ — تاريخ أدبيات ايران

نشر جامعة رضا بهلوى

الكرديزى : (عاش فى القرن الخامس الهجرى) أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكرديزى

١٧٤ — زين الأخبار

تحقيق/ عبد الحى حبيبى من منشورات ايران .

ناصر خسرو (٤٨١ هـ / ١٠٠٨ م) :

١٧٥ — سفر نامه

ترجمة/ يحيى الخشاب اقاهرة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤٥ م .

النرشخى (ألفه بين سنتى ٣٣٢ — ٣٣٧ هـ) أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى

١٧٦ — تاريخ بخارى :

وملحق به ترجمة افصل الثانى من الباب الرابع لتاريخ كزيدة لحمد الله المستوفى .

ترجمة / أمين عبد المجيد ، ونصر الله الطرازى دار المعارف .

نظام الملك (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) أبو على الحسن بن على ابن اسحق الطوسى .

١٧٧ — سياست نامــه
ترجمة وتعليق الدكتور/ السيد محمد العزاوى
دار الرائد العربى .

خامســا : الدوريات والبحوث :

السيد أبى ظفر الندوى :
١٧٨ — أسطول كجرات
مجلة ثقافة الهند — أكتوبر ١٩٦٥ م دلهى .

أنستاس مارى الكرمى :
١٧٩ — الحياكة فى العــراق
مجلة غرفة بغداد — السنة الرابعة — العدد الاول سنة ١٩٤١ م

حمدان عبد المجيد الكبيسى :
١٨٠ — أســواق بغداد
رسالة دكتوراه كلية الآداب / جامعة القاهرة .

الدورى : عبد العزيز
١٨١ — نشوء الأصناف والحرف فى الاسلام
مجلة كلية الآداب — جامعة بغداد العدد الأول ١٩٥٩ م .

ســعاد ماهر :
١٨٢ — خزف الرقــة
فصلة من مجلة كلية الآداب الجزء الثانى المجلد ١٦ سنة ١٩٥٤ م

عبد الحميد على عثمان عبيدو :
١٨٣ — الحمدانيون فى الموصل وحلب
رسالة مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة .

على مسعود الشــابى :
١٨٤ — الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى
رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة القاهرة .

محمود محروس قشطة :
١٨٥ — ترجم الباب الرابع من تاريخ كزيدة لحمد الله المستوفى مع مقدمة عن المؤرخ ومؤلفاته •
رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة عين شمس •

مصطفى عبد الله الهمشرى :
١٨٦ — الاعمال المصرفية والاسلام
رسالة ماجستير — كلية دار العلوم — جامعة القاهرة •

مقبــول أحمــد :
١٨٧ — العلاقات التجارية بين الهند والعرب من القرن العاشر قبــل الميلاد الى العصر الحديث
مجلة ثقافة الهند يوليو ١٩٦٠ م دلهى •

١٨٨ — النقشبندى : ناصر الدين النقشبندى :
الدينار الاسلامى لملوك الطوائف
الجزء الثانى من المجلد الثاث مجلة سومر ١٩٤٧ م •

يوسف غنيمــة :
١٨٩ — النقود العباسية
مجلة سومر الجزء الأول سنة ١٩٥٣ م •

سادسا : الكتب والدوريات الأجنبية :

1 — Ali : (M.A) : A New History of Indo-pakestan (Dacca 1970).
2 — Arnold (Sir. Thomas) : The Caliphate (Oxford 1924).
3 — A Rthur Lane : Islamic pottery from the Ninth to the fourtennth centuries.
4 — Barthold : Histoire des Turcs d'Asia centrol (Paris 1945).
5 — .... : Turkestan Down to the Mongol Invasion.
6 — .... : Four studies on the History of central Asia (2, Vols, Leiden 1962).
7 — Browne (K.G) A literary history of persia from the Earliest Times until Firdawsi, Vol, 1, (London 1909).
8 — Chau-Ju-Kua : (Chu-Fan-chi) A work on the chines and Arab trade in the 12 th and 13 th Centuries entitled chu-fan-chi. Translated by FR. Hirth and W.W. Rockhill (ST. Petersburg 1912).
9 — Codrington (O) : A Manwal of Musulman Numismatic (London 1904).
10 — Dozy : Dictionnaires des Vetments Arabs (Amesterdam 1945).
11 — Heyd. W : Histoire du commerce de levant au Moyan Age. (2, Vols, Leipzig 1923).
12 — Hitti : History of the Arabs.
13 — Hobson : Islamic pottery of the near East (1932).
14 — Joseph Hell : The Arab civiliation. Trans. from German by Khuda Bakhsh (Cambridge 1936).
15 — IBN Isfandiyar : History of Tabaristan (London 1905).
16 — Khuda Bakhah : Politice in Islam (Lahour-N-1954).
17 — Islamic civilization.
18 — Lane poole (Stanley) : The Muhammadan Dynasties (Paris 1925).
19 — Miles (George) : The Numismatic History of Rayy (New York 1938).
20 — Miles : Rare Istamilc coins (New York 1950).

21 — Muir (William Temple) : The caliphate, its ries, Decling. and fall (London 1915).

22 — Noldeke (T.H) : Sketches from Eastern History (London 1892).

23 — Zambaur (E.Von) : Numisatische Zeitschrift (Wien 1915).

24 — Cahen (Claude) : Dunees et Commerce dans les Ports Meditera- nean de l'Egypt (Arabica. 7. 1967).

25 — Goitien : Bankers and Accounts from the Eleventh Centuries. A. D. (J. E. S. H. O, Vol. IX Part — 1 — 11, 1966)

26 — Harold Boune : The last Buwayhids (J.R.A.S 1929).

27 — Kirkman : The Mints of iraq during Ommayad and Abbassid Periods, (Sumer, V, I, II, 1945).

28 — Lamb : A Visit to Siraf (J.R.A.S,V 37, Part 1, 1964).

29 — Levis. B : The Islamic gold. (in the Economic history. Review, New York 1957).

30 — MafiZullah Kabir : Administration of Justcc during Buwayhid Period. (Islamic culture, Vol, No, 34. 1960).

31 — Nardi : Industry and commerce under the Abassids (J. E. S. H. O. IX. 1966).

32 — Siddiqi : Caliphate and Kingship in medival persia. (Islamic cul- ture. Vol, 10, 1936).

33 — Samadi : Social and Economic Aspect. (Islamic culture, V 29).

فهـرس الموضوعات

صفحة

(تم بحمـد اللـه)

رقم الايــداع ١٩٨٩/٨١٤
الترقيم الدولى ٨ ــ ٨٧٤٠ ــ ٠٥ ــ ٩٧٧

المطبعــة الاســلامية الحديثة
٤٢ (أ) شــارع دار الســعادة ــ حلمية الزيتون
تليفون : ٢٤٧٥٣٥٢ ــ القاهرة